المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الاول	تونس في شهر رمضان المعظم ١٣٥٩ وفي اكتوبر ١٩٤٠	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

المجلد الرابع

فهرس العدد

الجزء الاول

صفحة | المقال | صاحبه

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

الخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية
تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الاول	تونس في شهر رمضان المعظم ١٣٥٩ وفي اكتوبر ١٩٤٠	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير :
محمد المختار بن محمود
المفتي الحنفي
بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :
محمد الشاذلي ابن القاضي
المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الاول بجامع حموده باشا

المراسلات :
ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :
نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧



فاتحة المجلد الرابع

الحمد لله الذي شرح بالاسلام صدور عباده المصطفين الابرار ، واذاقهم حلاوة الايمان فرفعت عنهم الاستار ، فاستقاموا على الطريقة واصبحوا من الخلص الاخيار ، وجعلهم مثلا يقتدى وامانا من عذاب النار ، والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة ، الداعي الى الحق بالحكمة ، وعلى آله واصحابه الهادين المهديين ، وكل من جاهد في الحق ولم يكن من المضلين .

اما بعد فقد قضت المجلة الزيتونية سنوات حمدت فيها سيرتها ، وحازت فيها رضا مريديها ، ودعت الناس الى الله بصدق واخلاص . وارشدتهم الى سبيل النجاة ، واهتمت باصلاح الحالة الاجتماعية بقدر ما سمحت به الظروف ، ونصحت المغرورين للتمسك بالآداب الاسلامية ، وما يرفع من شان المجتمع . وربما اخذ علينا بعض التقصير ، ولكن نحن نعلم ان الرفق هو اساس النجاح ، اما شدة المقاومة وعدم المبالات في المهاجمة فذلك قد راى الناس انه قليل الثمرة ، وربما وجد المعاند والمكابر من ذلك ما يتخذه وسيلة للمقاومة ، وينقلب الامر الى عراك ومجادلة ويترك الموضوع الاساسي الذي فتحت من اجله المجادلة ، وهذه احوال فشت في كثير من الظروف والمقامات ، فاخذنا على انفسنا ان نتجنبها ولا نزج بانفسنا في خلافات تدعو اليها اغراض النفس السافلة ، ومبدانا في ذلك ما علمنا به القرءان أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

وهذا الشعار وان رام التمسك به الكثير من المصلحين ولكن القليل منهم من تم له مراده ، ونرجو ان ننال منه القسط الاوفر ، حتى اذا علم الناس جميعا حسن مقصدنا وادركوا شدة تمسكنا بالحق واننا لم ندع الاغراض ينفذ منها سهم فيحز من عزمنا مدوا لنا ايديهم وصافحونا على الاخذ بالنصرة الاسلام وآدابه والبعد عن الغرور والبدع والمناكر التي تفشت في مجتمعنا واردت بنا في خضم مليء شرورا .

وقد ساهم في امدادنا بالمعونة على ذلك اعيان كتاب القطر وبعض من رجال الشرق والغرب شكرلهم سعيهم الحميد وعلى الخصوص الشيخ الجليل المصلح الكبير سيدي محمد الحجوي رئيس محكمة الاستيناف الشرعي بالدولة الشريفية السلطانية المغربية بارك الله لنا في حياة الجميع وامدهم باعانته .

وكذلك عملنا لنشر موضوعات علمية وادبية وابحاث تاريخية ووثائق عزيزة الوجود نخص منها ما امدنا به العلامة الجليل الشيخ سيدي عبد الحي الكتاني ومؤرخ تونس الشهير سيدي محمد بن الخوجه ادام الله النفع بالجميع .

وقد زاد في تشجيع القائمين باعباء هذه المجلة مناصرة اهل العلم والادب والفضل واقبالهم عليها واستحسانهم لمنهاجها وشهادتهم لها

وجدير ان نقدم خالص الشكر والامتنان الى حضرات السادة العلماء والادباء على ما تفضلوا به من المقالات الرائقة والتحارير الفائقة والقصائد التي رصعت جيد المجلة بجواهرها اليتيمة ونبتهل الى الله ان يثبتنا على القول الثابت ويمنحنا التوفيق والرضا انه سميع مجيب وبالاجابة جدير .

الاسلام

يدعو الى مكارم الاخلاق

ان الله تعالى وضع هذه الشريعة المباركة حنيفية سمحة سهلة حفظ فيها على الخلق قلوبهم من الزيغ والضلال وحببها لهم بذلك . فالله حبب الينا الايمان بتيسيره وتسهيله وزينه في قلوب المؤمنين بذلك وبالوعد الصادق بالجزاء عليه .

ورتب سبحانه فروض الشريعة على قواعد واسس اصلها ثابت وفرعها في السماء بما يحفظ على الانسان العقل والمال والنفس والعرض وجعل سبحانه هذا الدين يسرا وليس بعسر لتحقيق ما كلفهم به فروعي في تكاليف الشريعة اصولا منها التيسير والاخذ بالارفق خشية الملل ودفعا للحرج .

فقد جاء في الصحيح عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم انه قال . ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ولا تبغضوا الى انفسكم عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى . وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج .

ومنها ملابسة حالتي الرجاء والخوف ليكون حال المؤمن وسطا بين الافراط والتفريط فالخوف سوط سائق يبعده عن غرور النفس ومتابعة الشهوات وتحكيم الهوى الذي يضله عن الصراط السوي، والرجاء قائد يبعث في نفسه النشاط على الطاعة والامتثال والصبر على تكاليف الشريعة وتتولد من هذه الملابسة بعد استحكامها وتقررها في نفس المؤمن حالة اخرى وهي حالة المحبة التي تزول معها كل المشاق التي يتوهم ان التكليف من حيث هو تكليف للنفس فيه مشقة على المرء وتعب يروم الانفلات منه فان المحبة اذا تمكنت من نفس المحب يصير بها يعمل ويبذل المجهود في سبيل ارضاء المحبوب فيصير ما يتخيل انه صعب سهلا عليه سيما بعد ان يدرك ان منفعة عمله انما ترجع اليه خاصة اما في العاجلة او الآجلة بل يرى نفسه مقصرا في الايفاء بعهد المحبة كلما توغلت نفسه فيها ولا انه قام بشكر النعمة التي ما انفك يتقلب فيها اناء الليل واطراف النهار ويغمره بها المنعم جل انعامه .

والانسان بما ركبت فيه من شهوات وما استقر في نفسه من الميل لحظوظه الحيوية كان مشغوفا في حياته كلها بتحقيق تلك الحظوظ والنيل من الشهوات بقسط اوفر او قليل حسبما تسمح له به طاقته يسعى كل السعي لنيل مرغوبه ويرى السعادة في ذلك ولكن الله جلت حكمته لم يتركه وشانه يتخبط

بين الحق والباطل بل اقام له حاجزا يفرق بين الحق والباطل وجعل له اماما يهديه سبيل السعادة بما يكفل له استيفاء حظوظه التي لا ضرر فيها ومنعه من مسايرة الهوى والميل مع الشهوات والحظوظ مطلقا لان الاسترسال في ذلك من غير تقييد فساد كبير والله لا يحب لعباده الفساد .

ولرفع هذا الاسترسال وكبح جماح الانفس بعث الله الرسول الاكرم بشرع عدل روعي فيه جانب الخالق سبحانه وما يتطلبه حال المخلوق بالنظر الى كونه عبدا لله تعالى من جهة وبالنظر الى كونه بشرا انسانا وبالنظر الى كونه خليفة في الارض من جهة اخرى فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالهدى والعلم الذي يحفظ الحقوق ويحقق تلك الانظار فكانت محاسن الشريعة الاسلامية في عقائدها وفي عباداتها وفي معاملاتها وفيما اوصت به من اخلاق فاضلة وصفات كريمة كل ذلك مراعى فيه مصالح البشر بما يعود نفعه عليهم في العاجلة والآجلة وحسبك انه النور السرمدي والرحمة الربانية التي بعث بها رسول الرحمة والهدى لارشاد العباد الى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرى

وقصدنا في هذه العجالة ان نذكر بما جاءت به الشريعة في باب الاخلاق الذي هو قسم مستقل برأسه اهتمت به الشريعة ايما اهتمام ورغبت في الاعتناء به ايما ترغيب حتى قال عليه الصلاة والسلام في حقه بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

وكان الناس من فرط اهمالهم لامر الاخلاق يحسبه الجاهل منهم أمرا وراء التكاليف الشرعية فلايعيره وزنا ولا يقرا له حسابا كان الله لم يكلفه به وكان الرسول لم يشرع فيه شيئا واذا سمع الناس من مرشد واعظ مواعظ اخلاقية اعتبروها امورا تكميلية لا تستحق كبير اهتمام فلا تتاثر بها نفوسهم ولا تحفظها قلوبهم واذا جاء طور العمل عمل كل انسان بما تخلق به لا يفكر فيما سمعه من المرشد تفكيرا ما فضلا عن كونه يسعى في مقاومة نفسه او يجد في ترويضها بما ضعف فيها او كانت بمعزل عنه مع ان صاحب الشريعة ما انفك يعمل مدة البعثة لغرس الاخلاق الفاضلة في النفوس وتمكينها منها وتربيتها على الاخذ بها حتى ظهر آثار ذلك في نفوس الصحابة رضي الله عنهم وقصت علينا كتب السير من ذلك الشيء الكثير .

وانت اذا تأملت في سبب انتشار القبائح وفشوها بين الناس بان لك بوضوح ان سبب ذلك يرجع الى تدهور الاخلاق وسقوطها بصورة تركت المجال فسيحا لنفاق سوق المهالك فاعتاد الناس الشر وسارت اليه خطاهم عن عجل فعزت الفضيلة وقل أهلها والراغبون فيها وطغت عليهم موجة الشره وتصوروا الامور على غير وجهها الصحيح فضلوا واضلوا الناس على غير علم والناس من طبعهم التقليد وقليل منهم المتبصرون ولا تعجب من ذكر هذا السبب واعتبار الاخلاق هي الركن الاساسي لان الخلق هو ملكة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال النفسانية من اعتقاد أو قول أو عمل

بسهولة من غير نظر وتفكر فكل قبيح مصدره سوء الخلق وكل حسن مصدره حسن الخلق والخلق هو المسيطر على حركة النفس التي تنشأ عنها افعال العباد الظاهرة والباطنة وهذه الملكة منها ما هو جبلة ومنها مكتسب وهو الاصح قال القرطبي الخلق جبلة في نوع الانسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا والا فهو المامور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا صاحبه حتى يقوى وقد وقع في حديث الاشج انه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناءة . قال يا رسول الله قديما كانا في أو حديثا . قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما . رواه احمد والنسائي وصححه ابن حبان قال فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب وهذا هو الحق بدليل ان الشرع الاسلامي امر بمحاسن الاخلاق واغرى العباد عليها وحذر من القبائح وتوعد عليها وما ذلك الا لاكتساب الاخلاق الحميدة والتباعد عن الاخلاق الذميمة . قال الشيخ عبد الغني النابلسي : ولو لم يمكن التغيير في الاخلاق ما كان للامر والنهي فائدة .

ومنشأ الخلق قوى النفس الانسانية وهي ثلاثة قوى قوة الادراك وقوة الغضب وقوة الشهوة وكل هذه الثلاثة على ثلاث مراتب مرتبة الاعتدال ومرتبة الزيادة ومرتبة النقصان وهما الافراط والتفريط . فاعتدال قوة الادراك - الحكمة - وهي ملكة راسخة في النفس تدرك بها النفس الصواب من الخطا وهو القدر المحمود المطلوب حصوله في الانفس وما سواه افراط او تفريط اما الافراط فهو الجربزة يصدر بسببها من الانسان افعال يتضرر الغير بها كما هي عادة اهل المكر والدهى والخديعة المتحذقين في الاحوال الدنيوية ويقابل الجربزة البلادة يقصر صاحبها عن ادراك الخير والشر وهي الصفة الكثيرة الوجود التي تستلزم من القصور عدم نشاط الانسان الى الخير من كل الاحوال الدنيوية والاخروية .

واعتدال قوة الغضب - الشجاعة - التي بها يقدم الانسان على الامور الصعبة التي ينبغي ان يقدم عليها . وافراط الغضب التهور وهو الاقدام على الشيء بقلة مبالات فيقدم على امور لا ينبغي له ان يقدم عليها فيقع في المحذور . ويقابله الجبن وهو الاحجام عن مباشرة ما يلزم فعله في حقه .

واعتدال قوة الشهوة - العفة - التي بها يباشر الانسان المشتهيات على وفق احكام الشرع وما تستدعيه المروءة .

وافراط الشهوة الشره والفجور . والشره غلبة الحرص للتحصيل على المرغوب على اي صورة كان . والفجور هو الكذب والانبعاث في المعاصي فاذا فجر تناول المشتهيات كيفما كانت حلالا او حراما من غير مبالات . ويقابل الشره والفجور ، الخمود الذي به يقصر الانسان عن استيفاء ما

يتطلب من المشتهيات المباحة شرعا لضعف في البنيـة او كبر او مرض او خوف او نحو ذلك فيتسبب عنه انطفاء حرارة القوة الشهوانية .

فعرفت بهذا ان ملاك الاخلاق الفاضلة في اعتدال هـذه القوى الثلاثة وهي :
الحكمة والشجاعـة والعفة .

قال علماء التربية ان هذه الثلاثة تحصل في الانسان باستخدام قوة الفكر لقوة الغضب والشهوة وقهرهما حتى تدخلا تحت سلطانها فلم يبق لهما اثر في النفس مستقلا .

والاطراف وهي الجربزة والبلادة والتهور والجبن والشره والخمود تحصل في النفس وتقوى باستخدام قوة الغضب والشهوة لقوة الفكر حتى يكونا مسيطرين عليها بالغلبة فيكون الانسان تحت تأثرهما ولم يكن لقوة الفكر سلطان مهيمن وبذلك يقع الانسان في المهالك ولا يجد في نفسه كابحا يقيد نفسه عن ورود المعاطب حيث اصبح مغلوبا على امره لضعف قوة التفكير ودخولها تحت سيطرة الغير عوض ان تكون هي المسيطرة .

على انا نقول ان الاعتدالات الثلاثة انما تكون محاسن اذ سلمت من الاغراض الفاسدة اما اذا كانت مشوبة بمقصد خبيث كما اذا قصد بالشجاعة تشفي النفس او بالعفة الكبر فانها تدخل في الرذائل وعلى هذا القياس .

فكل خلق من الاخلاق الانسانية ناشيء ومتولد عن ضعف قوة الفكر وسيطرة قوة الشهوة والغضب فتحصل عن ذلك الاطراف وتتغلب في النفس وتكون هي البارزة مجتمعة او منفردة .

واهم الامور التي تجعل قوة الفكر هي المهيمنة الوازع الديني وهو يقوى ويضعف في نفس المؤمن فاذا قوي حصلت الاستقامة واذا ضعف كانت الاخرى فوجب بمقتضى هـذا التدريج ان نهتم بتقوية الوازع الديني في النفوس لنضمن لانفسنا رادعا مسيطرا يكبح جماحها وتستقيم بذلك اخلاقنا وتسود فينا آداب الاسلام .

محمد الشاذلي ابن القاضي



الحديث الشريف

باب من لم يدع قول الزور والعمل به

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ (رواه البخاري)

الشرح

الصوم عبادة تظافر على تعظيمها الشرع والعادة ، اذ هي تكف النفس عن شهواتها وتقربها من الله بترك عاداتها ، وتخرجها عن شبه البهائم الى شبه الملائكة المقربين ، وتذكر الاغنياء بحال المساكين ، وبالجملة فالصوم جنة ، وسبيل الى الجنة .

قال بعض العصريين المهتدين ما احوج النفس التي غرقت في لذائذ الحياة وانغمست في الترف والنعيم ان تشعر ردحا من الزمن بالحاجة الى المربي الاعظم وتذكر نعمته عليها ولا يذكر بالنعمة الا فقدانها كما قالوا الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى . فالانسان دائما مولع بالنظر الى ما حرم منه غافل عن الاعتداد بما متع به ولذلك جاءت الآيات تترى حاثة على تذكر النعم للقيام بشكرها ومن اعظم نعم الله على عباده المومنين التي تكررت حتى اصبحت كانها امر طبعي مالوف لا يحس به هو الا طعام من جوع فاقتضت حكمة العليم الحكيم أن يكلف الانسان ان يجيع نفسه جزءا من الزمن ليشكر نعمته عليه وليذكر حال من حرم من هذه النعمة بسبب الفقر فيعطف عليه ويهذب نفسه ببيان عجزها وضعفها حتى ترجع لخالقها ثم تعويد النفس على ضبط عواطفها وتربية ملكة الصبر والامانة فيها وقال ناصر الدين البيضاوي ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة والى هذا المعنى يلوح تقي الدين السبكي حيث قال : لا شك أنّ التكاليف قد ترد باشياء وينبه بها على اخرى بطريق الاشارة فليس المقصود من الصوم العدم المحض كما في المنهيات لانه يشترط له النية بالاجماع ولعل القصد به في الاصل الامساك عن جميع المخالفات لكن لما كان ذلك يشق خفف الله وأمر بالامساك عن المفطرات

ونبه الغافل بذلك على الامساك عن جميع المخالفات وارشد الى ذلك كثير من احاديث سيد المرسلين وهو المبين عن الله مراده ومن ذلك ما اخرجه امام دار الهجرة رضي الله عنه عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ومن ذلك ايضا حديث الباب وهو قوله صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه فان معناه من لم يترك الكذب والميل عن الحق ويعمل بما اقتضاه ذلك مما نهى الله عنه فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه قال ابن بطال وليس المراد ان يؤمر بان يدع صيامه وانما معناه التحذير من قول الزور والعمل به وهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اي يذبحها ولكنه على التحذير والتعظيم لا ثم بائع الخمر .

وقد استشكل مفهوم الحديث بانه يقتضي ثبوت الحاجة لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واختلف الشراح في الجواب فذهب ابن بطال الى ان المعنى فليس لله ارادة في صيامه وتعقبه في الارشاد بانه لو لم يرد الله تركه لطعامه وشرابه لم يقع الترك ضرورة ان كل واقع تعلقت الارادة بوقوعه ولولا ذلك لم يقع شيء . واجاب عنه العلامة السندي بانه تسامح في العبارة والمراد ما يلزم الارادة عادة من المحبة والرضا وان لم يكن ذلك لازم الارادة بالنظر الى الله تعالى عند اهل السنة والذي ارتضاه العلامة القسطلاني انه مجاز عن عدم الالتفات والقبول فنفى السبب واراد المسبب والا فالله لا يحتاج الى شيء كما قاله ناصر الدين البيضاوي واجاب ابن المنير بانه كناية عن عدم القبول كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئا طلبه منه فلم يقم به لا حاجة لي بكذا فالمراد رد الصوم الملتبس بالزور وقبول الصوم السالم منه وقريب من هذا قوله تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) فان معناه لن يصيب رضاه الذي ينشا عنه القبول . واجاب الطيبي بانه لما دل قوله الصوم لي وانا اجزي به عن شدة اختصاص الصوم به من بين سائر العبادات وانه مما يبالي به فرع عليه قوله فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه .

قال شهاب الدين القرافي خصص صاحب الشرع الصوم بهذه الاضافة الموجبة للتشريف له على غيره مع ان الفتوى على ان الصلاة افضل منه فلابد لهذه الاضافة والتخصيص من فارق اوجب ذلك وذكر العلماء رضي الله عنهم فيه فروقا وذكر رحمه الله تعالى عدة انتقدها الواحد بعد الآخر الى ان قال : ولم ار فرقا تقر به العين ويسكن اليه القلب . قال العلامة ابن الشاط احسن ما قيل في ذلك عندي القول الذي افتتح به وهو ان الصوم امر خفي لا يمكن الاطلاع عليه حقيقة لغير الله تعالى فلذلك نبه على شرفه بخلاف الصلاة والجهاد وغيرهما وما اورده عليه من الايمان وسائر أفعال القلوب يجاب عنه بان المراد الاعمال الظاهرة لا الباطنة وان الصوم اختص دونها بهذه المزية ولا

يرد عليه كون الصلاة افضل منه لانه تعارض بين المزية والافضلية كما قرر في محله ويؤيده ما في الفتح حيث قال : ان الفرق ان الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره لانه لا يظهر من ابن آدم بفعله وانما هو شيء في القلب ويشهد بذلك ما رواه الزهري مرسلا من قوله صلى الله عليه وسلم ليس في الصوم رياء . قال الطبري لما كانت الاعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله الا الله اضافه الى نفسه ولهذا قال في الحديث يدع شهوته من اجلي

قال العلامة ابن العربي ومقتضى هذا الحديث ان من لم يدع قول الزور والعمل به لا يثاب على صيامه وأيده تقي الدين السبكي بما حاصله ان في حديث الباب ونحوه دلالة قوية على ذلك لان قول الزور والعمل به مما علم النهي عنه مطلقا والصوم مامور به مطلقا فلو كانت هذه الامور اذا حصلت فيه لم يتأثر بها لم يكن لذكرها فيه مشروطة به معنى فلما ذكرت نبهتنا على أمرين أحدهما زيادة قبحها بالصوم على غيرها والثاني البحث عن سلامة الصوم منها وان سلامته منها صفة كمال فيه وقوة الكلام تقتضي ان يقبح ذلك لاجل الصوم فمقتضى ذلك يكمل بالسلامة عنها فاذا لم يسلم عنها نقص فصح قول العلامة ابن العربي انه لا يثاب على صيامه .

قلت ويؤيده ان قوله صلى الله عليه وسلم فليس لله حاجة مجاز عن عدم القبول الملزوم لعدم المثوبة .

وربما يقال ان النهي عن الصوم مع قول الزور نهي عنه لمعنى مجاور وهو يفيد ان فيه ثوابا كالصلاة في الارض المغصوبة فقد صرح في التلويح بان الخلاف بيننا وبين الشافعي في ان النهي يقتضي الصحة عندنا بمعنى استحقاق الثواب وسقوط القضاء وموافقة امر الشارع فالجواب بان العلامة الفنري بحث معه في ارادة استحقاق الثواب بل المراد ما سواها والصحة لا تقتضي الثواب كالوضوء بلا نية والصلاة مع الرياء .

وقول الزور هو الكذب وهو حرام بالاجماع قال العلامة الالوسي الكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه في نفس الامر عندنا وفي الاعتقاد عند النظام وفيهما عند الجاحظ وكل مقصد محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة اليه فان لم يكن الا بالكذب فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان واجبا . وصرح في الحديث بجوازه في ثلاثة مواطن في الحرب واصلاح ذات البين وكذب الرجل لامرأته ليرضيها ولاحصر ولهذا جاز تلقين الذين أقروا بالحدود الرجوع عن الاقرار فينبغي ان يقابل بين مفسدة الكذب والمفسدة المترتبة على الصدق فان كانت المفسدة في الصدق أشد ضررا فله الكذب وان كان عكسه أو شك حرم عليه فما قاله الامام البيضاوي عفا الله تعالى عنه من ان الكذب حرام كله يوشك أن يكون مما سها فيه . قلت يا للعجب من هذا النحرير وهو حنفي كيف نسب الامام

البيضاوي الى السهو والحال أن ما قاله هو مذهب الكثير من الحنفية ففي الدر المختار الكذب مباح لاحياء حقه ودفع الظلم عن نفسه والمراد التعريض لان عين الكذب حرام قال في المجتبى قال عليه الصلاة والسلام كل كذب مكتوب لا محالة الا ثلاثة الرجل مع امرأته أو ولده والرجل يصلح بين اثنين والحرب فان الحرب خدعه فقال الطحاوي وغيره هو محمول على المعاريض لان عين الكذب حرام وهو الحق فقد قال الله تعالى قتل الخراصون .

وقال عليه الصلاة والسلام الكذب مع الفجور وهما في النار ولم يتعين عين الكذب للنجاة وتحصيل المرام قال المولى ابن عابدين ويؤيده ما روي عن علي وعمران ابن حصين وغيرهما ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وهو حديث حسن له حكم الرفع وحينئذ فالاستثناء في الحديث لما في الثلاثة من صورة الكذب وحيث ابيح التعريض لحاجة لا يباح لغيرها لانه يوهم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا . ونقل الشيخ محمد السفرايني مثل ذلك عن الحنابلة مرجوحا . ونقل حجة الاسلام الغزالي عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب . وقال عمر رضي الله عنه في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره فما قاله ناصر الدين ليس بدعا في القول حتى يقال يوشك ان يكون مما سها فيه . غير أن ما قاله العلامة الالوسي هو مذهب جمهور العلماء وعليه اكثر الشافعية والحنابلة وبعض الحنفية وبه صرح العز بن عبد السلام من علماء المالكية ويمكن تاييده بثلاثة أوجه .

أولها أن التعريض قد يكون غير ممكن ولا يمكن الخلاص الا بالكذب وفي هاته الصورة يجوز الكذب قطعا قال الامام النووي لو اختفى مسلم من ظالم يريد قتله فلقي رجلا فقال أرأيت فلانا فانه لا يخبره به ويجب عليه الكذب في هاته الحالة ولو احتاج للحلف في انجاء معصوم من هلكه . قال الامام الموقف لان انجاء المعصوم واجب .

الثاني ان الاحاديث المشهورة التي كادت ان تبلغ حد التواتر صريحة في جواز الكذب في الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته . وتأويلها بما أولوها به بعيد جدا .

الثالث ان من الكذب ما لا اثم فيه اجماعا ككذب الناسي إذ شرط الاثم في الكذب العمد على ما ياتي تحريره فلا يتم العموم المدعى وهو كل كذب حرام .

قال العلامة السفرايني لا يشترط في كون الكذب كذبا تعمده واكثر الاحاديث يشهد لذلك حيث دل على انقسام الكذب الى متعمد وغيره نعم التعمد شرط لكونه اثما كما صرح به الامام النووي في شرح مسلم وقال انه مذهب اهل السنة الا أنه لم يذكر قوله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع فالظاهر انه يأثم مع عدم تعمد الكذب ولكنه لما علم انه يسمع الصدق والكذب وجب عليه التحري وذهبت طائفة الى ان العمد لا يشترط في الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم

لقوله لا تكذبوا علي فانه من كذب علي فليلج النار فانه يتناول غير العامد ولم يقع فيه العمد في رواية البخاري . ويشكل عليه انه بعمومه يتناول الساهي والناسي وقد انعقد الاجماع على انه لا اثم عليهما لان النسيان يرفع الاثم لقوله صلى الله عليه وسلم وضع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فالحديث غير باق على عمومه قطعا حتى يستدل بعمومه ثم ان الفعل الذي فعل نسيانا لفعل آخرينا فيه لا شك ان حكمه الاباحة او الحظر مع رفع ما يترتب على ذلك من الذم لان الباقي من الاحكام لا يصلح قطعا والمقرر في الاصول انه لا زائد على الخمسة في خطاب التكليف واعترض ذلك ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات واخترع قسما زائدا على الخمسة وهو العفو واستدل له بوجوه منها ان الاحكام الخمسة انما تتعلق بافعال المكلفين مع القصد الى الفعل واما بدون ذلك فلا تتعلق تلك الاحكام بها واذا لم يتعلق حكم منها مع وجدان الفعل من غير قصد ممن شانه ان تتعلق به تلك الاحكام فهو معنى العفو المتكلم فيه وكانه يشير رحمه الله الى ان الناسي ونحوه من قبيل الغافل والصواب امتناع تكليفه لان مقتضى التكليف بالشيء الاتيان به امتثالا وذلك يتوقف على العلم بالتكليف به والغافل لا يعلم ذلك فيمتنع تكليفه ومما استدل به ايضا النص على هذه المرتبة بالخصوص فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحدد حدودا فلا تعتدوها وعفى عن اشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها ثم أيد مدعاه بما يدل عليه في الجملة كقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وبما ثبت في الشريعة من العفو عن الخطا في الاجتهاد حسبما بسطه الاصوليون والعفو عن عثرات ذوي الهيئات فانه ثبت في الشريعة اقالتهم في الزلات وان لا يعاملوا بسببها معاملة غيرهم فقد جاء في الحديث اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم وفي الحديث الآخر تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة والصلاح وقد روي العمل بذلك عن محمد بن ابي بكر بن عمر بن حزم فانه قضى به في رجل من آل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه شج رجلا وضربه فارسله وقال له انت من ذوي الهيئات . قلت وعلى هذا درج بعض ايمتنا فقد قال الحاكم الشهيد في كفالة الكافي اذا كان المدعى عليه رجلا له مروءة وخطر استحسنت ان لا احبسه ولا اعزره اذا كان ذلك اول ما فعل ونقل ابن رستم في النوادر عن محمد بن الحسن انه يوعظ حتى لا يعود فان عاد ضرب التعزير لتكرر ذلك منه . ثم ان ابا اسحاق الشاطبي رجع اخيرا لما قرره اهل الاصول من حصر الاحكام في الخمسة واستدل بوجوه يطول ذكرها ورد ما تقدم من الادلة بانه لادلالة فيه على خروج هذه المرتبة عن الاحكام الخمسة لامكان الجمع بينهما ولان العفو اخروي والكلام في الاحكام الدنياوية ولان ما ذكر من انواع العفو داخل تحت الخمسة فان العفو فيها راجع الى رفع حكم الخطا والنسيان والاكراه والحرج وذلك يقتضي اما الجواز بمعنى الاباحة واما رفع ما يترتب على

المخالفة من الذنب بسبب العقاب وذلك يقتضي اثبات الامر والنهي مع رفع آثارهما لمعارض فارتفع الحكم بمرتبة العفو وانها امر زائد على الاحكام الخمسة

قلت وكانه يشير بقوله وما ذكر من انواعه داخل تحت الخمسة لمنع ان يكون الناسي ونحوه من قبيل الغافل الذي لا قصد له والاحكام الخمسة انما تتعلق مع القصد الى الفعل لما حرره سعد الدين التفتزاني في حواشي العضد من ان الغافل الذي لا يتوجه اليه الخطاب هو الذي لا يفهم الخطاب كالصبيان او يفهم لكنه لم يقل له انه مكلف كالذي لم تصل اليه دعوة نبي وبالجملة فان الذي لا يتوجه اليه الخطاب الغافل عن التصور لا الغافل عن التصديق وفي شرح النقاية لا يخفى ان الناسي من قبيل القسم الثاني لا من قبل القسم الاول فيتعلق به من الاحكام ما يناسب ان يتعلق به .

فان قيل هل الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم حكمه كحكم الكذب على غيره ؟ قلت حكى امام الحرمين عن والده أبي محمد الجويني أنه كان يقول من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم متعمدا كفر وأريق دمه وضعفه الامام وجعله من هفوات والده وتبعه من بعده قال الامام النووي في شرح حديث من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار معنى الحديث أن هذا جزاؤه وقد يجازى به وقد يعفو الله تعالى عنه ولا يقطع بدخوله النار وهكذا سبيل كل ما جاء من الوعيد بالنار لاصحاب الكبائر غير الكفر ثم إن جوزي وأدخل النار لا يخلد فيها بل لا بد من خروجه منها بفضل الله تعالى ورحمته .

وانتصر ابن المنير لابي محمد الجويني بان خصوصية الوعيد توجب ذلك إذ لو كان بمطلق النار لكان كل كاذب كذلك عليه أو على غيره فانما الوعيد بالخلود ولهذا قال فليتبوأ أي فليتخذها مسكنا وذلك هو الخلود وبان الكذب عليه في تحليل حرام مثلا لا ينفك عن استحلال ذلك الحرام أو الحمل على استحلاله واستحلال الحرام كفر والحمل على الكفر كفر . ورد الأول بان دلالة التبوء على الخلود غير مسلمة ولو سلمت فلا نسلم أن الوعيد بالخلود مقتض للكفر بدليل متعمد القتل الحرام كما رد الثاني بأ نا لا نسلم أن الكذب عليه ملازم لاستحلاله ولا لاستحلال متعلقه فقد يكذب عليه في تحليل حرام مثلا مع قطعه بأن الكذب عليه حرم وان ذلك الحرام ليس بمستحل كما تقدم العصاة من المؤمنين على الكبائر مع اعتقادهم حرمتها .

قال في العمدة فان قلت الكذب من حيث هو معصية فكل كاذب عاص وكل عاص يلج النار لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها فما فائدة لفظة علي فان الحكم عام في كل كذب على كل أحد .

فالجواب ان الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد من الكذب على غيره لكونه مقتضيا شرعا عاما باقيا الى يوم القيامة فخص بالذكر لذلك .

ورأيت لبعض المحققين فرقا آخر وهو ان الكذب عليه ممنوع مطلقا والكذب على غيره فيه

تفصيل وقد تقدم بيانه ويؤيده ما صرح به الجمهور من أنه لا فرق في تحريم الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم بين ما كان في الاحكام وغيره كالترغيب والترهيب فكله حرام من أكبر الكبائر باجماع المسلمين المعتد بهم خلافا للكرامية في زعمهم الباطل أنه يجوز الوضع في الترغيب والترهيب وتابعهم كثير من الجهلة .

ومنهم من زعم انه جاء في رواية من كذب علي معتمدا ليضل به وتمسك بهذه الزيادة وانه كذب له لا عليه وهذا فاسد ومخالف الاجماع وجهل بلسان العرب وخطاب الشرع فان كل ذلك كذب عليه عندهم لان معنى كذب عليه نسب الكلام اليه كاذبا سواء كان عليه اوله واما تعلقهم بهذه الزيادة فاجيب عنه باجوبة منها ان هذه الزيادة باطلة باتفاق الحفاظ على بطلانها . ومنها ما قاله الطحاوي انها لو صحت لكانت للتاكيد كقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم . ومنها ان اللام في ليضل ليست للتعليل بل هي لام الصيرورة والعاقبة والمعنى على هذا يصير كذبه الى الضلال به

واما الكذب على الله تعالى فيكفيك فيه قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا . وقوله انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بئايات الله وقوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وغير ذلك من الآيات البينات والاحاديث التي لا تحصى

وقد بان بما قررناه ان الكذب على المؤمنين معصية وعلى الرسول اشد وعلى الله اشد واكبر

قال حجة الاسلام الغزالي ان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان كما ان من اعظم آثامه القول على الله بلا علم . قال العالم الرباني شيخ الاسلام الثاني قدس الله روحه ان المحرمات نوعان محرم لذاته لا يباح بحال ومحرم تحريمه عارض في وقت دون وقت قال الله تعالى في المحرم لذاته (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) ثم انتقل منه الى ما هو اعظم منه فقال (والاثم والبغي بغير الحق) ثم انتقل منه الى ما هو اعظم منه فقال (وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) ثم انتقل منه الى ما هو اعظم منه فقال (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) فهذا اعظم المحرمات عند الله واشدها اثما فانه يتضمن الكذب على الله ونسبته الى ما لا يليق به وتغيير دينه وتبديله ونفي ما اثبته واثبات ما نفاه وتحقيق ما ابطله وابطال ما احقه وعداوة من والاه وموالاة من عاداه وحب من ابغضه وبعض ما احبه ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته واقواله وافعاله فليس في اجناس المحرمات اعظم عند الله منه ولا اشد اثما وهو اصل الشرك والكفر وعليه اسست البدع والضلالات فكل بدعة مضلة في الدين اساسها القول على الله بلا علم ولهذا اشتد نكير السلف والايمة لها وصاحوا باهلها من اقطار الارض وحذروا فتنتهم اشد التحذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في انكار الفواحش

والظلم والعدوان اذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له اشد وقد انكر تعالى على من نسب الى دينه تحليل شيء او تحريمه من عنده بلا برهان من الله فقال جل وعز ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب

ثم قال فذنوب اهل البدع كلها لا تتحقق التوبة منها الا بالتوبة من البدع وانى بالتوبة منها لمن لم يعلم انها بدعة او يظنها سنة فهو يدعو اليها ويحض عليها .

ومما يزيدنا ايمانا بعظم خطر اللسان حديث معاذ ابن جبل قال رضي الله عنه قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت .

ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا ، قلت يا نبي الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ، فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم . رواه الترمذي وقال حديث صحيح .

وروى ابن ابي ليلى والبزار والطبراني عن انس رضي الله عنه قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم اباذر فقال يا اباذر هل ادلك على خصلتين هما خفيفتان على الظهر واثقل في الميزان من غيرهما قال بلى يا رسول الله قال عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما

ومثل ما وصف به الخصلتان كلمتان حبيبتان الى الرحمان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . انتهى

ملخص درس الختم الذي القاه المنعم الشيخ محمد ابن القاضي في يوم ٢٧ رمضان عام ١٣٤٩ بجامع حمودة باشا



كيف أسس الامام الاعظم

مذهبه وأدلته

أسس الامام الاعظم أبوحنيفة النعمان ابن ثابت رضي الله عنه مذهبه على نحو ما قاله عن نفسه اني آخذ بكتاب الله اذا وجدته فما لم اجده فيه اخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الصحاح عنه التي فشت في ايدي الثقات فاذا لم اجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذت بقول اصحابه من شئت وادع قول من شئت ثم لا اخرج من قولهم الى قول غيرهم فاذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب (وذكر جماعة من المجتهدين) فلي ان اجتهد كما اجتهدوا .

واصله في هذا الاساس الذي سار عليه واتبع في الاستنباط ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ولاه قاضيا على اليمن ساله بم تقضي قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسوله قال فان لم تجد قال اجتهد برأيي .

وكان ابو حنيفة نظارا في كتاب الله عارفا بحديث اهل الكوفة روى كثيرا عن علمائها المبرزين في الحديث والفقه وعلوم الدين .

ولم يكن يجلس للتحديث كعادة المحدثين وانما كان يملي فروع الفقه على تلاميذه بعد التشاور فيها واذا احتيج الى دليل مسالة تكلم كل بما عنده ثم يحدثهم عن شيوخه من الاحاديث المرفوعة والموقوفة وآثار التابعين بالسند المتصل تارة واخرى بلاغا وتعليقا او انقطاعا .

نقل الامام الطحاوي عن مسند الامام الخوارزمي ان الامام ابا حنيفة اجتمع معه الف من اصحابه اجلهم وافضلهم اربعون قد بلغوا حد الاجتهاد فقربهم وادناهم وقال اني الجمت هذا الفقه واسرجته لكم فاعينوني فان الناس قد جعلوني جسرا على النار فان المنتهى لغيري واللعب على ظهري . فكانت اذا وقعت واقعة شاورهم وناظهم وحاورهم وسالهم فيسمع ما عندهم من الاخبار والآثار اي التي رووها عن غيره ويقول ما عنده وربما ناظرهم الشهر او اكثر حتى يستقر آخر الاقوال فيثبته ابو يوسف حتى اثبت الاصول على هذا المنهاج شورى لا انه تفرد بذلك اه .

وذكر ايمة المذهب بالرواية ان الامام كان من الحفاظ المكثرين المتقنين كتب عن اربعة آلاف من ايمة الحديث احاديث كثيرة . روي عن يحيي بن نصر قال : دخلت عليه في بيت مملوء كتبا فقلت له ما هذا فقال : هذه الاحاديث ما حدثت بها الا اليسير الذي ينتفع به اه.

وهذه الاحاديث التي يرويها الامام لم يتركها كتابا مسندا وانما املاها على تلاميذه كما علمت .

وقد عني تلاميذه بما سمعوه من الآثار وجمعوها في تصانيف مفردة مرتبة على ابواب الفقه وفي طليعتهم الامام ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري رضي الله عنه فانه صنف مسندا جمع فيه مروياته عن الامام وأضاف اليها ما رواه عن غيره وهو الذي عرف بمسند ابي يوسف واشتهر بكتاب الآثار . رواه عنه ابنه يوسف .

قال الشيخ عبد القادر القرشي : روى كتاب الآثار عن ابيه عن ابي حنيفه وهو مجلد ضخم . وروى محمد بن محمود الخوارزمي مسند ابي يوسف عن يوسف بن عبد الرحمن ابن الجوزي . وابي محمد ابراهيم بن محمد بن سالم . ومحمد بن علي بن بقاء . وغيرهم اذنا عن ابن الجوزي ، وابي القاسم يحيى بن نوش اذنا عن القاضي ابي بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري اجازة عن ابي محمد الحسن الجوهري عن ابي بكر محمد الابهري عن ابي عروة الحسين بن محمد بن مودود الحراني عن جده عمر بن عمرو عن ابي يوسف . اه . عن ابي الوفا المصري

وكتاب الآثار هذا هو اول مسانيد الامام تاليفا طبع بمصر عام ١٣٥٥ هجرية بمطبعة الاستقامة نشرته لجنة احياء المعارف النعمانية بالقاهرة عن النسخة الوحيدة التي في دار الكتب المصرية .

وحدثنا ابو الوفا ايضا عن المسانيد فقال : وصنف الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب الامام مسندين مسندا في الآثار المرفوعة . وكتاب الآثار في المرفوعة والموقوفة .

وصنف الامام الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي مسندا وعرف بمسند الحسن

وصنف حماد بن الامام ابي حنيفة مسندا

وصنف محمد بن خالد الوهبي مسندا رواه ابوبكر احمد بن محمد بن خالد بن خلي الكلاعي عن ابيه عن جده عن محمد بن خالد صاحب المسند فنسب اليه وعرف بمسند الكلاعي

ثم جاء بعد هؤلاء ابو محمد عبد الله بن محمد البخاري الحارثي المتوفى عام ٣٤٠ فصنف مسندا كبيرا . ثم اختصره القاضي الامام صدر الدين موسى بن زكريا الحصكفي المتوفى عام ٦٥٠ بالقاهرة . ثم رتبه الشيخ محمد عابد السندي المدني على ابواب الفقه وهو الشهير اليوم بمسند ابي حنيفة (١) وشرحه العلامة الاستاذ محمد حسن الاسرائيلي السنبلي الهندي المتوفى سنة ١٣٠٥

وصنف القاضي عمر بن الحسن الاشناني المتوفى سنة ٣٣٧ مسندا

ثم صنف الحافظ ابو احمد عبد الله بن عدي المتوفى سنة ٣٦٥ مسندا

ثم صنف الحافظ ابو الحسن محمد بن المظفر المتوفى سنة ٣٧٩

وكذا الحافظ العدل طلحة بن محمد بن جعفر المتوفى سنة ٣٨٠

(١) وقد طبع بمصر

الاسلام دين التوحيد الخالص

شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط

لا اله لا هو العزيز الحكيم

اعلم ايها القاري الكريم ارشدك الله واصلح بالك انه اذا كان التجافي عن الدين سببه الجامع هو الجهل بتعاليمه الصحيحة ، وانه اذا كان كثير من ابنائنا لا يتعرفون هذا الدين من وجهه الصحيح ومنبعه الصريح بل ينتزعون صورته من بعض المظاهر التي تنسب الى الدين وهو بعيد عنها بعد الرزقاء عن الغبراء - فالذي اردت في هذا المقال ان اجليه امام انظارك هو جوهر العقيدة الاسلامية خالصا سالما من كل غش او دنس منتزعا من ينابيعها الصريحة واصولها الثابتة الصحيحة مشتقا من الفيض الالهي الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والينبوع الذي لا ينضب معينه وعسى ان يتنبه القاري لما سيلقى عليه ويكشف عنه بين يديه فيجعله في امر عقيدته نصب عينيه ويطهر عقله وقلبه من كل ما خالفه او خالطه مما لا يتسق معه من الخرافات الزائفة والبدع المنكرة في الدين حتى تخلص عقيدته لله وحده ويكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد له اضطرارا واذا صحت العقيدة وخلصت من انواع الجهالات وتجردت عن البدع المنكرات كان ذلك صقلا للقلب وصفاء للسريرة وطهارة للضمير من الاوساخ التي تبعده عن الحقيقة الكاملة التي هي غاية اولي النهي وقطب دائرة السعادة في الاولى والاخرى وجرت اعمال الجوارح على ذلك النمط بلا امتراء فهي تابعة للقلب فيما يصدر لها من

والحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠

والقاضي ابو بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري المتوفى سنة ٥٥٥

والحافظ ابو القاسم عبد الله بن محمد بن ابي العوام السعدي كلهم الف مسندا مسندا

ثم جاء ابو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي سنة ٥٥٦ فصنف مسندا كبيرا روى فيه مسند الحسن بن زياد اللؤلؤي جمع فاوعى حتى قيل : ان مسنده اوفي المسانيد جمعا

ثم جمع كل هذه المسانيد قاضي القضاة ابو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمي في كتاب سماه « جامع المسانيد »

ثم جاء السيد مرتضى فانتخب من تلك المسانيد ما له نظير في كتب الصحاح المشهورة وسماه « الدرر المنيفة في ادلة ابي حنيفة » وبين تخريج كل حديث من كتب الصحاح وغيرها وتكلم فيه على الرجال

قال ابو الوفا وقد اتفقت هذه المسانيد على كثير من الآثار وانفرد كل واحد منها بآثار لم يخرجها غيره ، وتوافق آثار ابي يوسف وآثار محمد ومسنده ومسند ابن زياد اللؤلؤي في اكثر مروياته سندا ومتنا (يتبع)

محمد الشاذلي ابن القاضي

الامر والنهي وهو الذي يرسلها او يكبح جماحها في كل فعل تاتيه او ترك ترتأيه . فقد مضت سنة الله في خلقه بان للعقايد القلبية سلطانا على الاعمال البدنية فما يكون في الاعمال من صلاح او فساد فانما مرجعه فساد المعتقد وصلاحه . اذا علمت هذا فاعلم ان عقيدتنا الاسلامية مبنية على اصلين هما اساسها الذي عليه اقيمت ومفصلها الذي بـه سهلت ورجحت كفتها فتقبلتها العقول السليمة والفطر المستقيمة ذلك هو توحيد الله وتنزيهه الذي افصح عنه القرءان في غير ما آية . وهذا امر فطري مركب في نفوس البشر وطبعهم كما يرشد اليه حديث الولد يولد على الفطرة لكن هذا اذا ما تخلوا عن الاوهام والمؤثرات الخارجية والبيئات الفاسدة وان ما ركب في الانسان من العقل الذي ميزه الله به عن باقي انواع الحيوان لحري بان يدعوه للايمان وان هو ابى سيطر عليه مع ان هذا الاصل مرجعه الى ما هو واضح جلي تتناوله جميع النفوس بسهولة وبساطة اذا هي تركت التعصب الممقوت والهوى الاعمى فما من شيء ادعى الى الشر من الهوى . ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .

اساس العقيدة الصالحة توحيد الله تعالى توحيدا ينفي الشرك في الالوهية والربوبية وهذا القرآن الكريم والتنزيل الحكيم والهداية العامة للناس اجمعين وهو الاصل الاول في تقرير اصول الدين قد عني عناية زائدة بامر عقيدة التوحيد ففصلها تفصيلا في كثير من آيه خصوصا المكي منهـا فجاءت اغلب الآيات المكية نزولا مقررة لهذه العقيدة بشتى الاساليب المختلفة والطرق المتنوعة . مثيرة لادلتها من كوامن النفوس فلم تترك شيئـا مما يصلح ان يكون دليلا الا اقامته واستخرجت منه وجه الدلالة سواء من الانفس او الآفاق او العوالم الكونية كل ذلك باساليب تاخذ بمجامع القلوب ولا تملها النفوس مهما تجددت وترددت على الالسن والاسماع ففي تقرير عقيدة وجود واجب الوجود مثلا افادت الآيات الثانية والثالثة والرابعة من سورة الرعد والآية الثامنة عشرة من سورة الحج والآية الثلاثون من سورة الملك والآيات الثالثة والسبعون والرابعة والسبعون والخامسة والسبعون والسادسة والسبعون والسابعة والسبعون والثامنة والسبعون من سورة الانعـام والآية الواحدة والستون والثالثة والستون من سورة العنكبوت والآيات الاولى والثانية والثالثة والرابعة من سورة التغابن والآيات الاولى والثانية والثـالثة والرابعة والخامسة من سورة الاعلى افادت هذه الايات وجود الواجب سبحانه وسمته باسمه العلم المختص به الذي لا يتسمى به غيره وهو اسم الجلالة الله ثم نعتته بصفات الالوهية والربوبية الدالة عليها آثار قدرته الباهرة وحكمته العالية وتدبيره الفذ الذي لا يكون الا مع شمول العلم وواسع الرحمة وذلك اثارة لكوامن النفوس حتى تستجلي بعيون البصائر دواعي المعرفة ودلائل العلم فتوقن بوجوده تعلى ايقانا راسخا منشؤه النظر والاستقصاء في البحث والاستدلال بالآثار على المؤثر وفي ذلك تذكرة لقوم يعقلون ومما لا شك فيه ان الايمان الحاصل عقب نظر في الدليل وبحث في المقدمات على طريقة القرءان التي هي طريقة سهلة ميسورة لكل من يتطلبها ويسعى لها سعيها فهي لا تكلفه اكثر من مد بصره للنظر فيما

حوله من الاكوان والموجودات وكيفية تسخيرها واحكام صنعها وتدبير احوالها على وجه يحفظ به بقاؤها لآجال مرسومة وآماد معلومة لا شك انه لا يدانيه ايمان المقلدين الذين يحفظون الوانا من المعتقدات لانهم وجدوا عليها اسلافهم واباءهم الاولين ولو سالتهم الكشف عن حقيقة معتقدهم وايضاح مرماه وما دعاه لاعتناقه لولوا وجوههم عنك معرضين رافعين عقيرتهم بان ذلك ما وجدنا عليه قومنا فنحن به متمسكون وعلى اعقابهم سائرون سبحانك اللهم ان هذا لا يداني ايمان الباحث المستقصي الذي دعاه بحثه ونظره للايمان وايمان هذا وانا لا ندعي هنا ان غير كاف له ولا منجيه بين يدي ربه من عذاب يوم عظيم ولكنا نفضل عليه ايمان الباحث المستقصي للنظر والدليل فنعده اكمل ايمانا وابلغ ايقانا وارجح ميزانا كيف لا والله تعالى مهما دعا لعقيدة التوحيد في كتابه العزيز الا دعا لها وارشد اليها ممهورة بدليلها وما يقتضيها من الآيات البينات والدلائل الواضحات مستحثا لاهل العقول والتفكير ان يعملوا عقولهم وافكارهم لاستخراج هذه الحقيقة بانفسهم ويعلموها علما ناشئا من عند انفسهم وان لا يكونوا كالانعام تساق الى المرعى وهي لا تعلم شيئا من نفع ما تساق اليه وفضل ما تدعى اليه ..ولا يقال ان من الناس من لا قدرة له على النظر والاستدلال واستخراج العبرة والانتفاع مما حوله من اسباب المعرفة فكيف نصنع مع هؤلاء وهم كثيرون لانا نقول ان النظر الذي دعانا القرءان اليه نظر لا يكاد يعجز عنه ذو عقل لانه نظر بسيط فيما حوله من الكائنات التي لا تخفى على كل من مد بصره فهو يدعوك للنظر في هذه الكائنات وما هي عليه من محكم النظام وعجيب الخلق والصنع وما ينجر عنها من المنافع للخلق . افكل هذا جرى بطبعها وحدث بناموس وحيها وهذه الطبيعة من الذي طبعها وهذه الجاذبية من الذي ركبها وهذه الارواح من الذي سخرها وهذه المنافع من الذي قدرها فسبحان الله هو الذي رفع السماء بغير عمد وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي ان تميد بنا واجرى بها انهارا اخرج بها من الثمرات كل زوجين اثنين وهو الذي جعل في الارض قطعا متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل وهو الذي صورنا فاحسن صورنا واليه المصير وهو الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى واليك دليلا واحدا من هذه الدلائل القرءانية التي يستوى في ادراكها اهل العلم والفلسفة والبسطاء من الناس ارشد اليه القرءان فيما ارشد من الدلائل الواضحات وهو ما حكاه عن ابراهيم الخليل عليه السلام حين اراد ان يقيم الحجة على ابيه آزر وقومه فيما كانوا عليه من الشرك والضلال البعيد (واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال بعيد وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من المؤمنين فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لان لم يهدني ربي

لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون) فانظر رعاك الله الى هذا الاستدلال كيف اقام به الحجة وابكت الخصم والزمه المحجة فهو مع بصاطته وسهولة ادراكه هين قوي لا يقوى احد على معارضته ولا النيل منه. قيل ان هؤلاء القوم كانوا يعبدون الكواكب فاتخذوا لكل كوكب صنما من المعادن المنسوبة اليه كالذهب للشمس والفضة للقمر ليتقربوا اليها فكان الصنم كالقبلة لهم فانكر ابراهيم على ابيه وقومه اولا عبادتهم للاصنام بحسب الظاهر وذلك بقوله اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين فهو انكار وتوبيخ على ما هم عليه من اتخاذ الاصنام آلهة مع نسبة من يكون هذا حاله الى الضلال المبين ثم ابطل ما نسبت هذه الاصنام اليه وجعلت تمثيلا له من الكواكب بعدم استحقاقها لذلك ايضا ثم بينت الآية صورة استدلاله عليهم وكيفيته فلما جن عليه الليل أي ستره بظلامه رأى كوكبا ومن المعلوم ان رؤيته انما تتحقق عادة بزوال نور الشمس عن الحس والمراد من الكوكب فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما المشتري وعن قتادة انه الزهرة قال هذا ربي وهذا منه على سبيل الفرض وارخاء العنان مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان الشان ان المستدل على فساد قول او راى يحكيه ثم يكر عليه بالابطال او انه عليه السلام اراد ان يبطل قولهم بربوبية الكواكب الا انه عليه السلام كان قد عرف من حالهم وتقليدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الحق انه لو صرح بالدعوة الى الله تعلى وتسفيه ما هم عليه من اول الامر لا عرضوا وصدفوا عنه فمال الى استدراجهم الى استماع الحجة وذلك بان ذكر كلا ما يوهم كونه مساعدا لهم على مذهبهم مع ان قلبه مطمئن بالايمان فلما افل اي غرب الكوكب قال لا احب الآفلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال لان هذا ينافي صفات الربوبية اذ الافول انتقال واحتجاب وكل منهما ينافي استحقاق الربوبية والالوهية لاقتضاء ذلك الحدوث والامكان المستحيلين على الرب المعبود وكنى بعدم المحبة عن عدم العبادة فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع منتشر الضوء والبزغ في اللغة الشق فكانه بنوره يشق الظلمة شقا قال هذا ربي وهو على طراز الكلام السابق فلما افل كما افل الكوكب قال لان لم يهدني ربي اي الى الحق لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رايته لا يصلح للربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في النصفة وفيه كما قال الزمخشري في الكشاف تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الآها وهو نظير الكواكب في الافول فهو ضال والتعريض بضلالهم هنا اصرح واقوى من قوله اولا لا احب الآفلين ثم ترقى في النوبة الثالثة الى ما هو اصرح من الجميع وهو التصريح بالبراءة منهم وانهم على شرك حين تم قيام الحجة عليهم وتبلج صبح الحق وبلغ من الظهور غايته وذلك قوله فلما رأى الشمس بازغة اي مبتداءة في الطلوع قال على المنوال السابق هذا ربي هذا اكبر وفيه تاكيد لما رامه من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد ما هم عليه ببيان ان الاكبر احق بالربوبية

من الاصغر وكون الشمس اكبر مما قبلها مما لاخفاء فيه فلما افلت كما افل ما قبلها قال لقومه صادحا بالحق يا قوم اني بريىء مما تشركون اي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى حال المسخرة لمحدثها ومنشئها وان دلالة الافول على المقصود من بطلان الوهيتها واستحقاقها العبادة ظاهرة يعرفها كل احد فان الآفل يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك لم يصلح للالوهة قطعا ثم انه عليه السلام لما تبرأ مما تبرأ منه توجه الى مبدع هذه المصنوعات وموجدها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر اي اوجد وانشأ السموات التي هاته الاجرام من اجزائها والارض التي تلك الاصنام من اجزائها حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائفة كلها وما انا من المشركين اصلا من الاقوال والافعال والمراد من توجيه الوجه للذي فطر السموات والارض قصده سبحانه للعبادة وحده . هذا ومن مستتبعات هذه العقيدة ولواحقها نسبة كل جليل وحقير او كبير وصغير مما يحدث اليه تعلى وحده فما من وجود او تكوين او خير او شر اضر او نفع الا وله تدبيره لا شريك له في شيء من ذلك البتة قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا وهو السميع العليم قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون . ولو اردنا الاندفاع في سوق الشواهد والآيات على تقرير هذا لما وسعنا هذا القرطاس الوجيز ولكن فيما اوردنا كفاية لمن القى السمع وهو شهيد .

وان اكثر ما جاءنا من الفساد جاءنا من عدم وقوفنا عند هذا الحق وعدم فهمنا له حق الفهم واندفاعنا مع هوى النفس في تطلب جلب الخير والافراط فيه حتى رحنا نبحث عن الوسائط والشفعاء ومن يقربنا الى الله زلفى علنا نحصل على اوفر نصيب من اسباب السعادة الدنياوية وندفع اشد ما ندفع انواع البلايا والرزايا واصناف الكروب والبلايا التي قد تعترضنا في حياتنا وان كان في شيء من الميل والانحراف عما تقتضيه عقيدة التوحيد فما اشد حرص الانسان وحبه لنفسه وما اشد ما يهلع من الشر وما اقل قناعه وصبره واضعف حيلته وتدبيره ولو فكر قليلا ونظر بسير العلم انه قليل الحيلة وان مقدر رزقه ومدبر امره قد قضى في حقه وقدر ويسر له من امره ما يسر فلا استزادته من الخير له بنافعة ولا استدفعاته الشر عن نفسه بواقيه ولو استشفع بالف شفيع او تزلف الى اي عظيم او رفيع ثم لا تظن مع هذا ان عقيدة القضاء والقدر وارجاع الامور الى خالقها ومقدرها ومنشئها ومدبرها هي عقيدة حائلة بين المسلم وبين الجد في العمل والاخذ باوثق الاسباب وانجحها في تحصيل ما يرغب فيه من المنافع والمهمات ولاتظن اخذ المسلمين بهذه العقيدة اصبح حائلا بينهم وبين بلوغ ما يؤملون من الرقي المادي والادبي وانها سبب انحطاطهم ووقوفهم موقف المتفرج امام غيرهم كما قد ظن ذلك بعض الجهلة فحاشا لله ان تكون عقيدة القضاء والقدر التي تعد من اصول العقائد في

الديانة الاسلامية سبب تاخر المسلمين وبعدهم عن الانتفاع بما سخر لهم من انواع المنافع فهي وان كثر فيها اللغط من المغفلين وظنوا بها الظنون وزعموا انها ما تمكنت من نفوس قوم الا وسلبتهم الهمة والقوة وحكمت فيهم الضعف والضعة بعيدة كل البعد عن ذلك ولكن الحق الذي لا مراء فيه انه رب اصل من اصول الخير وقاعدة من قواعد الكمال اذا عرضت عن الانفس في تعليم او تبليغ شرع يقع فيها الاشتباه على السامع فتلتبس عليه بما ليس من قبلها فيغير وجهها ويختلف اثرها وربما تبعها عقائد فاسدة مبنية عن الخطا في الفهم او على خبث الاستعداد فتنشأ عنها اعمال غير صالحة وذلك على غير علم من المعتقد كيف اعتقد والمغرور بالظواهر يظن ان تلك الاعمال انما نشأت عن الاعتقاد بذلك الاصل وتلك القاعدة ومن مثل هذا الانحراف في الفهم وقع التحريف والتبديل في بعض اصول الاديان غالبا بل هو علة البدع في كل دين على الاغلب وكثيرا ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع منشأ لفساد الطباع وقبائح الاعمال وهذا مما يحمل من لا خبرة لهم على الطعن في دين من الاديان او عقيدة من العقائد الحقه استنادا الى اعمال بعض السذج المنتسبين الى الدين او العقيدة

ان الشرع قد حدد لكل مقام حدا لا يتعداه واوصى بالجد في الاكتساب وحث على العمل وافراغ الوسع والاخذ بطرق الحزم والابتعاد عن اسباب الهلاك وذم البطالة والكسل فلا منافاة بين عقيدة القضاء والقدر المقتضية ارجاع كل شيء لتقدير الله تعالى وقضائه وان من شيء الا عند ربك في كتاب مسطور وبين الاكتساب واخذ الحيطة والاستعداد للامر والسعي لتحصيل الرزق والخطأ في هذا المقام منشؤه سوء الفهم وعدم الجمع بين اطراف التشريع المتفرقة والوقوف في كل مقام عند الحد الذي اوقفه الشارع وسنه بدون افراط ولا تفريط ومن ذهب الى خلاف ذلك فقد فرط او افرط وكلاهما طريق من طرق الضلال ويكفينا في هذا ان نكون على نحو ما كان عليه سلفنا الذين تلقوا الشريعة من ينبوعها وفهموا اغراضها ومقاصدها فقد كانوا كاحسن ما يكون واصدق ما يلزم في عقيدة القضاء والقدر ولم يمنعهم هذا الاعتقاد من السعي والعمل والانتشار في الارض والحزم في احوالهم كلها ولولا حزمهم ما انتشرت هذه الملة وبلغت في اقل من قرن واحد الى اقصى حدود الصين شرقا والى حدود الاطلنطيكي غربا ولولا هذا لذهبت التكاليف وصارت عبثا وهو امر لا محالة مردود من نفسه باطل من اصل اساسه اذ التكليف هو عبارة عن طلب افراغ الوسع في القيام بانواع الطاعات والتجافي عن المحذورات وجماع القول في هذا المقام ان الذي جاءت به الشريعة الاسلامية هو تقرير اصلين عظيمين هما ركنا السعادة الدنيوية والاخروية وقوام الاعمال البشرية الاول ان العبد يحصل بارادته وكسبه وحزمه ونشاطه ما هو وسيلة لسعادته والثاني ان قدرة الله هي مرجع لجميع الكائنات وان من اثرها ما يحول بين العبد وبين انفاذ ما يريده وان لا شيء سوى الله يمكن ان يمد العبد بالمعونة وقد جاءت الشريعة لتقرير ذلك وتحريم ان يستعين العبد باحد غير خالقه في توفيقه الى اتمام عمله بعد احكام البصيرة فيه وبعد ان يكون قد افرغ ما عنده من الجهد في تصحيح الفكر واجادة العمل وان الايمان بوحدانية الله لايقتضي من المكلف الا اعتقاد ان الله صرفه في قواه فهو كاسب لايمانه ولما كلفه به من بقية الاعمال واعتقاد ان قدرة الله فوق كسبه واختياره وبها وحدها السلطان الاعلى في اتمام مراد العبد بازالة الموانع او تهيئة الاسباب المتممة مما لا يعلمه المكلف ولا يدخل تحت ارادته وكسبه اما التطلع الى ما هو اغمض من ذلك فليس من مقتضيات الايمان وهو من طلب سر القدر الذي نهينا عن الخوض فيه وهو من شره العقول في طلب رفع الاستار عن الاسرار وربك يفعل ما يشاء ويختار

محمد الهادي ابن القاضي

صفحة من تاريخ تونس

التاريخ

عقود الانكحة في تونس

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء
سيدي محمد بن الخوجه

رغبت السنة في اشهار عقد النكاح احتفاظا بالانساب فسار جماعة المسلمين على هذه القاعدة الاصلية في كل زمان ومكان ولكنهم اختلفوا في اساليبها حسب طقوسهم واذواقهم ودرجة حضارتهم وفي تونس امتاز اعيانها بالعناية التامة والمبالغة في تعميم الاعلام بالنكاح حيث لم تقرر السنة حدا محدودا لاشهاره فبلغوا في ذلك لحد الافراط تفاديا من التفريط بحيث تراهم يستدعون لعقود انكحتهم كل من يعرفون بل وحتى من لا يعرفون يجمعون اسماء الوجهاء والاعيان من الرزنامات ومن جرائد الذوات الموجودة بمكاتب بعض نبهاء المحركين ويستدعونهم لموكب العقد كما سياتي تفصيله . لكن قبل الاتيان ببيان ما عليه عملهم في هذا الزمان يستحب الاشارة لطريقتهم في ذلك في الاجيال المتاخرة فان طريقة الاستدعاء بالمراسلة الكتابية لم تكن معروفة بين اهل القرون الماضية وغاية امرهم الاستدعاء الشفوي يقوم به والدا الزوجين مباشرة او من قام مقامهما وكانوا يكتفون بتبليغ الدعوة لاهل قرابتهم وسكان الحومة دون سواهم وكان محل الاحتفال بالعقد هو دار الزوجة وينكرون الاحتفال به في المساجد والزوايا خلافا لما عم به العمل في هذا الزمان وفي ليلة الزفاف يقيم والد الزوج ببيت العريس مأدبة اكرام لاقاربه ولخاصته ومن عادتهم انهم لا يستدعون اقرب الزوجة لهذه المأدبة بل استدعاؤهم يكون لمادبة ثانية في الليلة السابعة من البناء ومنهم من يتبرك باستدعاء بعض اهل العلم تيمنا بحضورهم ساعتئذ ويعقد لذلك جلسة اناشيد ومديح يقوم بها بعض اهل الطريقة القادرية او السلامية وشبه ذلك

ولما ظهرت الطباعة في تونس اوائل دولة المشير محمد الصادق باي وابتدا انتشار التمدن العصري في ربوع تونس ابتكروا ترتيب موائد السماط المعروف بالطعمان واعتاضوا تدريجيا عن طريقة الاناشيد والمدح باقامة وجق تلحين وءالات من كمنجة وعود وغير ذلك وصاروا يستدعون الجم

الغفير من الناس لحضور ذلك السماط الذي كانوا يقيمونه في وجه النهار الى ما بعد الزوال وتكون المادبة عبارة عن طائفة من المعاجين المتنوعة ومن الحلاويات المعروفة في تونس باسم قهواطي (١) مما يصنعونه في البيوت لاجل الوليمة قبل وقوعها بشهر او شهرين ويدخرونه للوقت المناسب ومن عادتهم ان رب الوليمة لا يحضر مع زائريه للمشاركة في الاكل وهي عادة لا يبررها معقول ولا منقول لان حضور رب البيت مع ضيوفه من شانه ترغيبهم في الاكل وبعكسه تركهم وشانهم فحسبهم والحالة هذه مجرد المواكلة ثم قراءة الفاتحة والخروج لتهنئة صاحب الدعوة نعم انهم يرشونهم اذاك بماء الطّيب ويطوفون حولهم بمجامر العود . . .

ولنحو ربع قرن فائت اخذ امر سماط الاعراس في التراجع كما اخذ امر الاستدعاء الكتابي لحضور مشاهد العقود في الانتشار واليك نموذج من استدعاء لطعمان وقع لاربعين سنة ماضية :

بحمدك يا فاتح ابواب المسرة تنال الامال وبالصلاة على نبيك الذي اوجبت اجابة دعوته ترتاح نفوس ذوي الهمم العوال اما بعد فان محبكم بغاية الاعتبار الحقير الكيلاني بن عمار يستمنح من فضلكم ان تشرفوه بالحضور لوليمة بناء ابنيه بداره الكائنة بنهج بوخريص قرب المركاض القديم عدد ٣٦ يوم الاربعاء الحادي عشر من رجب الجاري قبل الزوال باربع ساعات الى مضي ساعتين منه وكتب في يوم الاحد غرة رجب سنة ١٣١٩ اه

وفي الزمن الحاضر تنوسي الطعمان تماما بين الناس وصارت الاستدعاءات الكتابية قاصرة على عقود الانكحة كما تنوسيت اقامة حفلة العقد ببيت ءال العروسة بحيث صار الاجتماع لذلك محله المساجد الجامعه كجامع حمودة باشا المرادي او الزوايا الشهيرة كزاوية ولي الله سيدي محرز بن خلف ولا حاجة بنا لنقل عبارة شيء من هذه الاستدعاءات الموجودة لهذا الزمان لاشتهارها بين الخاصة والكافه (٢)

بعد هذا الالمام الوجيز باحوال عقود الانكحه التونسية ننتقل بالقراء الكرام لبيت القصيد من هذه النبذة الا وهو الخطب التي تتشنف بها الاسماع اثناء تلك الاجتماعات فهذه الخطب جرى عليها عمل السلف ودرج عليها الخلف، وبديهي ان كان لاقطاب الشريعة ولاهل النسب الزكي قدم السبق في انشائها والنطق بها في تلك المواكب الموسومه باليمن والبركة واليك جملة صالحة من تلك الخطب

(١) لفظ قهواطي محرف عن قهوتي في اللغة التركية وهو عندهم عبارة عن اكل خفيف كفطور الصباح مع القهوة وتوسعوا فيه بتونس فاطلقوه على الحلاويات اليابسة كبقلاوة الباي وطواجين الفستق والبندق وكعب الغزال وكعك الحمص والتمر المحشي والملبسات الى غير ذلك اه باختصار من كتابنا حيش الدخيل في اللسان التونسي الاصيل

(٢) عنيت بجمع بعضها فتكون لدينا جزء ضخم اسميته كناش الافراح وهو من مشمولات مكتبتنا بقسم التاريخ

من انشاء جماعة من اهل العلم نصدرها بخطبة لامام الفتوى المنعم الشيخ اسماعيل التميمي خطب بها في عقد حفيد العلامة الشيخ محمد المحجوب رحمه الله نقلها من كناش الشيخ الجد ومن خط يده :

الحمد لله الذي انعم على عباده . بانتظام الشمل . وتفضل عليهم من امداده بجزيل النعم وعميم الفضل . ويسرلهم اسباب المرافقة . والف بين قلوب من شاء فحصلت الموافقه . واوسع للجميع في الجود والطول . وفتح لهم ابواب الاسعاد . ووضح لهم طريق الرشاد . فحصل لمن وفقه لذلك المراد . والعطاء الجزل . فطر الاشياء متقنة الابداع . بديعة الاتقان محكمة الايجاد والاختراع . ونفذ بقدرته انشاء تركيبها وترتيب انشائها في اكوان الاطوار واطوار الاكوان . واظهر اياته في تصوير انواعها وتنويع صورها واختلاف الالسنة منها والالوان . وخص منها نوع الانسان بمزايا تفوت الحصر ويقصر عن التعبير عنها اللسان . امده بنور الفهم . وقبول العلم . وعلمه البيان . فكان اهلا لقبول التكاليف الشرعية . وموردا للخطابات الآلهية . فيالها من منة ومزية واحسان . انشاه في احسن تقويم . وقومه في احسن تكميل وتتميم . وكان له شان من الشان . فاورد عليه من التكاليف ما تقوم به ضرورياته . وتندفع به حاجاته . على وجه مستقيم . يفضي به الى الخلق العظيم . ويخرجه عن الهوى والهوان . وارشدها الى ما فيها من المصالح الدينيه . وتحصيل المنافع ودفع المضار الدنيوية . ما يخف به عليها حملها . ولا يثني عزمه ثقلها . ويقوده الى الامتثال والاذعان . وبفضل في كثير من مشروعاتها . فحط للنفس من شهواتها . على وجه تتم به النعمة . ولا يخل بالحكمة . ولا يعود على المقصود بنقصان فمن ذلك النكاح . الذي تهتز اليه النفوس وترتاح . وهو مع ذلك حافظ لوجود هذا الجنس . فحصل للتظاهر والتناصر والسكن والانس . رافع للارتياب . مقرب للمتباعدين مؤكد للقرب بين الاقارب شرعه سبحانه وحصنه بحد محدود . ووضع معهود . تحصل به المعاني الحكمية الاصليه . في ضمن تلك المعاني التابعة الطبيعيه . فسبحانه من آله ما احكمه . وعليم ما اتقنه واحلمه . وقادر ما ارحمه . يعطي الجزيل . ويثيب على القليل . والكل واقع بقدرته . على وفق مشيئته . واشهد انه الله الذي لا اله الا هو الرب الكريم . البر الرحيم . المنزه عن الانداد . المبرا من الاتصال والانفصال . والصاحبة والاولاد . ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا النبي الامي العربي الكريم عبده المختار من اشرف القبايل . ورسوله الذي افرغ عليه من كل الفضايل . وامينه الذي لم يلحق ثناؤه الاخرون والاوايل . ارسله بملة حنيفيه . وشرعة للحاكمين بها حفيه . ينطق بلسان التيسير بيانها . ويعرف ان الرفق خاصيتها والسماح شانها . وينادي بحل الطيبات مناديها . وبتحريم الخبائث والحوم حول واديها . فاحل عليه السلام النكاح وشرعه . وحذر من السفاح ومنعه . فصلوات الله تعلى عليه وسلامه . وتحياته الزكيات واكرامه . صلاة لائقة بمقامه العظيم . وجنابه الكريم . نجدها وسيلة اليه في الموقف العظيم . ونلقاها من اشرف المكاسب

فتنال بها سنى الرغائب ، وعلى ءاله واصحابه الراقين في مراقيه العالية للنجات ، والعارجين في مدارج معارجه في حياته وبعد الممات ، نجوم الاهتداء ، وايمة الاقتداء ، وحماة الاسلام ، وخير امة اخرجت للانام ، وبعد فان للنكاح فوائد نبهت الشريعة عليها ، وتقدمت الاشارة هنا اليها ، كيف لا وهو اوثق سبب للديانه ، واكمل معين على العفاف والصيانه ، وقد جعله الله سبحانه من ءاياته ، الدالة على نفوذ قدرته في مصنوعاته ، اذ قال سبحانه في كتابه المجيد ، الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ومن ءاياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، فنبه سبحانه على بعض الفوايد المنبه ءانفا عليها ، وتمم هذه النعمة ، ليترتب عليها ما قصد من الحكمة ، فقال سبحانه وجعل بينكم مودة ورحمة ، وقص علينا جل جلاله ما افادنا انه من سنن ساداتنا انبيائه الكرام ، عليهم افضل الصلاة وازكى السلام ، وقد وجه سبحانه الامر به تارة للرجال كما قال مخيرا لهم في العدد على ما تشتهيه الطباع ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وتارة لاولياء المراة مع الوعد على فعله ، حيث قال وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، وعلى هذا المساق ، وردت سنة المبعوث لاتمام مكارم الاخلاق ، فنكح صلى الله عليه وسلم وانكح ، واعرب عن فضله وافصح ، فقد روي عنه انه مدحه بان به يكمل نصف الدين وانه من سنته وسنة المرسلين ، صلى الله عليه وعليهم اجمعين ، وانه امر به الشباب اذا استطاعه ، وارشد الى بدله عند فقد الاستطاعة ، وانه حض على خصوص الابكار ، الى غير ذلك مما ورد في الآثار والاخبار ، ولما كان الخطاب به متوجها الى القبيلين لا يختص به واحد من الزوجين فلا غنى لكل من اهله عن اكتسابه ، والاخذ في مزاولة اسبابه ، بادر اليه الخ ، . (يتبع) محمد بن الخوجة

الكتابة عند العرب

الكتابة عند العرب قديمة جدا لا يعلم تاريخها بالضبط وقد دلت الروايات على ان اول من كتب بالعربية هم اهل اليمن من قوم هود عليه السلام وهم العرب البائدة وكانت تسمى كتابتهم بالخط المسند وبقي معروفا بالخط الحميري وكانوا يكتبون حروفه منفصلة ويمنعون العامة من تعليمه فلا يعلمه احد الا باذنهم حتى تعلمه مرامر بن مرة ، واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة وهم من عرب طي ، وتصرفوا فيه وسموه بالخط الجزم ، لانه جزم من الخط الحميري ثم علموه اهل الانبار ومنهم اشتهرت الكتابة في البلاد العربية ثم اجتهد في تحسينه اهل الكوفة في عصر الاسلام حتى عرف بالخط الكوفي وكان الخط خاليا من النقط والحركات والسكنات الى ان وضع ابو الاسود الدؤلي الشكل في ايام معاوية ووضع ابن عاصم النقط في ايام عبد الملك بن مروان ثم اخذ من ذلك الوقت يتحسن شيئا فشيئا الى ان وصل الى الدرجة التي عليها الآن

القضاة الشرعيون في القديم

﴿ تابع لما نشر بالجزء (٩) من المجلد الثالث ﴾

بقلم العلامة الأستاذ
الشيخ سيدي محمد البشير النيفر

واقول المناسبة تحمل على هذا وشر منه، ومكارم الاخلاق « وهي حلية العلماء » تصد عن هذا ومادونه والله اعلم، وهاك ملخصا من تراجم هؤلاء القضاة الثلاثة : الغوري وابن عبد الرفيع والبلوي

« الغوري » هو ابوزكرياء يحيى بن ابي بكر الصفاقسي ولي بعد ابن الغماز وتوفي « على ما ذكر الزركشي ونقلناه عنه » رابع عشر جمادى الاول سنة ٦٩٩ ولا يحضرني الآن في ترجمته اكثر من هذا

« ابن عبد الرفيع »

هو ابراهيم بن الحسن بن علي بن عبد الرفيع الربعي بيته بتونس من البيوتات الوجيهة بالعلم وخططه ولدكما في الزركشي في شهر ربيع الاول من عام ٦٣٧ سبعة وثلاثين وستمائة وولي القضاء بتبرسق وقابس تردد فيه بينهما نحوا من ثلاثين عاما ثم ولي قضاء الجماعة بتونس في خمس مرات يولاه ويصرف عنه وكانت اولاها في جمادى الاولى سنة ٦٩٩ ويؤخذ من كلام الزركشي انه كان قاضي الجماعة للامير خالد ابن الامير ابي زكرياء سنة ولايته (٧٠٩) وانه كان قاضيا للامير ابي يحيى زكرياء بن احمد الحفصي الذي بويع سنة ٧١١ وتوفي وهو يباشر القضاء وكان من جلة القضاة علما وفضلا وصرامة في الحق لا يخاف فيه لومة لائم . حكمه الامير ابو زكرياء يحيى اللحياني في ابنه ابي ضربة وقد قتل نفسا محترمة متعمدا واقر بالقتل فحكم ابن الرفيع رحمه الله واجزل مثوبته بالقصاص ولما عفا اولياء القتيل بقي حق الله عز وجل فضربه القاضي مائة سوط وامر بسجنه سنة فسجن ولكن توفي والده خلال السنة فاخرجه اهل الحل والعقد وتمت بيعته فما كان منه مع ابن عبد الرفيع قدس الله لحده ورفع مكانه عنده الا ان نفاه الى المهدية وسجنه بماجل فيها اقام فيه ما يزيد على العامين . ثم خرج منه موفور الكرامة رحمه الله ولهذا القاضي مؤلفات جليلة تشهد بقوة عارضته وسعة اطلاعه من اجلها كتاب الرد على ابن حزم فيما اعترض به على الامام مالك رحمه الله اذ لم يعمل باحاديث رواها في الموطا. والبديع في شرح التفريع لابن الجلاب واختصار اجوبة ابن رشد واجوبة عن اسئلة اوردها القاضي ابوبكر الطرطوشي. ومعين الحكام. توفي بتونس سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ودفن بدار هياها لدفنه قرب جامع القصر وجعل بازائها مكتبا لتعليم الصبيان

« ابن القطان » لم نقف في ترجمته على اكثر مما مضى

« ابن الغماز »

قال الزركشي في تاريخ الدولتين صحيفة ٥٤ ما نصه وفي يوم الاثنين الثامن عشر لربيع الآخر سنة ٧١٨ المذكورة قدم للقضاء بتونس الشيخ الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن الغماز عرضه عليه السلطان فاجاب وكم دعا قوما فلم يقبلوا اهـ ولعله ولي خلفا عن ابن الرفيع في احدى المرات التي صرف عن القضاء فيها

هذا وقد كان قاضي الجماعة بتونس في سنة ٧٢٩ ابا اسحاق ابراهيم بن عبد الرفيع قال الزركشي في تاريخه صحيفة ٥٤ ما نصه

وفي سنة ٧٢٩ توفي الشيخ الصالح العالم المفتي امام جامع الزيتونة وخطيبه ابو موسى هارون الحميري « كذا » والصواب الجدميري وكان لما مر من استخلف في الخطبة الشيخ ابن عبد السلام فبلغ ذلك قاضي الجماعة حينئذ ابن عبد الرفيع فقدم الشيخ ابا عبد الله محمد بن عبد الستار الخ . .

ومن اوجه العبرة في هذه القصة ما كان لقضاة الجماعة من النفوذ والوجاهة حتى ان نظرهم يتسع لاستخلاف الائمة بجامع الزيتونة وقد تمتع الشيوخ بهذا الجاه قرونا بعد هذا وكانت ولاية الامام الجليل سيدي محمد ابن سيدي عبد الله الكبير الشريف امام جامع الزيتونة وخطابته خلفا عن شقيقه العلامة الامام الشيخ المفتي ابي محمد سيدي حسن باشارة على الحكومة من صهره حافظ المذهب وشيخ المالكية بعهده ابي عبد الله محمد المحجوب كبير اهل الشورى . وقد فات ان نذكر هذه القصة في ترجمة ابن عبد الرفيع فاستدركناها هنا

« ابن قداح »

ولي قضاء الجماعة على ما في تاريخ الدولتين بعد وفاة ابن عبد الرفيع سنة ٧٣٣ قال الزركشي صحيفة ٥٧ : ثم ولي بعده قضاء الجماعة نائبه الفقيه ابو علي عمر بن قداح الهواري وكان فقيها حافظا لمذهب مالك مفتيا له . له مشاركة في علم الاصول ولي قضاء الانكحة بتونس في كرتين ودرس بالشماعية ولم تطل ايامه في القضاء وتوفي رحمه الله سنة ٧٣٤ اهـ كلامه وقال الشيخ ابن فرحون في ترجمته كان اماما عالما بمذهب مالك عليه مدار الفتيا مع القاضي ابي اسحاق بن عبد الرفيع ونظرائه وكان جليل القدر مشهور الذكر له مسائل قيدت عنه مشهورة اهـ وفي شرح الابي على صحيح مسلم انه كان يترك التدريس بالشماعية ايام الاثنين والخميس والجمعة وان كان الذي مضى عليه عمل الشيوخ ترك التدريس يومي الخميس والجمعة فحسب ما لم يكن شرط من الواقف في ذلك

يتبع محمد البشير النيفر

وكان بعض افاضل البادية من اهل خاصة المولى علي باي المذكور وكان يزور الامير المذكور فاذا انقلب لاهله يستصحب طرفا لاهله وبنيه من حضرة الامير على عادته فاتفق ان رجع اليهم مرة بلا شيء فحصل لاهله وبنيه كسوف ولقي من اهله نفرة فكتب للمولى المذكور بذلك على وجه المداعبة فاجابه ابو عبد الله الورغي على لسان الامير المذكوُر بقوله :

يا فاضلا يزهو به المذهب — وفاصل الخطة اذ تصعب
ومن اذا حدث آلهى النهى — ويبسط النفس اذا يكتب
جاءت وما بالعهد من غيبة — ابياتك الغر التي تعجب
فأذكرت من لم يكن ناسيا — لعهد كل من له يصحب
وجددت انسا نعمنا به — وليتك الحاضر يا مطرب
حكيت فيها ما جرى عند ما — ابت الى اهل لكم تداب
وان سلمى اعرضت ناشزا — لفقدها الطيب الذي تصحب
فبت منها نابغي العنا — تستقرب الماء ولا تشرب
وانت ظمئان له اشهرا — وكدت من شوق له تهرب
وانه قد زاد فيما دهى — اطفالها اذ كلهم يصخب
وانه انساك حاجاتهم — فراقنا لانه يكرب
وما كففت الحرب الا بان — حلفت ان في شانهم تكتب
فخذ جواب الكتب من سيد — مولى له دفع العنا مذهب
علي باشا ابن الحسين الذي — ما حازه الشرق ولا المغرب
اسعده الله وانجاله = — واسعف الكل بما يطلب
اجاب بالفعل فاهدي الى — نوارك الحسناء ما ترغب
وساق للصبية ما املوا — اكل شهي سايغ طيب
تصحبه لجمعكم كله — عافية دامت فلا تذهب
وان اساء وحيث لم يلههم — عن ذاك سر الحضرة الاطيب
اذ قلت فيه انه قد ملي — من فيضه البيداء والسبسب
ذاك الذي انساك — ما بالهم عن شانه اضربوا
فانني عن فهم ذا واقف — وانني من امرهم اعجب
فانبت اذا ما جيشا كلها — تريد من حضرتنا تذهب
على الذي يبغونه والذي — تبغي ليهنا لكم المطلب
فانني اكره تشويشكم — في ساعة فيها الصفا يطلب

وله فيه مهنئا بالشفاء من وعك كان حصل له

اللطف حف وكل حين يطلب — ولمن به نيل المطالب اوجب
والصفو يبغيه ابن ءادم ديمة — من اين ذاك ودهره متقلب
يلقي عليه عقد شد مرة — ويمده اخرى بما يستعذب

ولربما صبر المضام لضيمه — اما اذا قالق الحبيب فيكذب
يشكو علي ابن الحسين ويغتذي — بالماء حي او يجيء ويذهب
هذا اذا خلق جديد وكل من — يمشي على رجلين فيها ثعلب
كلا لقد وقف التنفس عند ما — اوحى بذاك الخطب غاو اصهب
وانسد باب النطق حتى انه — لو حل قال الناس اين المذهب
غابوا عن الاحساس اذ لو فكروا — فيماجرى تحت الدكادك غيبوا
بينا الورى في حكم قبض ساخط — اذ جاء بالبشرى بريد اشهب
هي فرحة جاءت عقيب هزيمة — فجات فكل منهما مستغرب
جمعت يدا الالطاف فيها كلما — قد كان في علم العليم يرتب
رفقا بمنتظر السئامة حيث لم — يلمم به طول العلاج المتعب
وصيانة من ان يعالج من يد — خبثت بشر الشرك جسم طيب
فلذاك نرجو من كريم علاجها — ان لا يرى من بعدها ما يتعب
يايها المولى الذي يفديه من — كل المكاره ما اضل الكوكب
من اي ناحية تسور هذه — وعلى جنابك حارس مترقب
بل انت للعلل الحداد شفاؤها — ما للشفا يعتل هذا اعجب
اترى الزمان وقد اخافك جن او — اخطا لانك خصبه اذ يجدب
او رام عن مقة بضمك قاصدا — حبا وترحابا فزاد المرحب
ما كان اغنانا اذا عن ضمه — ترك التوغل في المبرة اصوب
ولعل فيما قد عراك كرامة — ياتي بها عوضا زمان اقرب
فلي البشارة يوم كشف قناعها — ولربما شكر عليك مرتب
هذا واني قائل لمؤمل — في جلب جامعة العطايا يرغب
يا طالب الفضل استمع تاريخه — برىء الهمام ابعد هذا مطلب

وله ايضا

قل للشهود تعزوا — فسوقكم ذات عيث
لا تطمعوا ان تفوزوا — من عاشر بثليث
ان الكسور توارت — في كف شاهد غيث

وله يمدح الامير حمودة ابن الباشا علي قبل تملكه

فرح يزيد بقولها لا تبعد — او ما تراه طليعة للموعد
سمحت به لاياوا ثقل ما هنا — قول الملي لمرتجيه الى غد
لا لا اذم من المليحة مطلها — فنكاية العشاق شان الخرد
ليت التي منهن كنت اسيرها — قسمت كراعا لي بكل تودد
او انها علمت باني خاطب — في حبها حتى حطمت مفندي
يا اخت مآء المزن فيك تمثلت — للعين اوصاف الردى والجيد
ما بعد علمك بالخصومة فيصل — ان خيف في الاشهاد زور المشهد
فلتعملي عمل السديد بعلمه — فمجانب الانصاف غير مسدد
ولتنظري عرضا يجول بعارضي — نظر البصير بيومه ما في الغد

فلعـل ابيضـه لقلب ابيض ولعـل اسـوده لقلب اسـود
قـالوا البياض يشينه وسواده لو دام اشهى للغـزال الاغيد
ما انصفوا بل كل شـيء كائن في وقته يرضاه غير الانكـد
لا حسن في صلع يدوم لامرد كلا ولا مهنا بليل سرمد
هذا ولو اثبت صدقي في الهوى لفرحت اني نلت اقصى مقصد
فرح الزمان وقد أهل هلاله حمـودة الباشـا بدرس المسند
باكورة الملك التي افتتحت بها فينانـة الايـام بعـد المـدد
اخذ الكتاب فكان اول سطره باب فقال السعد مـني فابتد
جعل النهاية في الصلاح بـداية او عن سوى بل حكمة لم تعهد
من نال اعلا الغصن عند جنائه وجد اجتناء السفل اسهل لليد
ثم استمر فحدثن ما شئت عن سهم النفاذ وجـذوة المستجمد
يقـظ الجنان لمـا يقال وسمعه واع وطرف العين منه بمرصد
لا يستبـد اذا تبـين نـبوة في اصله عن اصله بل يقـتد
واذا تكلم كان جل كلامه همسا وان اصغى فغير مبلد
وله على فرط الذكاء شواهـد صفـة الحيا ونحافة المتجـرد
واستفت عما غاب عنك لحاظه فاللحظ يعرف منه هدي المهتد
ان كان شخص الروح يظهر مرة فلهـو ذا وبـه حيـاة السؤدد
فسيحمد المسعى اذا ما سار ما بـين البنـود على الجياد الميـد
وتقر عين الملك منه بناصر منصور ما تحت اللـواء مؤيد
حتى تدين لـه الملوك جميعها وتعـده مولى لهـا وكان قـد
فلعله المسعـود حيث اقـامه مولاه في هـذا المقـام الاسعد
بل هو عين السعد اجمع لم يفت من حـازه ما فـاته من مقصد
ومن الذي اهل لـه ويحوزه وله يقول البخت حسبك وازدد
غير الامير ابو الامير وصنوه صهر الامير ابن الامير الارشد
ابن الحسين علي الباشا الـذي خضعت له الدنيا خضوع مقلد
درج الملوك فكان فذلكة لهـم فيما يزين وطرح ما لم يحمد
كلف بان لا يكتفي من سعيه الا بانفس في النفوس مخلـد
لو كان ممتنع اللقـاء لكـان في قلب الذي يدريه نـار الموقد
افلا تطير لـه القلوب وانهـا لتراه حقـا في الحضور الشهد
لكن من شيم الطباع ملالهـا ما لا يغيب وعشق ما لم يوجد
كالمال يظهر في المنـام ليـائس فـاذا حواه حـواه كالمتزهد
يايها المولى الذي قـذفت بـه ايدي الصلاح على زمان مفسد
من اين جئت فان تكن اقبلت من جهـة السماء فليس بالمستبعـد
اما الصعيد الآن فهـو ونـاسه بالاعتـبار حثـالة في مـزود
حاشا بني خاقان ان رضاهـم سـر الفـلاح وعمدة المتعمد
اوتاد هذا الدين غير مدافـع وبنو الشهامة والغناء الا تلـد
ومن العناية ان كسوك وانمـا اغلـوا لباسهم بانجـد امجـد
اللبـاس سوى لباسك والمنـا غض وعين الشمل غير مبدد

ايام كنت على زمــانك راضيا ... والكــون بين مسدد وممهــد
تـترصد الارضى واين تظنــه ... حتى ظفرت بمطمح المترصد
نسج رمته صناع اهلك مفردا ... بل ما سخت باخ بـذاك المفرد
فلبست منــه حلــة ما شــامها ... طرف ولا انبسطت لغيرك في يد
عذبت فلم تنضح بملحة لجة ... وصفت فلم تلفح بغبرة فدفد
نسبت لجيـل الترك الا انهــا ... من عالم ثوب الثناء الاجـود
وكنيت عنها باللبــاس وانهــا ... لباشة قال الحكيم مجـرد
تزهو على جــاراتها بصباحها ... اذ هو طالع سعد جرك من يد
وعلت لديك على الملاح بحرمة ... حق لكونك كفؤها في المحتد
ام البنين مع البنات ولم تلــد ... بل انتجت من كفها الرحب الند
واقصرها فيك المحبة لم تكن ... تلقــاك بعد بشركــة المتــولد
ورعت ذمامك والمخاوف حولها ... ومناط رحلك بالقصي الابعد
فهل اكتفيت من الكمال بقصة ... رسخت بذكرك من حديث مهند
كم تحته من نكتة ان لم اكـن ... اخــرجتهــا فعــلي بالمتعــود
وحديث نفح الطيب عنها مسند ... بلـغ التواتر عند كل موحــد
لو لم تطب انفاسها لم ينتعش ... من طيبها جسم العليل المقعــد
غمرتك منه لدى المقام وان تسر ... اهدته في طي الكتاب المغمــد
وتصرفت في مزجــه وكانهــا ... خلطته من عــرق لها بمورد
فاتت من الترتيب ما اعيت بــه ... عند العبارة ذا المقــال الايــد
ان كان يزعم غير هذا فليقـل ... هذا المركب مثل ذاك المفــرد
هذي الذي ها نلتهــا بعزيمة ... ام هي دعــوة عــابد متهجد
مــا مثلها بين المــلابس حلــة ... عند الملوك ولا كمثلك مرتــد
يا اهل بيت شخت في امداحهم ... وطردت عنه كل ضيفن معتد
هــذا حديثي عنكم ولعــلني ... احضى له بالحب ان لـم احسد
ابدعت فيه عن الهلال وبدره ... والشمس ابدع قولــة للمنشــد
لا زلتـم في غبطــة ومســرة ... ولـذيذ عيش بالهـنا متجـدد
وعمرتم ما شئتم حتى تـروا ... رؤيا تشرفكم لاصدق مقصد
بالآل والاصحاب والاتباع والمـ ... ـتصرمــين وبــالنبي محمــد

اهـ

جدول رمضان المعظم لسنة ١٣٥٩

الامساك

الليالي	عربي ساعات	عربي دقائق	فرنجي ساعات	فرنجي دقائق
١	٤	١٥	٤	٢٣
٢	٤	١٧	٤	٢٣
٣	٤	١٨	٤	٢٤
٤	٤	١٩	٤	٢٥
٥	٤	٢١	٤	٢٦
٦	٤	٢٢	٤	٢٧
٧	٤	٢٣	٤	٢٨
٨	٤	٢٤	٤	٢٩
٩	٤	٢٥	٤	٣٠
١٠	٤	٢٦	٤	٣١
١١	٤	٢٧	٤	٣١
١٢	٤	٢٩	٤	٣٢
١٣	٤	٣٠	٤	٣٣
١٤	٤	٣١	٤	٣٤
١٥	٤	٣٢	٤	٣٥
١٦	٤	٣٣	٤	٣٦
١٧	٤	٣٤	٤	٣٧
١٨	٤	٣٥	٤	٣٨
١٩	٤	٣٦	٤	٣٨
٢٠	٤	٣٧	٤	٣٩
٢١	٤	٣٨	٤	٤٠
٢٢	٤	٣٩	٤	٤١
٢٣	٤	٤٠	٤	٤٢
٢٤	٤	٤١	٤	٤٣
٢٥	٤	٤٢	٤	٤٤
٢٦	٤	٤٣	٤	٤٥
٢٧	٤	٤٤	٤	٤٦
٢٨	٤	٤٥	٤	٤٧
٢٩	٤	٤٦	٤	٤٨
٣٠	٤	٤٧	٤	٤٩

الافطار

الايام	عربي ساعات	عربي دقائق	فرنجي ساعات	فرنجي دقائق
١	٥	٥٧	٦	٠٥
٢	٥	٥٦	٦	٠٤
٣	٥	٥٥	٦	٠٢
٤	٥	٥٤	٦	٠١
٥	٥	٥٣	٦	٠٠
٦	٥	٥١	٥	٥٩
٧	٥	٥٠	٥	٥٨
٨	٥	٤٩	٥	٥٦
٩	٥	٤٨	٥	٥٤
١٠	٥	٤٧	٥	٥٢
١١	٥	٤٦	٥	٥١
١٢	٥	٤٤	٥	٤٩
١٣	٥	٤٣	٥	٤٨
١٤	٥	٤٢	٥	٤٧
١٥	٥	٤١	٥	٤٥
١٦	٥	٤٠	٥	٤٤
١٧	٥	٣٩	٥	٤٣
١٨	٥	٣٨	٥	٤١
١٩	٥	٣٦	٥	٤٠
٢٠	٥	٣٥	٥	٣٩
٢١	٥	٣٤	٥	٣٨
٢٢	٥	٣٣	٥	٣٧
٢٣	٥	٣٢	٥	٣٥
٢٤	٥	٣١	٥	٣٤
٢٥	٥	٣٠	٥	٣٣
٢٦	٥	٢٩	٥	٣١
٢٧	٥	٢٨	٥	٣٠
٢٨	٥	٢٦	٥	٢٩
٢٩	٥	٢٥	٥	٢٨
٣٠	٥	٢٤	٥	٢٧

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية و سنتها عشرة اشهر

الجزء الثاني	تونس في شهر شوال المبارك ١٣٥٩ وفي نوفمبر ١٩٤٠	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

المجلد الرابع

فهرس العدد

الجزء الثاني

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

الخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الثاني	تونس في شهر شوال المبارك ١٣٥٩ وفي نوفمبر ١٩٤٠	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حموده باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

الحديث الشريف

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم*

الدين النصيحة

لله ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى ا ا نصحوا لله ورسوله

عن جرير بن عبد الله قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم . « رواه البخاري في صحيحه »

الشرح

بقلم العلم الهمام الحجة الامام صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد الطيب بيرم شيخ الاسلام الحنفي

تنتظم اطراف الكلام في هذا المقام في مقدمة وستة مباحث وخاتمة .

المقدمة

اعلم ان الله سبحانه وتعالى العزيز العلام خلق هذا العالم في غاية الاحكام وجعله مرتبطا بعضه ببعض على اكمل نظام وجعل الخليفة في الارض وهو الانسان كل فرد من افراده محتاج الى الآخر على الدوام وركب فيه العقل ليتوصل به الى حاجياته بانتظام ولكن العقل وحده غير كاف لجميع مصالحه بالتمام فارسل سبحانه وتعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيان مصالح الانسان في هاته الدار ودار المقام وجعل خاتمتهم سيدنا ومولانا محمدا عليه افضل الصلاة وازكى السلام فارسله بالهدى ودين الحق لجميع الانام وبين لهم الحلال والحرام وهداهم سبل دار السلام وحيث كان كل فرد من افراد الانسان عضوا في عالم الانسان صارت المصلحة متبادلة بين الجميع على الدوام فتعين النصح على الافراد بالتمام وجاء هذا الدين المتين بوجوب النصيحة على جميع المسلمين قال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه اجمعين الدين النصيحة لله ورسوله ولايمة المسلمين

* درس ختم الحديث الذي القاه شيخ الاسلام الحنفي امام جامع سيدي يوسف بالجامع المذكور بعد عصر يوم الثالث والعشرين من شهر رمضان المنصرم وحضره الملك المعظم سيدنا ومولانا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية ابقاه الله

الدين النصيحة

مناسبة هذا الباب للباب قبله وهو باب ان الاعمال بالنيات انها لا تقبل الا اذا كانت ابتغاء لوجه الله تعالى مع ترك الرياء والعمل على هذا الوجه من جملة النصيحة لله تعالى ومن جملة النصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا حيث أتى بعمله على وفق ما أمر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مجتنبا عما نهاه عنه ثم ان البخاري رضي الله عنه ختم كتاب الايمان بهذا الحديث لانه حديث عظيم جليل جميل عليه مدار الاسلام كما قيل انه أحد الاحاديث الاربعة التي عليها مدار الاسلام وقال بعضهم يمكن ان يستخرج منه الدليل على جميع الاحكام ولعله قال ذلك نظرا للحصر المستفاد من تعريف طرفي الجملة وهي الدين النصيحة

ثم ان هذا الحديث اورد البخاري هنا ترجمة باب ولم يخرجه مسندا في هذا الكتاب لكونه على غير شرطه ونبه بايراده على صلاحيته في الجملة وما اورده من الآية وحديث جرير يشتمل على ما تصمنه لان راوي الحديث تميم الداري رضي الله تعالى عنه واشهر طرقه فيه سهيل ابن ابي صالح وليس من شرطه لانه لم يخرج له في صحيحه وقد اخرج له مسلم والاربعة رضي الله تعالى عنهم وروى عنه مالك رضي الله تعالى عنه ويحيى الانصاري والثوري وابن عيينه وحماد بن سلمة وخلق كثير

وقال البخاري رحمه الله : سمعت عليا - يعني ابن المدني - يقول كان سهيل ابن أبي صالح مات له اخ فوجد عليه فنسى كثيرا من الاحاديث . وقال يحيى ابن معين لا يحتج به . وقال ابو حاتم يكتب حديثه وقال بن عدي وهو عندي ثبت لا باس به مقبول الاخبار وقد روى عند الايمة وقد روى مالك في شيوخه من اهل المدينة الناقد لهم ثم قال في احاديثه بالعراق انه نسي الكثير منها وساء حفظه في آخر عمره . وقد اكثر مسلم عنه في اخراجه في الشواهد مقرونا في اكثر روايته بحافظ لا يدافع فيسلم بذلك من نسبته الى سوء الحفظ . ولكن لما لم يكن عند البخاري من شرطه لم يات فيه بصيغة الجزم ولا في معرض الاستدلال بل ادخله في التبويب فقال : « باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة » فلم يترك ذكره لا لانه عنده من الواهي بل ليفهم انه اطلع عليه وان فيه علة منعته من اسناده . واخرجه مسلم رحمه الله بلفظ حدثنا محمد بن عباد المكي حدثنا سفيان عن سهيل قال الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسله ولايمة المسلمين وعامتهم

ثم ان تميم الداري رضي الله تعلى عنه نسبته الى جده الدار بن هاني وقيل لموضع يقال له دارين ويقال له ايضا الديري نسبة الى دير كان يتعبد فيه . كان نصرانيا فوفد على رسول الله صلى الله تعلى عليه وسلم في جماعة من الدارين منصرفه من تبوك فاسلم . وكان كثير التهجد يختم القرآن في ركعة فنام ليلة لم يقم يتهجد فيها فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع واشترى حلة بالالف كان يقوم فيها الليل . ولقد قال عمر رضي الله تعلى عنه لبعض من قدم عليه اذهب وانزل على خير اهل المدينة

فنزل على تميم قال فبينما نحن نتحدث اذ خرجت نار الحرة فجاء عمر الى تميم فقال ياتميم اخرج فصغر نفسه ثم قام فحاشها ثم ادخلها الباب الذي خرجت منه ثم اقتحم في اثرها ثم خرج فلم تضره. وهو اول من قضى في المسجد باذن عمر رضي الله تعالى عنه .

وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال اذ وجده هو واصحابه. فحدث النبي صلى الله تعلى عليه وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه ويدخل في ذلك رواية الاكابر عن الاصاغر فقد قالت فاطمة بنت قيس سمعت منادي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادي الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل انسان مصلاه ثم قال: اني والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لان تميم الداري كان رجلا نصرانيا فجاء واسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت احدثكم به عن المسيح الدجال

حدثني انه ركب البحر في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وحزام فلعب بهم الموج شهرا في البحر فارسوا الى جزيرة اي قاربوها حين تغرب الشمس فجلسوا في اقرب (١) السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة اهلب كثير الشعر (٢) لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر قالوا ويلك ما انت قالت انا الجساسة (٣) انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمت لنا رجلا فزعنا منها ان تكون شيطانة . قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه اعظم انسان ما رايناه قط واشده وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد. قلنا ويلك ما انت قال قد قدرتم على خبري ما انتم . قال نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة اهلب فقالت انا الجساسة اعمدوا الى هذا الدير فاقبلنا اليك سراعا. فقال اخبروني عن نخل بيسان هل تثمر ؟ قلنا نعم. قال اما انها يوشك ان لا تثمر. قال اخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء ؟ قلنا هي كثيرة الماء . قال ان ماءها يوشك ان يذهب. قال اخبروني عن عين زغر هل في العين ماء ؟ وهل يزرع اهلها بماء العين ؟ قلنا نعم هي كثيرة الماء واهلها يزرعون من مائها. قال اخبروني عن النبيء الامين مافعل ؟ قلنا خرج من مكة ونزل يثرب. قال أقاتلته العرب ؟ قلنا نعم . قال كيف صنع بهم ؟ فاخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب واطاعوه قال اما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه واني مخبركم عني اني انا المسيح واني يوشك ان يؤذن لي في الخروج فاخرج فاسير في الارض فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما

(١) هو بضم الراء جمع قارب سفينة صغيرة يقال لها سنبوك – (٢) هو تفسير لما قبله – (٣) سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال .

محرمان علي كلتاهما كلما اردت ان ادخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنهما وان على كل نقب (١) منهما ملائكة يحرسونهما

قال رسول الله صلى الله تعلى عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة - يعني المدينة - الا هل كنت حدثتكم ؟ قالوا نعم اهـ.

وسكن تميم رضي الله تعالى عنه بيت المقدس بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه ومات ودفن ببيت جبرين من ارض فلسطين سنة اربعين .

وقوله الدين النصيحة . الدين له اطلاقان لغة واصطلاحا اما لغة فيطلق بازاء معان منهما الطاعة ومنه قول زهير .

لان حللت بوادي بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك

اراد في طاعة عمرو ويطلق على الجزاء ومنه قوله تعالى ان الدين لواقع أي الجزاء لواقع يوم التلبية والحساب ومنه قول لبيد :

حصادك يوما ما زرعت وانما يدان الفتى بما هو دائن

ومن كلام العرب كما تدين تدان أي كما تجازي تجازى ويطلق ويراد به التوحيد ومنه قوله تعالى الا لله الدين الخالص أي التوحيد ويطلق بمعنى الملة ومنه قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا ويعبر به عن داء من ادواء القلب ومنه قول الشاعر : (يا دين قلبك من سلمى وقد رجعا)

ويطلق ويراد منه العادة والعمل ومنه قوله :

اذا اردت لها وضيني فهذا دينه ابدا وديني

والوضين الهودج بمنزلة البطان للقتب والحزام للسرج ويطلق ويراد منه السياسة ومنه قول ذي الاصبع : (ولا انت دياني فتخزوني) .

ويطلق على الحال ومنه قول النضر بن شميل . سالت اعرابيا عن شيء فقال : لو لقيتني على دين غير هذا لاخبرتك . اي على حال غير هذا .

ويطلق على القهر والخضوع ومنه قول العرب دنته فدان . أي قهرته فخضع .

واما اصطلاحا فوضع آلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات . فخرج بقوله الآهي الاوضاع الصناعية . وبقوله سائق الوضع الآلهي غير السائق كانبات الارض وامطار السماء وقوله لذوي العقول الحيوانات المختصة بالاختيار وبقوله باختيارهم الاوضاع السائقة لا بالاختيار كالوجدانيات وبقوله المحمود الكفر . وقوله بالذات متعلق بسائق اي ان الوضع الالهي بذاته سائق لانه ما وضع الا لذلك ويمكن تعلقه بالخير ومعناه ان ذلك الخير وهو ما وضعه الكريم بذاته خير .

(١) النقب الطريق بين الجبلين .

والمراد به هنا هو دين الاسلام وهو ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام

والنصيحه في اللغة الاخلاص ماخوذة من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه - بفتح الميم ويسكن - وقال ابوبكر بن اسحاق الخفاف : النصح فعل الشيء الذي بـه الصلاح والملائمـة اي المناسبة والمرابطة وقد تخفف الهمز ياء فيقال الملايمة وهي الموافقة بين الاشياء ماخـوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب يقال نصح الرجل ثوبه اذا خاطه بالمنصح وهي الابرة والمعنى انـه يلم شعث اخيه كما تلم المنصحة والنصاح بكسر النون وتخفيف الصاد الخيط والناصح الخياط شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح ولم شعثه بلم الخياط خلل الثوب ولصق بعضه ببعض ومنـه التوبة النصوح كان الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه . ويقال نصح له افصح من نصحته . وقـال الخطابي النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له . ويقال هو من وجيز الاسماء ومختصر الكلام وليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة كما قالـوا في الفلاح ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى ما جمعت من خير الدنيا والآخرة .

وقال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تختصرها .

وشرعا اخلاص الراي من الغش المنصوح وايثار مصلحته وان شئت قلت بذل المودة والاجتهاد في المشورة .

وقوله الدين النصيحة اما على حذف مضاف اي عمـاد الدين وقوامـه اي معظمه النصيحة على وزان الحج عرفة اي معظم اركان الحج وقوف عرفة . او يبقى على ظاهـره اذ النصيحة لم تبق من الدين شيئا الا اشتملت عليه لان من جملتها الايمان بالله تعلى ورسولـه صلى الله تعالى عليه وعلى آلـه وصحبه وسلم وطاعة الله ورسوله والعمل بما قالـه الله والرسول من كتاب وسنة وليس وراء ذلك من الدين شيء كيف وقد جاء في حديث جبريل عليه السلام ان الدين هو الاسلام والايمـان والاحسان وجميع ذلك مندرج تحت ما ذكر من النصيحة وهي تحري الاخلاص قولا وفعلا واعتقادا وبذل الجهد في اصلاح المنصوح له سرا وجهرا وكل عمل لم يرد به عامله الاخلاص فليس من الدين اصلا ومن ثم لم يكن في كلام العرب اجمع منها كما ذكرنا .

النصيحة لله تعالى

معنى النصيحة لله يرجع الى الايمان بـه ونفي الشريك عنـه وترك الالحاد في صفاتـه ووصفه بصفات الجلال والكمال وتنزيهه عن النقائص فيجب ان يعتقـد ان الله سبحانه وتعالى واحد في ذاتـه وصفاته وافعاله ويصفـه بما هو اهله من الصفات الثبوتية من الحياة والعلـم والقدرة والارادة والكلام

ونحوها وبتنزيهه عما لا يجوز عليه من النعوت السلبية فانه سبحانه ليس بجوهر ولا عرض ولا في مكان وغيرها والرغبة في محابه اي الميل في كل ما يحبه ويرضاه والعبد من مساخطه اي التبعد عن جميع ما يكرهه وينهى عنه والاخلاص في عبادته اي فيما يامر به الله من امور دنياه وعقباه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والاعتراف بنعمته وشكره عليها وفي حديث رواه احمد رضي الله عنه قال الله عز وجل احب ما تعبد به عبدي النصح لي . وروى الثوري رضي الله عنه عن علي كرم الله وجهه قال قال الحواريون لعيسى يا روح الله من الناصح لله قال الذي يقدم حق الله على حق الخلق . وحقيقة هذه الاضافة راجعة الى العبد في نصيحة نفسه فانه تعالى غني عن نصح الناصحين وعن العالمين .

النصح لكتاب الله

هذا مضاف فيعم جميع كتبه المنزلة بان يؤمن بانها من عند الله سبحانه وتعالى وتنزيله ويميز القرآن بانه لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر احد منهم على الاتيان بمثل اقصر سورة منه وتلاوته بخشوع واقامة حروفه في التلاوة والتصديق بما فيه وتفهم علومه وتعظيمه واكرامه والاعتناء بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بحكمه والتسليم بمتشابهه والبحث عن ناسخه ومنسوخه وعمومه وخصوصه وسائر وجوهه ونشر علومه والدعاء اليه والذب عنه من تاويل الغالين . اي المجاوزين الحد كالمعتزلة واضرابهم وطعن الملحدين من الزنادقة واصحابهم .

النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم

هي التصديق برسالته والايمان بما جاء به والتزام طاعته في امره ونهيه وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واعظام حقه فقد روى المسور بن مخرمه ان عروة بن مسعود الثقفي رمق اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما تنخم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له قال فرجع عروة الى اصحابه فقال يا قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت ملكا قط تعظمه اصحابه ما تعظم اصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده .

ومن النصيحة له احياء سنته والتفقه فيها والذب عليها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة . وقال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه اي المدافعة عن ذاته ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية . وقال تعالى وينصرون الله ورسوله . الآية . واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امثاله والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه .

٧

النصيحة لايمة المسلمين

الايمة جمع امام وهو القائم بامور المسلمين والامامة اعم من الخلافة اذ كل خليفة امام ولا ينعكس قيل الامامة على اربعة اوجه امامة وحي وهي النبوة وامامة وراثة وهي للعلماء لان العلماء ورثة الانبياء كما ورد في الحديث الشريف وامامة عبادة وهي في الصلاة وامامة مصلحة وهي الخلافة

والمراد من ايمة المسلمين هنا على القول المشهور الذي عليه الجمهور هم اصحاب الحكومة كالخلفاء والولاة والامراء

ونصيحتهم تكون بمعاونتهم على الحق وامرهم به وطاعتهم فيه واعلامهم بما غفلوا عنه من امور المسلمين وحقوقهم والدعاء بالصلاح لهم وترك الخروج عليهم والجهاد معهم واداء الزكاة اليهم وتحذيرهم ممن يريدهم بسوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية وسدخلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم وامتثال امرهم في غير المعاصي فقد ورد ان عبد الله بن حذافة السهمي بعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سرية وامره عليها وكان فيه دعابة فامرهم ان يجمعوا حطبا ويوقدوه نارا فلما اوقدوها امرهم بالتقحم فيها فابوا فقال لهم الم يامركم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطاعتي وقال من اطاع اميري فقد اطاعني فقالوا ما آمنا بالله واتبعنا الرسول الا لننجو من النار فصوب رسول الله صلى تعالى عليه وسلم ذلك وقال لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق

فطاعة الايمة في الحق ثابتة على الخلق وواجبة واما اذا امروا بمعصية فلا يطاعون فقد روى الشيخان وغيرهما عن علي كرم الله تعالى وجهه ولفظه لاطاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف . وقد خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لما ولي الخلافة فقال اطيعوني ما اطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم . وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم

وانظروا سيرة اميرنا هذا المحبوب الذي ملات محبته القلوب اذا جاءه انسان يتظلم في قضية صرفه الى الشرع العزيز ولا يتداخل في ذلك . ويدافع عن الشرع واهله ويكفيه فخرا ويخلد له ذكرا ما صدر منه في هاته الاوقات اذ لولا فضل الله تعالى علينا لمسنا السوء كل ذلك لخوفه من ربه سبحانه وتعالى واعتماده عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه فلا يسعنا الا الدعاء له بالبقاء والنصر على الاعداء

وكذلك تذكيرهم اياه بالمعروف على احسن وجه بلين ورفق وقد اتفق ان رجلا وعظ المامون واغلظ عليه فقال له خير منك وعظ من هو شر مني فان موسى وهارون على نبينا وعليهما افضل الصلاة وازكى السلام لما ارسلهما الله سبحانه وتعالى الى فرعون قال « فقولا له قولا لينا »

ومن جملة ايمة المسلمين الايمة العلماء المجتهدون على قول والنصيحة لهم تكون ببث علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم وقبول ما رووه

وليس المراد بالعلماء من تزيا بزيهم وادعى العلم واكل الدنيا بالدين فهؤلاء نصحهم نصح عامة المسلمين ان لم يستحلوا المعاصي والا فالشيطان اعلم منهم وهم واياه سواء

قال سهل بن عبد الله : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء يعني العاملين فاذ عظموا هذين اصلح الله دنياهم واخراهم واذا استخفوا بهذين افسد دنياهم واخراهم . (يتبع)

نظام الزكاة والصدقة
في الاسلام

ان الشريعة الاسلامية جمعت بين حقي الروح والجسد فهي شريعة روحانية جثمانية اعطت جميع الحقوق الانسانية كامل عنايتها وشامل رعايتها فان الانسان روح وجسد حيوان وملك فهو كما يحتاج الى ما يصلح روحه يحتاج الى ما يصلح جسده انظر الى ينبوع الحكمة ودستور الشريعة فانه مهما يذكر اقامة الصلاة الا ويقرن بها ايتاء الزكاة فالصلاة مهذبة للروح والمال قرين الروح وبه وقاية الانسان المحترم من الهلاك والتلف

ولقد قضت حكمة العزيز الحكيم ان يجعل هذا العالم متفاوت المراتب متشعب المسالك ففضل بعض الناس على بعض في الرزق وجعل لكل فريق جهة قوة يمتاز بها وقدر له ناحية ضعف يحتاج بسببها حتى يتم ترابطهم ولا ينتهي تعاونهم ولقد كان من أعظم ما تفاوت فيه الناس امر الرزق الذي عليه مدار حياتهم وبه قوام وجودهم وهو الذي في سبيله كدوا وكدحوا ومن اجله نصبوا وتعبوا فلقد رزقهم ربهم جميعا ولكن منهم من بسط له الرزق ووسع له فاغنى واقنى ومنهم من ابتلاه فقدر عليه رزقه ليبلو اعمالهم وليتبين من شكر ممن كفر الا وان شكر نعمة المال بالبذل وانفاقه في طرق الخير بالعدل

فقد دلت التجارب الكثيرة المتكررة على انه لا سبيل لتطهير القلوب من احقادها وانقاذ النفوس من ضغائنها اعظم واسرع وانفع وانجع من تبادل الاحسان بين الناس ولا شيء هو اشد ايلاما للنفس من ان ترى امامها من غرق في النعم حتى اهلكته التخمة بينما اخوه تقتله المخمصة ولو انه رد عليه نزرا مما زاد عن حاجته وفضلا مما جاوز حد كفايته لسلم كلاهما هذا من تخمته وذاك من مخمصته لهذا حث الشارع على البذل والاحسان وجعل انفاق المال آية من آيات الايمان واوجب زكاة الاموال والابدان اذ بها صلاح العمران وانقاذ البشرية من رذيلتي التعادي والعدوان. ولما كان الدين مرشدا للبشر الى ما فيه تزكية نفوسهم وتقويم اخلاقهم شرع الله فيه من الاحكام التعبدية والعمليه ما يقيهم شر فتنة المال فاوجب على الاغنياء من النفقات والصدقات ما يبدل سيئات الثروة حسنات واستعمل في سبيل ترغيب المسلمين وحثهم على الانفاق والتصدق كل اساليب التاثير والاقناع فقد ذكر انفاق المال في وجوه البر والخير في عشرات من آيات الذكر الحكيم وابلغ ما في ذلك التعبير عن التصدق والانفاق باقراض الله تعالى ووعد مقرضه بالمضاعفة له ومن الآيات البليغة في الترغيب فيه ومضاعفة ثوابه وبيان آدابه عشرون آية من اواخر سورة البقرة هي من اواخر ما نزل من القرآن

وبالجملة فقد جاء في الكتاب والسنة من الترغيب في بذل المال في سبيل البر وجعله من اكبر

آيات الايمان وموجبات الثواب والرضوان وتبوىء غرف الجنان وتسميته اقراضا للرحمان ما لم يجيء مثله في اي عمل من اعمال البر والاحسان قال تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة . وقال ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفحون . وقال ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم .

واعلم ان الصدقة نوعان تطوع وهي مطلق الصدقة وواجبة وهي المسماة شرعا بالزكاة وهي من خصائص هذه الملة وهي الركن الثالث من اركان الدين بعد الشهادتين والصلاة المفروضة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع المسلمين على ادائها واجمع المسلمون على كفر جاحدها ومستحل تركها ولذلك اجمع الصحابة على محاربة مانعي الزكاة فان مانعها يهدم في الظاهر ركنا من اعظم اركان الاسلام وينقض في الباطن من تحته اساس الايمان حيث لم يرض بحكم الله ولم يذعن لامره بل فسق عن امر مولاه واتخذ الاهه هواه

واول ما فرضت الزكاة في الاسلام بمكة مطلقة وترك امر مقدارها ودفعها الى شعور المسلمين واريحيتهم ثم فرض مقدارها من كل نوع من انواع الاموال في السنة الثانية من الهجرة على المشهور وقيل في الاولى ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام وكانت تصرف للفقراء كما قال تعالى في سورة البقرة ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وكما قال النبي - صلعم - لمعاذ تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم ثم نزلت مصارفها الثمان الآتي بيانها في سنة تسع .

بينت الشريعة في السنة الثانية من الهجرة الاموال التي يجب اخراج الزكاة عنها ومقدار الواجب فاوجبت في النقدين من الذهب والفضة وما يقوم مقامهما مما يقع به التعامل واموال التجارة ربع العشر واوجبت العشر او نصفه في الغلات الزراعية التي عليها مدار الاقوات واوجبت في الانعام والركاز وهو ما يوجد في الارض من الكنوز المدفونة والمعدن مقادير بينتها السنة اتم بيان فليرجع اليها من اراد تفصيلها هناك

واما صدقة التطوع فلا تختص بنوع دون نوع من انواع الاموال وليس لها نصاب مقدر ولا توقيت

وقد تولى الله تعلى في كتابه الكريم بيان مصارف الزكاة في آية انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم

فان هذه الآية ناطقة بوجوب قصر الصدقات الواجبة على الاصناف الثمانية المنصوصة فيها دون غيرهم وحاصله ان مصارف الزكاة قسمان احدهما اصناف من الناس سيتحقونها بالوصف المقتضي لاستحقاقهم لها والثاني مصالح عامة اجتماعية لا يقصد بها اشخاص يستحقونها بصفة فيهم فالاول الفقراء والمساكين يستحقونها بوصف الفقر والعاملون عليها يستحقونها بعملهم في جمعها وان كانوا اغنياء

والغارمون بقدر ما يخرجهم من غرمهم والمؤلفة قلوبهم يستحقها منهم من ثبت عند اولى الامر الحاجة الى تأليفه وابن السبيل بقدر ما يساعده على العود الى اهله وما له وهذا في معنى الفقير ولكن فقره عارض بسبب السياحة

والقسم الثاني وهو المصالح العامة فك الرقاب وتحريرها وهو مصلحة عامة في الاسلام وفي سبيل الله ويدخل فيه الاستعداد بالقوة والدفاع عن الحوزة واعداد الكراع والسلاح اللازم لحماية بيضة الاسلام ويدخل فيه عند محمد بن الحسن الشيباني الاعانة على حج بيت الله فانها مصلحة اجتماعية كبرى في الدين

وامام المسلمين هو الذي تؤدى اليه صدقة الزكاة وهو صاحب الحق في جمعها وصرفها لمستحقيها ويجب عليه ان يقاتل الذين يمتنعون عن ادائها اليه كما فعل خليفة رسول الله - صلعم - فيمن منعوا الزكاة من العرب وقال والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا وفي رواية عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله لقاتلتهم على منعها (متفق عليه) فان لم يطلبه الامام فالواجب ان يؤديها لمستحقيها بنفسه

هذه زكاة الاموال وهناك نوع آخر وهي زكاة الابدان وتسمى ايضا زكاة رمضان وصدقة الفطر وصدقة الراس امر بها النبي - صلعم - في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان قبل العيد بيومين وقبل ان تفرض زكاة الاموال وهي شرعت طهرة للصائم من اللغو والرفث الحاصلين منه في اثناء الصوم وطعمة المساكين حتى يحصل بها سد خلة المحتاج في يوم العيد كما جاء في حديث ابن اعباس رضي الله عنهما

وقد اتفقت الايمة على وجوبها على الحر المسلم القادر وهو من يملك نصابا زائدا على حوائجه الاصلية ولا يشترط حولان الحول عليه

وسبب وجوبها عند الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه راس يلزم الشخص مؤنته ويلي عليه ولاية كاملة فيجب اخراجها عن نفسه وولده الصغير الفقير وخادمه ولا يجب على الرجل ان يخرج عن زوجته الا ان يتبرع ووقت وجوبها فجر يوم العيد ويصح تقديمها وتاخيرها عن هذا الوقت وان كان المستحب اخراجها قبل الذهاب الى المصلى لقوله صلعم اغنوهم عن المسالة في هذا اليوم وتخرج من اربعة اشياء البر والشعير والتمر والزبيب فيجب من البر نصف صاع ومن الشعير والتمر والزبيب صاع كامل عن كل شخص ويجوز له ان يخرج قيمة الزكاة الواجبة من النقود بل هو افضل عند الحنفية لانه اكثر نفعا للفقراء وتدفع صدقة الفطر لمصرف الزكاة العامة ويجوز دفع زكاة جماعة لواحد

كما يجوز دفع زكاة الشخص الواحد الى مساكين ويكره نقلها من بلد الى آخر الا اذا كان

المنقول اليه من اقاربه الفقراء لان في الدفع اليهم جمعا بين الصلة والصدقة والافضل اخوته واخواته ثم اولادهم ثم اعمامه وعماته ثم اخواله وخالاته ثم ذووا ارحامه ثم جيرانه ثم اهل مسكنه ثم اهل بلده كذا للقهستاني .

وان في اسعاف الفقراء والمساكين ماليا بما لا يضر الاغنياء لخيرا كثيرا للمجتمع وفيه ردهم عما قد تحدثهم به انفسهم من اخلال بالنظام للحصول على الطعام

ومن البلاء المبين ان نرى الشعوب الاسلامية في هذه القرون الاخيرة قد قصرت في بذل المال في سبيل الله وفي طرق البر التي ترتقي بها الامم وتتقدم بها الشعوب

ولو اقام المسلمون هذ الركن من دينهم لما وجد فيهم فقير مدقع ولا ذو غرم مفجع ولكن اكثرهم تركوا هذه الفريضة فجنوا على دينهم وملتهم وامتهم مع ان الصدقة وبذل المال تطهير للمؤمنين وتزكية لهم فهي تطهر انفس الافراد من ارجاس البخل والدناءة والقسوة والطمع والجشع ومن اكل اموال الناس بالباطل فان الذي يتربى بالايمان على بذل بعض ما في يده في سبيل الله ابتغاء مرضاته ومغفرة ذنوبه حقيق بان ينزه نفسه عن اخذ مال غيره بغير حق وهذا التطهير لانفس الافراد يستلزم تطهير جماعة المؤمنين من أرجاس الرذائل الاجتماعية التي هي مثار التحاسد والتعادي والبغي والعدوان وهذا لا محالة هو مصداق قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها قال المفسرون في تفسير هذه الآية اي خذ ايها الرسول من سائر اموال المسلمين على اختلاف انواعها صدقة معينة كالزكاة المفروضة او غير معينة وهي صدقة التطوع فان الصدقة اسم عام لما ينفقه المؤمن قربة لله تعالى تطهرهم وتزكيهم بها من دنس البخل والطمع والدناءة والقسوة على الفقراء البائسين وما يتصل بذلك من الرذائل وتزكي انفسهم بها اي تنميها وترفعها بالخيرات والبركات حتى تكون أهلا للسعادة الدنيوية والاخروية . والتزكية صيغة مبالغة من الزكاء وهو نماء الزرع ونحوه قال في مجاز الآساس رجل زكي زائد الخير والفضل بين الزكاء والزكاة

ولا شك ان تزكيته « صلعم » لامته من مقاصد البعثة فهو المربي للمؤمنين على ما تزكو به نفوسهم ويعلو قدرها بما شرعه لهم قولا وعملا وبما لهم فيه « صلعم » من الاسوة الحسنة قال تعالى هو الذي بعث في الامين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين

وبعد فان الله فرض في اموال الاغنياء صدقة لمواساة الفقراء ومن في معناهم واقامة المصالح العامة وان الفائدة في ذلك راجعة الى الاغنياء والفقراء جميعا فللاغنياء بتطهير انفسهم من رذيلة البخل وتزكيها بفضائل الرحمة بالفقراء ومساعدة الامة باقامة المصالح العامة وللفقراء باعانتهم على نوائب الدهر مع ما في ذلك من سد ذريعة المفاسد في تضخيم الاموال وحصرها في اناس معدودين عما اشير اليه في قوله تعالى لكي لا تكون دولة بين الاغنياء منكم

وفقنا الله لاقامة شعائر ديننا والتمسك بما سنه لنا رسولنا رسول الهدى والرحمة آمين

محمد الهادي ابن القاضي

صفحة من تاريخ تونس

التاريخ

عقود الانكحة في تونس

« ٢ »

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء
سيدي محمد بن الخوجه

وهذه خطبة اخرى من انشاء شيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الرابع خطب بها بمناسبة عقد نكاح الوزير خير الدين بابنة الوزير مصطفى خزندار قال رحمه الله :

الحمد لله مبيح النكاح ومحلله ، وموفر المن به على العباد ومكمله . وجاعله مزرعة للذرية الصالحة ، وذريعة للوصول الى الغرض الذي خلقت النفس البشرية اليه طامحه ، ووسيلة الى نمو الخليقة ، وسببا لعمارة الارض مع امكان ابراز المخلوقات جملة ولكن اختار سبحانه بحكمته هاته الطريقة ، ليشاهد المشاهد تبدل الاطوار ، ويحصل الوقوف على سعة قدرة الفاعل المختار ، ويعتبر المعتبر من اولي الابصار ، ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي خلق الزوجين ، وجعل التوالد منوطا بهما اناطة الطيران بالجناحين ، وننزهه جل جلاله عن ان يكون الى الزوجة محتاجا ، ونسلك في وصفه بمخالفته للحوادث طريقا واضحا ومنهاجا ، ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي اختاره من اشرف عناصر عباده ، وجعله مالكا لطارف المجد وتلاده ، وطهر سلسلة نسبه الشريف من دنس السفاح ، ونظم جواهر اصوله كلها في سلك مباح النكاح ، حتى اخرج جوهرة ذاته الكريمة يتيمة ذلك العقد المنضود ، واودعها من صفاء الباطن واشراق الظاهر ما هو مشهود به غير مجحود ، صلى الله عليه وسلم ما تعلقت بالنكاح من راغب رغبه ، وتقدمت على انعقاده من خطيب بليغ خطبه ، وعلى ءاله واصحابه المتمسكين في جميع شئونهم بما سنه من السنن ، المحافظين على ما ارشدهم اليه من اتباع السمت الحسن ، هذا وان الافصاح عن فضل النكاح كاد ان يعجز البليغ ، اذ قد سبق فيه البلاغ التبليغ ، لما انه كسي حلة الاشتهار ، واحيط بما نزل فيه من الايات الكريمة وورد من الاثار ، فتساوت الاقدام في علمها ، وتشاركت الاحلام في فهمها ، وقد علم ان التوجه الى بيان الواضح ، من الامر الفاضح ، وتقرر ما بين المعادات ، والنفوس من المعادات ، فمن البلاغة ان يسلك في مثل هاته المشاهد الحافلة ، والمواكب التي بينها وبين الضخامة

كمال المحالفه . مسلك الابانة عما وقع لاجله الاجتماع . ويجال اللسان في ميدان الافصاح عن حلى الزوجين . لتشنف بالإصغاء اليه الاسماع . فنقول ان مولانا ملك هذا القطر المحروس . والربع المانوس . وذا الفضل الذي هو بحاستي السمع والبصر محسوس . وارث ملك سلفه . المتحامية شوارق الافق مزاحمة كنفه . سيدنا المشير محمد باشا . لا زال واردا من الاصابة مناهلها . منزلا الامور منازلها . ظهر له من الراي ما هو بالمبادرة اليه حري . وهو ان يجمع لفرط المناسبة بين الزهرة والمشتري . ويظهر في فلك ذويه المكلل بنجوم اصهاره اشراق هذا الزوج ويرقيه الى رفيع ذلك الاوج . فامر بالعقد على ذات الصون والعفاف . والاصالة المحفوظ الاجماع عليها من طرق خلاف . المحمودة الذكر والاثر . المتولدة بين الشمس والقمر . المكتنفة بالعز من جهتين . الحاملة من ابهة الملك والوزارة الرايتين . التي كادت محاسنها ان تقضي على البنين بتفضيل البنات . الجليلة الطاهرة الرفيعة السيدة جنات سليلة وزيره الافخم الشامخ المقدار . وقطب دولته الذي عليه المدار . والملتحف من اقباله وكرامته بافخر ازار . امير الامراء سيدي مصطفى خزنه دار . المتشرف بخدمته . المعدود من رجال دولته . لابس رداء اقباله . المنخرط للملك المحمدي في سلك رؤساء حماته وابطاله . المشهود له بثقوب الذهن واصابته . المفروغ بعد السبر من كفايته ونجابته . الابية شمائله مشاركة قرين . امير الامراء السيد خير الدين . فالله تعلى نسال ان يجعل الفتهما من طوارق الدهر سالمة . وثغور سعودهما على مرور الايام ضاحكة باسمه . ويطيل امد معاشرتهما تحت جناح هاته الدولة الرفيعة . مارحين منها في رياض يانعة نظرة مريعه . حتى تكبر في خدمة مولانا ابناؤهم . ويستعين على القيام بها ءاباؤهم . وفضله جل جلاله لا يؤوده ابلاغ هاته الآمال . وابقاء الستر الجميل على النساء من هاته العصابة والرجال . وقد ءآن ان نبرز هذا العقد المبارك في افق هذا المجلس بدر تمام . ونجعل قران ايجابه بالقبول مسك ختام اه

ثم هذه خطبة ثالثة من انشاء شيخ الاسلام الشيخ احمد بن الخوجه خطب بها بمناسبة زواج المرحوم الشريف الشيخ محمد محسن بابنة الوزير العلامه الشيخ محمد العزيز بوعتور . وهذه الخطبة بالخصوص كثيرة التناول في اغلب عقود الانكحة لهذا الزمان :

الحمد لله الذي اسعد بالبركة واليمن والتوفيق . من اهتدى بمنار شرعه واعتصم بحبله الوثيق . فتح الله له ابواب الفوز بزواهر الامال . تتجلى عرائسها على منصات النجاح وتختال في مطارف الاقبال . وتبارك الله الذي انعم باسباب العمران والبقاء . وسفر عن وجوه السعادة في الدارين ومعارج الارتقاء وسبحانه من آله تهللت على وجنات الكائنات ءايات توحيده وتمجيده . وافترت رياض مصنوعاته المنضدات عن ازهار تقديسه وتحميده . واشهد ان لا آله الا الله الذي شرع الاسلام سبيلا واضحا . واطلع لنا من مراشده الباهرة نورا لا يحا . واشهد ان سيدنا

ومولانا محمدا عبده ورسوله فائدة الكون ومعناه، وصفي حضرة القدس الذي لا ينـام قلبه اذا نامت عيناه ، نبي الله المعرض عن العرض الفاني على دنو قطافه ونضارة مجتلاه . بل انما حبب اليه من الدنيا الطيب والنساء وجعلت قرة عينه في الصلاه . صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه الذين ركضوا في ميدان هديه وجلوا . وطلعوا بافق شرعه نجوم هدى وتجلوا . واسفرت بنور صباح رشدهم على شرفات الشرق . وانتشرت اشعة تلك الانوار على بساط البسيطة فعمت سائر الخلق . صلاة وسلاما دائمين ما أقبلت بالاسحار . زوار النسائم ثغور الازهار . اما بعد فإن الله تعلى لما فتق رتق الاكوان اقتضت حكمته البالغة ونعمته السابغة ان آثر للعمران نـوع الانسان . وهـذا لما اودع فيـه سبحانه من الاستعدادات والاسباب . التي تسنى له بها التمكن من الجلب والدرء وسلوك سبل الاكتساب . وهداه عز اسمه الى اصابة الغرض في الطلاب . ولقد خطت يد البرهان على صفحات القلوب . ان العقل لا يـدرك القبيح المنهي عنـه ولا الحسن المطلوب . فارسل الله الرسل . لتشريع الشرائـع وتوضيح السبل . وجعل شريعة سيدنا ومولانا محمد واسطة اسلاكها . والقطب الـذي عليه مدار افلاكها . فالعقل ان ابرم عقد جـواز او منع . لا يقبل منـه حتى يعرض توقيعه على سلطان الشرع فالحسن ما انفذه ذلك المهيمن وامضاه . وضده ما لم تلمحه عين رضاه . ومن المعلوم ان النكاح ممـا شهد الشرع بتحسينه . قـال الله تعلى فانكحوا ماطاب لكم من النساء وقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد كمل نصف دينه . لكنما سلطان الشرع لم يطلق العنان ان ينكح المرء على اي وجه كان . فيلتحق الانسان في قضاء نهمته وضياع نسبه بعجم الحيوان . بـل رسم لذلك رسوما وحد حدودا . اهمها ان يكون الايجاب بالقبول معقودا . كما ان نصوص الشرع بالترغيب في الكفاءة ناطقة والعقد يزداد حسنا اذا كانت دررة متناسبة متناسقة . وان من لاجله انتظم عقد هذا العقد . الذي تهلل له استبشارا وجه البركة والسعد . كريم الانتماء . فرع الشجرة الشماء . ما زال مسلسل مجده يروي . عن بيتهم رفيع العماد برسول الله صلى الله عليه وسلم والعلـم والتقوى . فتخيـر لسيادتـه القعساء ونسبه الحر . ومحامدهم السائرة ومناقبهم الغر . من البيت الاصيل المجد النبيه الشان . حيث العلـم والفضل والقلم المستعد لفتح الاقاليم بروابع البيان . والوزارة التي تشد ازر العـدل والاحسان . الى غير ذلك من المفاخر الزاهرة وجميل الاوصاف . الدرة المكنونة في صدف الصون والعفاف . واذا ارتسمت على مرايا البصاير صور هاته المعاني فلنبادر بتوفيق الله الى ابرام عقد ميمون الغره . متهلل الاسره . كفيل بحول الله ببلوغ الاماني . وبشائر التهاني . معضود بقوة الله بمصاهرة السعد . ومقارنة العيش الرغد . تقر به العيون وترتاح لـه النفوس . ويقول مجتلي يمنه ووفاقـه لا عطر بعد عروس اهـ

هذا وقد اتفق لبعض الشيوخ على عهد المشير احمد باشا صوغ خطبته في سلك نظمي بديع

الاسلوب كهذه الخريدة التي جادت بها قريحة العلامة قاضي الجماعة الشيخ محمد بن سلامة بمناسبة بناء المرحوم رشيد بن الوزير مصطفى صاحب الطابع على الاميرة المرحومة السدة زبيدة ابنة المقدس المبرور المولى مصطفى باي . وهذا القران المبارك كان في جمادى الاولى سنة ١٢٥٤ اشرنا هنا لتاريخ وقوعه لمقصد سيأتي التنبيه اليه . قال الناظم رحمه الله :

حمدا لمن لم يزل بالحمد منفردا ... ثم الصلاة على خير الورى ابدا
وءاله الغر والاصحاب قاطبة ... الطالعين بافق الهدى نجم هدى
هذا وان الوزير المستجد علا ... اعني الرشيد الرضا وافي النهى رشدا
تزوج الدرة العذرا المصونة من ... بنى لها المجد في بيت العلا عمدا
اعني زبيدة بنت المصطفى كرما ... السيد المرتضى الباشا الكريم ندا
اخت المليك ابي العباس احمد من ... بحسن سيرته في الخلق قد حمدا
على صداق لها سمى العداد له ... مسكوك درهمنا والدر والبردا
الفا من الدرهم المسكوك يتبعه ... رطل من الجوهر الصافي البهي نقدا
من المذهب قفطانان مثلهما ... من الموبر مثل ذا عددا
من المشجر مع ست لها تبع ... من الفرامل من اجناس ما عهدا
ست حسان من السودان تخدمها ... واثنان بيض من الاعلاج لم تلدا
وعشرة قد اتت في النسج من حزم ... ذي فضة وجميع ما مضى نقدا
تاليه خمس من المئين يدفعها ... بمنتهى العام منها تبلغ الامدا
وكيله الصدر خير الدين كاهية ... وناب عنها باشهاد الذي شهدا
ابو سليمان صهر الملك كاهية ... الباذل الشهم من ظهر الثنا اقتعدا
فتم بالمجلس الاعلى مكمله ... وبالسعادة عالي عقده انعقدا
بمحضر السيد الباشا الجليل ومن ... مثاله فوق دست الملك ما قعدا
وحين نادى به ميمون طايره ... في جده من معاني يمنه رصدا
رءاه شاهده يسمو فارخه ... عقد سعيد بان السعد قد عضدا (١)

١٢٤٤

وختام القول هو ان حفلة العقد بتونس تنتهي بالطواف على الحاضرين بكؤوس الشربات (٢) المعطر بعد سماعهم لخطبة النكاح ولقد رايت بمناسبة بعض الاصدقة في بلاد الافاق تزويد الحضور بقطعة من البشكوطو (معروف) مع كاس الشربات واستنبط بعض الاعيان في هذه الاثناء تقديم كؤوس الروزاطه (معروف) لضيوفه بمناسبة حضورهم الاعلان بوقوع مراكنة شرعية وهي المعروفة بين العامة باسم الفاتحة وبها الختام

محمد بن الخوجه

(١) تنبية : تاريخ هذا المصراع لا يوافق تاريخ العقد الذي هو عام ١٢٥٤ كما سبقت الاشارة اليه .

(٢) لفظ شربات مشتق من مادة ش ر ب ولكن الاتراك يطلقون على الماء السكري لفظ شربت وهم في اصطلاحهم يكتبون هاء السكت تاء مفتوحة فيقولون دولت عوض دوله وسعادت عوض سعاده وهلم جرا ويلوح ان اللفظ المذكور انجر لنا استعماله منهم ونحن اشبعناه بالف بعد الباء فصار شربات جمع مؤنث لشربه كجرعة وجرعات وحسوة وحسوات ولعل في ذلك اشارة لما ورد في الصحيح من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب الماء جرعة بعد جرعة لا دفعة واحدة وعندي ان بدعة الشربات بتونس لا بد وانها في اصلها مستمدة مما ورد في بعض الاحاديث من ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا لا يفترقون الا عن ذواق .

القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

ابن عبد السلام

هو ابو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري ولد سنة ٦٧٦ واخذ عن جلة عصره وانتهى في التحقيق والتحصيل الى مقام يعز ان يستوي عليه غيره من ابناء عصره

ولي قضاء الجماعة سنة ٧٣٤ بعد ان كان قاضي الانكحة على عهد قاضي الجماعة الشيخ ابراهيم ابن عبد الرفيع ثم ابي علي عمر بن قداح الهواري

قال الابي في شرح بعض احاديث كتاب الاستخلاف من صحيح مسلم : وكان اتفق ان كان قاضي الجماعة ابو اسحاق بن عبد الرفيع وكان قاضي الانكحة ابن عبد السلام فلم يوافق قاضي الجماعة في بعض الامور واراد ان يستقل بها بنفسه فابى عليه ذلك قاضي الجماعة ابن عبد الرفيع واثبت رسما ان الامر جرى بتونس من قبل الامراء ان قاضي الانكحة من تحت نظر قاضي الجماعة وانه لا يستقل بنفسه ولكنه كان لابن عبد السلام وجاهة من قبل السلطنة فامرهما الخليفة حينئذ وهو الامير ابو بكر ان يستقل كل واحد منهما بما النظر اليه فيه اه

وفي ايامه وايام الشيخ ابن قداح حلت بتونس مسالة وهي ان يهوديا عثر عليه يسرق صغار المسلمين ويبيعهم للحربيين وكان الامير يومئذ ابا يحيى فاستشار الشيخين فيما يفعل باليهودي فافتى ابن قداح بقتله بالسيف وابن عبد السلام بصلبه واحتج بصلب عبد الملك بن مروان الحارثي الذي تنبا فصلب الذمي . وكان ابن عرفة يقول في احتجاج ابن عبد السلام نظر لان قضية الحارثي اقرب الى الحرابة من فعل هذا الذمي لعظم مفسدته

وانما حكم القاضيان فيه بالقتل مع ان سرقة الصغير فيها القطع لانه بهذا الفعل نقض العهد مع عظيم مفسدة فعله بما ينشا عنه من تمليك الحر قاله الابي في شرح كتاب السرقة

ولما توفي ابن قداح ولي صاحب الترجمة قضاء الجماعة . قال الشيخ ابن عرفة ناقلا عمن يثق بخبره : ذكر الشيخ ابن عبد السلام للقضاء بمجلس السلطان ابي يحيى فقال بعض حاضريه انكم لا تطيقونه لشدته . ورای بعضهم ان يمتحن سرا فاسرت بطانة السلطان لرجل من الموحدين كان جارا للشيخ يقال له ابن ابراهيم ان يبلو أمره فقص عليه ما قيل فيه بالمجلس فقال له انا اعرف العوائد وامشيها فاطمانت الحكومة حينئذ لولايته

قلت ولا يظن به رضي الله عنه رغبته في الولاية حبا للسلطة والحكم او سيجعل المنصب حبالة للمال والكسب . او ليتذرع به الى نحو هذا من حظوظ النفس . فمثله في علمه ودينه وورعه وعلو همته لا يمسه طائف من شياطين هذه الحظوظ . ولا يدنو من ساحته امثال هذه الظنون وانما الظن بمثله انه خاف ان تسقط الخطة في يد غير كفء لها فيفسد في الارض ويهلك الحرث والنسل وهذ معنى ما نقله الزركشي عن البرزلي فليراجع في تاريخه . ومثله في شرح الحطاب على المختصر قال بعد ان حكى الخبر ما نصه : ينبغي ان يحمل هذا من ابن عبد السلام رحمه الله على انه خاف ان يولى من لا يصلح للولاية فتسبب في ذلك لدفع مضرة ذلك كما ذكره ابن عرفة عن بعض شيوخه في تسببه بولايته لقضاء الانكحة تسببا ظاهرا علمه القريب منه والبعيد قال وكان ممن يشار اليه بالصلاح والاعمال بالنيات وقد اشار الى هذا ابن غازي في تكميل التقييد اهـ كلامه

وظل على قضاء الجماعة الى ان توفي في الثامن والعشرين من رجب سنة ٧٤٩ ودفن بالزلاج قال الوزير السراج : كان المؤرخ ذا مدد وان شئت قلت في تاريخه : نعوا محمد بن عبد السلام

٤٨ ٧٠١   ٤٠٢ ٧٦ ٥٢ ٩٢ ١٢٧

(يتبع)

« تنبيه » كان ممن ذكرنا من القضاة الشيخ ابن الخباز قلنا في ترجمته كلمة مجملة لا تكشف عن درجته العلمية وقد وقفت في هذه الايام على كلمات فيه للشيخ ابن عرفة في كتاب الشهادات من مختصره الفقهي فرأيت أن اثبتها في المجلة لتلحق بترجمته ونصها :

اخبرني بعض من لقيت عن بعض شيوخه ان الشيخ الفقيه ابن الخباز كان ولي القضاء ببلده بالمهدية في اوائل امره فكان يخرج لزيارة بعض صلحاء ساحل المهدية ويتبرك به واذا شهد عنده شهادة لا يحكم بها لتغفله عنده وهذا شان اهل الحق ونحوه قول ابن شعبان في زاهيه : والعابد الذي لا يميز بين الالفاظ وشغلته عبادته عن معاني افعال الناس يجب ان يتوقف عن الحكم بشهادته حتى تختبر كيفيتها قلت « اي ابن عرفة » ولهذا يجب لغو من هو من هذا النمط فيمن يطلب تقديمه للشهادة ويجب اعلامه ذلك وانه لا يحل له طلب ذلك لان فيه تعريضا لنفسه

وابن الخباز هذا قال الشيخ الفقيه المحدث الرحال ابوالعباس عرف بالعشاب : هو ابو عبدالله محمد بن علي ابن ابراهيم التواتي تفقه بالمهدية على ابي زكرياء البرقي رحل الى المشرق سنة اربع وعشرين وستمائة اخذ بمصر عن عز الدين بن عبد السلام وغيره وقرأ الحاصل على مؤلفه تاج الدين الدرقوي ورجع الى المهدية بعلم كثير فدرس وافتى ثم نقله الخليفة للحضرة وقلده قضاء الجماعة بتونس سنة ستين وستمائة كان موصوفا بدين وعقل توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وستمائة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة قلت « اي ابن عرفة » واخبرني بعض من لقيت عمن اخبره عن بعض اهل داره انه سمعه ليلة وهو يقول مشيرا الى نفسه ان علما ها هنا لم اجد من القيه اليه اهـ كلام الشيخ ابن عرفة رحمه الله

محمد البشير النيفر

العيد

العيد الموسم ومادته تشعر بمعنى العود والتكرار وفي كليات ابي البقاء العيد السرور وكل يوم فيه مسرة فهو عيد من ذلك قول الشاعر :

عيد وعيد وعيد صرن مجتمعة   وجه الحبيب ويوم العيد والجمعة

قالوا سمي به تفاؤلا بعوده على من ادركه كما سميت القافلة قافلة تفاؤلا بقفولها ورجوعها وكذلك يطلق في الاسلام على الموسم فان لله فيه عوائد الاحسان العائدة على عباده في كل عام من الفطر بعد المنع وصدقة الفطر واتمام الحج الى غير ذلك وما اشتمل عليه من الفرح والسرور والنشاط والحبور .

والعيد شرع في الاسلام في السنة الاولى من الهجرة ، والسبب في مشروعيته ما اخرجه النسائي وغيره عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال :

كان لاهل الجاهلية يومان في كل سنة يلعبون فيهما فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة . قال كان لكم يومان تلعبون فيهما وقد ابدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى واول ما بدىء به من العيدين عيد الفطر وذلك في السنة الثانية من الهجرة بعد مشروعية صيام رمضان ، وصيام المسلمين له في ذلك العام

واليومان اللذان يلعبون فيهما في الجاهلية اللذان ورد ذكرهما في الحديث السابق ذكر بعض شراح الحديث انهما يوم النيروز ، ويوم المهرجان ، والنيروز والمهرجان ليسا من اعياد العرب بل هما من اعياد الفرس الكثيرة ذكر شهاب الدين النويري في كتابه نهاية الارب ان علي بن حمزة الاصفهاني صنف فيها كتابا مستقلا جمع فيه اعياد الفرس . واقتصر منها النويري على ثلاثة اعياد وهي المشهورة ، النيروز ، والمهرجان ، والسدق . وذكر ان اهمها عندهم النيروز ولهم فيه مزاعم منها انه اليوم الذي خلق الله عز وجل فيه النور فاتخذوه عيدا

وكانت عادة عوام الفرس فيه رفع النار في ليلته ورش الماء في صبيحته وفي ذلك يقول المعوج :

كيف ابتهاجك بالنيروز يا سكني   وكل ما فيه يحكيني واحكيه
فناره كلهيب النار في كبدي   وماؤه كتوالي عبرتي فيه

وموقعه اول شهور سنتهم

واما المهرجان فوقوعه في السادس والعشرين من شهر تشرين الاول وسبب تسميتهم له بهذا الاسم على ما نقله المسعودي ان الفرس يسمون شهورهم باسماء ملوكهم وكان لهم ملك يسمى مهر يحكمهم بالعنف والعسف فمات في نصف الشهر الذي يسمونه مهرماه . فسموا ذلك اليوم مهرجان وتفسيره نفس مهر ذهبت على ان تلك لغة الفرس الاول

واما السدق - فهو من اعيادهم التي يوقدون فيها النيران بسائر الادهان ويلقون فيها الحيوانات . قيل اتخذوه عيدا تذكاريا لما حدث فيه من انتصار دق بن طهماسب على الطاغية فراسياب احد ملوكهم .

وعلى هذه الرواية التي ذكرها بعض شراح الحديث في تفسير اليومين الذين كان العرب في الجاهلية يلعبون فيهما ان صحت تكون العرب قد اخذتهما عن الفرس .

والا فانهما يكونان من اعياد العرب الخاصة ببعض القبائل وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية شيعا مختلفين في دياناتهم وعاداتهم ومواسمهم . فعباد الاصنام من العرب في الجاهلية كانت لهم اعياد

كثيرة منها مكانية تقام في مواضع اصنامهم وأمكنة طواغيتهم ويشدون اليها الرحال أعظمها ثلاثة . عيد اللات . وعيد العزى . وعيد مناة

ومنها زمانية وهي ايام مسراتهم وأفراحهم لظفرهم على عدوهم وذلك يكون بحسب قوم دون قوم ولقبيلة دون قبيلة كعيد السبع فهو عيد من اعياد احدى قبائل العرب في الجاهلية يشتغلون فيه باللهو واللعب . وكذلك يوم السباسب كان عيدا لقبيلة أخرى قال النابغة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

الى غير ذلك من الاعياد

وكذلك لكل امة اعيادها الدينية وغيرها من زمنية ومكانية التي ترجع الى تنويه بشعائر دين او موافقة ايمة مذهب او تخليد لذكرى او شيء مما يتصل بذلك

من اجل هذا خشي النبي صلى الله عليه وسلم لو تركهم وعاداتهم ان يكون هناك تنويه بشعائر الجاهلية او ترويج لسنة أسلافهم فابدلهما بيومين فيهما تنويه بشعائر الملة الحنيفية السمحة ففي الاول انتهاء من طاعة الصيام واعظم بها من طاعة وفي الثاني انتهاء من الحج الاكبر واعظم به من عبادة . والتنويه بشعائر الملة اصل من اصولها وغرض له اهميته وفوائده

ولم يقتصر التشريع الاسلامي على الاحتفال بالعيد بالتجمل واللعب والتبسط في الطعام وغير ذلك من الامور المادية بل اهتم بتصفية الباطن كما اهتم بجمال الظاهر

فشرع الاسلام فيه الصلاة وذكر الله وانواعا من الطاعات حتى يكون المسلمون في اجتماعاتهم مثالا يحتذى ولئلا تخلو مجالسهم من اعلاء كلمة الله العلي الاعظم

فعيد الفطر هو يوم فطر المسلمين بعد صيامهم وانتهاء الاجل المحدود لشهر رمضان والفراغ من طاعة الرحمن فلا جرم اذا كان يوم فرح وابتهاج وابتهال الى الله تعالى الذي يسر لهم اداء ما اوجبه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : للصائم فرحتان يفرحهما اذا افطر فرح بفطره، واذا لقي ربه فرح بصومه كما جاء في الصحيح . والفرح بالفطر يعم سائر احواله فاجتمع الفرح الطبيعي والعقلي بالابتهاج بما انعم الله على المسلمين من التوفيق

وجاء التشريع الاسلامي بمقاصد سامية وراعى فيها حق الخالق وما يجب له من العبادة والشكر على ما انعم وحق المخلوق بما تنبسط له نفسه وينشرح له صدره وتنعم به جوارحه فشرع للمسلمين في يوم العيد الصلاة والخطبة يقوم بها الامام فيذكر المسلمين ويعظهم فاول ما يبدأ به اهل الاسلام من العيد الفطر اظهارا للنعمة وتلك سنة الرسول ثم عبادة الله بالصلاة .

وقد كان المسلمون في الصدر الاول وما بعده يخرجون خارج المدينة لصلاة العيد وذلك مقصد آخر من مقاصد الشريعة وهو انه لا بد لاهل الملة من عرصة يجتمع فيها اهلها لتظهر شوكتهم وتعلم كثرتهم فكان يخرج صلى الله عليه وسلم خارج المدينة المنورة للصلاة ويصحبه الرجل والصبيان والنساء ذوات الخدور يشهدون دعوة المسلمين ولذلك كان من سنته عليه الصلاة والسلام ان يخالف في الطريق ذهابا وايابا للمصلى في يوم العيد. اما اليوم وقد تقاعست الهمم عن فعل الطاعات فصار الامام يستحي ان يخرج بعدد قليل من المسلمين والجمهور يستنكف عن الحضور وشهود دعوة المسلمين واقامة شعائر الملة فلا حول ولا قوة الا بالله وكم اشتد بي الحزن في جمعة هذا العيد عند ما دخلت الى الجامع فوجدت فيه قليلا من العباد بعد ان كان قد غص بالمصلين في الجمعة التي قبل هذه فلا يسعنا الا ترديد : انا لله وانا اليه راجعون . اما صلاة العيد فحضرها القليل من المصلين .

اجل لهذا الحد بلغ المسلمون في التفريط وعدم الاكتراث والاهتمام بشعائر الملة ولو كان فيه ما يؤدي الى احتقارهم وعدم اكبارهم ثم تراهم يتأسفون على ما ضاع لهم ويرددون على السنتهم ما يخالف ما تاتي به جوارحهم ويتمنون على الله الاماني ويتغافلون عن الاسباب التي وصلوا بها الى الحضيض أما علم الناس ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . وما ربك بظلام للعبيد .

وفي الشريعة ما يدل على فضيلة التوسعة على العيال في ايام الاعياد بانواع ما يحصل لهم به بسط النفس وترويح البدن وكل ما فيه ظاهرة سرور مما هو مشروع فإن اظهار السرور في الاعياد من شعائر الملة على ما قاله ابن حجر فيما كتبه على الحديث الصحيح وهو ما روي عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها وعن ابيها انها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه وجاء ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا قالت رضي الله عنها وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال : اتشتهين تنظرين قلت نعم فاقامني وراءه خدي على خده وهو يقول : دونكم يا بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي .

وجاء التشريع الاسلامي بوجوب صدقة الفطر حكمة من الله تعالى ليشارك الفقير الغني في مظاهر الفرح والسرور . وأكد صلى الله عليه وسلم على المسلمين اداءها ورغب فيها امته اشد ترغيب من ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمسكين فمن اداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن اداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات رواه ابو داود وابن ماجة والحاكم وصححه.

ولا يخفى ما في هذا التشريع السامي من الرعاية للضعفاء والمساكين فلم يترك الفقراء يتكففون الناس ويلحون في الطلب من فواضل الاغنياء بل جعل لهم حقا مفروضا ومقدرا يدفعه الغني الصائم لاخيه الفقير حتى يستغني عن السؤال يوم العيد . ولا تظهر عليه مظاهر الذل والاحتياج . والمسلم اعز من ان يذل ويمتهن لكن ويا للاسف ضاعت الحكمة وخفي امرها

فالغني الصائم ربما يدفعها لغير اهل الحاجة فتقع في يد من لا مروءة له من الذين يظهرون الفقر وهم أغنياء والفقير ربما اخذها ولا يتعفف عن السؤال ويستبيح في سبيل ما يحصل عليه من المال عرضه ان كان له عرض فيا للعجب كيف عاملنا انفسنا معشر المسلمين بالنقيض فالشرع يطلب ان لا يظهر احد يوم العيد محتاجا . وفي الواقع نجد يوم العيد هو اليوم الذي يكثر فيه المتسولون ممن اتخذوا السؤال صناعة يظهرون على افضع حالة واسوء صورة وقد حاول اخواننا اهل صفاقس ابطال التسول في الطرقات فاسسوا الملجأ الخيري العظيم وفتحوا ابوابه للمحتاج وابن السبيل فكان سعيهم مشكورا واجرهم موفورا .

وقد نجحوا فيه عظيم النجاح . وان لم يقطع السؤال بالكلية . فلو سلك اهل كل مصر هذا المسلك المحمود لكفانا عاقبة ذلك المظهر الحقير الذي نرى عليه المتسولين المبعثرين في الازقة والطرقات المتوسدين الاعتاب في سكك المدن والحارات

وقد حاولت جمعيتنا الخيرية الموفقة ذلك وفتحت المطاعم للفقراء والمساكين ولكن ضيق ميزانها لم يمكنها من أداء مهمتها على الوجه الاتم . من فرط تغافل الشعب عن مدها باعاناته سيما في هذه السنين الاخيرة فلو نظم المسلمون امر تبرعاتهم وصدقاتهم ومدوا بها جمعيتهم المباركة لانتظم امر الجمعية وكفننا شر ما عليه اخواننا الفقراء . وامكن التخفيف من وطاة المتسولين لا سيما في ايام المواسم والاعياد ولا يليق بنا ان نستمر على تلك الحالة التي عليها المتسولون اليوم ولنا في همة رئيس الخيرية الهمام السيد البشير معاوية ما يكفل لنا النجاح كما لنا في شعبنا الكريم املا في ان يمد جمعيته بالمال حتى تقوم الخيرية بانشاء ملجا يقوم بحاجة الفقراء والمعوزين اجمعين وعند ذلك يمنع التسول في الطرقات ومن عثر عليه يتسول سير به الى الملجا الخيري ليكفيه ما هو محتاج اليه وفي ذلك من حسن النظام ما لا يخفى على لبيب ، وتسلم مواسمنا واعيادنا من الظاهرات المحزنة والصور المخجلة وليس ذلك على همة اهل الفضل بعزيز .

محمد الشاذلي ابن القاضي

تابين شيخ الجماعة

الرجل الذي قضى في خدمة العلم وبثه في صدور الرجال اكثر من ثمانين عاما

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي
محمد المختار بن محمود المفتي الحنفي

على الساعة السابعة من مساء يوم الجمعة ثاني رمضان المنصرم (الموافق لليوم الرابع من اكتوبر سنة ١٩٤٠) فجعت نوادي العلم ومحافل الدين والتقى والفضيلة . وتصدعت اركان الجامع الاعظم المعمور بخبر وفاة حضرة مولانا شيخ الشيوخ . وعمدة المحققين ذوي الرسوخ . العلامة الفهامة التقي النقي الورع الشيخ سيدي احمد بن مراد المفتي الحنفي الشرفي بعد حياة طويلة مباركة تناهز مائة عام قضى ثمانين منها في خدمة العلم تعلما وتعليما وافتاء بين الناس

فختمت بموته اعلى طبقة من طبقات العلماء بجامع الزيتونة الاعظم ادام الله عمرانه . كانت تتمثل فيه فضيلة العلم . وعزة التقى . وصولة الدين باتم معانيها . وكان الشيخ رحمه الله يمثل تلك الطبقة العالية الرفيعة بعزة نفسه . وكمال خلقه . ففقدنا بفقده رجلا كنا نعده محط البركات . ومنبع الخيرات . ومستجاب الدعوات .

ان الحديث عن هذا الفقيد الجليل وعما اختص به من الفضائل والكمالات وعما كان عليه من العلم والتقى والاستقامة لجدير بان يخص بالاسفار ليكون للاجيال القادمة محل الاتعاظ والاعتبار فان التنويه بشان الرجال والاهتمام بتدوين ما لهم من شريف الخصال هو الاساس الذي يقام عليه مستقبل الشعوب والتسلية التي تقدم عند اشتداد الخطوب .

كان الفقيد رحمه الله علامة فهامة . لا يقف في وجهه اشكال ولا يستعصي امامه اي كتاب وكانت له براعة في العلوم العقلية حتى انه كان يشار اليه بالبنان في تدريس علمي المنطق والاصول وهما من اشد العلوم استعصاء على ذوي الافهام ومن شدة حرصه واعتنائه بالعلوم العقلية انه كان يحرض تلامذته على تعاطيها والتوغل فيها وينوه بشان الفرس ويقول : ان الفرس لم يكونوا في مقدمة الامم حضارة ومدنية وعلما الا لانهم كانوا يبدؤون في تعليم ابنائهم بعلمي الحساب والمنطق

وقد اخذ الشيخ العلوم العقلية عن اعيان العلماء المبرزين فيها كالشيخ مصطفى بن خليل والشيخ عمر ابن الشيخ رحمة الله عليهما .

قال رحمه الله : قرات كتاب المواقف على الشيخ عمر بن الشيخ خمسة عشر عاما لم اتخلف فيها ولا يوما حتى انه لما ماتت جدتي وكان وقت دفنها هو وقت الدرس حضرت بجنازتها ثم اسرعت الى درس الشيخ فادركته في اواخره . فحمدت الله على ان لم يفتني ذلك الدرس

وفي هذه الحكاية ما يكفي للدلالة على انقطاع الشيخ لخدمة العلم ومواظبته عليه . وهكذا كان شانه في مباشرة التدريس فانه كان لا يتخلف عن دروسه مهما كانت الضرورات والحوادث .

حكى لي بنفسه . قال : مات لي ولد فدفنته في الصباح ومن الجنازة رجعت الى الجامع واقرات درسي .

وعلى ذكر مشائخه نذكر ان من جملتهم حضرة مولانا العالم الفاضل البركة صفوة الاخيار وخلاصة المتقين الابرار المنعم الشيخ سيدي احمد الشريف الباش مفتي المالكي المتوفي عام ١٣٣٧ رحمه الله ونفعنا ببركاته .

وكان رحمه الله يسلك في دروسه مسلك التحقيق لروح العلم من غير اعتناء بالتفيهق والتشدق والتحذلق التي قد يغطي بها بعض الناس ضعفهم في تحقيق المسائل وضبطها فكان يعدل عن ذلك كله ويذهب الى تحقيق المسائل على طبيعتها من غير تكلف

وكانت دروسه دروس فتح وبركة وتحصيل فما من احد قرا عليه الا وحصل له الخير الكثير

وكان في اعماله حازما ضابطا موفقا فلما اسندت اليه خطة النيابة عن الدولة لدى النظارة العلمية في عام ١٣٣١ وكان عمره اذ ذاك يناهز السبعين قام بالخطة احسن قيام فكان يحضر بالجامع صباحا ومساء وكان ينصت الى الدروس واذا رأى من احد المشائخ ما يستدعي الملاحظة ناداه الى المحراب وبين له ما ظهر له من النقص في درسه مع لين في الخطاب ومراعاة للاداب

ثم لما اسندت اليه خطة الافتاء في عام ١٣٤٤ وكان عمره اذ ذاك يزيد على الثمانين اظهر من الحزم والنشاط والاعتناء بالنوازل والتدقيق فيها ما ترك مشائخ المجلس الشرعي معجبين بعلمه و نشاطه وثبات رايه

وكذلك كانت تصدر فتاويه محررة مدققة مملوءة فقها وفهما وبقي على هذه الحالة ولم يتغير عنها الى ان تعلقت الارادة باحالته على الراحة في عام ١٣٥٧ وقد اذن جلالة ملكنا المعظم ابقاه الله بان يبقى له مرتبه كاملا جريا منه ابقاه الله على عادة اسلافه الامراء الحسينيين الذين جعلوا تعظيم الجانب العلمي والمنتسبين اليه شعارهم واتخذوه وسيلة يتقربون بها الى الله

اما التقى والعفة وهما حلية العالم وزينته ووسيلته الى الله ومطيته - سترنا الله بجلبابهما - فقد احرز الشيخ منهما على اقصى ما يؤمله المؤمن ويرجوه فقد كان تقيا عفيفا طاهر القلب كريم النفس عالي الهمة لم يتدنس عرضه باذى ولم تصب عين كماله بقذى ولم يقف موقفا يزن فيه بريبة ولم يعثر له على ما يخدش في كماله وفضله او يحط من قدر شرفه ونبله فعاش معظما مبجلا ممدوحا من جميع الناس محببا الى جميع النفوس متحاشيا عن الاعراض والاغراض مترفعا عن سفاسف ذوي النفوس المراض

قال لي والدي رحمه الله : تخالطت مع الشيخ ابن مراد من زمن الصغر وبقينا كذلك الى اليوم وها نحن قد بلغنا من الكبر عتيا ولا اعرف للشيخ زلة تشينه ولا معصية صدرت منه فهو عفيف تقي من زمن الصغر الى ان بلغ الآن الى ارذل العمر وقد جازاه الله عن ذلك في الدنيا كما سيجازيه بحوله وقوته في الآخرة ففي الدنيا قد من الله عليه بالصحة والعافية والاستقامة فكان موفور القوى سليم البنية معافى من الامراض والعاهات والافات وقد بلغ الى هذه السن وهو يطالع بدون نظارات ويمشي من غير اعتماد ويقوم باموره الخاصة بنفسه كما من عليه بذرية طيبة فاضلة واذا افتخر الاسد بشبله فقد ترك لنا الشيخ رحمه الله اشبالا وذرية مباركة صالحة واما في الاخرة فالرجاء في الله سبحانه وتعالى ان يتقبله بعفوه ولطفه وكرمه وان ينزله منزل الصدق الذي اعده لعباده الاخيار وان يجعل مقره جوار المصطفين المقربين من الاولياء والصالحين الابرار

محمد المختار بن محمود

رثـاء شيـخ الجماعـة

فضيلة المنعم الشيخ سيدي احمد بن مراد

ننشر فيما يلي القصيدة التي جادت بها قريحة الشاعر الاديب الشيخ الطاهر القصار في رثاء فقيد التقوى والصلاح العلامة النحرير والدراكة الشهير شيخ الجماعة وبقية السلف الصالح فضيلة الشيخ سيدي احمد بن مراد المفتي الحنفي الشرفي برد الله ثراه وجعل الجنة ماواه وهذا نصها :

أواه قد حملوا على الاعواد ... علم الفضيلة (احمد ابن مراد)
علم تفيات النهى بظلاله ... وشفت مناهاه غايل الصادي
علم حبا الخضراء قرنا كاملا ... جم المكارم وافر الاسعاد
شعت بـلالاء العلوم سنيه ... فـزهت كواكبها بكل بلاد
قرن به قرن الهدى ويافقه ... طلعت شموس الوعظ والارشاد
وتوقدت فيه النهى وثابة ... فغدت مزودة باعظم زاد
تعاقدت همم الرجال بعهده ... سعيا لاشرف غاية ومراد

❀ ❀ ❀

حدث عن (ابن مراد) في التدريس بكـ ... ـرع منهل العرفان للرواد
حدث عن (ابن مراد) في الفتوى يفيـ ... ـض سناؤها بمسالك القصاد
حدث عن (ابن مراد) يخطب والهدي ... من حوله طلق المحيا بادي
حدث بموقفه الذي لهجت به ... في المسلمين مجامع ونوادي
حدث بما اسداه للطلاب من ... منن نبت عن همة التعداد
في كل وجه غرة من نوره ... وبكل صدر من جداه ايادي

❀ ❀ ❀

ريح الحمام رمى بصائب سهمه ... شيخ الشيوخ مدينة العباد
الحجة العلم الهمام المرتضى ... ثقة الرواد الكمل الافراد
الدائبين على العبادة والتقى ... وتلاوة القرءان والاوراد
العاقدين على العفاف مئازرا ... القامعين مطامع الالحاد

❀ ❀ ❀

حم القضا والصبر اشرف موئل ... للعلم والابناء والاحفاد
فالى فراديس الجنان مخلدا ... والذكر بعدك ملء كل فؤاد

حكاية حول

ولاية العلامة الشيخ محمد البشير النيفر

خطة الافتاء المالكي بالديار التونسية

بعد ظهر يوم الثلاثاء العشرين من شهر رمضان المنصرم شرف الجناب العالي سيدنا ومولانا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية عاصمة ملكه في موكبه الفخيم وبعد جلوسه على عرش الملك بسراية المملكة وإنتظام موكبه الجليل حضر هذا المجلس الرهيب حضرة العلامة الجليل الاستاذ الشيخ سيدي محمد البشير النيفر الذي كان قد استدعي للحضور في هذا اليوم وعند مثوله بين يدي الملك قدم جنابه فروض التحية والاجلال للجناب العالي ابقاه الله ثم تقدم صاحب المعالي امير الامراء سيدي عبد الجليل الزاوش وزير العدلية وسار بالشيخ الى غرفة خاصة حيث خلع عليه شعار الخطة الشرعية ثم دخل به على الامير فاستقبله الجناب العالي من قيام وبعد تقديم فروض الطاعة للامير واستواء الامير على عرش المملكة اعلم صاحب الدولة المولى الوزير الاكبر امير الامراء سيدي الهادي الاخوة ان سيدنا ومولانا قلد الشيخ محمد البشير النيفر خطة الفتوى على المذهب المالكي يتولاها على بركة الله وتوفيقه متحليا بفضائلها ناهجا فيها منهج العلماء الاتقياء الازكياء امثاله . وعلى اثر الولاية السنية والعناية الملكية القى فضيلة الشيخ خطابا بليغا ختمه بالدعاء للجناب العالي دام عزه وعلاه وختم بتلاوة فاتحة الكتاب .

وعلى اثر انتهاء موكب التولية اصطحب جناب شيخ المدينة فضيلة الشيخ المفتي الى الديوان المعمور حيث كان شيوخ المجلسين في انتظاره (فقد وقع استدعاؤهم للحضور بالديوان في تلك الساعة) فتقدم شيخ المدينة وقدم الشيخ المفتي لشيوخ المجلسين معلنا بولاية الشيخ مفتيا مالكيا فوقع تنصيب فضيلته وجلس في منصبه الرفيع تعلوه المهابة ويحف به الوقار فقدم لفضيلته شيوخ الشرع العزيز تهانيهم وتمنياتهم مبتهجين بهذه الولاية المباركة داعين لفضيلة الشيخ ثم انفض الموكب .

نبذة من ترجمة الشيخ المفتي الجديد

هو الشيخ محمد البشير ابن العالم المدرس المرحوم الشيخ احمد ابن العلامه المبرور الشيخ محمد ابن السيد احمد النيفر احد افذاذ علماء آل نيفر الاعلام ودرة عقدهم البسام بيته بيت علم وشرف

ورثوا العلم كابرا عن كابر خدموا العلم وتبرزوا فيه وتخرج عليهم شيوخ جهابذة ونالوا المراتب العلمية بالحكومة التونسية وزانوا المناصب الشرعية في الدولة الحسينية بغزارة علومهم ورجاحة مداركهم وثاقب رأيهم وتبرزوا في القضاء الذي دامت خطته بيتهم ردحا من الزمن يتولاها علم فيخلفه فيها علم واول من تقلدها منهم العلامة النحرير خاتمة المحققين التقي النقي الامين الشيخ محمد النيفر الكبير المتوفى سنة ١٢٧٧ وهو عم والد الشيخ المترجم له فتولى منهم خطة القضاء ستة اعلام وهم الشيخ محمد واخوه الشيخ صالح واخوه الشيخ محمد وابن اخيه الشيخ الطاهر واخوه الشيخ الطيب وابن ابن عمه الشيخ الصادق وتولى خطة باش مفتي اثنان وهما الشيخ صالح والشيخ الطيب وتولى منهم خطة الفتوى اربعة الشيخ محمد واخوه الشيخ صالح واخوه الشيخ محمد وابن اخيه الشيخ الطيب فكان الشيخ المترجم له خامسهم في هذه الخطة رحم الله السلف وبارك في الخلف فلا زالت بيتهم عامرة تنجب الاعلام ونجم معارفهم ساطع على الانام على مرور السنين والايام .

ولد ابقاه الله ليلة الاثنين سلخ جمادى الاولى عام ١٣٠٦ ونشأ نشأة مباركة تكلاه رعاية ابيه وجده الشيخ محمد فقد كان برد الله ضريحه كثير الاهتمام بشان حفيده لا يفارقه في خلواته حريصا عليه من الدهر وآفاته يلقنه آداب الاسلام ويغمره بنصائحه ودعواته يتوسم فيه التوفيق والنجابة وكل صفات النبل والكرامة ولما بلغ في سنه الخامسة احضر له من يعلمه القرءان كما هي سنة اهل الكرامة في ذلك الزمان ويتولى هو بنفسه مدارسته ما يحفظه من السور في كل ليلة حتى كانت ليلة وفاته فحضر حفيده كعادته واخذا يرتلان القرءان الى ان عجز عن التلاوة وهو على فراش الموت ففارقه حفيده البار في اسف عميق ثم فاضت روح الجد ورجعت الى ربها راضية مرضية وذلك عام ١٣١٢ فشب ابقاه الله وزاد في علاه محروسا بعين الرحمة الربانية موفقا في كل سيرته تقيا رضيا . وتم له حفظ القرآن عن ظهر قلب عام ١٣١٦

تعلمه بجامع الزيتونة

دخل ابقاه الله الجامع الزيتونة مستهل عام ١٣١٨ وانتظم في سلك تلامذة المرتبة الابتدائية ولم يزل يتنقل في مراتب التعليم به الى ان احرز على شهادته (التطويع) عام ١٣٢٣ ثم انتصب للتدريس بصفته متطوعا عام ١٣٢٤

شيوخه الذين تخرج عليهم

قرأ الشيخ حفظه الله على علماء عصره منهم المفاتي الشيخ محمد النجار والشيخ مصطفى بن الخوجه والشيخ محمد جعيط والشيخ محمد رضوان والقاضي الحنفي الشيخ محمد ابن القاضي والمدرسون الشيخ

صالح الشريف والشيخ محمد الصادق ابن القاضي والشيخ محمد النيفر والشيخ محمد النخلي والباش مفتي الشيخ محمد الطيب النيفر رحمهم الله

فكان الشيخ في طوري التحصيل والافادة محل اكبار وتقدير لما اعطاه الله من ثاقب نظر وجودة قريحه وفصاحة لسان وعذوبة منطق . ذا همة علمية عالية يغوص على المعاني حتى يخرجها من اصدافها جواهر تتلالا لا ينثني امام عويصات المسائل. له ولوع بالمطالعة مكب عليها في كثير من اوقاته وله شديد عناية بعلم التاريخ وتراجم الرجال حتى صار من رجاله المبرزين واليه المرجع في هذا الفن النفيس لا سيما ما يتعلق بدقائق تواريخ القطر ورجاله الافذاذ وله فيه التصانيف الكثيرة المفيدة

افادته

اشتهر الشيخ بين اهل طبقته بالعلم الغزير والقلم السيال فافاد بما علمه الله بطريق التدريس والارشاد والتحرير والمحاضرة

اما شهرته في التدريس فحدث عن البحر ولا حرج بل هو احد اعلام اساتذة الجامع الاعظم جامع الزيتونة عمره الله تولى التدريس فيه من الطبقة الثانية عام ١٣٣٠ وارتقى منها الى الرتبة الاولى عام ١٣٣٢ وارتقى الى رتبة الاستاذية عام ١٣٥٣ فتخرج عليه عدد كثير وله المقام الاسمى في نفوس تلاميذه يحفظون له في نفوسهم جليل الاعتبار بما بذله في سبيل وصول النفع اليهم وما احاطهم به من عناية واخلاص وتولى خطة التدريس بمدرسة ترشيح المعلمين وذلك عام ١٣٣٩ والمدرسة الصادقية وذلك عام ١٣٤٧

واما ارشاده العموم فيما يلقيه على الناس من على منبر جامع ابي محمد الحفصي كل جمعة من المواعظ المؤثرة والخطب البليغة التي تفتح الاسماع بلا اذن وتتغلغل في القلوب وتنزل الدموع فهو خطيب جامع ابي محمد وامامه تولى الامامة به عام ١٣٤٠ وله فيه اختتام الحديث الشريف التي يلقيها في رمضان من كل عام وقد تحلى جيد المجلد الاول من هذه المجلة باحد دروس تلك الاختتام

واما تحريراته العلمية والادبية فلفضيلته قلم سيال كتب في اغراض شتى والف الكتب القيمة والرسائل النفيسة ما أطلعنا على شيء منها الا كان آية ناطقة بجودة القريحة وحسن البيان وغزارة المعلومات فالشيخ من رجال العلم والادب وكتاب العصر المشار اليهم بالبنان جمع بين بليغ النثر وجيد الشعر وقد قل منه قول الشعر في هذه السنين الاخيرة لاشتغاله عنه بما هو اهم فترك المجال لسواه وان كان ينقد ما يقع في يده من شعر شعراء العصر فيثني على جيده ويقرضه بما يستحقه شان الادباء الذين وان اشغلتهم مهماتهم عن الادب فلا ينصرفون عنه بالكلية بل يحنون اليه حنين الفطيم لثدي امه .

واما مشاركته في التحرير بالمجلات العلمية فقد شملت القريب والبعيد واستفاد منها البسيط والنحرير فكتب في المجلات المحليه كالسعادة العظمى والجامعة الزيتونية والمجلة الزيتونية والجامعة وغيرها من المجلات التونسية واستدعاه اصحاب المجلات في الخارج ان يحرر في مجالاتهم فنشرت تحاريره العلمية الرائقه مجلة المنار المصرية ومجلة الهداية المصرية ومجلة الهداية البغدادية وقراء مجلتنا يعلمون ما لفضيلته من المقام السامي في هذا المضمار بما يقدمه لهم من البحوث العلمية والتاريخية

واما محاضراته فله القدم الراسخ والقول الفصل الذي ياخذ بمجامع القلوب فقد ظهر في ميادين المحاضرات وبقاعات الجمعيات منذ عهد وتجلى فيها باكمل صورة وتناول اغراضا سامية اظهر فيها من

المقدرة وطول الباع ما حفظه له الناس في سويداء القلوب حتى صار بين الطبقات العلمية وغيرها محط رحال لا يتقدم عليه سواه في هذا المقام وما من موضوع طرقه الا اجاد فيه وكان قوله الفصل . يحضر معه محاضرته مكتوبة واذا اخذ في الالقاء تناثرت منه الجواهر وكثيرا ما يلقي من حفظه وبدون ان ينظر الى مكتوبه الذي امامه وقد يلقي ببعض النظرات ثم يعود الى حالته الاولى حتى اذا انتهى من محاضرته لهج الناس بالثناء عليه من شدة وقع ما سمعوا وتاثروا منه لا تصنعا بل هي الحقيقة التي ربما حركت من هو كالجماد

الوظائف التي اسندت لسماحته

الامامة والخطابة بجامع ابي محمد . التدريس بجامع الزيتونة ثم الاستاذية . التدريس بالترشيح ثم الصادقية . عضو نائب بالمجلس المختلط العقاري وكانت ولايته عام ١٣٤٥ ثم حاكم به وذلك عام ١٣٤٨ عضو بمجلس تنظيم الكتب بالمكتبة الصادقية . عضو بلجنة طبع الكتب العربية التابعة لادارة المعارف العامة

عفته وتقواه

علمنا من احوال شيخنا في السر والعلانية انه رجل التقوى والمروءة عفيف النفس كريم الخصال طيب السريرة يخاف الله ويخشاه يذكره كثيرا ويسبحه بكرة واصيلا يتهجد من ليله بارا بوالديه الى ابعد حد البرور يعظم شيوخه على الطريقة السلفية له مبرة خاصة باسلافه الاعلام يحفظ مناقبهم ويتحلى بشمائلهم يحن على الضعيف ويغيث المحتاج له صدقات كثيرة ومبرات سخي كريم ذو منزلة سامية في محبة اهل الله والبرور بهم .

اتصالي بالشيخ

لقد كان اتصالي بالشيخ من حالة الصبا حيث تجمعني بنسبه الرفيع رحم ولما انخرطت في سلك تلامذة الجامع الاعظم عام ١٣٣٣ وتشرفت بالانتساب اليه وجدت شهرة الشيخ قد ملأت راحبه ونطق بها المنصف والمكابر وعاينت ما كنت اسمعه من والدي برد الله ثراه من التقدير وحسن الثناء عليه والشهادة له بالنحريرية اذكر اني سالته رحمه الله عن عدة من الشيوخ فلما تكلم عن شيخنا هذا ابقاه الله قال لي انه فهامة يغوص في الفهم حتى يدرك الحقيقة ولا يكتفي بالظواهر كما هو شان الذين ياخذون مسائل العلوم على ظاهرها فتكون معلوماتهم (سطحية) وحثني على الارتشاف من حياضه والاخذ من علومه والاقتداء به فطلبت منه اعزه الله ان يشملني بعطفه ويفيض علينا من معارفه فاجاب السؤال فاقرانا كتاب التصريف بعد العصر فذاك اول اتصالي بالشيخ من حيث التعلم ثم حضرت عليه دروس المغني ودروس الموافقات فاستفدت منه علما كثيرا وانتفعت عليه انتفاعا عظيما جازاه الله عنا احسن الجزاء ووفقنا البرور به كما يجب ان يبر بشيخ نصوح هذب النفس وعلم .

والمجلة تهني فضيلة الشيخ بهذا المنصب الرفيع .

محمد الشاذلي ابن القاضي

وله يمتدحه عند ما ارتحل لزيارة الولي المزار
القطب سيدي ابي سعيد الباجي وبات بجواره ليلتين

وردت بطالع اليمن السعيد ... على حرم الولي ابي سعيد
كما ورد الكريم ابوك قبلا ... عليه وانت في طور الوليد
وأم بك المشاهد حين لاحت ... عليك له امارات السعيد
وما تخطي الفراسة حين جاءت ... من المهدي في شيم الرشيد
وعاد كما تعود وقد تناهت ... مطالبه بعائدة الودود
الا لله صبري حين سارت ... بك البيضاء من تحت البنود
تنازعك الزمام وهي تومي ... الى جبل المنارة من بعيد
فتقصرها ولو تركت لحطت ... سنابكها على ذاك الوصيد
وجانبت البحيرة حين مرت ... وفي صهواتها بحر المديد
وقابلها الظريف على بياع ... فلم تثبت على وجه الصعيد
وادركها المسا ولها تراءت ... قباب العبدليات في نهود
تسابق للتقرب منك اخرى ... فتقذفها بذا الطلع النضيد
كغانية راتك فلعفتها ... وليدتها بمخضر البرود
فبت بها وعين الحفظ ترعى ... مقامك والحوادث في همود
وصبحت الضريح بمولدي ... سعى لله في صفة العبيد
وخففت الزيارة وهو راي ... يصوبه ذوو الراي السديد
وحزت بليلتين عزيز كنز ... توزعه الى الابد الابيد
وابت ولم تغب ما غبت عني ... ولكن فاتني سر الشهود
وكم قلبت اثرك طرف راج ... بروق الوصل من رعد الصدود
فلم اسعف ولو اومضت شيئا ... سبقت اليك ركبان البريد
ومن تعب الحياة لمبتغيها ... مباعدة المراد من المريد
وما في صحبتي لو شيت باس ... وهل رحب كذرعك للوفود
وان مؤملا يلقاك يوما ... ويسلو بعد ذاك لفي جمود
وما يسليه عنك وليس يلفى ... على الحالات مثلك في الوجود
سلامة خاطر وسماح وجه ... وقلة كلفة وكمال جود
وما في ذا العتاب لدي قصد ... ولكن جره سوق النشيد
ولكن فالمقام اجل من ان ... اضيق به الى اذن جديد
على اني دفعت به دعاوي ... تصورها خيالات الحسود
فان ظهور شمسك وانحجابي ... بها عندي من الامر الزهيد
فما اجراه ان ما ظن هذا ... وقلبك في القضية من شهود
وعند نزولك المرسى ذكرنا ... نزولك قبلها جبل الجلود
فقلنا عند فتح الله فتح ... وقلنا السعد عند ابي سعيد
فطار من العيافة طير فال ... يصحح ان عزمك في مزيد
وقد صدق الحديث فقد اناخت ... ببابك عاجلا زمر الوفود
تؤمل من رضاك جميل عود ... وتطلب منك تجديد العهود

واهــدت عنــد مقدمهــا نفيسا وانفســه اسيــلات الخــدود
فهــي الخيــر قــد قدمت بصلح وهــو الخير في الذكــر المجيد
وما في جمع شمل الدين وصم ولا عن قصد ربعــك من محيــد
لانــك في الملــوك عــريق بيت وفي اخلاقهــم بيــت القصيــد
فــلا زالت حياتــك في امتــداد ولا زالت سعــودك في صعــود

وله في تهنئته بختان بنيه وختان اولاد اخيه المرحوم محمد باي المذكور

هــذا الختــان وقد دعوه طهورا خلع الزمان بــه عليــك سرورا
فرح يخصك بالكــرامة اولا وبهــا يعم الخيرين اخيــرا ،
وعلى المنازل من بهــاه بشاشة كالنازلــين فهــل وجدت شعورا
اخفيتــه تبعــا لقولــة صادق اخفوا الختان ومــا اتخذت مشيرا
فزكــت محاسنــه على اخفائــه كالمسك زاد مــع الخفــاء ظهورا
ولمثله من كــل ما تعنى بــه خطر كما قــد كنت انت خطيرا
عجبــا لــه من معرك خضعت بــه نفس الشجيع وقد راتــه يسيرا
ذكرت بــه الارحام يــوم ولادها فغدت تجاذب حــدة وفتــورا
وزمانــه ان طال كان دقيقــة ويكــاد يبلغ في الخيــال شهورا
ما للمزين فيــه كيــف تناولت كفاه من فلك البهــاء بــدورا
اخذت بجزء لــو يقــاس بمثله ملك القياصر كان بعــد قصيرا
ويعــد هيكله لكل عيونهــم اهــل المشارق والمغارب نــورا
افلا اتقى من دون ذاك تواقيا تذكــي عليه من الجهات سعيرا
لولا الخليل لعاقــه عن اخــذه حرب يشيب لــه الوليــد صغيرا
لكن سليمــان المعــوذ باسمه سبق النــداء الى النــزال سريرا
فتخلل الاوجال ثــم ازاحهــا والان مــا قــد كان منه عسيرا
وكفاه في ذاك المجال محمــد فاماط عن وجــه الخلاص ستورا
ودعــى بمحمود فاسرع جابــة وتــلاه اسماعيــل بعــد نصيرا
فتظاهروا بنــي شقيق ابيهــم حتى يكــونوا في المثــال ظهيرا
وقضوا على وفق المــراد مئــاربا كانت تتوق لها النفوس دهورا
وقضيت مــا لله عنــدك حقــه ان لــم تكنه فمن يكون شكورا
فوصلت رحمــك رحمــة واقمتها اعلا مقام في الجنــان كبيرا
واضفــت في ذات الالاه لهــذه امما اضفت لها النــوال نميــرا
فبذلت في تحسين بــزة جمعهم مــا لا يعــز على الملوك غزيــرا
وبلغت في ابــلاغ خيرك للــورى حتى ملات من السرور قبورا
فــلانت أشجع من راته كريمة واذا حلفت فــلا اقــول فجورا
من ذا يجادل نفسه فيردهــا نحــو المليح عن القبيح غيــورا
قد كان ذلك في الحجارة رطبة والآن يوجــد في الكتاب سطورا
حتــى بعثــت مجــددا لمئــاثر لبستة على طول الزمــان دثورا
احييتهــا وفعلت مــا تثنــي بــه اجلا ويكــثر في المعاد اجــورا

تلك الشجاعة لاجرآءة فاتك يدعو لها عند القصاص ثبورا
فاربح اذا يا ابن الحسين وكلنا يلقى لربحك روضة وغديرا
فهو المنى اخذ الودود بحظه منه وبات به الحسود ضريرا
بعثت يد الاقبال لما ان بدا وجه الفتوح به اليك بشيرا
كم بعد يومك ذا المبارك من جنا تجنيه من هذا الغراس نضيرا
فالآن حين توصلوا لمنازل قطعوا لها منذ الولاد وعورا
وتطاولت خطط الامارة نحوهم ولهم اعدت رتبة وسريرا
فالخيل مصيغة لهم اذانها تبغي لهم جهة النجاح عبورا
فرحت لهذا النوب في اشطانها فرحا وشدت للظهور ظهورا
ومعاقد التيجان قد عقدت لهم وبهم تفاخر غيبة وحضورا
ومن الطبول تحفز لبروزهم اذ يفزع الواعي لذاك نفيرا
ومن البنود تطلع لمسيرهم حتى تسير مع الثمام نسورا
فاليوم قد صدرت بشائر سعدهم وغدا تراهم في الصفوف صدورا
اعباء مجد انت وحدك حزتهم كذب المنازع هل يعد نظيرا
فيهم انمت الملك نومة معرس وبهم ادرت على الايالة سورا
وبهم لامرك نهضة ولصونهم منعوا النواهي ان تفيد نقيرا
ما فردهم مهما اختبرت بواحد بل هو الف او يزيد كثيرا
كل يفيض على اخيه تحننا ولوالديه مهابة وبرورا
طبعوا كما طبع الكريم ابوهم كرما يعد له الغمام حقيرا
وسياسة جذبت حبائل لطفها قلب الكفور عن ان يكون كفورا
يا سيدا طلعت طلائع وده فسعى لها داعي المديح سفيرا
هذي بنية خاطر اهديتها شرحت اليك من الوداد ضميرا
تحضى فيقصر يومها لحديثها وتكون في غلس الظلام سميرا
قصرت عليك ملابسا من غزلها لكن تخاف اذا نظرت قصورا
ولرب بعض شويعر يرنو لها شزرا ويكثر في الخلاء زئيرا
حسدا يشكك في تحقق حملها من حب ذاتك ما يحمل عيرا
ويظل يخبط في مدى اغراضها لا عن هدى ومتى يكون بصيرا
ولو استبان من الضئالة مرة لمنحته عوض الزئير زفيرا
لكن تركت حديثه واراحني علمي بكونك بالصحيح خبيرا
فمحك نقدك ليس يبقي دونه بين الهداية والظلالة زورا
فلك الهنا ولكلكم ولنا بكم ما صافحت شمس النهار ثبيرا

ومن شعره رحمه الله تعالى الموصول بنثره ما كتب به للمرحومة تراك بنت مخدومه الاول علي باشا زوج مخدومه الثاني علي بن حسين بن علي ما نصه :

سيدتي الجليلة الحسيبة الاصيلة كاملة الخصال حميدة الاقوال والافعال كبر الله سعدك وبلغك قصدك وشرح بالك واصلح حالك نحن عبيد احسانك ومحل امتنانك.ما نسينا والله احسانك ولا ننساه ولا نسلم من دعاء الخير لك حتى نبلغ اقصاه وانت اعزك الله لا تقطعي عنا السؤال بلغك الله اقصى الامال ودمتم في عافية والسلام

سلام كما دام الحبيب على العهد والا كما غنى الحمام على الرند

والا كما هب النسيم عشية | على ناعم الاغصان غض النبات على الرند
على طيبة تلك التي طاب ذكرها | كما طاب من اثوابها عاطر الند
عزيزة ملك لم تزل بين صونه | واكرامه مقبولة الاخذ والرد
بعقل رصين في المهمات نافذ | وعرض نقي في نظافته فرد
الى حسب ما لم تنله كريمة | سواها ولم يظفر به الناس من بعد
وجودة طبع زينتها نزاهة | عن الهجر في الاقوال والفعل والقصد
فمن للمساكين المحاويج مثلها | ومن مثلها يحمي من الزمن النكد
على اصلها جاءت سقت كل رحمة | ثرى اصلها المبرور في جنة الخلد
وطول في امن ويمن حياتها | وقام بما تبغي لها قائم السعد

وله مؤرخا لتجديد الباب الجديد احد ابواب محروسة تونس

جدد هذا الباب باب الجديد | علي باشا ابن الحسين السعيد
اقامه من بعد ما قد هوى | في فتنة يشيب منها الوليد
فالله يحميه وانجاله | من مثلها في طيب دهر حميد
ويبتني لهم كما قد بنا | هذا هنا في الخلد قصر مشيد
وعند ما قد تم ارخته | مدخل ارفاق ونيل يزيد

وله ايضا وهو مما كتب في اوج القبة الفيحاء التي ابتناها
الامير المذكور في جانب قصر الخلافة بباردو المعمور سنة ١١٨٣

سعيد المباني ما يطول ويمتد | اذا كان للوجه الجميل به القصد
ولا سيما ان كان في خلق الذي | بناه انطباع لا انقباض ولا حقد
بذا يحسن المبنى ويسعد اهله | ويحوي به آماله الاب والولد
ويصدق ان قال الخبير بوصفه | هي القبة الفيحاء ما ان لها ند
لقد خفيت حتى اذا البخت زارها | تبدت وما للملك من مثلها بد
نتيجة فكر قد سها عنه من مضى | فشيدها من هذب الامر من بعد
فجاءت كنجم النجح طال انتظاره | فمن كل نجام لطلعته رصد
ولو لم تكن نجما يرجى طلوعه | لما كان من برج السعود لها مهد
فالقت على باقي المنازل يمنها | ففي كل بيت من سعادتها سعد
وكانت لاعيان المحبين قرة | وان كان منها في عيون العدا فقد
فسرح بها طرفا الى الآن لم يكن | له بمليح الشكل من قبلها عهد
فتعطيك بالتمثيل ما شئت من منى | فان شئتها روض وان شئتها خود
وان انت انعمت التامل خلتها | يتيمة دار الملك تم بها العقد
هي الراس منها والطويلة صدرها | وما قد علا ذاك الصدار لها نهد
وما صغرت تلك البساتين حولها | لان قليلا كافيا كثره د د
على انها روض يدبجه الحيا | ففي نور في تفاصيلها برد
وفي اوجها حيث الكوى منها اومات | الى الشمس قوس الله في قلبها يبد
فاذاك اضداد الاشعة جمعت | ومن قبل هذا الحين ما اجتمع الضد
على اربع قامت وان كان شبهها | من الغيد يكفي في ملاحته قد

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الثالث	تونس في شهر ذي القعدة ١٣٥٩ وفي ديسمبر ١٩٤٠	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حموده باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

المجلد الرابع | الجزء الثالث

فهرس العدد

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الثالث	تونس في شهر ذي القعدة ١٣٥٩ وفي ديسمبر ١٩٤٠	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حموده باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ١٣٣ بتونس ـ تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

الحديث الشريف

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم

الدين النصيحة

لله ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله

الشرح

(٢)

بقلم العلم الهمام الحجة الامام صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد الطيب بيرم شيخ الاسلام الحنفي

النصيحة لعامة المسلمين

النصيحة لعامة المسلمين تكون بارشادهم الى ما يصلح اخراهم ودنياهم وكف الاذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه وستر عورتهم وسد خلتهم ومحبته لهم ما يحبه لنفسه وعدم غشهم واذا رأى مثلا من يفسد وضوءه اوصلاته او غير ذلك ولم يعلمه فقد غشه وعليه الاثم وقيل الا ان يعلم انه لايسمع منه فانه يسقط عنه الاثم قاله الاقفهسي في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني رضي الله تعالى عنه وظاهره سواء كان هناك غيره يقوم بذلك ام لا وذكر الحطاب رحمه الله في شرحه عليها ما يفيد حكم ذلك فقال الشاذلي ختلف اذا كان هناك من يشارك في النصيحة فهل يجب عليك النصيحة سواء طلبت منك ام لا كمن رأيته يفسد صلاته فقال الغزالي يجب عليك النصح وقال ابن العربي رحمه الله لا يجب .

وعندنا معاشر الحنفية انها فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين لازمة على قدر الطاقة اذا علم الناصح انه يقبل نصحه ويطاع امره وامن على نفسه من المكروه فان خشي فهو في سعة فيجب على من علم بالمبيع عيبا ان يبينه بايعا كان او اجنبيا ويجب على الوكيل والشريك والخازن .

ويكون النصح بلين ورفق لانه اقرب للقبول ولذا قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه : من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه . ومن ثم قال الفضيل :

المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير وفي كلام الشيخ سيدي محي الدين رضي الله تعالى عنه ان من شرط الناصح اذا اراد ان ينصح احدا ان يمهد له بساطا قبل النصح وان يرى نفسه دون المنصوح وان يوطن نفسه على تحمل الاذى الحاصل من جهة النصح في العادة. وقد حكي ان الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما اقبلا على شيخ يفسد وضوءه فقال احدهما للآخر تعالى نرشد هذا الشيخ فقال له احدهما يا شيخ انا نريد ان نتوضأ بين يديك حتى تنظر الينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ففعلا ذلك فلما فرغا من وضوئهما قال انا والله الذي لا احسن الوضوء واما انتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه فانتفع بذلك عنهما من غير تعنيف وتوبيخ .

وروي ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض اخوانه: اوصيك بستة اشياء - ١ - اذا اردت ان تقع في احد وتذمه قدم نفسك فانك لا تعلم احدا اكثر عيوبا منها - ٢ - وان اردت ان تعادي احدا فعادي البطن فليس لك عدوا اعدى منها - ٣ - وان اردت ان تحمد احدا فاحمد الله تعالى فليس أحد أكثر منه منة عليك وألطف بك منه - ٤ - وان اردت ان تترك شيئا فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وانت مذموم - ٥ - وان اردت ان تستعد لشيء فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندامة - ٦ وان أردت أن تطلب شيئا فاطلب الآخرة فلست تنالها الا بان تطلبها واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا ألو العزم .

وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه : قل لي في وجهي ما تكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره .

وفي منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى في هواك .

وبدأ في الحديث بالله لان الدين له حقيقة . وثنى بكتابه الصادع ببيان احكامه وثلث برسوله الهادي الى دينه الموقف على احكامه المفصل لجميع شرائعه صلى الله تعالى عليه وسلم . وربع باولى الامر الذين هم خلفاء الانبياء القائمون بشانهم . ثم خمس بالتعميم . ولم يكرر اللام في عامتهم لانهم كالاتباع للايمة لا اشتغال لهم

وانما خص اهل الاسلام بالنصح لانهم اقرب الى الاجابة من اهل الذمة أو لان النصيحة الكاملة انما هي للمسلمين بخلاف اهل الذمة اذ لا يقال لهم صلوا ولا زكوا أو أن ذكر المسلمين من باب التغليب لشرفهم على أهل الذمة والا فنحن ننصح اهل الذمة بالارشاد للايمان .

والتحقيق ان قبول النصح من شيم المسلمين

قال ثابت بلغني ان ابليس ظهر لبعض العباد فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له العابد ما هذه المعاليق التي ارى عليك قال هذه الشهوات اصيب بها بني آدم فقال له هل لي فيها من شيء ؟ قال ربما شبعت فثقلتك عن الصلاة وعن الذكر . قال هل غير ذلك ؟ قال لا . قال العابد لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا . قال ابليس ولله علي ان لا انصح احدا ابدا

ثم ان النصيحة كما هي فرض للمذكورين فكذلك هي فرض لنفسه بان ينصحها بامتثال الاوامر واجتناب المناهي

قوله تعالى : اذا نصحوا لله ورسوله

اول الآية : ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله .

واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما بين الوعيد في حق من يوهم العذر مع انه لا عذر له ذكر اصحاب الاعذار الحقيقية وبين ان تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط وهم اقسام . الاول الصحيح في بدنه الضعيف مثل الشيوخ ومن خلق في أصل الفطرة ضعيفا نحيفا وهؤلاء هم المرادون بالضعفاء والدليل عليه انه عطف عليهم المرضى والمعطوف مباين للمعطوف عليه فلو لم يحمل الضعفاء على الذين ذكرناهم لم يتميزوا عن المرضى واما المرضى فهم القسم الثاني فيدخل فيهم اصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان مصابا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة . والقسم الثالث الذين لا يجدون الأهبة والزاد والراحلة وهم الذين لا يجدون ما ينفقون لان حضوره في الغزو انما ينفع اذا قدر على الانفاق على نفسه اما من مال نفسه او من مال انسان آخر يعينه عليه فان لم تحصل هذه القدرة صار كلا ووبالا على المجاهدين ويمنعهم من الاشتغال بالمقصود

ثم انه تعالى لما ذكر هذه الاقسام الثلاثة قال لا حرج على هؤلاء والمعنى والله تعالى اعلم انه يجوز لهم التخلف عن الغزو وليس في الآية بيان انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم كان ذلك طاعة مقبولة .

ثم انه تعالى شرط في جواز هذا التاخير شرطا معينا وهو قوله تعالى « اذا نصحوا لله ورسوله » اي بالايمان والطاعة ظاهرا وباطنا كما يفعل الموالي الناصح وان يبذلوا جهدهم لنفع الاسلام والمسلمين بان يتعهدوا امورهم واهلهم وايصال خيرهم اليهم ولا يكونوا كالمنافقين الذين يشيعون الاراجيف اذا تخلفوا وهذا هو معنى النصح الذي هو الخلوص فالناصح المخلص هذا سبيله

ويستفاد من هذا الحديث امور منها ان الدين يطلق على العمل لكونه سمى النصيحة دينا وعلى هذا المعنى بنى البخاري رحمه الله اكثر كتاب الايمان . ومنها جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو مستفاد من قوله قلنا لمن . ومنها رغبة السلف في طلب علو الاسناد وهو مستفاد من قصة سفيان مع سهيل .

مبايعة جرير رسول الله على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم

المبايعة هي عقد العهد وكانت مبايعته صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه في اوقات بحسب الحاجة اليها من تجديد عهد او توكيد امر فلذا اختلفت الفاظها

واخرج الشيخان من رواية الشعبي عن جرير رضي الله تعالى عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم فكان جرير رضي الله تعلى عنه اذا اشترى او باع يقول لصاحبه اعلم ان ما اخذنا منك احب الينا مما اعطيناكه فاختر . وروى الطبراني

في ترجمته ان غلامه اشترى له فرسا بثلاثمائة فلما رآه جاء الى صاحبه فقال ان فرسك خير من ثلاثمائة فلم يزل يزيده حتى اعطاه ثمانمائة

وقوله فيما استطعت روي بفتح التاء وضمها والمقصود بهذا التنبيه على ان اللازم من الامور المبايع عليها هو ما يطاق كما هو المشترط في اصل التكليف ويشعر الامر بقول ذلك اللفظ حال المبايعة بالعفو عن الهفوة وما يقع عن خطا وسهو . قال الخطابي رحمه الله تعالى جعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النصيحة للمسلمين شرطا في الذي يبايع عليه كالصلاة والزكاة فلذلك تراه قرنها بهما

فان قلت : لم اقتصر عليهما ولم يذكر الصوم وغيره ؟ قلت قال القاضي عياض رحمه الله تعالى بدخول ذلك في السمع والطاعة . يعني المذكور ذلك في الرواية الاخرى . والذي يظهر في دخولها في روايتنا هاته هو ان العبادات على ثلاثة أقسام بدني محض وهذا هو الصلاة والصوم ومالي محض وهذا هو الزكاة ومركب منهما وهذا هو الحج والجهاد فبذكر الاهم من كل من القسمين يدخل في ضمنه الآخر . وايضا فان من القواعد المسلمة بين اهل السنة والمعتزلة ان شكر المنعم واجب فالله سبحانه وتعالى الذي انعم علينا باخراجنا من العدم الى الوجود وركب فينا السمع والابصار والشم والافئدة والعقل وبه حكمنا في جميع الحيوانات وخلق لنا ما في الارض جميعا وبسط لنا الرزق والخيرات فواجب علينا شكره في جميع الاوقات ومن لطفه ورأفته بعباده أن جعل الصلاة الواجبة في خمسة اوقات بادية لكل احد لان التكليف بها عام يشترك فيه الحاضر والباد فبانفلاق الصبح اوجب صلاة وبزوال الشمس عن كبد السماء اوجب صلاة وبصيرورة ظل كل شيء مثله او مثليه اوجب صلاة وبغروب الشمس اوجب صلاة وبمغيب الشفق اوجب صلاة . وفيما اشتملت عليه الصلاة من الركوع والسجود والقيام والقراءة منافع للمصلي لا يسع المقام بسطها . وبالصلاة اشترك الانسان مع الملائكة فالملائكة عليهم السلام بين راكع وساجد وقائم وقاعد وبما خوله من الرزق وبسطه لنا فمن شكره عليه ان يدفع النزر اليسير منه للفقير فهو لا يضر بالغني . والفقير باخذ اموال الزكاة من الاغنياء تسد حاجته ويكفى شره ولربما يصير من الاغنياء وينتفع به غيره

فبالتنصيص على هاتين العبادتين التي اولاهما تؤدي شكر الابدان والثانية تؤدي شكر الاموال اكتفى عن التنصيص على بقية الواجبات ولهذا والله تعالى اعلم كرر سبحانه قرن الزكاة بالصلاة كثيرا في القرآن العظيم ولم يذكر الصوم وغيره معهما اكتفاء بذكر الاهم من كل نوع . وايضا ان الصلاة تتكرر في اليوم خمس مرات والزكاة تتكرر بحسب النصب في العام بخلاف الصوم فيجب في العام مرة والحج في العمر مرة . وايضا ان الصلاة عماد الدين وتنهى عن الفحشاء والمنكر ومن المنكر ترك بقية المفروضات حتى قيل ان تارك الصلاة تكاسلا كافر . فقد قال الحافظ عبد العظيم قد ذهبت جماعة

من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمدا لتركها حتى يخرج جميع وقتها منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عبّاس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وابو الدرداء رضي الله تعالى عنهم ومن غير الصحابة احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحكم بن عتيبه وايوب السختياني وابو داود الطيالسي وابو بكر بن ابي شيبة وزهير بن حرب وغيرهم رحمهم الله تعالى وقد وردت احاديث تشهد لما قالوه فروى احمد رضي الله تعالى عنه عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة . وروى مسلم قال بين الرجل وبين الشرك اوالكفر ترك الصلاة وابو داود والنسائي ولفظه ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة. وروى الترمذي عن عبد الله ابن شقيق العقيلي رضي الله تعلى عنه قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الاعمال تركه كفر غير الصلاة وعن سعيد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال سالت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قول الله عز وجل . الذين هم عن صلاتهم ساهون

قال : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها . رواه البزار . وروى البخاري عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله تعلى عليه وسلم مما يكثر ان يقول لاصحابه هل رأى احد منكم من رؤيا ؟ فيقص عليه ما شاء الله ان يقص . وانه قال صلى الله عليه وسلم لنا ذات غداة انه اتاني الليلة اثنان وانهما استبعثاني وانهما قالا لي انطلق واني انطلقت معهما وانا اتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه (اي يشدخه) فيتدهده (اي يتدحرج) الحجر فياخذه فلا يرجع اليه حتى يصح راسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا قالا لي انطلق انطلق فاتينا على رجل مستلق على قفاه واذا آخر عليه بكلوب (١) من حديد واذا هو ياتي احد شقي وجهه فيشرشر (٢) شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعيناه الى قفاه قال ابو رجاء فيشق قال ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل كما في المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا قالا انطلق انطلق

فانطلقنا فاتينا على مثل التنور قال فاحسب ان كان يقول فاذا فيه لغط واصوات قال فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة فاذا هم ياتيهم لهب من اسفل منهم فاذا اتاهم ذلك اللهب ضوضوا (٣) قال قلت ما هؤلاء قالا لي انطلق انطلق قال فانطلقنا فاتينا على نهر حسبت انه كان يقول احمر مثل الدم واذا في النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل عنده قد جمع حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما

(١) الكلوب بفتح الكاف وضمها وتشديد اللام هو حديدة معوجة الراس (٢) اي يقطعه ويشقه (٣) هو الصياح والفزع

ياتي ذلك الذي جمع عنده الحجارة فيفغر(١) فاه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع اليه كما رجع يسبح ثم اليه فغر فاه فالقمه حجرا قلت لهما ما هذان قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل كريه المرآت كاكره ما انت راء رجلا مرآت واذا عنده نار يحشها (٢) ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا ؟ قال قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على روضة معتمه(٣) فيها من كل نور(٤) الربيع واذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا اكاد ارى راسه طولا في السماء واذا حول الرجل من اكثر ولدان رايتهم قال قلت ما هذا ؟ ما هؤلاء ؟ قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على دوحة (٥) عظيمة لم ار دوحة قط اعظم ولا احسن منها قال قالا لي ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فاتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر منهم كاقبح ما انت راء قال قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال واذا نهر معترض يجري كان ماءه المحض (٦) في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن صورة قال قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك قال فسما بصري صعدا (٧) فاذا قصر مثل الربابة (٨) البيضاء قال قالا لي هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني فادخله قالا اما الآن فلا وانت داخله قال قلت لهما فاني رايت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رايت قال فالاولى انا سنخبرك :

اما الاول الذي اتيت عليه يثلغ راسه بالحجر فانه الرجل ياخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة .

واما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه وسنخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدروا من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الافاق .

واما الرجل والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني

واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فانه آكل الربا

واما الرجل الكريه المرآت الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن جهنم

واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم واما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة

قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واولاد المشركين

واما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم

ولا يخفى ان رؤيا الانبياء وحي وحق فعلى الانسان ان يعمل العمل الصالح ويكثر منه لعل الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن سيىء عمله ويتوب الى الله تعالى توبة نصوح فان باب التوبة مفتوح وبساط الرحمة ممنوح ويستغفر الله العظيم فانه غفور رحيم ويكثر مما يثقل الميزان وهو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

(١) اي بفتح (٢) اي يوقدها (٣) اي طويلة النبات (٤) الزهر (٥) هي الشجرة العظيمة (٦) المحض هو الخالص من كل شي (٧) صعدا بضمتين اي ارتفع (٨) السحابة البيضاء

الرسول الاعظم

مثال الكمالات الذي به يقتدي

امانته صلى الله عليه وسلم وحفظه للعهد

ان الله تعالى جلت حكمته ، ولا تبديل لسنته ، قد اصطفى من الامين سيد العرب والعجم ، وخصه بمزيد العناية السرمدية ، والشيم العلية ، واعده لتبليغ رسالته ، واداء امانته ، وعصمه من الزيغ والهذيان بما فطره عليه من قوة الارادة ، والاستقلال في الفكر ، ماكان به صلى الله عليه وسلم مثال الكمال ، شريف الخصال ، لا تؤثر فيه مزاعم المبطلين وترهات المغرضين ، الضالين ، وشيم المفسدين

فقد عرف صلى الله عليه وسلم بالسجايا الحميدة والاخلاق المرضية وعرفوه بكمال الشمائل ونعتوه بارفع الصفات من ذلك ما اشتهر به من الامانة وحفظ العهد حتى لقبوه بالامين ولم يحفظ عنه انه خان العهد ولو في حداثة سنه او عبث بامانة ودعت عنده ولنذكر على سبيل المثال ثلاث وقائع تصلح ان تكون شاهدا ومرشدا لنا على مبلغ اشتهاره صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة اما الحادثة الاولى فقصة زواجه بام المؤمنين خديجة بنت خويلد فهي توضح لنا مبلغ اشتهار امانته صلى الله عليه وسلم بين قريش .

قال ابن هشام فيما يرويه عن ابن اسحاق كانت خديجة امراة تاجرة ذات شرف ومال تستاجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظيم امانته وكرم اخلاقه ، بعثت اليه فعرضت عليه ان يخرج في مال لها الى الشام تاجرا وتعطيه افضل ما كانت تعطي لغيره من التجار فقبله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذلك فباع صلى الله عليه وسلم السلعة التي خرج بها واشترى غيرها ثم اقبل قافلا الى مكه وسلم ذلك لخديجة فلما بيع ما جاء به عليه الصلاة والسلام كان ضعف ما دفعت له او قريبا من الضعف

عند ذلك بعثت اليه خديجة تقول له يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك ومكانتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه عمه حمزة بن عبد المطلب قال ابن اسحاق حتى دخلا على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها رسول الله عشرين بكرة واستولدها القاسم وبه كان يكني (ابو القاسم) والطاهر والطيب وزينب ورقية وام كلثوم وفاطمة عليهم السلام اهـ .

فقد علمت ان الباعث على هذا الزواج الميمون زيادة على شرف النسب صفاته الطاهرة التي عددتها في مناقبه فكانت صفة الامانة واسطة عقدها وأكرم بها من صفة

واما الواقعة الثانية فقصة تحكيم قريش له صلى الله عليه وسلم لما اشتد بينهم الخلاف والنزاع عند بناء الكعبة الشريفة في من يحمل حجر الركن الذي يبالغون في تقديسه فهذه رواية ابن اسحاق تقص علينا ان قريشا لما بنت الكعبة وبلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى افضى بهم الاختلاف الى الاستعداد للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت وادخلوا أيديهم في ذلك الدم الموضوع في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك أربع ليال او خمسا ثم إنهم اجتمعوا في الحرم وتشاوروا وتناصفوا فخطبهم أبو أمية بن المغيرة من آل مخزوم وكان عامئذ أسن قريش فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه. ففعلوا وأصغوا لنصيحته فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد . فلما انتهى اليهم اخبروه الخبر . فقال صلى الله عليه وسلم هلم الي ثوبا فأتي به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده الطاهرة ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده الشريفه ثم بنى عليه صلى الله عليه وسلم

والامين هو اللقب الذي كان يلقب العرب به الرسول صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل البعثة

وكذلك كانت قريش تستحفظه اماناتها ويودعون عنده ودائعهم وفي رواية ابن اسحاق ما كان بمكة أحد عنده شيء يخاف عليه التلف الا وضعه عند محمد صلى الله عليه وسلم لما يعلم من صدقه وأمانته . اه

واما الحادثة الثالثة التي تتجلى فيها امانته صلى الله عليه وسلم الى اقصى حد ويظهر كمال خلقه في محافظته على العهد فما صنعه عند ما عزم على مبارحة مكة والهجرة الى المدينة فانه خلف وراءه عليا كرم الله وجهه وامره ان يرد اماناته صلى الله عليه لاصحابها . ولم يمنعه عناد قريش وما يتوه له من الغدر لم يمنعه ذلك من الوفاء بعهده ولم يتصرف في أموالهم وهم منه في أشد خلاف .

فترشدنا سيرته صلى الله عليه وسلم مع اولئك المعاندين الجاحدين الماكرين كيف انه لم يستبح لنفسه ودائعهم ولم يتصرف في اماناتهم التي وضعوها في كفالته وتحت عهده

وامر خليفته ان يحافظ عليها حتى يسلمها لاصحابها بامان كما تسلمها منهم على الامان

فلا جرم اذا اعتبر المسلمون هذا التشريع عاما يتناول الامة باسرها حيث لا دليل يدل على الخصوصية . ويعد هذا التشريع من اسمى الاحكام التي قررتها الشريعة المحمدية السمحة حيث اعتبرت وجوب حفظ عهد المسلم لمخالفه في الدين كما يحفظ عهده مع اهل ملته . ويزيدنا تقريرا لثبوت هذا الحكم في الاسلام ما يستفاد من نعي القرآن على بعض اهل الكتاب الذين خانوا عهدهم مع غير اهل ملتهم قال تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه

بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين من سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . فبين تعالى ان منهم من يستحل اكل اموال الاميين من غير اهل ملتهم وقد حرفوا ما نهوا عنه من اكل اموال الناس بالباطل ، فرد عليهم القرءان ما زعموه حيث قال : ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

تامل يارعاك الله كيف بلغ من شانه صلى الله عليه وسلم في صفة الامانة الى ابلغ حد فلم تصدر منه الهفوة المرة والمرتين كغيره من الرجال الكمل بل عصمه الله فلم يزل له قدم وهو المعصوم وحفظه الله من الخيانة التي لا تجامع الرسالة فكان الامين توطيدا لامر الرسالة وكذلك شان الرسل وما الامانة الا من اخص صفاتهم التي فطروا عليها سنة الله في انبيائه والمرسلين ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا

والفطرة السليمة الطاهرة الزكية التي فطر الله الناس عليها تقضي على البشر بحفظ العهود والوفاء بالوعود واداء الحقوق لاربابها وتمكين الامانات من اصحابها وقد جاءت الشرائع الآلهية مقررة لذلك محتمة على الناس مراعات الحرمات حرمة النفس والمال والعرض . ومن آكد الحرمات عهد الله تعالى وميثاقه الذي التزم المؤمن الوفاء له به من اتباع دينه المتين والعمل بما شرعه على لسان رسوله الامين وعهد للناس القيام به والعمل بمقتضاه لا يحيدون عنه طرفة عين ولا يبدلون احكامه الباقية ما بقت السماوات والارض . شرعة الله الذي احكم كل شيء وهو العزيز الحكيم .

والوفاء بالعهد يشمل . سائر تعهدات الانسان التي اخذها على نفسه . فيدخل فيه الامانات والودائع والقروض والديون والعقود المؤجلة والوعود

والانسان خير بطبعه واليه اميل بفطرته مع صرف النظر عن العوامل والمؤثرات مما قد يتفق له من التاثر بالبيئة والاوساط فالميل الى الخير مما اودع الله في طبع الانسان والخير كل الخير ما يحصل به نفع للنفس ونفع للناس وجماع ذلك كله ان تحب لاخيك ما تحب لنفسك كما جاء في الصحيح من حديث المرشد الاعظم صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه

والانسان الكامل يفعل الخير ويجد فيه لذة ويجتنب الشر وتعرض نفسه عنه لانه ليس من مقتضيات فطرته ولا تميل اليه نفسه الزكية ومن صدر منه الخير أو الشر يعلم كل العلم ان الناس تحمد الاول وتمقت الثاني وتمجد الخير وتهين الشرير

ثم ان الفرق عظيم بين الخير والشر وذلك يرجع في اصله الى ان الخير وجودي والشر عدمي كما افصح عن ذلك الامام ابن قيم الجوزية حيث يقول ان الشر كله يرجع الى العدم اعني عدم الخير واسبابه المفضية اليه وهو من هذه الجهة شر واما من جهة وجوده المحض فلا شر فيه وضرب لذلك مثلا حيث قال

ان النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة وانما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها اه

وبهذا نعلم ان اصل الفطرة صافيه نقية كمشكات في زجاجة فهي تضيء بحسب الوان المؤثرات فيها والانسان على نفسه بصيرة يجدها حيث وضعها فليتبصر اين يضعها

ثم ان العهود اذا لم يوف بها اختل امر الدين لان الوفاء آية الدين البينة بل محوره الذي عليه مداره وكذلك تفسد المصالح الدنياوية لبطلان ثقة الناس بعضهم ببعض . والثقة روح الحياة ، وملاك النظام ، واساس العمران ، لاجل هذا كان الوعيد من الله تعالى على نكث العهد اشد ما نطق به القرآن واغلظه قال تعالى في محكم التنزيل :

ان اللذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ،

فقد ذكر سبحانه في هذه الاية الشريفة جزاء بائعي العهود الخائنين اهل الغدر والاخلاف ونوعه الى اربعة اصناف كل صنف منها خطير في ذاته شديد في وقعه واي عقاب اشد من عقاب من لاخلاق له في الاخرة ولا نصيب له من النعيم فيها ولا ينظر الله اليه ولا يزكيه بمضاعفة حسناته واعماله الصالحة ولا يطهره من ادران ذنوبه بالعفو والمسامحه ويكون جزاءه عذاب الله الاليم وذلك نتيجة منتهى الغضب

فليعلم الخائن للعهد والمفرط في الامانة ما هو قادم عليه من فرط غفلته واهماله او تعمده وضلاله حتى ويعود الى رشده ويقلع عما جنته يمينه ما دام في الوقت متسع وفي الحياة فسحة امل

اجل ان الزنا وشرب الخمر والميسر من الكبائر الموبقات ولكن الله لم يتوعد مرتكب هذه الجرائم الفتاكة بمثل ما توعد به ناكثي العهود .وخائني الامانات ما ذلك الا لعظم مفاسد النكث والخيانة التي يعود ضررها على المجتمع والجريمة كلما كان خطرها اشمل كان وزرها اعظم

والمسلم قد اخذ الله عليه العهد في محكم التنزيل بعد ايمانه به وتصديقه بما تضمنه من انواع التشريع ان يلتزم الصدق والوفاء فيما يتعهد به ويتعاقد مع غيره عليه ويؤدي الامانة الى اهلها فتكون خيانته لعهده مع البشر سيما اذا اكد العهد بالقسم خيانة لعهده مع الله تعالى وذلك هو الخسران المبين .

وقد ذكر سبحانه وتعالي جزاء أهل الوفاء المتقين فقال وهو اصدق القائلين :

بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين . فقد تضمنت الآية الكريمة أن من أوفى بعهده الذي عاهد به الله او الناس . واتقى الاخلاف والغدر والاعتداء فان الله يحبه فيعامله معاملة المحبوب فيجعله محل عنايته ورحمته وأولئك هم الفائزون .

محمد الشاذلي ابن القاضي

الاسلام دين وحدة
وائتلاف

الاسلام دين التوحيد والوحدة قال الله تعالى مخاطبا لنبيه الذي ارسله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس مما كانوا فيه من العمى والضلال الى نور الحق وواضح الهدى « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء »

فالاسلام لما جاء وجد البشر اجناسا متفرقين واصنافا متشاكسين يتعادون في الانساب والالوان واللغات والاوطان والاديان والمذاهب والمشارب والشعوب والقبائل حتى ليبلغ بهم الامر احيانا الى التقاتل والتناحر فصاح بهم صيحة ملات فضاء العالم وبلغت حدود المعمورة دعا الناس بها الى الوحدة الانسانية العامة ونهاهم عن التفرق والاختلاف الموجب للتعادي وبين مضار هذا التفرق والاختلاف بالشواهد العلمية والتاريخية

فهذا اصلاح انساني جديد جاء به هذا الدين الجديد ويرجع في مجمله الى تقرير اصل جامع وهو جعل الناس امة واحدة وعلى ملة واحدة ودين واحد وشرع واحد كما ان اصلهم واحد وربهم واحد .

ثم انك اذا تتبعت تفصيل هذا الاجمال في مظانه من القرآن والسنة وجدته يظهر في مواطن اذا تمت وحدة البشر فيها تم لهم الخير اجمعه والكمال الانساني المنشود لكل ارباب المدارك والعقول .

الموطن الاول وحدة الامة قال الله تعالى في سورة الانبياء مخاطبا اهل الدين الجديد « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون »

ولما كان الانبياء السابقون يبعثون الى اممهم خاصة وبعثة هذا النبي الخاتم الى الناس كافة كانت لا محالة وحدة امته وحدة عامة شاملة لجميع البشر .

الموطن الثاني وحدة الانسانية وذلك بالمساوات بين اجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم ويشهد له قوله تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقد بلغه النبي في حجة الوداع حيث تلا الآية ثم قال ما معناه ان ليس لعربي على عجمي ولا لابيض على اسود فضل الا بتقوى الله ولا شك ان هذه الوحدة الانسانية تتضمن الدعوة الى التآلف بالتعارف والى ترك التعادي بالتخالف .

الموطن الثالث وحدة الدين وذلك باتباع رسول واحد جاء بأصول الدين الفطري الذي

جاء به غيره من الرسل واكمله هو بما يوافق المصالح الحقيقية لجميع البشر ويشهد له قوله تعالى (يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً)

الموطن الرابع وحدة التشريع وذلك بالتسوية بين الخاضعين لاحكام الاسلام في جميع الحقوق المدنية والزجرية بالعدل التام المطلق بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والملك والسوقه والغني والفقير والقوي والضعيف والعظيم والحقير ويشهد له شواهد كثيرة من الكتاب والسنة في اغلب مظان التشريع للقواعد العامة التي تجب مراعاتها في الاحكام المختلفة التي اهمها في الاسلام تحري الحق والعدل والمساوات في الحقوق والشهادات والاحكام وحفظ المصالح ودرء المفاسد ومراعات الاعراف ودرء الحدود بالشبهات وكون الضرورات تبيح المحظورات وكون ما للضرورة يقدر بقدرها ودوران المعاملات على اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل

وحسبك من الشواهد القرءانية الدالة على ايجاب العدل وتحريم الظلم تأكيد الله تعالى الامر به والمساوات فيه بين جميع الناس في السور المكية والمدنية فالعدل اساس الاحكام وميزان التشريع وقسطاسه المستقيم قال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا اوتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا وقال يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ، فالله تعالى امر المؤمنين في هذه الآيات ونحوها مما جاء على شاكلتها بالمبالغة في القيام بالقسط وهو العدل وعدم التهاون والتقصير فيه وبان تكون شهادتهم في المحاكمات وغيرها لله عز وجل لا لهوى ولا لمصلحة قريب او حبيب ولو كانت على انفسهم او والديهم او أقرب الاقربين اليهم وان لا يحابوا فيها غنيا تقربا اليه لغناه ولا فقيرا رحمة به وشفقة عليه لفقره ونهاهم عن اتباع الهوى في الحكم والشهادة وأنذرهم عقابه ان لووا اي مالوا عن الحق أو أعرضوا عنه بالكلية وان لا يحملنكم بغضكم لقوم وعداوتكم لهم على ترك العدل فيهم فالعدل بالمساوات اقرب الى تقوى الله وانه تعالى خبير بما يعمله كل احد لا يخفى عليه منه شيء فهو يحاسبه على عمله ويثيبه او يعاقبه على ما يعلم من امره .

ويؤيد ما ورد في اقامة العدل ما جاء في تحريم الظلم والوعيد الشديد عليه فقد ذكر الظلم في القرآن في مواضع تربو على المائتين اسوأ الذكر وقرن بأسوإ العواقب وان الناس هم الذين يظلمون انفسهم ولا يظلم ربك احدا وورد في بيان اثره وعاقبته في الدنيا انه مهلك الامم ومخرب العمران قال تعالى وما ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون . وقال وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا .

ومما هو جدير بالالتفات اليه في هذا الباب آية الامراء في كتاب الله من سورة النساء وهي قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا .

قال العلماء نزلت الآية الاولى في ولاة الامر عليهم ان يؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل ونزلت الثانية في الرعية عليهم ان يطيعوا اولي الامر الا ان يأمروا بمعصية الله فاذا امروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فان تنازعوا في شيء ردوه الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا شك ان اداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل هما جماع الخطة العادلة والولاية الصالحة .

وللشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية ان اداء الامانات فيه نوعان احدهما الولايات وهو كان سبب نزول الآية فيجب على ولي الامر ان يولي على اعمال المسلمين اصلح من يجده لذلك العمل قال صلى الله عليه وسلم من قلد رجلا عملا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة ارضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين رواه الحاكم في صحيحه وقد دلت سنة رسول الله صلم في مواضع كثيرة على ان الولاية امانة يجب اداؤها ففي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قيل يا رسول الله وما اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة .

والنوع الثاني الاموال ويدخل فيه الاعيان والديون الخاصة والعامة مثل رد الودائع ومال الشريك ومال اليتيم واهل الوقف كما قال تعالى في الديون فان أمن بعضكم بعضا فاليؤد الذي أؤتمن امانته وليتق الله ربه .

كل هذا من العدل والقسطاس المأمور باقامة بين الامة ليأمن الناس على حقوقهم ويعم الامن والطمأنينة قريبهم وبعيدهم عظيمهم وحقيرهم فينصرفوا لما فيه نفعهم وتنتشر الفضيلة بينهم وتنعدم اسباب الشر والخلاف منهم فتكمل بذلك وحدتهم ويتم تآلفهم الذي به كمال سعادتهم في الدنيا والآخرة

الموطن الخامس الوحدة الدينية وذلك بالمساوات بين المتبعين لهذا الدين في اخوته الروحية وعباداته الاجتماعية كالصلاة ومناسك الحج فملوك المسلمين وامراؤهم وكبراؤهم يختلطون بعامتهم في صفوف الصلاة والطواف بالكعبة المشرفة والوقوف بعرفات وسائر مواطن الحج قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال في حق المشركين فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين .

الموطن السادس من مواطن الوحدة وحدة القضاء واستقلاله ومساوات الناس فيه امام الشريعة العادلة نعم يستثنى من ذلك الاحكام الشخصية الدينية فان الاسلام يراعي فيها حرية العقيدة والوجدان فهو لذلك يسمح لغير المسلمين في امور الزوجية ونحوها ان يتحاكموا الى رؤساء مللهم فان تحاكموا الينا فاننا نحكم بينهم بعدل شريعتنا والاصل فيه قوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق .

وقد جاءت السنة النبوية على غرار القرآن الكريم في تقرير وحدة الامة في جميع المواطن المتقدمة فكان النبي صلى الله عليه وسلم ينكر على المسلمين كل نوع من انواع التفرق الذي ينافي الوحدة التي دعا اليها وجعلهم امة واحدة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقد عمل الاسلام على تقوية الشعور بالوحدة في كثير من المظاهر فصلاة الجماعة خلف امام واحد يجمعهم ويوحدهم افضل درجات من صلاة مع التفرق وكذلك امر المسلمون بالاجتماع في الاعياد والحج الاكبر كل ذلك تنمية للشعور بالوحدة وتقوية لها كما هدم نظام التعصب للجنسيات وساوى بين الجميع في الاخوة وجعل الفضل للتقوى وهكذا عند التأمل نجده يرمي الى الوحدة في مختلف التكاليف ذلك لان الوحدة اساس الاصلاح واساس العزة والسلطان وبها تجتمع القوى ويوجد التعاون بين الافراد لبلوغ الغايات وتسنم ارفع الدرجات بخلاف التفرق والانقسام فانه موزع للقوى فشخص يبني وشخص يهدم وشخص يهاجم وآخر يدافع .

وبالجملة فقد مدح الله الوحدة وذم التفرق وانذر من يحيد عن الوحدة في مواضع من كتابه العزيز قال تعلى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .

على ان شريعة الله في الحقيقة واحدة وهي التي اوصى بها الانبياء السابقين ثم اكملها لخاتم المرسلين « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .

والمراد من الدين الموصى به هؤلاء الانبياء والمأمور باقامته وعدم التفرق فيه الامور التي لا بد منها لكمال النوع الانساني وهي العقيدة الصحيحة بالله واليوم الآخر والكتب والانبياء والتوصية بالفضائل التي تعود على المجتمع الانساني بالخير والفلاح كالصدقات والاحسان والوفاء بالعهد والصدق واصول العبادات المهذبة للنفوس والتي يتبعها كل الخير .

نعم اختلفت الشرائع في صور العبادات ورسومها وفي القوانين المنظمة للتعامل وذلك لاختلاف استعداد الامم وبيئاتهم وهذا الذي يختلف باختلاف العصور والاستعدادات هو الذي عناه القرآن في قوله : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .

ولا شك ان في تعريف المسلمين بهذه الحقيقة وهي ان الشريعة واحدة عند الجميع تثبيتا للمسلمين لان الشيء اذا كان معروفا تتابعت عليه الامم في الاعصر المختلفة ولم يكن بدعا كانت النفوس اكثر تقبلا له مما كان بدعة .

وقد كرر القرآن هذه الحقيقة في مواضع متفرقة « انا احينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون .

محمد الهادي ابن القاضي

اعجاز القرآن

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيفر

ان الله جلت حكمته وتمت كلمته قد اودع في تركيب الانسان ثلاث قوى رئيسية هي قوة العقل والادراك وقوة الشهوة وقوة الغضب وجعل سعادته وسعادة بني جنسه منوطة باعتدال هاتيك القوى وعدم خروجها عن محيط الاعتدال الى طرف الافراط او التفريط حتى اذا خرجت احداها عن ذلك المحيط فارقت صاحبها السعادة ونزل به الشقاء وربما تسبب في سلب سعادة غيره من جراء ذلك .

فلهذا السبب كان الانسان لا مندوحة له من قانون حكيم يكون وازعا له عن الخروج عن الدائرة التي ضمنها سعادته وسعادة بني جنسه عامة وهذا الوازع هو الدين بلا ريب اذ العقل مهما ترقى في درجات الكمال لا يستطيع بمفرده ان يلم بجلب كافة المصالح ودرء عامة المفاسد عن النوع البشري الا بمعونة الدين وبارشاد الدين اذ لو خلي العقل ونفسه لسن قوانين تقوم مقام التشريع السماوي لاحتاج الى ازمنة متطاولة تحصل له فيها التجربة الكاملة لاختبار ما سنه من الانظمة من حيث الصلاحية او ضدها ولاضطر في كثير من الاحايين لنقض ما احكمه منها وحل ما ابرمه لتبين خطاه فيه اذ العقل البشري معرض للخطا دائما . على ان الدستور الآلهي هو انفع واجدى للمتدين به حق التدين ولبني جنسه اذ يكون المتمسك به اشد مراقبة لنفسه حتى لا تتجاوز ما حد لها شرعا لاعتقاده انه وان خلا بنفسه فهو بمرأى ومسمع من آلهه الذي يعلم السر واخفى والذي هو اقرب اليه من حبل الوريد وانه يجازيه بالخير خيرا وبالشر شرا وان ثوابه لا يعادله ثواب وعقابه لا يوازيه عقاب وأنى تجد هذا المعنى لدى غير المتدين الذي وان خاف من صولة الحكام والولاة فهو لا يعدم حيلة تخفي عنهم جريمته وتستر عن اعينهم خطيئته فلهذه الحكمة البالغة ولسواها مما لا يسعه هذا المقام جرت عادة الباري جل وعز بارسال الرسل لكافة الامم امة فامة وعصرا فعصرا كما قال جل شانه (وان من امة الا خلا فيها نذير) وذلك لسن النظم والشرائع الجالبة لمصالحهم الدارئة للمفاسد عنهم وجعل دليل صدق اولئك الرسل آيات بينات اجراها على ايديهم مقرونة بالتحدي قد خرجت عن مقدور البشر عادة لتقوم على المعاند الحجة وتتضح لغيره المحجة ثم قفي على آثارهم بامام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم في وقت عم فيه الضلال ارجاء العالم وتفشت المظالم والمنكرات بين عامة اهله وجعل شريعته خاتمة الشرائع لما انطوت عليه من قواعد ونظم عامة صالحة لكل زمان ومكان ولكل

امة على اختلاف الاجناس والالوان تنتظم مصالح الدنيا والدين وتتكفل بسعادة الحياتين وفي ذلك اقول من اثناء قصيدة :

وما السبب الاقوى لكل سعادة سوى سبب الاسلام والغير زخرف
وناهيك من دين يجر سعادة الـ ـحيانين ما ينفك للحق يكنف
يحظ على التقوى ويدعو الى العلى وبالجد في اعمال دنياك يهتف

هذا وقد ايد الله سبحانه نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثر جليلة القدر اعلاما بصدق رسالته وايذانا بحقية دعوته ولقد بلغ بها القاضي ابو بكر بن العربي عدا واستقصاء الى الف معجزة وذكر الامام النووي أنها الف ومايتان ثم هي على كثرتها ووفرة عددها لا تعدو ثلاثة اصول القرآن الحكيم والسيرة المحمدية الشريفة والمعجزات الحسية المروية عنه صلى الله عليه وسلم وغرضنا اليوم منحصر في الاصل الاول ألا وهو :

« اعجاز القرآن »

ان من تدبر آي الذكر الحكيم حق تدبرها تجلى له من وجوه اعجازه ما يبهر العقول ويستهوي الالباب وتقف النفوس امامه حيارى سكارى ببلاغته ووفرة علومه وحكمه وما هم بسكارى كل حسب استعداده ومؤهلاته

ولكن تأخذ الافهام منه على قدر القرائح والعلوم

وبقدر ما يزداد تدبرا لمعانيه يزداد في شانه استبصارا وله اجلالا واكبارا كما روي ان صاحب المثل السائر كان يختم القرآن مرة في كل اسبوع فلما دقق النظر في بلاغة القرآن واعجازه جعل يقرؤه مرة في كل شهر فلما ابعد النظر في ذلك صار يختمه مرة في السنة ثم لما امعن في غور حكمته قال انه امضى سبع سنين في تلاوته وما فرغ منه . فلله معان احتواها . ما اغلاها قيمة واعلاها . والفاظ على منصة الابداع اجلاها . وحكم من اصداف العلم القديم أبداها . وعلوم انطوى عليها لا يصل العقل الى مداها .

ما ينقضي نظري منها الى رتب في الحسن الا ولاحت فوقها رتب

ثم ان وجوه اعجاز القرآن كثيرة راجعة بحسب ما يظهر الى اربعة اصول الاول بلاغته واسلوبه الخارجان عن طوق البشر الثاني اخباره بالمغيبات مما كان او يكون الثالث جمعه لما يرتبط بمصالح الدين والدنيا على وجه يفوت مقدور البشر عادة الرابع غزارة علومه واحتواؤه على دقائق علمية لم تنكشف الا بعد قرون متطاولة من نزوله

(النوع الاول) من انواع اعجاز القرآن بلاغته واسلوبه الخارجان عن طوق البشر .

جرت سنة الله العليم الحكيم ان المعجزة الكبرى لكل نبي تكون من نمط ما نبغ فيه قومه فكانت معجزة الكليم عليه السلام قلب العصاحية الشبيه بما مهر فيه قومه من السحر فادركوا بما أوتوا من معرفة هذا الفن ان ما اتى به من قلب العصاحية وابتلاعها لحبالهم وعصيهم ليس من نوع السحر الذي هم اعرف الناس به ولذلك اسرعوا بالايمان بما جاء به موسى عليه السلام ولزمت الحجة من سواهم بالتبع .

وعلى هذا النحو جاءت معجزات المسيح عليه السلام وهي احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لما ان قومه كانوا مولعين بفن الطب فكانت معجزاته شبيهة بما يفعله الاطباء الا انها خارجة عما في طوقا لاطباء الاتيان به .

وجريا على هذه السنة كانت معجزته العظمى عليه الصلاة والسلام وهي القرآن من جنس ما نبغ فيه قومه فنزل عليه به الروح الامين بلسان عربي مبين وهو صلوات الله وسلامه عليه بين عرب خلص أقحاح ولعوا بفنون البيان وتباروا في ميادين القول فسبقوا الى غاياتها واحرزوا على قصباتها حتى اشير اليهم بالبنان وملكوا من الفصاحه والبلاغة كل عنان قرع اسماعهم فادركوا بلوغه في الفصاحة والبلاغة الى الشأو الاعلى والدرجة الرفيعة بسبب ما اشتمل عليه من وفرة المعاني الدقيقة وكثرة الخصوصيات والمعاني الثواني التي هي مناط التفاضل بين البلغاء مع ايجاز العبارة ولطف الاشارة وحسن الديباجه وجمال الاسلوب واحكام الوضع مما وجدوا انفسهم بعيدين عنه بمراحل لا تحوم عقولهم حول مقامه الاسمى ولا تحلق افكارهم بجوه الذي تنحط عنه الجوزاء فما عتموا ان ألقوا اليه بالمقاليد وظلت اعناقهم له خاضعين .

تحداهم الرسول صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمثله فما استطاعوا الى ذلك سبيلا قال تعلى ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقال جل اسمه قل لئن اجتمعت الأنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وتحداهم ان ياتوا بعشر سور مثل سورة فما قدروا على ذلك وما وجدوا عن عجزهم تحويلا قال تعلى ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات الآية وتحداهم ان ياتوا بسورة من مثله ولو كانت اقصر سورة فخرسوا وما نبسوا قال تعلى ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله هذ امع كونهم اهل اللسان وارباب الفصاحة والبيان لا يشق لهم غبار ولا يجارون في ذلك المضمار ورضوا بتعريض رقابهم للسوف ونفوسهم للحتوف بمحاربة الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه الاشداء رضي الله عنهم ماذاك الا لتيقنهم انهم عاجزون عن معارضته فاخذوا يقاومونه مقاومة سلبية كقولهم فيما حكاه القرآن عنهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وجعلوا يدعون ان في استطاعتهم الاتيان بمثله دعوى مجردة كذبها الواقع كقولهم فيما حكاه القرآن عنهم ايضا لو نشاء لقلنا مثل هذا .

والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات ابناؤها أدعياء

ولما أعجز القرآن العرب من هذه الناحية كان معجزا لغيرهم من الامم بالاولى .

نعم ان كثيرا من العرب اعترفوا باعجاز القرآن وكونه من عند الله فبعضهم اسلم واذعن وبعضهم كابر وعاند فمن الفريق الاول جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير للاسلام وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي . ومنهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لان قلبه حين سمع سورة طه وسال عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر انه في دار ارقم بن ارقم فذهب اليه وآمن به واعز الله به الاسلام وغيرهما كثير ومن الفريق الثاني الوليد ابن المغيرة تلا عليه النبي صلى الله عليه قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وروى ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وروي أن روميا ورد من بلاد الروم مسلما فسئل عن سبب اسلامه وكان يحسن العربية فاخبر انه سمع بعض اسرى المسلمين ببلاد الروم يتلو آية من القرآن وهي قوله تعلى ومن يطع الله ورسوله ويخشى لله ويتقه فاولئك هم الفائزون فتأملها فوجدها جمعت ما انزل على عيسى بن مريم عليه السلام من احوال الدنيا والآخرة وحكى الاصمعي انه سمع جارية تتكلم فقال لها ما افصحك فقالت له او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعلى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين . فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وبالجملة فكون القرآن اعجز ببلاغيه وحسن بيانه وبداعة اسلوبه مصاقع البلغاء من العرب العرباء لا يسع احدا انكاره ولو كان من اشد اعداء الاسلام فهو الآية الناطقة بصدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم على ممر الدهور واختلاف العصور

ولنتم الحديث في هذا القسم من وجوه اعجازه بايراد عبارة لامام البلاغة عبد القاهر الجرجاني تغمده الله برحمته تفصح عما قلناه آنفا قال : لولا انهم (يعني العرب) حين سمعوا القرآن وحين تحدوا اليه والى معارضته سمعوا كلاما لم يسمعوا قط مثله وانهم رازوا انفسهم فاحسوا بالعجز عن ان ياتوا بما يوازنه او يدانيه او يقع قريبا منه لكان محالا ان يدعوا معارضته وقد تحدوا اليه وقرعوا فيه وطولبوا به وان لا يتعرضوا لشبا الاسنة ويقتحموا موارد الموت ثم بين وجه عجزهم عن معارضته بقوله : اعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها ومجاري الفاظه ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه واعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وبيان وبهرهم ان تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شانها او يرى ان غيرها اصلح هناك أو اشبه او احرى او اخلق بل وجدوا انساقا بهر العقول واعجز الجمهور ونظاما والتئاما واتقانا واحكاما لم تدع في نفس بليغ منهم ولوحك بيافوخه السماء موضع طمع حتى خرست الالسن عن ان تدعي وتقول وحديت (اي زجرت) القروم فلم تملك ان تصول اه (يتبع)

الفتاوى والاحكام

جرى في عرف الموثقين في بلدنا - تونس - انه اذا دعاهم من يريد ان يوقف داره او مخزنه او علوه او غير ذلك من الرباع المبنية للاشهاد عليه بالوقف فانهم يطلبون الاذن من احد مشايخ المجلس الشرعي في تحمل الشهادة بذلك وكتبها في الصك .

وقد سال المنعم الشيخ حسن عباس شيخ الاسلام سيدي احمد بن الخوجه برد الله ضريحه عن هذا الاستئذان هل له اصل شرعي ؟ فاجابه : بان ذلك ليس له اصل شرعي يوجبه وانما هو امر احتياطي من جهة ان الواقف ربما يقف ربعا خرابا لا يصلح لبقائه وقفا فاذا وقفه يحتاج بعد ذلك للمعاوضة وربما تقع المعاوضة على وجه يؤدي الى ضياع الوقف من اصله فاذا استاذنوا احد المشائخ فانه يسأل عن ذلك الربع هل هو صحيح مستقيم فاذا اخبره من يثق به بانه صحيح مستقيم فانه ياذن العدلين بتحمل الشهادة والا فلا ياذن لهما في ذلك .

فان اذن لهما يتلقونها ويكتبونها في رسم ذلك الربع واذا لم ياذن لهما لا يتلقون تلك الشهادة انتهى كلام شيخ الاسلام نقله عنه الشيخ حسن عباس ونقله عن الشيخ عباس الشيخ الشاذلي ابن القاضي رحمهم الله جميعا

سؤال

امرأة حاضنة لولدها اختلفت هي وأبوه في مكان ختانه فقال الاب نختنه عندي وقالت الام لا بل يختن عندي ؟

الجواب

اجاب المنعم المبرور الشيخ سيدي احمد كريم شيخ الاسلام برد الله ثراه : بأن الولد يختن عند امه لان الحضانة حقها على ما عليه الفتوى وحينئذ فلا يختن عنده بل عند امه . نعم اجرة الختان على من ياتي به فان اتى به الاب فعليه وان اتت به الام فعليها . اه

قال المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي أقول ان الاب اذا طالبته الام في الاتيان بالختان فانه يجبر عليه قال في القنية في باب من يجب عليه الأجر من كتاب الاجارة : ان اجرة الاديب والختان في مال الصبي ان كان له مال والا فعلى ابيه واجرة القابلة على من دعاها ولا يجبر الزوج على استيجارها لانها كالطبيب . اه وهو نص في ان الاب يجبر على ختان الولد من مال نفسه ان لم يكن للولد مال .

والحاصل ان الاب يجبر على الاتيان بالختان لختن الصبي فاذا أتى به كما هو الواجب عليه كانت الاجرة عليه اذا لم يكن للصبي مال واما اذا لم يأت به الاب وأتى به غير الاب من غير أمر الاب بذلك ولم يجبر من جهة القاضي وختن الصبي فان اجرته على الذي أتى به وهو متبرع في ذلك فلا رجوع له على الاب لان من أدى واجبا عن غيره بغير أمر فهو متبرع به فلا يرجع عليه كما صرحوا به .

(١) هذا في عرف السائل والمجيب رحمة الله عليهما اي من منذ ستين عاما . وقد بطل هذا العرف وصار الاشهاد بالوقف لا يتوقف على الاستيذان من الحاكم الشرعي . بل يتلقاه الشاهد راسا من الواقف . والعرف يتبدل بتبدل الازمان وتغاير البلدان .

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

محنة اهل القيروان

في عام ١٢٤٩

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

لمدينة القيروان منذ القديم منزلة غبطة واعتبار في نظر عموم سكان هذه الديار وذلك لما امتازت به هذه المدينة المختارة من الوديعة النبوية الشريفة الناشئة عن ضم تربتها الطيبة لهاتيك الشعرات النبوية المطهرة (١) التي اشتمل عليها قبر سيدي ابي زمعة البلوي (٢) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويستفاد مما نقله المؤرخون والكاتبون الثقاة ان هذه الشعرات اخذها ابوزمعة

---

(١) من المشهور ايضا ان العاصمة التونسية توجد بها شعرات نبوية فقد ذكر الشيخ محمد بن سالم الحمامي الخلوتي عند شرحه لبيت من ابيات بردة الامام البوصيري وهو قوله : لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه الخ عن الشيخ ابن الدباغ قوله : وقد تواتر الخبر لدينا ان بدار الاشياخ بتونس وهي المدرسة المرجانية المعروفة شعرات من شعره عليه السلام ارانيها حفيد الشيخ المرجاني فتبركنا بها وعنده بذلك براءة قديمة مكتوب فيها صحة كونها من شعره صلى الله عليه وسلم اه باختصار من كتابنا تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد

ويستفاد مما ذكره الوزير السراج في الحلل السندسية ان هنالك شعرة اخرى من شعره عليه الصلاة والسلام ومقرها مقبرة الزلاج دفنت مع الشيخ الشهير بابي شعرة المزار ضريحه لهذا الزمان بالمقبرة المذكورة وقضية هذه الشعرة هو انه كان لبعض الاكابر بناءات ضخمة تجمع لمعلم البناء الذي باشر تشييدها اجور وفيرة بذمة صاحب تلك الدور والقصور وكان في ملكية هذا الرجل المثري شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فلما اراد دفع الاجور التي بذمته لمستحقها قال له معلم البناء اعطني الشعرة النبوية التي عندك وانا ابرأك الله من جميع ما ترتب لي بذمتك فأعطاه اياها فاوصى بدفنها معه فدفنت معه تواتر النقل بذلك بين الناس ومما يعجبني الاشارة اليه هنا ان الاقدار ساعدت على دفن صاحبنا المرحوم ابي الحسن علي بو شوشة مدير جريدة الحاضرة جوار قبة الشيخ ابي شعرة رضي الله عنه

واذا سخر الاله اناسا لسعيد فانهم سعداء

(٢) اسمه عبد وقيل عبيد بالتصغير ابن ارقم البلوي ذكره الحافظ ابن حجر في الاصابة وابن الاثير في اسد الغابة في عبد وفي عبيد قال وهو مشهور بكنيته وقيل اسمه عبيد ابن ءادم والذي في معالم الايمان عبيد الله بن ءادم مات رضي الله عنه سنة ٤٨ للهجرة على اشهر الاقوال

من الشعر الشريف يوم منى في عـام حجة الوداع لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلـم رأسه ووضعها ابو زمعة في قلنسوته الى ان استشهد في القيروان فدفنت معـه . قـال في معالم الايمان انـه اوصى رضي الله عنه ان تعمل شعرة على عينه اليمنى وشعرة على عينه اليسرى وشعرة على لسانه

هذا هو السبب الاصلي في تلبس مدينة القيروان بالصبغة المباركة التي ازدادت نورا وحبورا بما اشتملت عليه تربتها من قبور جماعة كثيرين ءاخرين من صحابة وتابعين واولياء واشراف وعلماء عاملين . أضف لذلك ان القيروان كانت في القرون الاولى هي ام العواصم الافريقية وناهيك بامرائها من بني الاغلب الذين اخذوا حظهم من استقلالية الحكم برضاء خلفاء بني العباس وحكموا البلاد مدة طويلة وكانت لهم يد عاملة في تمصير مدينة تونس بما احدثوا بها من المرافق والاسوار وغير ذلك من دواعي العمران . فتكون من مجموع ما قدمنا مع تعاقب القرون مركز خاص في النفوس بين سكان الديار التونسية لمدينة القيروان وساكنيها وتاصل هذا الشعور في اذهان الناس الى العصور المتاخرة لا سيما بعد مناصرة اهل القيروان للمولى حسين باي بن علي تركي راس البيت الحسيني خلد الله ملكه وانضمامهم لحزبه ضد حزب الثوار الملتفين حول الباشا علي باي الاول اواسط القرن الثاني عشر للهجرة الشريفة . واتفق بعد نحو مائة عـام من ذلك العهـد ان الوزير حسين باش مملوك اساء التصرف في اموال البايليك حيث حسن في نظر الباي ورجال الديوان المضاربة في الزيت بطريقة السلم لفائدة صندوق الدولة فصارت الدولة تشتري الزيوت من مـلاكة الزياتين قبل نضج الصابة باسعار بخسة بقصد بيعها بعد ذلك للتجار باثمان باهضة فتسبب عن ذلك افلاس فلاحة الزيتون في الاجل القريب لان من لم توف صابته بما تعهد بدفعـه من الزيت للبايليك يغصبه الوزير على اشتراء ما نقصه بالمال الناض باسعار مشططة ليتمكن الوزير بـاش مملوك من تسديد ما عليه من مطالب الزيت الذي تحمل ببيعه بمقتضى اتفاقات مع التجار الاجانب وانتبه الباي لو خامة العاقبة فعزل الوزير حسين باش مملوك واقام مقامه الوزير شاكير صاحب الطابع وفوض له الامر لتدارك تلك الحال وشاكير هذا كان مشهورا بالحذق وسداد التدبير في شئون الاقتصاد فارتحل تـوا الى الساحل بنية تصفية الحسابات الناتجة عن تصرف سلفه واخص من ذلك بقصد جمع كمية وافـرة من الزيوت من ملاكة الزيتون بعنوان اعـانة للدولة لتدفعها للتجار الاجانب فانكر بعض اهل مساكن سلـوك الـوزير ورفضـوا دفـع الاعـانة المطلـوبة منهم ولاذوا بمـقام الصحـابي سيدي ابي زمعة البلوي بالقيروان تفصيا من الاعانة المذكوره فامر الوزير شاكير باخراجهم من مامنهم بالقوة القاهرة الامر الـذي اثار غضب لفيف اهل القيروان بمسعى من رجل اسمه سعد اللوز الذي كان ينادي في الناس : يا اهل القيروان هكذا يهتك حرم السيد الصاحب وحرم القيروان . قال المؤرخ الشيخ احمد ابن ابي الضياف : فلباه جمع من وغاوغ الرعاع وانضاف اليهم ءاخرون واجتمعت العامة

وعجزت الخاصة عن ردهم ومنعوا الهاربين قهرا ثم حملوا السلاح واتوا الى الاعيان يشيرون للواحد منهم بالسلاح ويقولون له ترضى هتك حرم السيد الصاحب ولا بد ان يقول لا.فاذا قالها قالوا له انت معنا فيقول لهم وهو ينظر الى السلاح الموجه نحوه نعم ثم ياتون ءاخر وهكذا تداس السباع بايدي الضباع اهـ

لما راى اعوان الوزير شاكير القادمين على القيروان لاخراج الهاربين الملتجين بمقام ابي زمعة والتوجه بهم لسوسة ان تنفيذ الاذن الوزيري الذي بيدهم يجعلهم عرضة للخطر فازوا بالفرار وركبوا ادهم الليل الى سوسة واخبروا الوزير شاكير بما راوه من ضجيج العامة فاستفزه الغضب ورفع الامر الى مسامع المولى حسين باي الثاني قالوا ان سلوك عامل القيروان يومئذ وهو من ءال المرابط المشهورين كان مشبوها فيه لانه هول الامر عند اعلامه للوزير شاكير بالنازلة بحيث ان مكتوب الوزير للباي تضمن عبارة « خروج اهل القيروان عن الطاعة وانه لا بد من تلافي الحال قبل سريانه » ومقتضى هذه الاشارة وجه الباي عقدا من الخيل برئاسة صالح بن بلقاسم كاهية وجق الصبايحية بتونس وكان صاحب راي وسياسة فبعد ان اجتمع بالوزير شاكير بسوسة سار الى القيراون وعند الوصول اليها تحقق ان البلاد لم تخرج عن الطاعة لان اهلها تلقوه بصناجق الاولياء ورحبوا بقدومه فتمكن من الجماعة المثيرين للهرج وعاد لباردو مصحوبا بجمع من اعيان القيروان واشرافها وعلمائها منهم الباش مفتي الشيخ محمد بن بكار صدام فلما مثلوا بين يدي الباي لامهم عما صدر من بعضهم من العقوق ثم امر بضرب جماعة من اللفيف الذين شاركوا في الهرج بالسياط قال الشيخ احمد ابن ابي الضياف : ودام الضرب فيهم من الضحى الى الظهر الا انه كان ضرب هداية وتاديب لا ضرب قتل بتعذيب لان الباي لما امر بضربهم قام للخروج من المحكمة وامر الموكل بالضرب وهو الرجل الخير محمد الطبرقي اوضه باشي المماليك بالتخفيف والرفق وقال له اضرب ضرب تربية لا ضرب انتقام اهـ

بعد هذا قال الباي لا بد من خطيئة يعني عقوبة مالية على عامة اهل القيروان وكان في حسبانه ان يخلص شيئا ويترك شيئا . ثم امر رجال الوفد القادمين عليه من القيروان بالرجوع الى سوسة لمقابلة الوزير شاكير فلما مثلوا لديه خاطبهم بعنف وشدة واهان عالمهم وامام جامع عقبه بن نافع وان هو ندم بعد حين عن صدور ذلك الشذوذ منه وفي ذلك المجلس اعلمهم بانه ضربت عليهم خطيئة قدرها خمسمائة الف ريال وانه قادم على الاثر لخلاصها وفعلا توجه بوقته الى القيروان وباشر استخلاص ما مكنته سطوته من خلاصه بدون رفق ولا حنان قالوا انه الزم مؤدب صبيان على دفع حصته في الخطيئة وقدرها له بخمسمائة ريال والمؤدب لا يكسب خمسة ريالات فاضطره لبيع اثاث بيته والواح مكتبه لدفع بعض ما ضرب عليه وليقس ما لم يقل فكان اهل القيروان يومئذ في زلزلة ساعة سكارى وما هم بسكارى وهذه المصيبة التي حلت بدارهم دعت احد اعيانهم وهو الشيخ محمد بن عطاء الله السلمي (١) لنظم قصيدة فريدة في استرضاء الباي واستمناح شريف عواطفه نحو اهل القيروان

(١) كان يقري السيرة النبوية باحدى زوايا الحومة القبلية بالقيروان وكان رخيم الصوت يحرك وجدان سامعيه وكان مع ذلك صاحب اقدام وحمية ونفس ابية فصيح اللسان بليغ البيان ثابت الجنان توفي رحمه الله اواخر جمادى الاولى عام ١٢٥٠ وقد رثاه بعض الافاضل من خلانه بقصيدة هذا بيت تاريخها .

فعند ما ابصرت عيني الخليل ثوى | بقبره ارخت : مات الذكي الادبي

وهذه القصيدة التاريخية لم يسبق ظهورها في عالم الطباعة لذلك ءاثرت نقلها هنا برمتها عن كناش الاديب الشيخ حسين بن مصطفى الترجمان وهذه عبارتها بعد مقابلتها بنسخة ثانية منها سمحت بها مكارم احد احفاد الناظم رحم الله السلف وبارك في الخلف .

الصبر للمرء خير يا ابن ذي كرم ... فلازم الصبر كي تشفى من الالم
لا تجزعن وكن بالله معتصما ... فخالق الخلق ذو فضل على الامم
من كان مستنصرا يوما بسيده ... نال المنى والرضا من باريء النسم
ياصاح انبيك عن ريب الزمان وما ... بالقيروان جرى للناس من عدم
لاجل اوباشها عتوا بفرعنة ... فعم فيها القضا من كان في نعم
وكل من كان من اهل السداد بها ... الفيته حائرا والدمع كالديم
فما ترى واحدا الا ويركض في ... سعي الخلاص لنقد عنه مرتسم
يفر مجتهدا بالرهن مغتبطا ... نحو النصارى لجني الفلس مغتنم
كي يستريح من الامر المهول وما ... اصابه من شديد السب والنقم
يالهف نفسي على صبرا وزينتها ... وعن كرام بها من سادة الحرم
جار الزمان عليها بالنكال وقد ... اساءها بمزيد الضر والسقم
فاصبحت بلقعا قفرا وليس بها ... شيء يناوله شخص لذي رحم
حكم الاله على المخلوق ابرمه ... فرضنا بالقضا ياواسع الكرم
ما كان في ظننا ان الامير له ... حرص يؤول به للمحق والعدم
ويسمع النقص من واش له غرض ... ووصفه الافترا والصدق عنه عم
هذا من السيد المولى الجليل جرى ... فلا محيد على ما خط بالقلم
بالله يا ملكا جاد الزمان به ... رفقا بقوم غدوا في غاية السقم
اهملتنا بعد ما قد كان يألفنا ... من السيادة حصن غير منهدم
لو كنت امضيتنا بالسيف اهون من ... مقت لنا من عدو غير محتشم
قد ادعى اننا رمنا الشقاق على ... مليكنا ورمى الاقوام في ضرم
لكنه الصبر اولى فالرحيم اذا ... ضجت اليه عبيد جاد بالنعم
فقد رجوناك يا فخر الملوك ويا ... نسل المليك لدفع الحادث العمم
الحلم عادتكم والعفو شيمتكم ... والصفح زينتكم يا منتهى الكرم
حاشاك ترضى جلاء القيروان اذا ... ما كنت انت لها يوما فمن بهم
فنطلب الله رب العالمين بمن ... له الشفاعة يوم الحشر في الامم
ان يلهم السيد المولى الامير لما ... فيه الرضى والشفا لكل ذي سقم
وان يعطف وزيرا حاز مرتبة ... برايه عند اهل المجد والشيم
ليتبع الامر ممن كان ذا سبب ... ويذهب الباس عن حيران متهم
بجاه خير نبي جاء مبعثه ... للعالمين هدى والناس في ظلم
محمد خاتم الرسل الكرام ومن ... يكون يوم الجزا غوثا لمنعدم
صلى عليه اله العرش خالقنا ... ما قام ذو طرب يسعى الى الحرم
فعدة النظم « لب » يا خليلي وقد ... ارخت : والخلق في ضيق من الالم

١٢٤٩

محمد بن الخوجه

القضاة الشرعيون في القديم

بقلـم العلامة النحرير فضيلة الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

الاجمي

هو ابو عبد الله محمد الاجمي من شيوخ الامام ابن عرفة في الفقه قال في كتاب الشهـادات من مختصره الفقهي : ولقد اخبرني بعض من يوثق بخبره الفقيه القاضي ابو محمد « كذا » الاجمي وهو احد شيوخي في الفقه الخ

ولي القضاء بعد ابن عبد السلام قال الزركشي في تاريخ الدولتين صفحة ٧٤ . وبعد وفاته « اي ابن عبد السلام » ذكر لقضاء الجماعة الشيخ الفقيه المفتي ابو عبد الله محمد بن محمد بن هارون الكناني فغصب منصبه فيه بولاية قاضي الانكحة ابي عبد الله محمد الاجمي . يقال ان ابن عبـد الرفيع رمى بنفسه على ابن تاسكرت وكان مكينا في الدولة المرينية وقال لـه ان توسطت لي في خطة القضـاء فانا اوليك عدلا بتونس فلم يزل الآخر يتمثل الى ان وقع الشرط ومشروطه، وذلك ان الاجمي كان قاضي الانكحة فنقل لقضاء الجماعة ثم ان الاجمي اقام مدة يسيرة وتوفي فقيل يقدم ابن هارون فقال ابن تاسكرت جرت العـادة بان قاضي الانكحة هو الذي يتولى قضاء الجماعة ووطد لذلك بانه من بيوتات تونس فولاه السلطان بواسطته اه كلام الزركشي بنصه

وفي هذه القصة « ان صحت » من العبرة ان خطة العدالة كانت لها المنزلة العليا حتى يتعلق بنيلها من ينتهي به نفوذه الى السعي في تولية القضاة

وقد ترجم الشيخ بابا في نيل الابتهاج هذا القاضي وقال في شانه : احد فقهـاء تونس وقاضي الانكحة بها أخذ عنه الامـام المقري وقال انه حافظ فقهائهـا في وقته اه واخذ عنه ايضا الخطيب ابن مرزوق وابن عرفة ونقل عنه في مختصره قصة في اجرة الشهـادة توفي سنة ثمان واربعين وسبعمائة افادنيه بعض اصحابنا اه كلامه والصواب ان وفاته سنة تسع واربعين باثر ولايته القضاء

« ابن عبد الرفيع »

هو ابو حفص عمر بن عبد الرفيع بيته من بيوتات العلم الوجيهة بتونس ولي قضاء الانكحة وقضاء الجماعة خلفا من بعد الاجمي فيهما وولي امامة جامع الزيتونة وتوفي سنة ٧٦٦ . كذا في تاريخ الدولتين صحيفة ٨٨ يتبع

عود لعقود الانكحة في تونس

اشتمل المصراع الاخير من القصيدة المدرجة بالصحيفة ٤٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابـع على غلط حيث جاء فيه :

« عقد سعيد بان السعد قد عضدا » وصوابه « عقد سعيد بباب السعد قد عقدا » وبهذا الاصلاح يكون تاريخ القصيدة موافقا لسنة العقد التي اقتضاها اي سنة ١٢٠٤ لا كما جاء رسمه في الاصـل الذي نقلت منه القصيدة المذكورة محمد بن الخوجه

الأدب

موشح ابن المعتز ومعارضاته

احرز موشح ابن المعتز (١) على شهرة فائقة بين الادباء قديما وحديثا فتباروا لمعارضته ومن اشهر معارضاته ، معارضة ابن بقي الاندلسي الغرناطي ومعارضة علم الدين ايدمر المحيوي ـ وقد نظم اخيرا الشاعر الكبير شيخ الادباء بتونس السيد العربي الكبادي موشحا في معارضته ، وخص المجلة الزيتونية بنشره ـ فاردنا ان ننشر هنا موشح ابن المعتز مع معارضاته المشار اليها ـ على ترتيبها

موشح ابن المعتز

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع
وندیم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقض من سكرته
جذب الكأس اليه واتكى وسقاني اربعا في اربع
ما لعيني عشيت بالنظر !
انكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت ، فاسمع خبري :
عشيت عيناي من طول البكا وبكى بعضي على بعضي مع ي
غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء ،وهون القوى
كلما فكر في البين بكا ويحه ! يبكي لما لم يقع !
ليس لي صبر ولا لي جلد
يا لقومي عذلوا واجتهدوا
انكروا شكواي مما أجد
مثل حالي حقه ان يشتكى كمد اليأس وذل الطمع
كبد حرا ودمع يكف
يذرف الدمع ولا ينذرف
ايها المعرض عما اصف
قد نما حبي بقلبي وزكا لا تقل في الحب إني مدعي

(١) هو أمير المومنين ابو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله بويع بالخلافة بعد خلع المقتدر وجلس على دست الخلافة يوما وليلة ثم خلع و بويع المقتدر ثانيا فقتل ابن المعتز . وهو معدود من اعيان ادباء المائة الثالثة ولد سنة ٢٤٩ وتوفي سنة ٢٩٦
وهو اول من صنف في البديع جمع سبعة عشر نوعا منه وله ديوان ضخم والف التصانيف النفيسه

موشح

ابن بقى القرطبى (١)

عبث الشوق بقلبي فاشتكى ألم الوجد فلبت أدمعي
أيها الناس فؤادي شغف
وهو من بغي الهوى لا ينصف
كم أداريه ودمعي يكف
أيها الشادن من علمكا بسهام اللحظ قتل السبع
بدر تم تحت ليل أغطش
طالع في غصن بان منتشي
أهيف القد بخد أرقش
ساحر الطرف وكم ذا فتكا بقلوب الاسد بين الاضلع
أي ريم رمته فاجتنبا
وانثنى يهتز من سكر الصبا
كقضيب هزه ريح الصبا
قلت هب لي يا حبيبي وصلكا واطرح اسباب هجري ودع
قال خدي زهره مذ فوفا
جردت عيناي سيفا مرهفا
حذرا منه بان لا يقطفا
ان من رام جناه هلكا فأزل عنك علال الطمع
ذاب قلبي في هوى ظبي غرير
وجهه في الدجن صبح مستنير
وفؤادي بين كفيه أسير
لم أجد للصبر عنه مسلكا فانتصاري بانسكاب الادمع

(١) هو ابو بكر يحيى ابن بقي (بوزن علي) القرطبي قال صاحب القلائد في وصفه رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض اقام شعرائه ، واظهر روائعه ، وصار عصيه طائعه ، اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى باحسن من رقم البرود وطغا عليه حرمانه ، فما صفاله زمانه . اه

موشح علم الدين ايدمر (١)

عهد البين الى عيني البكا ثم اوصاها بان لا تهجعي
وسقى قلبي من خمرته
فهو لا يعقل من سكرته
فمتى ينقذ من غمرته
في سبيل الحب قلب هلكا شيع الركب ولما يرجع
قال لي العاذل لما نظرا
من غدا قلبي به مشتهرا !
أكذا تعشق ماذا بشرا ! ؟ !
حاش لله اراه ملكا مثل ذا فاعشق والا فدع
هز عطف الغصن من قامته
مطلعا للشمس من طلعته
ثم نادى البدر من ليلته :
ايها البدر تغيب ويحكا ما احتياج الناس للبدر معي ؟
انا علمت القضيب الميدا
واستعار الظبي مني الجيدا
وكذا القرم من آل الندى
ابصر الغيث نداه فحكى وهو ان ظن سوى ذا مدعي
من جميع الفضل يحيى عنده
ليس للدين بمحيي وحده
قال للتالي عليه حمده :
لي حسن الذكر والمال لكا فاقترح تعط وناد تسمع
آخذ بالحزم لا يتركه
في سوى الجود بما يملكه
لا ترى في المجد من يشركه
وهو في المال كثير الشركا ومن الحمد كثير الشيع

(١) قال في فوات الوفيات : ايد مر المحيوي فخر الترك عتيق محي الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى . وقال في كتاب المشرق في أخبار المشرق نشا في الدوحة السعيدية فنمت ازهاره وطلع بالسماء البيانية فتمت زواهره جمعت لافنانه انواع الفنون والعلوم حتى خرج آية في كل فن وبرع في المنثورو المنظوم . وهو من شعراء الملوك الايوبين نظم في مدحهم القصائد المطوله فقد نشا في دولتهم وتقلب في نعمهم وصاحب خاصتهم كالوزير الصاحب بهاء الدين زهير كاتب انشاء الملك الصالح ايوب والصاحب محيي الدين محمد وفيه نظم هذا الموشح مادحا ومهنئا له بالعيد وغيرهما فهو من ادباء المائة السابعة

انـت يـا موسى رجائي آنسا
نـار جـدواه فوافى قـابسا
رحت في حضرة قـدس دائسا
في طوى السؤدد فاخلع نعلكا وادعـه يـأت بكبرى يوشع
لرشيـد الامـر اضحى عاضدا
رايـه المأمون حزما راشدا
ولديـه الفضل يحيـا خالـدا
فدعـوا جعفر وانسوا برمكا فالندى في غيـره عين الدعي
انت مذ كنت الرئيس الاعظم
غيـر خاف والاعز الاكرم
كدت من طول التعالي تسام
رتـب السؤدد لكن صدكا كرم العهـد وحفظ الموضـع
لـك في كل مكان مفخـر
اثـر يروى ومجـد يذكر
فبقـاع الارض لـولا العنصر
هزها الشوق فسارت نحوكا ولكم رامـت فلـم تستطـع
قـد مضى الصوم ملاقي ربـه
جاعـلا سـرك نجـوى قلبـه
وأتى العـيـد فـهنئـت بـه
فهـو قـد هنئى من قبل بكا وابـق في ذروة عـز آمنـع
وامش في روض التهاني واركض
واصحب الدهر الى أن ينقضي
ولئن هنئيت بالعيـد الـرضى
فلكل الـدهر يلقـى عنـدكا بهجـة العـيـد وأنس الجمـع
رب يـوم قـد رايـت الافقـا
خائفـا بالبـرق ان يخترق
وبـدا البـدر مروعـا مشفقـا
لابسا لمـا تجلى فنكـا وبـدت شمس الضحى في برقـع
وكأن الجـو حرب تصطلى
قـد اثـار الغيـم فيهـا قسطلا
فانتضى البـرق عليـه منصلا
فبكى الغيث حيا اذ ضحكا خافـق القلـب مروع الاضلـع
فاقتـدح بالمـزج نـار القدح
نصطلى ان نحن لـم نصطبح
واغـنـيـك ولـم تـقـتـرح
ايهـا الساق اليـك المشتكى كم دعونـاك وان لـم تسمع

موشح الشيخ الكبادي

من لصب ذاب من فرط البكا   وافتقاد النوم عند المضجع

كلما الراح بدت في كاسها
تنعش الاموات في ارماسها
واستطاب الطيب من انفاسها

زاده الشوق شجونا فاشتكا   الم الهجر وسوء المصرع

من بني الترك كحيل طرفه
اعجز الكهان سحرا ظرفه
وسبى العشاق طرا لطفه

ان لي من حبه ما تركا   زفرات قد اذابت اضلعي

ويح قلبي من هوى الغيد الحسان
كيف القاه بوادي الافتتان
فهو في كل زمان ومكان

سالك في حبهم ما سلكا   لست القاه ولو يوما معي

قل لمن اسرف من اهل الملام
في انتقاد المصطلي نار الغرام
دع ملام الصب واذهب بسلام

واجتنب لوم الذي قد هلكا   وهو من عذاله لم يسمع

ايها الاهيف يكفي ما جرى
من صدود منع الجفن الكرى
وفؤاد باللهيب استعرا

صرت في الحسن فريدا ملكا   فاتق الرحمان في صب نعي

ولكنها زادت لتلعب بالنهى — الى الغاية القصوى اساطينها الملد
وما قيد الالحاظ منها كمركز — موات وامواه الحياة به تعد
لمعنى ترى الانحاء منها ثمانيا — فهل هي الا من جنان به الخلد
والقت على ظهر الطريق وسادها — لئلا يلاقي الغبن في قصدها الوفد
وتبصر من قرب مريدا تودة — وتسمع بدءا صوت من قصده الرفد
فحسب من استعفى من الضيم وقفة — وحسب الذي ياتي لعادتها العود
واعظم بها والبرج يكفت ذيلها — كجالسة قعسا وكرسيها طود
ولو نطقت قالت له كيف كنت لي — ومن بيننا فيما طبعنا له بعد
طبعت على التقوى فاقبل من دنا — وادنو لمن يناى ومن طبعك الطرد
فاين مخيفات بها كنت تحتمي — امن قدر ياتي به الصمد الفرد
وها انا ذا وجهت وجهي لوجهه — ومن ذكره ما دمت في الدهر لي ورد
وبعت المغاني بالمثاني ونشوتي — بما قال جمال الحديث به يشد
كفتني من المولى القوي حماية — وما بعد عون الله في شدة جند
على ان بالاسناد لي لك حرمة — عليك لمن اولاكها يجب الحمد
هو السيد الباشا الذي بكماله — واكماله ما ينبغي كمل الحد
مرادي علي ابن الحسين ومن يقل — له في النهى ثان فقولته رد
اذا عد من وفى بكل مليحة — وقيل علي اول وقف العد
سقى قصره هذا وكل قرارة — يحل بها سار من اللطف ممتد
دعاء اجاب الله من قد دعا به — وتاريخه بيت به اونس السعد سنة ١١٨١
بحرمة من وافى الى الناس رحمة — فزالت به البأسا وتم به الرشد
عليه صلاة لا يحاط بقدرها — يحاط بها عن فيض باب الرضى السد
ويدخل باني البيت في حصن درعها — فتحفظه حفظ الحمى الحافظ الجلد
وفي حرز بسم الله وهي وجيهة — يحق بها المبدا ويزكو بها العود

ومن شعره ايضا فيها

جددوا الانس بالمقام الجديد — ما على شوقنا له من مزيد
فاصحبوا للسرور كل موات — واحفظوا الجمع من حضور البليد
هذه قبة السرور دعتكم — كيف تناون عن قباب السعود
طلعت للوجود من علم غيب — طلعة النجم من سحائب سود
او كغيداء جملت للتجلى — الحقوها العقاص بعد العقود

وله فيه مهنئا بعيد الأضحى واشار فيها الى اسباب عزمه على تجديد قنطرة وادي مليان واجاد في تشبيه اقواس القنطرة

تنعمت في الاضحى باحظى من الفطر — كذاك ترى حاليك في اطول العمر
تودع ما استدبرت لا عن ملالة — وتصحب ما استقبلت منشرح الصدر
وتبدي لك الايام ما بعد عشرها — كعاشر يوم في الطلاقة والبشر
فمنها تهنى باتصال جديدها — ومنك تهنى بالامان من العسر
ولولا اتباع الدين لم يدر حاضر — زمانك ان العيد في عاشر الشهر

فان عن منى شطوا فمنزلك النوى … وتلك اللهى ترمي بها بدن النحر
وما في استوا الايام في الطيب بدعة … كايام عيسى وهو منك على ذكر
يمينك قد البستها الامن ضافيا … وقصرتها وهي الطوال عن الحصر
تسرك سراها فان لاح لائح … من الضر فيها كنت حريا على الضر
براي اذا ما الخطب اظلم ليله … تطلع من تلقائه صادق الفجر
وعدل يعم العف والبر ظله … ويصلى حليف الحيف منه بلا جمر
وحلم تزول الراسيات وطوده … كما هو لا يصغى لساع ولا مغر
وبسط نوال فيه سويت من دنا … وذا الناي والكاسي النبيه وذا الطمر
واقرضت وجه الله فيه تحننا … على خلقه قرضا يلاقيك في الحشر
وقفت وقد مرت بك الحال مرة … باحوال مليان على شاطيء النهر
فعاينت في ذاك المجال مداحضا … قريبا لمن يمشي به نازح الغور
فمن حمل يهوى على ام راسه … ومن فرس ينحط بطنا الى ظهر
ومن ذي حمار ضاع قوت صغاره … وولى وقد اشفى الحمار على الكسر
فايقظت عزما لم يكن قبل نائما … واصحيت حزما لم يكن قبل في سكر
وخلصت ما بين السلامة والردى … بجسر بديع الوضع يا لك من جسر
اذا وصل التيار ظل فنائه … علته سيوف منه سلت من الصخر
والقت على الانحاء افلاذ بطنه … وقالت له هذا الجزاء على الجور
تمد له حتى تفرق جمعه … وهي صموت وهو يحمل في زئر
على انها خمس لوت بخميسه … على انه الجرار في واسع القفر
قوائم قامت مثل خود تعانقت … لترقص او تاتي لوعد على قدر
وصاغت من الابريز منظوم تاجها … (١)
تروقك حتى لا ترى كاعتدالها … وملبسها المرقوم بالبيض في الصفر
واعجب من ذا ان مليان كله … تصب في اجوافها وهي لا تدري
فاصبح من تلك المهالك ملجأ … يلوذ به الساعون في القر والحر
وبرأته من وصمة الظلم جاعلا … براءته فيما توخيت من اجر
فلا حجر الا واعجلت حقه … ولا عامل الا واحكمت في الاجر
وانت الذي سابقتهم فسبقتهم … على انك المذكور في ءاخر الدهر
وفكرت بعد الجسر في كسب خصلة … تزيدك اعلاء ولم ترض بالنزر
والفيت ميت العلم للملك ثانيا … فالحفته من ثوب عمرك بالشطر
وجاريت في ميدانه كل فارس … بصير بما ياتي من المد والجزر
وخاطبت منهم حلبة السبق فانثنت … وكنت المجلي بين فرسانها العشر
وكم طيرت من مكمن البحث نكتة … بعثت لها من سرب فهمك بالنصر
فمرت الى ذات اليمين فردها … تصر الى ذات الشمال على الفور
فما هو الا ان علاها فاخلدت … الى الارض من قبل الدنو من الوكر
وما فتن الالباب مثلك ناطقا … باسهل الفاظ على المطلب الوعر
وقتك اذى المعيان في ذاك جسة … ترد على اعضائه شهقة المكر

(١) بياض بالاصل

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الرابع	تونس في شهر ذي الحجة ١٣٥٩ وفي جانفي ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير .

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حموده باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

فهرس العدد

صفحة | المقال | صاحبه

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الرابع	تونس في شهر ذي الحجة ١٣٥٩ وفي جانفي ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

القرآن الكريم

سورة قد افلح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾

ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا شرح صدره للايمان واستعمل جوارحه فيما يرضي الملك الديان والسعيد من اهتدى بهدي القرءان ونشطت اعضاؤه للعمل بما جاء به الاسلام فحق بعد ذلك ان يوسم بالفلاح ويعد من اهل الايمان والنجاح

والفلاح اسم للفوز والبقاء والنجاة والمصدر الافلاح قال شاعرهم : ولكن ليس للدنيا فلاح * اي ليس لها بقاء وقول المؤذن : حي على الفلاح اي اقبل ايها الانسان على النجاة باداء ركن الاسلام وهو الصلاة فقوله تعالى قد افلح المؤمنون اي قد دخلوا في النجاة او صاروا ناجين وظفروا بالمراد وقد لتثبيت الامر المتوقع والمؤمنون يتوقعون من الله البشارة بنجاتهم وفوزهم فبشرهم الله تعالى بما دل على ثبات ما يتوقعونه المستفاد ذلك الثبات من قد والمؤمنون جمع مؤمن والمؤمن هو الذي آمن وصدق بالله ربا وبمحمد نبيا وبالملائكة والكتب المنزلة وباليوم الآخر فالايمان هو التصديق والعبد المؤمن هو المصدق بما جاء به رسول الله وعلم ضرورة انه من دين الاسلام .

وقد جاءت الآية الكريمة على صيغة الاخبار متضمنة للوعد بذلك الفلاح في العاجل والآجل ولثواب الآخرة أعظم وأبقى .

ولما كانت صفة الايمان يشترك فيها البر والفاجر والطائع والعاصي فهي تقال عليهم بالتشكيك بحسب ما تظهر على المؤمنين من آثار الايمان وما يقومون به من واجبات الاسلام وما يتحلون به من شريف المناقب وكريم الصفات بين الله للناس أي المقامات اعلى وأشرف وأي الصفات التي ينال بها العباد رضاء الله فيشمله سبحانه بمثوبته ويورثه الفردوس من جنته .

فذكر سبحانه لذلك ست صفات من تحلى بها كان هو المؤمن الكامل الذي ينتفع بايمانه اعظم انتفاع وحسبك من المؤمن الصالح ما يظهر عليه من الآثار في نفسه اولا وفي عشيرته ثانيا وفي المجتمع

الذي يبلغه آثار ايمانه ان ضيقا وان متسعا . فان مثل ايمان احدكم كشجرة يانعة بقدر ما يرعاها صاحبها تنمو وتزكو ويعظم الانتفاع بها . فان هو بالغ في حضيها ورعايتها نمت واعطت اكلها كل حين وانتفع بها القاصي والداني وبلغت ثمرتها أطراف المعمورة . وان هو قصر ضعف انتاجها حتى يكاد لا يتعدى سواه . وان هو اهملها منعته خيراتها ولم يرزق من ثمارها وما بقي له الا ظلها يستظله ويتقي بها عين الشمس ولربما مسه شظا من فيحها فيرديه لو كان يعلم .

فليتق الله فيما انعم به عليه وكيف يرضى العاقل من امره بالدون ويبوء بالنقيصة ولا يكون من عباد الرحمن الذين وصفهم بقوله : قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون . وهذه هي الصفة الاولى التي بها الفلاح وبيان هذه الصفة يستدعى الكلام على الصلاة ومشروعيتها وصفاتها التي من بينها الخشوع فنقول :

الصلاة كلمة عربية استعملها العرب قبل الاسلام بمعنى الدعاء والاستغفار والعبادة واطلقت في الشرع على العبادة المخصوصة فهي اما من قبيل المشترك او من قبيل الحقيقة والمجاز الذي صار بعد حقيقة شرعية ورجح شيخنا سيدي محمد الطاهر ابن عاشور ابقاه الله في دورس التفسير التي حضرناها عليه ادام الله النفع به انها تستعمل في اللسان العربي بمعنى العبادة بكيفية مخصوصة (١) وانشد عليه قول الاعشى

يراوح من صلوات المليك   طورا سجودا وطورا جؤارا

وعليه فاطلاق الصلاة على العبادة المخصوصة في الاسلام المفتتحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم يكون ذلك تخصيصا للفظ ببعض مدلولاته يعني بذلك خصوص العبادة التي جاء بها الاسلام دون غيرها من العبادات التي عرفها العرب وهذا هو الاوجه في تفسير الصلاة

ولا التفات الى من قال لم يكن للعرب صلاة معروفة الا ما كانوا يدعون به الله عند التلبية والا ما اخبر به القرءان في قوله تعالى : وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية . والمكاء ـ الصفير والتصدية التصفيق . فان العرب كغيرهم من اهل الملل عرفت العبادة بالصلاة من شريعة ابراهيم ومن شريعة موسى وعيسى عليهم السلام والبيت الآنف الذكر يدل على ذلك

وربما اطلقوا اسم الصلاة على الطواف . ويكون نعي القرءان عليهم في قوله تعالى وما كانت صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية . لبيان ان هذا الطواف الذي هم عليه ليس هو العبادة المشروعة التي جاء بها ابراهيم عليه السلام . قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون . فطوافهم الذي حسبوه عبادة هو في الحقيقة ليس من العبادة في شيء

فالذين يقولون انها حقيقة شرعية في العبادة المخصوصة فهم لا ينكرون استعمالها في لسان العرب في العبادة وما استعمالها في الطواف الا من هذا القبيل والاستعمال مسبوق بالوضع الا ان علماء الشرع غلب استعمالهم لها في الصلوات المشروعة في الاسلام بكيفيتها الخاصة حتى اذا اطلقت لا تنصرف الى غيرها كما هو الشان في الحقائق العرفية على ما قرره القرا في رحمه الله

(١) أصل ما رجحه شيخنا لابن فارس قاله في كتابه الصاحبي

واما مشروعية الصلاة في الاسلام فانهـا وقعت في اول ما شرع من الدين وقد روى جماعة من اهل العلم فيما حكاه ابن حجر انه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة الا ما كان وقع الامر به من صلاة الليل من غير تحديد

ونقل عن الحربي ان الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وذلك قوله تعالى : وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار . وقد روي ان عبادة الليل كانت قاصرة على ترتيل القرءان ومما يدل على مشروعية الصلاة قبل الاسراء

ما ورد من صلاته صلى الله عليه وسلم عند الكعبة وتحرج قريش من ذلك واخفائه صلى الله عليه وسلم صلاته عنهم اولا الى ان اسلم عمر وصلاة ابي بكر وغيره من الصحابة وما تحملوه من اذاية قريش لهم وصدهم عن الصلاة بالمسجد الحرام وبنـاء ابي بكر مسجدا بفناء داره ليصلي فيه

اما الصلـوات الخمس فقد فرضت ليلة الاسراء والاسراء وقع قبل الهجرة بسنة وبه جزم ابن حزم وحكى عليه الاجماع . وقيل قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث سنين

اخرج البخاري وغيره من اصحاب السنن عن انس ابن مالك رضي الله عنه مـا حدث بـه أبـوذر رضي الله عنه من حادثة الاسراء والمعـراج التي فرضت فيهـا الصلوات الخمس والحـديث يطول بنا ذكره والاحاديث في هذا الباب كثيرة كلها تدل على ان فرضية الصلوات الخمس كانت ليلة الاسراء والغرض الآن ذكر فرض الصلاة فلنكتف بذلك

بقي علينا ان نعلم كيفية الصلاة المفروضة . اخرج البخاري عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر . فاقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وفي رواية عن عروه بن الزبير عنهـا فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ففرضت اربعا . وهذه الرواية اخرجها البخاري ايضا في كتاب الهجرة . وفي مسند الامام احمد بنفس الاسنـاد عنها رضي الله عنها انها قالت الا المغرب فانهـا كانت ثلاثا . وروى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت فرضت صـلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واطمأن زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لانها وتر النهـار ومثل ذلك ما اخرجه مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة

وقد وردت النصوص الدالة على فرضية الصلاة قال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

ولم يبين القرءان صريحا اعداد الركعات وانما ذكر اوقاتها اجمالا قال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون قيل لابن عبـاس رضي الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس في القرءان ؟ فقال نعم وتلا هذه الآية

وقد كانوا يعبرون عن الصلاة بالتسبيح من باب اطلاق اسم البعض على الكل على طريقة المجاز المرسل يقولون سبح الغداة مثلا اي صلى الفجر والمعنى على هذا التفسير فصلوا لله حين تمسون صلاة المغرب والعشاء وقوله وحين تصبحون صلاة الفجر وقوله وعشيا صلاة العصر وقوله وحين تظهرون صلاة الظهر والاظهر في الدلالة آية سورة الاسراء وهي قوله تعالى : أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرءان الفجر ان قرءان الفجر كان مشهودا فهذه الآية جامعة لاوقات الصلوات الخمس مع الامر بالصلاة صريحا في قوله أقم الصلاة وقوله لدلوك الشمس يقال دلكت الشمس اذا زالت عن كبد السماء او اصفرت او غربت (١) فعلى المعنى الاول وقعت الاشارة الى صلاة الظهر والعصر والمغرب وهذا ما ذهب اليه الجمهور ويمكن ان يقال المعنى اقم الصلاة لكل دلوك والاول هو الزوال والثاني هو الاصفرار والثالث هو الغروب ولكل منها صلاة الدلوك الاول تصلى عنده الظهر والدلوك الثاني تصلى عنده العصر والدلوك الثالث تصلى عنده المغرب وعلى هذا الوجه تكون الآية دلت بطريق الاشارة على العدد وانها خمس صلوات .

واما على قول الجمهور فان المراد بدلوك الشمس زوالها وهو وقت ممتد نهايته ما ورد في قوله الى غسق الليل وهذا الوقت الممتد تقع فيه الصلوات الثلاث الظهر والعصر والمغرب فيكون اشير به اليها ثم قال تعالى الى غسق الليل وهو الظلمة وقد اشير به الى العشاء . وقوله وقرءان الفجر اشير به الى صلاة الفجر .

واما قوله تعالى : اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل فهي اشد اجمالا من الآية المتقدمة في الدلالة على الوقت .

وقد استنبط بعض العلماء العدد وحصرها في الخمس في القرءان من ذكر الوسطى في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين .

وقد بين صلى الله عليه وسلم ما نزل به القرءان للناس قولا وفعلا ونقل عنه بالتواتر العملي وعليه اجماع المسلمين من كافة الفرق والمذاهب كاجماعهم على ان جاحد الصلوات الخمس المنكر لها لا يعد من المسلمين .

وقد اهتم القرءان والسنة بشان الصلاة حتى قال العلماء ليس من المأمورات ما اهتمت به الشريعة كالصلاة فقد بين القرءان افتراضها على اساليب شتى فتارة بالامر الصريح كالآيات التي مرت بنا . وتارة بالثناء على فاعلها والذم لتاركها كالآيات التي نحن بصدد تفسيرها .

ومن تتبع نصوص الشريعة من الآيات والاحاديث تجلى له وما على الصبح قناع ان الصلاة عماد الاسلام والفرقان بين الهدى والضلال والفلاح والخسران المبين فقد اخرج الامام احمد رضي الله

---

(١) لسان العرب

عنه قال صلى الله عليه وسلم : من ترك الصلاة متعمدا فقد برىء من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم .
وسئل صلى الله عليه وسلم اي الايمان افضل فقال الصلاة لمواقيتها . متفق عليه عند اصحاب السنن .

وفي البخاري ومسلم : من حديث ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه ؟ قالوا لا . قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن .

واخرج ابوداود والنسائي وابن ماجة ان رسول الله قال : خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان لـه عند الله عهد ان يدخله الجنة . ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة

ولما كانت الصلاة اعظم عبادة يعبد بها العبد ربه ويناجي فيها مولاه نبه الشارع على اكمل الحالات التي يكون بها العبد من اهل الفلاح وهي حالة الخشوع الى المعبود سبحانه في الصلاة والخشوع التذلل مع الخوف وسكون الجوارح روى ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال خاشعون في صلاتهم خائفون ساكنون وفسره مجاهد بانه غض البصر عما حوله وخفض الجناح وهذا المعنى لازم للاول وعن قتادة في وصف الخشوع هو تنكيس الراس في الصلاة قال علماؤنا ومن السنة ان ينكس المصلي راسه وينظر الى موضع سجوده حال القيام والى حجره حال الجلوس وترك الالتفات يمينا وشمالا . وروي عن ابي الدرداء في تفسيره للخشوع انه اعظام المقام واخلاص المقال واليقين التام وجمع الاهتمام . بان يكون مستحضرا قلبه لمناجات ربه لا يشتغل بما سواه ولا يلتفت فان الالتفات من الشيطان كما ورد في الصحيح فيما يرويه البخاري وابو داود والنسائي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن ابويها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد .

فالالتفات والعبث بالثياب واعضاء البدن ونحو ذلك ينافي الخشوع . وعد في الكشاف من الخشوع ان يستعمل المصلي الآداب ويتوقى كف الثوب والتمطي والتثاؤب والتغميض وفرقعة الاصابع وتشبيكها وقلب الحصى .

وقد اختلف العلماء في الخشوع هل محله القلب او الجوارح وقد علمت مما مر انه يشمل القلب والجوارح معا فيخشع بقلبه وتظهر آثاره على الجوارح .

وبالجملة فان الخشوع في الصلاة الذي مدح الله اهله هو حالة تذلل وانقطاع لله تعالى وعدم التفات القلب فيها الى شيء من احوال الدنيا سوى تعظيم الباري بالخنوع والتلاوة والتسبيح والتكبير وكل ما هو من افعال الطاعة والعبادة والخضوع له بجميع الجوارح لا يشتغل بغير افعال الصلاة فالذين هم في صلاتهم خاشعون هم الخائفون في حالة عبادتهم من هيبة الله تعالى المتذللون لجبروته الخاضعون لجلاله قد الزموا ابصارهم مساجدهم حال قيامهم بين يدي معبودهم لا يسترسلون مع حديث النفس ومن كان هذا حاله في صلاته لا جرم ان يكون من اهل الفلاح اما اذا كان القلب غافلا فلا ريب ان العبادة تكون شبحا بلا روح وذلك مدعاة لعدم القبول والمؤمن انما يسعى وراء قبول اعماله لينال رضا الله ومثوبته وذلك هو الفلاح الموعود به ولنعم اجر العاملين الخاشعين .

محمد الشاذلي بن القاضي

اعجاز القرآن

(٢)

بقلم العالم النحرير الشيخ
علي النيفر المدرس بالجامع الاعظم

(النوع الثاني) من انواع اعجاز القرآن وهو اخباره بالمغيبات مما كان او يكون اما اخباره عن الامور المستقبلة فتقع كما اخبر به فذلك من حديث البحر ولنورد جملة منها فمن ذلك قوله تعالى (آلم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده) كادت هذه الآية الكريمة أن تعين السنة التي تكون فيها غلبة الروم على الفرس وذلك بالتعبير فيها بالسنين وبقوله في بضع سنين والبضع نهايته التسع ثم اكد ذلك بقوله وعد الله لا يخلف الله وعده مما لا يصدر الا عن يقين تام ولقد قاتل الروم الفرس عند راس سبع سنين من غلبة الفرس عليهم فغلبوهم كما وعدت به الآية الشريفة وكان ذلك سنة سبع من الهجرة فكان سببا في اسلام عدد من الناس غير قليل .

ومن الآي التي من هذا القبيل قوله تعالى مسليا نبيه عليه الصلاة والسلام على فراق مكة حين اشتاق اليها وهو في طريق هجرته الى المدينة بالجحفة (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) فرده الى مكة يوم الفتح ومن هذا القبيل قوله تعلى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين) فكان كذلك .

ومنها قوله جل من قائل (انا كفيناك المستهزئين) وهم نفر من قريش كانوا بمكة ينفرون الناس من الاسلام ويؤذونه عليه الصلاة والسلام وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية اصحابه حين نزلت عليه فأهلك الله المستهزئين في اقرب وقت كما بشرت به الآية .

ومن هذا القبيل ايضا قوله تعلى متحديا بالقرآن (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) وقع ما اخبرت به الآية الكريمة فلم يحاولوا الاتيان بسورة من مثله كما قال تعلى (ولن تفعلوا) .

ومن هذا القبيل ايضا قوله سبحانه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) لم يقدر احد من اعداء الاسلام ان يغير ولو حرفا واحدا من القرآن بل ولا حركة منه على شدة حرصهم على ذلك .

ومن هذا القبيل ايضا قوله تعلى (والله يعصمك من الناس)

فلقد عاش صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما عاش فلم يقدر احد من اعدائه على قهره على كثرتهم وتيالكهم على ذلك حربا وسلما مع تعريض نفسه في القتال للاخطار فقد كان عليه الصلاة والسلام يتقدم اصحابه في مواقع النزال كما روي عن بعضهم أنه قال كنا اذا احمرت الحدق نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يوم حنين على بغلة كما قيل لا تصلح للطلب ولا تنفع للهرب وهو منفرد عن اصحابه ينادي باعلى صوته انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب والاعداء كثيرون ومع ذلك وقاه الله شرهم ورد كيدهم في نحورهم ولم يصب رسول الله باذى منهم ولله المنة ولقد جاءه اعرابي مرة وهو نائم فاخترط سيفه وقال من ينجيك مني فقال صلى الله عليه وسلم (الله) فوقع السيف من يد الاعرابي .

ومن الآيات المندرجة في هذا النوع قوله تعلى (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية فكان الامر كما قال اصدق القائلين اظهر الله دين الاسلام ومكنه في الارض واستخلاف المسلمين فيها وملكهم اياها من اقصى المشرق الى اقصى المغرب مع ان المسلمين كانوا حين نزلت الآيتان قليلين مستضعفين .

وكذلك قوله تعلى (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا (الى آخر السورة لم ينتقل عليه الصلاة السلام الى الرفيق الاعلى الا بعد ان لم يبق موضع من بلاد العرب لم يدخله الاسلام هكذا ذكر بعضهم في وجه اعجاز هذه السورة من ناحية الاخبار بالغيب وهناك وجه آخر في اعجازها من هذه الناحية ايضا وهو انها ناعية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما فهمه منها جمهور الصحابة رضي الله عنهم كما روي ذلك في الصحيح عن سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهم اجمعين .

ومثل هذه الآي في الاخبار عما سيقع قوله تعلى (وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) فكانت لهم يوم بدر . وكذلك قوله سبحانه (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) وقوله (لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) وقوله (وعدكم الله مغانم كثيرة) وقوله (واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب) وقوله (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وقع جميع ذلك كما اخبر به القرآن الكريم .

واما اخباره عن امور قد كانت ولكن لا يعلم بعضها الا الراسخون في العلم من اهل الكتاب فضلا عن جميعها فكاخباره عن قصص الانبياء وبدء الخلق وما حرم اسرائيل على نفسه وقصة لقمان وابنه ونحو ذلك وقد ورد ان اليهود قالوا للمشركين سلوه عن الروح وعن ذي القرنين وعن اهل الكهف فان سكت او اجاب عن الجميع فليس بنبي وان سكت عن الروح واجاب عن الاخيرين فهو نبي مرسل كما نجده في التوراة فنزلت سورة الكهف على الوجه الذي يشهد بنبوته صلى الله عليه وسلم وفي جميع ذلك لم يؤثر عن احد من اهل الكتاب تكذيبه او الرد عليه بل ما منهم الا من

سكت مذعنا فمن مؤمن به سبقت له السعادة ومن حسود مصر حقت عليه كلمة العذاب ولهذا استشهد الله على صدق رسوله باهل الكتاب قال تعلى (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)

ولا يخفى ان صدور هذه الاخبار عنه عليه الصلاة والسلام معجز خارج عن المعتاد اذ أن ذلك لا يعلمه الا الاحاد من الراسخين في العلم من اهل الكتاب ممن انقطع لدراستها وانى لمن نشأ في امية وبين فئة جاهلية معرفة ذلك مع عدم مخالطته لمن يعرفه ونشأته بينهم وحاله معلومة من جميعهم كما قال تعلى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) وكما قال سبحانه بعد ذكر قصة نوح عليه السلام (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) الى غير ذلك من الآي التي تحوم حول هذا المعنى فهـذا وجه من وجوه اعجاز القرآن الكريم

(الثالث) من وجوه اعجازه جمعه لما يرتبط بمصالح الدين والدنيا على وجه يفوت مقدور البشر عادة.

نزل القرآن المبين لارشاد الناس اجمعين وهدايتهم الى ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم ولذا كان جامعا بين تصحيح العقيدة والرد على المخالفين وتشريع العبادات والنظم العامة من سياسية واجتماعية ومدنية كل ذلك باسلوب حكيم ونظر منتج غير عقيم .

ويمكن ارجاع ما اشتمل عليه القرآن من ذلك الى اربعة اصول هي العقائد ومكارم الاخلاق والعبادات والمعاملات .

اما القسم الاول وهو العقائد من آلهيات ونبويات فقد بينها القرآن أتم بيان ورد على منكريها باوضح برهان حتى قال الامام فخر الدين الرازي ـ وناهيك به ـ قد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رايتهـا تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورايت اقرب الطرق طريقة القرآن ـ وقال شيخ الاسلام ابن تيميه ـ احسن الادلة العقلية الادلة التي بينها القرآن وارشد اليها الرسول فينبغي ان يعرف ان اجل الادلة العقلية واكملها وافضلها مأخوذ عن الرسول .

ولنذكر مثلا من ذلك قال تعالى في الاستدلال على وجود الصانع (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) المعنى والله اعلم أوجدوا من غير موجد ام هم اوجدوا انفسهم كلا الاحتمالين باطل فكان الحق انهم وجدوا بايجاد صانع حكيم .

وقال تعلى في الاستدلال على وحدانية الخالق (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وقال ايضا (وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) ففي الآيتين برهـان على وحدانية الصانع وانه يجب له التفرد بالخلق والتصرف في العالم كله وعدم الشريك .

وقال سبحانه في الاستدلال على ان الرسول انما يكون بشرا لا ملكا (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) وذلك ان المشركين طلبوا ان يكون الرسول ملكا ليتيقنوا رسالته فأخبروا في هذه الآية بان ذلك لا يقع لانه ان كان مع بقائه على صورته الملكية لم تمكنهم رؤيتـه ولا الاجتماع به والاخذ عنه وان تمثل لهم في صورة رجل التبس عليهم الامر وظنوه بشرا فلم يؤمنوا به .

وقال جل اسمه مستدلا على صحة البعث (قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم) الى غيرها من الآي الواردة في هذا المعنى .

واما القسم الثاني) وهو مكارم الاخلاق فقد اشتمل القرآن على اصولها وهي على ما ذكره علماء الاخلاق ثلاثة الحكمة والعفة والشجاعة وعلى فروعها من الصبر والحلم والبذل والوفاء والصدق والعدل وغيرها حاثا عليها اتم حث محرضا عليها اكمل تحريض حيث كانت دعامة العمران واساس سعادة بني الانسان بها تحيى الامم وتسير في المنهج الواضح الامم .

فمن الآي الحاثة على الحكمة المنوهة بشان العلم قوله تعلى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) وقوله سبحانه (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) وقوله (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الاالعالمون) وقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله (وقل رب زدني علما) وقوله (ن والقلم وما يسطرون) وفي قسمه تعلى بآلة العلم وهي القلم شرف للعلم عظيم وفي قصة آدم واسجاد الملائكة له حين علمه الله الاسماء تنويه بشان العلم ما بعده تنويه .

ومن الآي الحاثة على العفة قوله سبحانه (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن) الآية .

ومن الآي الحاثة على الشجاعة المادية قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) الآية وقوله ايضا (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) الآية ومنها في الحث على الشجاعة الادبية وهي الصراحة قوله تعلى (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين) .

ومن الآيات الواردة في الصبر قوله تعلى (واصبر وما صبرك الا بالله) وقوله (ان الله مع الصابرين) وقوله (ولئن صبرتم هو خير للصابرين) وقوله (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

ومنها في الحث على الحلم وسعة الصدر قوله (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقوله (خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) .

ومنها في الحث على البذل قوله تعلى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) الآية وقوله ايضا (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) الآية .

ومنها في الحث على الصدق قوله تعلى (ان الله مع الذين صدقوا والذين هم متقون) وقوله ايضا (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) .

ومنها في الحث على العدل قوله (ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى) وقوله (ان الله يحب المقسطين) وقوله (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) .

ومنها في الحث على الوفاء بالعهد قوله (واوفوا بالعهد اذا عاهدتم) وقوله (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) وفي التحاشي عن الخيانة ولو لمن لاحت منه بوادرها قوله جل من قائل (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين .

ومنها في الحث على اداء الامانة ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل .

ومنها في التواضع ولا تمش في الارض مرحا .

ومنها في المداراة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم .

ومنها في الصفح والعفو فمن عفا واصلح فاجره على الله .

ومن الآي الواردة في الاخلاق غير ما تقدم قوله تعلى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا الآية .

وفيما اوردناه كفاية فليس غرضنا من ذكرها جمع الآيات القرآنية الواردة في الاخلاق في اكثر من ذلك بكثير ولا شرح معانيها وتفصيل ما تشير اليه فذلك لا يسعه هذا المقال .

واما (القسم الثالث) وهو العبادات فالقرآن تكفل ببيانها ايضا من صلاة وصوم وزكاة وحج والآيات الواردة فيها معلومة للجميع لا نطيل بذكرها .

واما (القسم الرابع) وهو المعاملات فقد اوضحها القرآن ايضا وقعد قواعدها واصل اصولها وهى على ضربين ما يتعلق بعلاقة المرء مع اهله وذوي قرابته من آباء وبنين وغيرهم وما يتعلق بعلاقته مع سائر الناس .

فالضرب الاول وهو علاقة المرء مع اهله بينها القرآن بتشريع احكام النكاح والطلاق والنفقة وحسن المعاشرة كقوله في تشريع النكاح (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع (وقوله في الاقتصار على الواحدة اذا خشي عدم العدل بين الزوجات (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) وقوله في النفقة (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) وقوله في الحقوق الواجب مراعاتها من كل من الزوجين للاخر (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وقوله في حسن المعاشرة (وعاشروهن بالمعروف) وقوله في الطلاق (فامساك بمعروف او تسريح باحسان) وقوله ايضا (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) الى أشباه ذلك من احكام الزوجية .

واما علاقة المرء مع ذوي قرابته فقد بينتها آيات قرآنية مثل قوله تعلى في شان الابوين ووصينا الانسان بوالديه حسنا الآية وقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وفي هذه الآية اشارة الى حقوق الابناء على الآباء من التربية وقوله في شان ارضاع الابناء والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وقوله في الوفاء بحقوق ذي القرابة العامة وآت ذا القربى حقه وقوله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الآية والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

واما الضرب الثاني وهو علاقة المرء مع سائر بني جنسه فقد بينها القرآن ايضا كوجوب النصح

للمسلمين بل للناس عامة بواسطة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعلى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وقال ايضا كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وكاعتبار المسلم سائر المسلمين اخوة له والاصلاح بينهم اذا تشاجروا قال تعلى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم) وقال ايضا (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) وقال (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس) وكالاتحاد وعدم الخروج عن جامعة المسلمين قال تعلى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .

وكالتشاور وعدم الاستبداد بالرأي المأخوذ من قوله تعلى وامرهم شورى بينهم ومن قوله وشاورهم في الامر .

الى غير ذلك من الآي التي نظمت علاقات المسلم مع المسلم بل ومع سائر البشر مما يطول ذكره اجمالا فضلا عن تفصيله .

ومن علاقات المرء مع بني جسه ما ينشأ عن عقود المعاملات وقد اقامها القرآن على اساس متين مثل اباحته للبيع وتحريمه للربا في آية واحل الله البيع وحرم الربا وايجابه الوفاء بالعقود في آية يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ومثل تحريمه الميسر في آية يايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ومثل تشريعه القصاص في الدماء قال تعلى ولكم في القصاص حياة والحد في الجنايات كالسرقة في آية السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الآية والحرابة في آية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الآية فهذه القوانين الالهية الحكيمة المشتمل عليها القرآن يستحيل عادة على رجل واحد مهما بلغ في غزارة العلم وكمال العقل ان يحيط بها او بجملة منها فكيف بمن يعلم الجميع احوال نشأته واحوال بيئته من كونه نشا اميا لا يقرا ولا يكتب ولا خالط من اهل العلم احدا وكونه ظهر في امة امية لا تقرأ ولا تكتب ايضا فلا جرم كان ذلك معجزة من معجزات القرآن .

كفاك بالعلم في الامي معجزة   في الجاهلية والتاديب في اليتم

(يتبع)   علي النيفر



الحديث الشريف

باب الرجاء مع الخوف

من صحيح البخاري

وقال سفيان ما في القرءان ءاية أشد علي من (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن عمرو عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار

❀ الشــرح ❀

بقلم العلامة الشيخ الصادق المحرزي
الاستاذ بجامع الزيتونة الاعظم

الرجاء تعلق القلب بامر محبوب من جلب نفع او دفع ضرر متوقع الحصول والخوف فزع القلب من مكروه يناله او محبوب يفوته وهما في حق الله تعلى اصلان من اصول الدين يبتني عليهما المدح والذم في العاجلة والثواب والعقاب في الآجلة وقد جاء في التحريض عليهما ءاثار كثيرة فمما ورد في الرجاء من التنزيل (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وفي النهي عن القنوط (لا تقنطوا من رحمة الله) ومن الاثر قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا وروي ان سيدنا عليا كرم الله وجهه قال لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وورد في الخوف من التنزيل ترغيبا (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقوله تعلى (وإياي افارهبون) وفي الحديث القدسي يقول الله تعلى لا اجمع لعبدي بين خوفين وامنين فان خافني في الدنيا أمنته يوم القيامه وان امنني في الدنيا اخفته يوم القيامه . وقال بعض العارفين من علامات السعادة ان تطيع وتخاف ان لا تقبل ومن علامات الشقاء ان تعصي الله وترجو ان تنجو ويؤيده ما اخرجه

ابن ماجة بسنده عن عائشة رضي الله تعلى عنها انها قالت قلت يارسول الله الذين ياتون ما اتوا وقلوبهم وجلة أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ان لا يقبل وقال ابو علي الروذباوي الخوف والرجاء كجناحي طائر اذا استويا صعد بهما من وفقه الله الى اعلى الدرجات ولا يخفى ان استحباب الجمع بين الخوف والرجاء منظور فيه لحالة الصحة واما في حالة المرض والاشراف على الموت فيستحب تغليب الرجاء لحديث لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله . وقد تعرض ابو حامد الغزالي في الاحياء للكشف عن حقيقة الرجاء فذكر ان الامر المحبوب الذي يرتاح القلب بانتظاره لابد ان تكون له اسباب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك الانتظار مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم تكن له اسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لان انتظاره حينئذ من غير سبب يتوقع به الحصول فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس بداخل تحت اختياره مما يصرف الله به عن عبده القواطع والمفسدات وذلك فضل من الله . ثم قال فالعبد اذا بث بذر الايمان في القلب وسقاه بماء الطاعات وطهره عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعلى تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان رجاؤه حقيقيا ممدوحا في نفسه وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات وترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق منهمكا في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور . قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة . وفي الحديث الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وقال تعلى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا) وبما تقرر من كلام حجة الاسلام الغزالي من ان الرجاء المحمود انما يحصل بتعاطي اسبابه التي جاء بها الكتاب العزيز والسنة النبوية يتضح وجه جمع البخاري رحمه الله تعلى في باب الرجاء مع الخوف بين حديث الرحمة المقتضي للرجاء والاثر المنقول عن سفيان المقتضي للخوف من عدم تعاطي اسبابه . وصدر بالاثر لتقدم السبب عن المسبب فقال : وقال سفيان : ما في القرآن ءاية اشد علي من (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) اختلف في المراد بسفيان المنقول عنه الاثر فقيل الثوري كما في العيني وقيل ابن عيينة كما في القسطلاني وتوقف ابن حجر في المراد منهما . وكلاهما من ايمة الهدى قال في الفتح روى ابن ابي حاتم ان الآية نزلت في سبب خاص لما خرجه بسند حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء مالك بن الصيف وجماعة من احبار اليهود فقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم وتؤمن بما في التوراة وتشهد انها حق . قال بلى ولكنكم كتمتم منها ما امرتم ببيانه فانا ابرأ مما

احدثتموه. قالوا ونحن نتمسك بما في ايدينا من الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا بما جئت به. فانزل الله الآية الكريمة ارغاما لهم بانهم ليسوا على شيء من الحق والهدى حتى يقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعمل بشريعته. قال العيني وجه أشدية الآية على سفيان ما فيها من تكليف اهل الكتاب من العمل بكتابهم واحكام ما انزل على النبيء صلى الله عليه وسلم وهذا الحكم وهو وجوب العمل بالشريعة المحمدية كما يتناول اهل الكتاب يتناول المسلمين بالاحرى لنزولها على نبيهم صلى الله عليه وسلم واقامة الكتاب تكون باقامة جميع ما اتى به ولذا قال اشد ءاية نزلت على الاطلاق ثم قال العيني وقيل اخوف ءاية نزلت في القرءان العظيم قوله تعلى (من يعمل سوءا يجز به) قلت وقد خفف وطأتها على رسول الله صلى عليه وسلم بفضل ابي بكر الصديق رضي الله عنه بما اخرجه الترمذي في سننه عن ابي بكر رضي الله عنه قال كنت عند النبيء صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابابكر الا اقرئك ءاية نزلت فقلت بلى يا رسول الله فاقرأنيها فلا اعلم الا اني وجدت انفصاما في ظهري حتى تمطأت لها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابابكر؟ قلت بابي انت وامي يارسول الله وأينا لم يعمل السوء وإنا لمجزوؤن بكل سوء عملناه فقال لا ورحمك الله يا ابابكر اما انت واصحابك المؤمنون فتجزون على ذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس عليكم ذنوب فان كل ما اصاب المسلم فهو كفارة له حتى الشوكة يشاكها واما غيركم فيجمع لهم ذلك ويجازون عليه يوم القيامة

واما حديث الباب فرواه البخاري رحمه الله تعلى بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة وفي رواية بها يتراحم الخلق حتى ان الفرس لترفع حافرها عن ولدها خشية ان تعيبه فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار) مناسبة الحديث للترجمة بما اشتمل عليه من الوعد والوعيد المقتضيين للخوف والرجاء مع التنويه بشان رحمة الله وعظمتها المقصودة من الرجاء وهي في الاصل رقة وانعطاف تقتضي التفضل والاحسان ولما كانت بهذا المعنى مستحيلة على الله تعلى اختلف المتكلمون في تأويلها اذا نسبت اليه تعلى فاولها ابو الحسن الاشعري بارادة الاحسان فتكون راجعة لصفة الارادة وهي قديمة باتفاق الاشاعرة والماتوريدية وذهب القاضي ابوبكر البقلاني الى تأويلها بالاحسان فتكون من صفات الافعال وهي حادثة باتفاق لانها عبارة عن التعلق التنجيزي للقدرة وهو حادث عندهم وهذا الخلاف فيما لم تقم قرينة تعين الحمل على احد المعنيين والاوجب العمل على ما قامت عليه فمما دلت القرينة فيه على الحمل على صفة الفعل حديث الباب لتسلط الخلق عليها ومما قامت فيه القرينة على الحمل على الارادة قوله تعلى (ربنا وسعت كل شيء رحمة

وعلما) فهذا ظاهر في الارادة لان الوسع عبارة عن عموم التعلق ويدل على ذلك ايضا اقترانها بالعلم وان وسع الرحمة كوسع العلم وهذا ظاهر في الارادة واما ما يتعين فيه مذهب القاضي فقوله تعلى (هذا رحمة من ربي) اشارة الى السد وهو احسان من الله لا ارادة الله القديمة ويحتمل الامرين قوله تعلى (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) فيحتمل الرحمن الرحيم انه يريد الاحسان او الاحسان نفسه قال الشهاب القرافي في الفرق السادس والعشرين بعد المائة بعد ما ذكر المذهبين ان مذهب الشيخ الاشعري اقرب من مذهب القاضي رضي الله عنهما وسبب ذلك ان الرحمة التي وضع اللفظ بازائها وهو حقيقة فيها هي رقة الطبع واذا رق طبعك على انسان فان هذه الرقة في القلب يلزمها امران احدهما ارادة الاحسان اليه والثاني الاحسان نفسه فهما لازمان للرقة التي هي حقيقة اللفظ والتعبير بلفظ الملزوم عن اللازم مجاز عرفي شائع غير ان ارادة الاحسان الزم للرقة فان كل من رحمته واحسنت اليه فقد اردت الاحسان اليه وقد تريد الاحسان وتقصر قدرتك عن الاحسان اليه فالارادة اكثر لزوما للرقة واذا قويت العلاقة كان مجازها ارجح فمجاز الشيخ ارجح لانه الارادة ثم قال القرافي وعلى مذهب الشيخ يتخرج ما افتى به ابن يونس من فقهاء المالكية بان الحالف برضى الله ورحمته وسخطه اذا حنث تلزمه كفارة واحدة لانه كرر الحلف بصفة واحدة وهي الارادة واما على قول ابي بكر الباقلاني فلا تلزمه الكفارة لانه حلف بصفة حادثة وينهى عن الحلف بالحادث . وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الباب (فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار) مثالان من باب الترغيب والترهيب على وزان قوله تعلى (نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم) اتي بهما على سبيل الفرض والتقدير بدليل لو الامتناعية قال الكرماني ولو ها هنا لامتناع الجواب لامتناع الشرط على حد قولك لو جئتني لاكرمتك فهي في الحديث تدل على انتفاء عدم اياس الكافر من الجنة لعدم علمه بكل الذي عند الله من الرحمة وبذلك يحصل له الاياس من دخول الجنة كما ان المؤمن لا يعلم بكل الذي عند الله من العذاب ويأمن من النار ثم قال وليست لو لانتفاء الشرط لانتفاء الجواب كما قال به ابن الحاجب وخرج عليه قوله تعلى (لو كان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا) قال ابن هشام في المغني دعاه لذلك ان الآية مسوقة لنفي التعدد في الآلهة بامتناع الفساد لا ان امتناع الفساد لامتناع تعدد الآلهة لانه خلاف المفهوم من سياق امثال هاته الآية ولانه لا يلزم من انتفاء الآلهة انتفاء الفساد لجواز وقوع ذلك وان لم يكن تعدد في الآلهة لان المراد بالفساد فساد نظام العالم عن حالته وذلك جائز ان يفعله الاله الواحد سبحانه . ووفق سعد الدين التفتزاني بين القولين بان للو استعماليين الدلالة على ان علة انتفاء الثاني في الخارج هي انتفاء الاول من غير التفات الى الاستدلال ولا ان علة العلم بانتفاء الثاني ما هي حتى يرد عليه بحث ابن الحاجب

بل النفي مقرر في ذاته وهـذا في اللغة والثاني الاستدلال فيكون العلم بنفي الثاني علة العلم بنفي الاول من غير التفات الى ان علة الانتفاء في الخارج ما هي وهـذا اصطلاح المناطقة وعليه الآية ثم قال السعد فالتبس على ابن الحاجب احد الاستعمالين بالآخر. اه قال الشيخ الامير والحق ان الثاني لغوي ايضا كما افاده السيد والا لما اتى عليه القرءان. ونقل الشهاب القرافي عن ابن عصفور استعمالا ثالثا للو هو ان تكون لمجرد الربط كإن وخرج عليه قوله تعلى (لو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله (وقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وتسمى لو هذه بالصهيبية والحديث عليها شهير طويل الذيل واحسنه ما نقل عن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ان الشيء الواحد قد يكون له سببان فلا يلزم من عدم احدهما عدمه وكذا هنا الناس في الغالب انما لم يعصوا لاجل الخوف فاذا ذهب الخوف عصوا فاخبر صلى الله عليه وسلم ان صهيبا اجتمع له سببان يمنعانه من المعصية الخوف والاجلال. قال ابن حجر واستشكل التركيب في قوله صلى الله عليه وسلم بكل الذي عند الله من الرحمة بان كلا اذا اضيفت الى الموصول كانت لعموم الاجزاء لا لعموم الافراد والغرض من سياق الحديث تعميم الافراد واجيب بانه وقع في بعض طرقه ان الرحمة قسمت مائة جزء فالتعميم لعموم الاجزاء في الاصل او ان الاجزاء نزلت منزلة الافراد مبالغة في الرحمة قال تعالى (وسعت رحمتي كل شيء) قال العلامة جار الله وللتنبيه على عظمة رحمة الله تميزت الرحمة عن صفاته الزكية باسمين من اسمائه الحسنى ولاسم الرحمن خصوصية وهي عدم جواز اطلاقه على غير الذات العلية كاسم الجلالة وقد سمى مسيلمة نفسه برحمن اليمامة عنادا وكفرا فلم يشتهر به واشتهر بمسيلمة الكذاب لعنه الله ثم قال والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ومما طن اذني من ملح العرب انهم يسمون محملا من محامل الحجاز بالشقدف وهو محمل خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت لرجل منهم في طريق الطائف ما اسم هـذا المحمل مشيرا للمحمل العراقي فقال اليس اسمه الشقدف فقلت بلى هذا اثقل فقال فاسمه شقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى . فان قيل اذا كان اسم الرحمن ابلغ من اسم الرحيم فلم قدم في البسملة اسم الرحمن وكان القياس الترقي من الانى الى الاعلى ؟ قلت يجاب عن هذا بانه لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه باسم الرحيم كالتتمة ليتناول ما خفي ودق منها فهو من باب الحيطة والاستيعاب لدقائق الرحمة. وبما تقرر في الاذهان يظهر وجه التعليق على اسم الرحمن في حديث سيد ولد عدنان كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

ختم به درس الحديث في المدرسة المرادية في ١٨ رمضان سنة ١٣٥٩

فضل الاكتساب

ومذمة السؤال

للشارع عناية تامة بالعمل وحث على الاشتغال وترك البطالة ومن اصرح ما جاء في ذلك حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لان يأخذ احدكم حبله فيحطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه ففي هذا الحديث استنهاض لهمم المؤمنين ان يتصفحوا وجوه الرزق ويتلمسوا اسبابه أيا كان نوعها بلغت مبلغ الشرف والمكانة أم هبطت الى مواطن الضعة والمهانة كان ياخذ من أحوجته الضرورة حبلا يذهب به الى الغابة يجمع الوقود والحطب ويرجع به على ظهره ليبيعه ويأكل بثمنه حتى يقيم اود صلبه ويحفظ ماء وجهه من مذلة السؤال والاستجداء خصوصا وهو لا يعلم ما تقضي اليه مغبة السؤال ايعطى فيطمئن خاطره ام يحرم ويرفض طلبه فيندى جبين انسانيته وتنثلم عزة التوحيد التي فطره الله عليها .

وقد امر الله تعلى بالسعي والعمل لاكتساب الرزق ويسر كل انسان لما خلق له وربط الاسباب بمسبباتها وضمن الرزق مع ذلك لكل حي حيث يقول (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) وقال جل شانه (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) .

فالرزق مضمون وطريقه العمل والتشمير والسعي له في طريق التحصيل . قال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب في مروءته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به

ولا تظن ان الاهتمام بامر المعاش وتحصيل الكسب قد يلهي الانسان عن امر آخرته ويشغله عن عبادة ربه حق عبادته فان العاقل الكيس من جمع بين الحسنيين ووفق بين العملين فيكون عمله لمعاشه ذريعة لمعاده والاعمال بالنيات كما جاء في حديث سيد الكائنات .

واعلم ان الناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين ولا يقوى عليه الا عباد الله المخلصون والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين بحيث لم يجعل الدنيا كل همه ولكنه استعملها مطية لاخراه وهو من تأدب في طلبها بآداب الشريعة ووقف عند الحدود المسنونة الصحيحة .

واعلم ان طرق المعاش والكسب مفتوحة في وجه المسلم فعليه بتعاطي ما يتسر له منها ولا يركن الى البطالة ويكون من هؤلاء الكسالى العجزة الذين اصبحوا عالة على المجتمع الانساني وسبة الصقت به حيث آثروا الراحة على العمل والقعود على الكسب الحلال يتجولون في الطرقات يسألون الناس الحافا مخلدين الى الضعة والمسكنة فعملهم هذا الى التحيل اقرب منه الى التسول وطلب النوال .

وان الارض مع اتساع رقعتها وكثرة الاعمال التي عليها لم تضق بان يعنى كل امريء من هؤلاء بعمل يكون فيه مرتزقه ومنه مورده اللهم الا ان يكون عاجزا لا تواتيه صحته فان هذا يستحق الرحمة والاحسان

واصول المكاسب كما قال الماوردي الزراعة والتجارة والصناعة وهل التجارة اطيب كما هو مذهب الشافعي او الزراعة اطيب لانها اقرب الى التوكل هو اختيار القسطلاني . وفي صحيح البخاري عن المقدام بن معديكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ما أكل أحد طعاما قط خير من ان يأكل من عمل يده فالصواب ما نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عمل اليد فان كان زراعا فهو اطيب المكاسب وافضلها لانه عمل بيده ولان فيه توكلا ولان فيه نفعا عاما للمسلمين والدواب وقال في الروضة حديث المقدام هذا صريح في ترجيح الزراعة والصنعة لكونهما من عمل يده ولكن الزراعة افضلهما لعموم النفع بها للآدمي وغيره وعموم الحاجة اليها .

وان هذا الدين الحنيف ليحض على العمل ويحث على الجد ولو مع سعة وغنية .

فان نبيء الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده فقد كان عليه السلام يعمل الدروع الحربية لياكل من ثمنها وذلك مع اتساع ملكه الى ابعد حد وتسخير الجبال والطير له وحسبك قوله جل من قائل (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) ومع هذا الملك الواسع والسلطان العريض لم ينزع الى الراحة وكان في مكنته ان ينال من مشتهيات نفسة عيشا رغدا بلا شقاء ولا تعب .

بل كان جميع الانبياء يعملون لكسب رزقهم .

وكان اصحاب رسول الله (صلعم) يتجرون في البحر والبر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم ولو تتبعث الآثار والاخبار في هذا الباب لوجدتها اكثر من ان تحصى من ذلك ما رواه احمد من حديث رافع بن خديج قيل يا رسول الله اي الكسب اطيب قال عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور) وما رواه احمد ايضا من حديث ابي هريرة (خير الكسب كسب العامل اذا نصح) وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق اهو احب اليك ام المتفرغ للعبادة فقال (التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده) كما ورد في ذم السؤال واستجداء الناس ما لا يحصى كثرة من الاخبار والآثار من ذلك ما رواه الترمذي من حديث ابي كبشة الانماري (ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر) وقال حديث

حسن صحيح وفي الخبر ان الله يحب المؤمن المحترف وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لاكره ان أرى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي . وقال ايوب كسب فيه شيء احب الي من سؤال الناس وقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه (ينادي مناد يوم القيامة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد) فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ولا ينجيك من ذلك الا الكسب والعمل والاتجار

واعلم ان المدنية الاسلامية تستثير الهمم نحو العمل لتبقي على المسلم عزته وكرامته التي فطره الله عليها ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والعزة لا تكون بالاستجداء والكسل بل بالجد والعمل والله تعالى خلق الخلق للحياة والعمل وامرهم بالسير في الارض والسعي فيها وعمارتها بما استطاعوا من قوة وما وهبهم من علم وحكمة ومن فهم ان مجرد الايمان كاف في تحقيق معنى العزة بدون عمل وجد متواصل فلم يدرك سنن الله الكونيه ولم يذق سر الاسلام قال تعالى اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وليس العمل في الاسلام قاصرا على التعبد واقامة الشعائر وليس العمل الديني هو عمل الانسان لنفسه وحدها فليس القصد ان نكتفي بصلاة وتسبيح انما امرنا بالعمل لربنا نعبده ولديننا ننصره ولاهلنا نصلهم ولامتنا نخدمها باستخدام قوانا الفكرية والبدنية في كل ما فيه نفع المجموع وان نستخرج خيرات الارض التي سخرها لنا . فعملنا لا يكون في المسجد وحده بل في المسجد والمصنع والمكتب والمعمل وكل مسلم يستطيع ان يعبد ربه وهو في وظيفته او صنعته متى راقب ربه قبل ان يراقب رؤساءه وادى واجبه كاملا مخلصا محسنا فيه والله كتب الاحسان على كل شيء واقل محترف يخشى الله في حرفته فلا يهمل فيها ولا يغش لايقل ثوابا عن عابد متبتل . روي ان النبيء (صلعم) كان جالسا مع اصحابه يوما فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال النبيء (صلعم) لاتقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسالة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان .

وان في حياة رسول الله لادلة محسوسة على فضل العمل فلقد رعى الغنم في شبابه واشتغل بالتجارة وسافر وتنقل وهو دون العشرين وقد بلغ من تمجيد الاسلام للعمل ان رسول الله (صلعم) لما هاجر من مكة الى المدينة وكانت الهجرة وقتئذ افضل الاعمال واعظمها اجرا جاءه قوم يبايعونه على الهجرة بعد ان فتح مكة فقال الا لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد وعمل اي جهاد النفس وجهاد الشهوات والرذائل والمنكرات وعمل ينفع الاهل والدين فما بال الناس اخلدوا الى الراحة واطمأنوا للخمول ولا يستمعون لقول الرسول (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني)

الفتاوى والاحكام

الشهادة في الوقف بالتسامع

نقل العلامة المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي في كتابه تنقيح الفتاوى التونسية عن شيخه شيخ الاسلام في عصره الشيخ احمد كريم في مسالة الشهادة في الوقف بالتسامع ما نصه :

لا بد من تحرير امرين فيها ـ الاول ان يكون المشهود به الوقف بسند السماع لا السماع بانه وقف وكثيرا ما ترد الوثائق السماعية بهذا الوجه . وذلك ان غالب الموثقين في عصرنا يكتبون شهوده يشهدون بانهم لا زالوا يسمعون سماعا فاشيا مستفيضا على السنة الثقات من اهل العدل وغيرهم بان كذا وكذا (اي من الربع او العقار) وقف على كذا وكذا (اي فلان وفلانة الخ) وقد سمعت من بعض العصريين انه يكتفي بذلك لحمل الباء الاولى على السببية والثانية على التعدية ولا يخفى ما في ذلك من الاجمال لقيام الاحتمال .

الامر الثاني التفرقة بين الشرائط المصححة لاصل الوقف والزائدة على ذلك فمرادهم باصل الوقف في قولهم ان الشهادة بالتسامع يثبت بها اصل الوقف لا شرائطه كل ما يتوقف عليه اصل الوقف فتقبل فيه تلك الشهادة وما زاد على ذلك كاشتراط الواقف شروطا في وقفه كقوله للذكر مثل حظ الانثيين طبقة بعد طبقة ومن مات عن فرع قام فرعه مقامه الى غير ذلك فلا تقبل فيه تلك الشهادة بل ولا في اصل الوقف ان تضمنت ذلك كما هو بين واما بيان المصرف في الجملة فهو من اصل الوقف فتنبه وفي الحاوي للزاهدي في فصل الشهادة بالتسامع من كتاب الوقف تفصيل حسن ونصه :

لكن هنا تفصيل وذلك ان عمر الشاهد ان كان انقص من مدة الوقف فالحكم هكذا وان

ان الدعوة الى التواكل والخلود الى الراحة وترك السعي كانت هي السبب المباشر في التاخر والانحطاط وكره العمل واحتقار الحرف وعدم تقدير المهن كل ذلك أوجب ما نحن فيه من الفقر والمهانة وليس ذلك من الاسلام في شيء بل ان هذا الدين لا يكتفي بالحض على العمل واباحة طيبات الحياة بل يبيح التجمل والتزين فيقول قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . ويقول يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد

وبعد فما اجل هذا الدين وما اقبح الجهلة المتنطعين ورحمة الله على امرىء اخذ دينه من المنبع الصافي كتاب الله وسنة نبيه والسلام على من اتبع الهدى وتمسك بالعروة الوثقى .

محمد الهادي ابن القاضي

كان ازيد منها او مساويا لها فانما تقبل اذا لم يفسر شهادته بالتسامع . وكذا اذا كانت الدعوى بين وقفين جهة كل منهما مغايرة للاخر وشهدوا على الاصل . ولو شهدوا بالتسامع على شرط الوقف ان كان مذكورا حقيقة لا تقبل اجماعا لانه لا يشتهر كما يشتهر اصله وان كان مذكورا معنى بان وقف على ابناء فلان او بناته فانه في المعنى شرط صرف غلته الى ابنائه دون بناته او بناته دون ابنائه لا تقبل عند البعض لانها على الشرط وتقبل عند البعض لانها على الاصل والشرط المتضمن فيه لا يكون معتبرا وهو الصحيح اه كلام الزاهدي في الحاوي . وهذا من الحسن بمكان وبه تنقطع مادة الافتعال بقدر الامكان اه كلام الشيخ احمد كريم وعلق عليه ناقله الشيخ الشاذلي ابن القاضي بما نصه : وانا اقول ذكر خير الدين الرملي في كتاب الشهادات من الفتاوى الخيرية في ضمن سؤال طويل انه اذا شهدا بانهما سمعا سماعا مستفيضا واخبرهما الثقات وغيرهم ممن لا يمكن تواطؤهم على الكذب ان هذا المحدود وقف فلان فهل بهذه الشهادة يثبت الوقف او لا يثبت لكونهم شهدوا بانهم سمعوا انه وقف ولم يشهدوا بانه وقف لانهم سمعوا ؟

واجاب بانه لا يثبت الوقف بهذه الشهادة بلا شبهة باجماع علمائنا لانها ليست بشهادة على الوقف بالسماع وانما هي شهادة على السماع بالوقف والشهادة على الوقف بالسماع ان يقول الشاهد اشهد به لاني سمعت من الناس او بسبب اني سمعت من الناس ونحوه . اه كلام الخيرية . وبه يتايد ما ذكره شيخنا من الامر الاول .

وقد نقل لي شيخنا العلامة الشيخ سيدي حسن عباس المفتي الحنفي : ان الذي كان يحمل الباء الاولى ـ في كلام الموثقين ـ على السببية والثانية على التعدية هو شيخ الاسلام شيخنا العلامة سيدي محمد معاوية رحمه الله تعالى . قال وقد انفصلنا في المجلس الشرعي بدار الشريعة مع شيخ الاسلام سيدي احمد بن الخوجه وكاهيه (في عصره) الشيخ سيدي احمد كريم والشيخ المفتي سيدي محمد البارودي والشيخ سيدي محمد بيرم القاضي الحنفي على ان الوثائق القديمة المطبوعة اذا احتج بها وكان الشاهدان شهدا بالسماع انه وقف نقبلها حملا على ما قاله شيخ الاسلام سيدي محمد معاوية للاضطرار الى قبولها . واما الوثائق الجديدة التي تقام عن إذن واحد من المجلس فلا نقبلها الا اذا شهد الشاهدان بانه وقف بسبب السماع . اه كلام الشيخ حسن عباس رحمه الله ثم اعلم ان الشهادة بالتسامع هي حجة عندنا معاشر الحنفية يفتك بها من يد الحائز وهو المدعى عليه الذي يدعي ان المدعى في حوزه وتصرفه .
قال شيخ الاسلام البيرمي الثاني في رسالته التي في الخط :

قال في البزازية ولما احتيج في الوقف الى ان يكون باقيا الى ممر الاعصار جوز الشهادة بالتسامع اه كلام البزازية فقوله : ولما احتيج في الوقف الى ان يكون باقيا جوز الشهادة بالتسامع فيه دليل على ان شهادة السماع ينتزع بها من يد الحائز عندنا . اه كلامه رحمه الله . والله الموفق للصواب

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

عادة تقبيل اليد

بالقـم العلامة المؤرخ اميـر الامراء سيـدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

كان المسلمون في القرون الاولى يحيون بعضهم بعضا بالمصافحة الواردة في السنة النبوية وهي ان يعقد المتصافحان يمينيهما واحدة مع الاخرى كانهما يتعاهدان على الصفاء والوفاء وهناك ساعة المغفرة التي يدعو بها المسلم لاخيه والله ولي القبول . وجوزوا تقبيل اليد عند البيعة فان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان من الستة الذين رجحهم عمر للخلافة لما احس بحضور اجله ليختاروا فيما بينهم واحدا منهم ليكون خليفة للمسلمين بعده فلما التحق عمر بربه تقدم عبد الرحمن لاصحابه المرجحين للخلافة معه وقال لهم ما معناه ان الخليفة واحد ونحن ستة فليتنازل منا ثلاثة لفائدة الثلاثة الباقين ليسهل الاختيار وكان وجوه الصحابة واقفين بالباب فتنازل ثلاثة حسب اشارته لفائدة الثلاثة الآخرين وهم عثمان وعلي وعبد الرحمن نفسه واذ ذاك قال عبد الرحمن لصاحبيه انا ايضا غير قابل للخلافة ثم سارر عثمان بقوله اذا اخترت لها عليا فهل انت مبايع له فاجابه عثمان نعم وقال بعد ذلك سرا لعلي اذا اخترت لها عثمانا فهل انت مبايع له فاجاب علي نعم وعندها التفت عبد الرحمن لعثمان وقال لـه ابسط يدك لابايعك ياعثمان وتقدم نحوه وبايعه واقتدى به علي فوجوه الصحابة الحاضرين وتمت بذلك التدبير الحكيم بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين (١)

ولما اصبحت مملكة الاسلام متلاوحة الاطراف بكثرة الفتوح اختلط المسلمون بسكان البلاد التي خضعت لحكمهم واقتبسوا من اخلاقهم واوضاعهم الشيء الكثير وبتدرجهم في مدارج الحضارة والترف والبذخ كانوا يتباعدون شيئا فشيئا عن سيرة السلف الصالح لان الحضارة جعلتهم بحكم الضرورة طبقات طبقة العلماء وطبقة سراة الامة وطبقة العامة والله فضل بعضكم على بعض ومن مزالق

(١) حكيت هذه الواقعة ذات يوم للعلامة الاستاذ شارليتي مدير المعارف بتونس سابقا ثم قيدوم مشيخة العلوم بباريس فاعجب بذكاء عبد الرحمن بن عوف وقال ان هذا التدبير الحكيم لو حصل في الزمن الحاضر لعد الناس صاحبه من اعظم أهل السياسة واقدرهم على حل المشاكل الخطيرة

الحضارة عجب الانسان بنفسه وحبه الامارة ولو على الحجارة كما في المثل المعروف وكان لبلاد فارس ذات التمدن القديم بعد دخولها في الاسلام التاثير العميق في اخلاق العرب وهم نشؤوا على الفطرة والبساطة وفي الحديث يولد المرء على الفطرة فأبواه ينصرانه او يهودانه او يمجسانه

ومعلوم ان الناس طبقات كما قدمنا واهل الرعيل الاول في هذا المقام هم الامراء والوزراء واهل العلم . والشرع لا يمنع تقبيل اليد في احوال ثلاثة يد الملك العادل ويد العالم العامل من تلميذه ويد الوالد من ولده ولكن هذه المستثنيات تناولها التدليس بتطاول ايدي غيرهم وبسطها للتقبيل وعمت هذه العادة بلادنا في القرون الاخيرة فصار تقبيل اليد حقا على التابع نحو متبوعه وصار المامور الكبير لا يتحاشى عن بسط يده للمامورين الذين حوله وهؤلاء بدورهم يقبل ايديهم من حولهم من اهل قراباتهم ومن لفيف الناس الذين تدعوهم الحاجة للاختلاط بهم وبلغ الحال بعض الوزراء خلال القرن الماضي لقبول تقبيل يده من عموم ماموري وزارته كل صباح كانه ولي الامر بالذات وبهذا الصنيع اقتدى عموم المتوظفين فكان لكل مأمور مخزني قسم من الاعوان وكثير من العامة لا يتخافون عن تقبيل يده اينما كان ولو في الطريق والعامة يتبعون بعضهم بعضا ان خيرا فخير وان شرا فشر ناهيك ان كبير الخصيان بالبلاط او بدار الوزير كان في الزمن الماضي يجلس بدوره صباح كل يوم على كرسي بسقيف سراية سيده فياتي لتقبيل يده بقية الطواشيه وزمرة العبيد الملحقين بخدمة المكان (١) .

---

(١) هؤلاء الخصيان كان لهم شان في عهد الدور القديم فلقد وقع بيدي امر صدر من الخصي سرور اغة الخزندار على عهد المولى محمود باي في ولاية عريفة بدار المبعدين المحكوم عليهم بالنفي وعبارة هذا الامر تضحك الثكلى لذلك اثرت نقلها هنا بحروفها تفكهة للقراء واتماما للمقصود مما نحن بصدده قال الخصي المشار اليه :

الحمد لله كتبنا امرنا هذا على بركة الله تعلى وحسن عونه وتوفيقه بيد سي (كذا) سعادة عتيقة محبنا الحاج عثمان اننا اوليناها على بركة الله تعلى وحسن عونه وتوفيقه عريفة دار نفي لتنظر على ذكورها واناثها وكبارها وصغارها كلهما لنظرهما (كذا) من جميع امورهما وشئونهما وكافة اسبابهما (كذا) العرفية كذلك العادية وكل ذلك تفضلا منا اليها كتفضل سيدنا علينا بامره المطاع الواجب اليه الاتباع فعلى الواقف على امرنا هذا ان يعمل بمقتضاه ولا يخالف سبيله ورفعنا يد من كانت قبلها وبحرمتها وعدم الجسارة عليه (كذا) ولا تقاس بما يقاس به غيرها والسلام من الفقير الى ربه الغني سرور اغا خزنادار عفى الله عنه امين في ١ اشرف الربيعين ١٢٣٦ اهـ بحروفه وتحريفه مذيلا بطابعه

هذا و بقدر تداعي هيكل الاخلاق الفاضلة بين الناس تكاثر يومئذ تفشي النقائص والعيوب في الاوساط التونسية فكان اغلب النـاس لا يشعر لا تغتفر في نظر الشرع بل وفي نظر اهل الاذواق السليمة ايضا وكان من حسن الحظ وزهـاء الطالع انتباه المشير محمد الصادق باي لتلك الحـالة نسعى لتداركها اثر صعـوده للعرش الحسيني وجعل ترتيبا لضبط قواعد التحية بين اهل الدولة وبين الناس وحصر التحية بتقبيل اليد في شخص الامير الجالس على الكرسي الحسيني ومما تضمنه هـذا الترتيب قوله : ان التحية بتقبيل اليد للتعظيم من خـواص الملوك عرفا وقد توسع الناس فيها مع ءالنا وغيرهم من رجال دولتنا توسعا ادى الى سئآمة وتعطيل وغير ذلك فحجرنا ذلك عن غير المذكورين اعلاه (هم الملك وولي العهد حـال خروجه بالمحلة والوالد من ولده) كائنا من كان تحجيرا حكميا ولا عذر بعد هذا المنع لمن خالفه بمديده للتقبيل او قبل يد غيره واجـلال اصحاب الرتب والمناصب ومعرفة الادنى بحقوق من فوقه باق على حاله والآداب الانسانية لا تمس بهذا الامر بل يزيدهـا قوة اهـ

ولما صدر هذا الترتيب عمم سمو الباي نشره بتونس وبالآفاق وحذر العمال من مخالفته لما اشتهر وان بعض عمال البوادي كانوا يقبلون من منظوريهم ليس تقبيل ايديهم فقط بل وحتى ارجلهم وبعث سموه بنص هذا الترتيب لاهل المجلس الشرعي لاجراء العمـل بمقتضاه في دار الشريعة (١) واكد الوصـاية لمشايخ المدينه والربضين بان يسهروا على تنفيذه بين الناس (٢) الا ان الناس انتبهوا رغم ذلك من سباتهم العميق بفضـل الاصلاحات الصادقية الكثيرة التي منها تاسيس المدرسة الصادقية وضبط احوال التعليم بجامع الزيتونة على يد المصلح الكبير الوزير

---

(١) لما اتصل اهل المجلس الشرعي بالامر العلي القاضي بمنع تقبيل اليد قرؤوه وتدبروا معانيه واجابوا عنه سمو الباي بلسان شيخ الاسلام بالمكتوب الآتي نص عبارته :

الدولة الشامخة الصادقية المحمدية العريق في الملك اصلها الكامل بغايات المفاخر وصلها المنتشر ذكرها المرفوع قدرها لا زالت بالنصر محفوفة وبجميع المحاسن موصوفة اما بعد سلام يؤدى به من التعظيم واجبها ويكافي مالها من الرفعة ويناسبها فالمنهي الى الحضرة السامية انـه اجتمـع بدار الشريعة اهل مجلسهـا لتلقي الكتاب الملكي المتعلق بقانون التحية ومقابلته بما يتعين من الاطلاع المصحوب بالاجلال اولا والامتثال له والعمل به ثانيا ووقعت الاحاطة بمضمونه والتواصي بالجري على ما امر به واشاعته والله تعلى نسال ان يبقي مولانا في سماء المعالي بدرا طالعا وفي أفق المكارم فجرا ساطعا والسلام من الداعي لمولانا الفقير الى رحمة ربه محمد بيرم لطف الله تعلى به وكتب في غرة ذي الحجة من عام ٧٦ اهـ

(٢) سمعت من بعض ثقـاة المعمرين الماضين ان الاناث من العبيد المستخدمات بمطبـخ بعض الاكابر من اهل المخزن كن يقبلن يد سيدتهن يوم العيد ويقبلن عضائد باب بيتها في بقية ايـام العام نعوذ بالله من هذا الجهل المركب .

خير الدين بحيث صار تقبيل اليد مما لا يتجاهر به عشاقه ولا يقبلونه ممن دونهم الا في خفاء . بقي بمحفوظي ان المؤدب الذي كان يعلمنا القرءان بالمدرسة الصادقية لما يتقدم له التلاميذ لتقبيل يده يبسطها لهم ويقول لهم في ءان واحد السماح السماح مكررا تبرئـة لذمته من لوم متوقع واتفق ذات يوم ان الوزير محمد خزندار (١) فتح بابه لقبول التهاني بعيد الفطر فوفد عليه المتوظفون والاعيان وكان في جملتهم المرحوم السيد حسن ابن القائد احمد (٢) فلما دخل بسقيف الدار الوزيرية تلقاه معين الوزير وبر به واجلسه بقاعة الانتظار ودخل بعده زائر ءاخر من اعيان التونسيين ففعل المعين معه كذلك واجلسه حذوه وجاء ثالث ورابع فتلقاهما كذلك بالرحب والقبول فاعجب السيد حسن بكمال تربية المعين المشار اليه وسأل جليسه من هو هذا الرجل الحسن التربية فاجابه صاحبه بقوله هو فلان وهو مستكمل الصفات الحسنة كما قلتم لا يعتوره الا كونه ليس اصيل الحاضرة التونسية فابتدره السيد حسن هازئا به وقائلا له نعم انـه ليس له عراقة في المجد التونسي كحضرة الوزير الذي جئتم لتقبيل يـده فبهت الذي كفر .

ويلوح ان تقبيل اليد ما زال امره في تقاصر الى هذا الزمان لان الخاصة وهم اهل العلم واهل المخزن أعرضوا عنه في غير الاحوال الاستثنائية والعامة لا مبدأ لهم اللهم الا التطور السريع والاقتداء بالخاصة اما ترى ان اهل الشبيبة من طبقة العامة صاروا يتجولون بالطرقات مكشوفي الرؤوس اقتداء بابناء سراة الامة بحيث يعسر عليك التمييز اليـوم بين الشاب المسلم وبين الشـاب الاروباوي او الشاب اليهودي

بقيت حالة وحيدة في تقبيل اليد ليس في وسع القانون جرها للخضوع والخنوع لحكمه وهي حالة تقبيل يد المحبوب من حبيبه فهـذه الحالة الشاذة خاضعة فقط لسلطان الوجدان والوجدان من أعمال القلوب والقلب احد الاصغرين والآخر هو ترجمانه واستغفر الله لي ولصاحب المجلة ولقرائها الاكرمين وتعميم الدعاء من مظنات الاجابة والحمد لله بدءا ونهاية محمد بن الخوجه

(١) اصله يوناني من جزيرة ساقص جيء به صغير السن من مسقط راسه فامتلكه الـوزير شاكير صاحب الطابع واحسن تربيته ولم يلبث حتى ظهرت نجابتـه وصدقه وامانته فاخذ يتدرج في مدارج المعالي بالبلاط الملوكي على عهد المولى حسين باي الثاني واخلافه بكرسي الملك الى ان بلغ لدرجة الوزارة فباشر كل الوزارات واحدة بعـد الاخرى عدا وزارة القلم واشتهر بلقب خزنـدار اكتسابا من سيده شاكير لا مباشرة لهذه الخطة وكان من اهل الجد والكد والعمل حسن السلوك ثقة امينا في تصرفاته اكتفت به الدولة في سفارات عدة شرقا وغربا تشرف بمصاهرة ءال البيت اهل النسب الزكي واوصى بدفنه في مقابرهم توفي رحمه الله سنة ١٣٠٦ بعد ان باشر الخدمة في ست دول حسينية وتولى الوزارة الكبرى مرتين .

(٢) اصله من البيوت العريقة في المجد بالجزائر مسقط راسه وفيها تزوج بابنة الداي مصطفى باشا وهزته ارياح الاقدار لتونس في اواخر الدولة الصادقية ولم يلبث حتى انخرط في سلك متوظفيها الى ان صار وكيلا لاوقاف المدرسة الصادقية في سنة ١٣٠٣ ثم عاملا على حلق الـوادي في سنة ١٣١٠ وكان رحمه الله سيدا كريما شهما هماما ابي النفس صادق اللهجة يجهر بالقول ولا يخشى ملامة توفي عن نحو ثمانين سنة خلال عام ١٣١٤ .

القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

النفطي

هو ابو عبد الله محمد بن خلف الله النفطي ولي قضاء الجماعة بعد ابن عبد الرفيع .

قال الزركشي في تاريخه (صحيفة ٨٨) : وفي السنة المذكورة (٧٦٦) مات قاضي الجماعة الفقيه عمر بن عبد الرفيع فوقع الكلام في مجلس السلطان في تقديم قاض وحضر المجلس امام الجامع الشيخ ابن عرفة وقال بعض الناس جرت العادة ان قاضي الانكحة يولى القضاء وكان اذ ذاك قاضي الانكحة الشيخ ابن حيدرة فقال الشيخ ابن عرفة : الله يوفق الناس في خلقه فالاولى تقديم ابن القطان من اهل سوسة وقال السلطان : ما ناتي به من القرى حتى تكون تونس قد خلت ممن يصلح وامر بتقديم محمد بن خلف الله النفطي اه .

ويظهر ان السلطان قال هذه الكلمة لتخف بها كفة ميزان ابن القطان التي كان الشيخ ابن عرفة يعمل بالنية الصالحة لترجيحها ، وانما وقع اختيار السلطان على ابن خلف الله النفطي ليد عنده حفظها له .

قال الزركشي في تاريخه (صحيفة ٨٨) : وكان « اي ابن خلف الله » قد نزع اليه « اي الى السلطان » من بلده نفطة مغاضبا لمقدمها عبد الله بن علي ن الخلف فرعى له السلطان نزوعه اليه ثم ولاه قود العساكر الى الجريد وحربهم فكان له فيها عناء واستد بعده مرات بجباياتهم يبعثون بها الى السلطان ومرات بمصانعة العرب على الارجاف بعسكره اه .

وفي هذا من العبرة ان من اهل العلم في القرون الخالية من تستكفي به الحكومة في مهمات شئونها السياسية . وبهذا كان لصاحب الترجمة المكانة من قلب السلطان ، حتى اذكى ذلك نار العداوة في قلب الحاجب احمد بن ابراهيم المالقي لصاحب الترجمة وتربص به الدوائر حتى قتله خنقا في محبسه

قال الزركشي في تاريخه « صحيفة ٨٩ » : وكان ابن المالقي يغص بمكانه « اي ابن خلف الله » عند السلطان ولم يزل في نفسه منه الى ان هلك السلطان وتقبض عليه كما سيذكر اه .

وقال عند الكلام على دولة الامير خالد ابن الامير ابراهيم الذي بويع في رجب سنة ٧٧٠ « صحيفة ٩٠ » ما نصه : واستبد عليه « اي الامير خالد » منصور عتيقه وابن المالقي فلم يكن له

الادب

القصيدة التي قالها الاديب الفاضل الشيخ محمد المقداد الورتاني في تهنئة الامير عند حلوله بقصر مرناق عام ١٣٤٧ وبالمولد الشريف في فصل الربيع .

حث الخطى ان المنى مرناق — روض لـه تتـزايـد الاشواق
ابن الامير يحل في قصر الهنا — يعلـو سناه البيرق الخفـاق
فكأنما الباشا بقصر هنائـه — والرايـة الحمـراء والاشراق
بـدر بهالتـه ونجـم طالـع — من فوقـه فتبارك الخـلاق
ان جئتـه سبق المكارم بشره — وذووا المكارم بشرهم سباق
ملك شريف والـوزير قبيلـه — يـا حبـذا الاخلاق والاعراق
ذي دولـة الاشراف ابرك دولة — في تونس ولها التقـى مصداق
ما ان توفـر ذا بتونس سابقا — او حـدثت بنظيـره الآفـاق
فالشام لا تعلـو فضائل تـونس — ونبـوغهـا او يدعيـه عراق

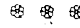
حكم عليهما وكان اول ما افتتحا به امرهما ان تقبضا على قاضي الجماعة حينئذ محمد بن خلف الله من طبقة الفقهاء لما كان في نفس المالقي منـه واودعاه السجن مع محمد بن رافع المتقدم الذكر ثم ان المالقي بعث اليهما من داخلهما في الفرار من الاعتقال حتى دبره معـه وظهر على امرهما فقتلهما في محبسهما خنقا اه وعند الله تجتمع الخصوم والله عزيز ذو انتقام وولي بعد الشهيد ابن خلف الله النفطي .

ابن حيدرة

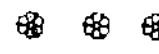
وهو قاضي الانكحة ابو العباس احمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن حيدرة وصفه الزركشي بالفقيه العالم الحافظ وقال في شانه الشيخ بابا في نيـل الابتهـاج ما نصه : الامـام الحافظ احد الاوتاد بتونس معاصر لابن عرفة وقع بينهما نزاع في مسائل اخذ عن ابن السلام وغيره قال تلميذه ابو الطيب بن علوان : سيدنا الامـام العلامة قاضي الجماعة الحافظ لمذهب مالك من التبديل والتحريف فارس علم التجريح والتعديل القائم على الاحكام المحررة اه ومن هـذه التحلية يستفاد انه كان محدثا فقيها توفي « على ما في تاريخ الزركشي » آخر شهر ربيع الانور سنة ٧٧٨ ودفن في الزلاج .

(يتبع)

انى لهم عزمات احمد باينا | تخشى شدائد بأسه الطراق
ملك كما بدر السّما بروجه | متنقل رحالة افاق
فشتاؤه قصر الاسود بحمة | قصر الهنا لربيعه مشتاق
في مايه شهر الزهور ونفحها | مرسىً الظريف لصيفه تواق
فيها قصور التاج والصفصاف وال | بحر الذي لنسيمه استنشاق
ان حل في احد الثلاث انارة | وسواه ان غاب الامير محاق
فتراه من فرط الاسى متخشعا | وانتابه ما لا يطاق فراق
واذا الامير يعود يبسم ثغره | وتقام في افراحه الاجواق
وتسابق السكان يسدون الهنا | وتطاولت لقدومه الاعناق



فاسرع لمرناق بباب علاوة | فلنحوه سير الرفاق سباق
وبرادس قف وانظر الفحص النظيـ | ـر عليه من حلل الجمال رواق
يغريك بالتعريس في تلك الربى | الحسن والاشراف والايناق
وامرر بقنطرة ليحيى من بني | حفص بناها العطف والارفاق(١)
غاصت دعائمها بمليان وما | في غيرها سبع القرون تطاق
وطريق سعد بعدها فال لما | يرجى واحمد للرجا حقاق
فاذا وصلت القصر صل تشكرا | في مسجد تأسيسه ميثاق
وهنا بلغت القصد فالثم راحة | منها ينال الامن والاعلاق



فالجند حول قصره متحفز | ما دمدمت برعودها الابواق
فمتى نووا للحرب ليلا غارة | طارت لتصبيح العداة عتاق
ان شئتها للسبق فهي بروقه | او للحاق كما علمت براق
ربطت جياد الخيل في اسطبله | وبروزها في عرضها افراق
نبتت بورتان قوائم سبقها | وشرابها سراط او ملاق
منها المدنر والكميت واشقر | او اشهب او ادهم دعاق
فهي النمور شقائق وسلافة | وصحائف والعنبر العباق

(١) قنطرة وادي مليان برادس بناها ابو زكريا يحيى الحفصي باني جامع القصبة في اواسط النصف الاول من القرن السابع بمال وجده في متروك متسول .

او اخضر كالسنغال حجا لـه | بثـلاثـة ويمينـه اطـلاق
وأحم ممزوج السواد بصفـرة | عبد الحبوش الى الملـوك يساق
وارش من نقط القطاة اهابـه | لكنه من قبلها حـلاق
او ازرق كالاوتـراي صفيرها | وصهيله عنـد اللقـآ بعـاق
او اغبـر من خلف احوى سابق | سرحان عمرة فر منه عناق
او اصفر والعرف ليـل اوضيـا | يعزى لقوم جدهم اسحاق(١)
وترى الحماري كالسراب مضببا | فمشيبه زمن الشباب مـذاق
ومن النوادر مثـل افرس محسن | يلفى هنـاك الابلـق اللقـلاق
لله هاتيـك الجيـاد متـونهـا | عـز وراكبها بهـا طـراق
واميرنا راس الفوارس ان علا | صهواتها فهـو الكمي المزاق



فانظر لذي القرنين شرقا حارسا | ووقوفه الاعجـاب والاشفـاق
والغاب غربا والـربى بجنوبـه | دون السهيـلي للـرياض رواق
فكان ذا القرنين يعرض جيشه | والقصد منـه الهنـد والقفجاق
لا يرتضي الوقواق من اتباعه | وفتوحه ياجـوج والوقـواق
بحر من الشجر المبارك زاخـر | وحدائق تجـلى بهـا الاحـداق
عجبا لبحر وهـو ظـل وارف | نسجت سماه الـورق والاوراق
والطير فيـه بلابـل وفواخت | الحانهـا المزمـوم والعشـاق
ففخارهـا بصفيرهـا وتفوقـها | بصباغها الميمون والشقراق
فتباينت لغـة ولـونـا مثلمـا | حجاج مكة جاوة وقـزاق
والروض يبدو منه سرو شاهق | اقـزام قصـر بينهم عمـلاق
من طول قامته وقصر ثيـابه | عريت كما بلقيس منه السـاق
خرنوبه خضر القباب وظلـه | من نـوع مغروس الثمار طباق
ياتين اوزرة وقتـك ظلالـه | الطعم شهد واللبـوس رقـاق
من نوعه لون يزيـد نسبـة | عبـد تبسم ثغـره البـراق
او صقلبـي في سواد قميصه | تبدو جوانب جسمه ومـراق
والتونسي الفاقع الاذكى شفا | لا يعتري معـه الحلوق حـلاق

(١) الفرس الاصفر يقال له اليهودي

ومبكر الانتاج بشير بادن — حلي فقصر بالضعيف لحاق
غمزت عليه العين ، هي كحيلة — وهزت بـه الاعناب وهي رحاق
فزهى من التفاح ورد خدوده — وهو الفاوذج قد حوته حقاق
والخوخ يظهر قانيا ومعصفرا — كاس من الشاه اللذيذ دهاق
والمشمش العذب النسيب لشاشه — جسم لطيف والقلوب دقاق
رمانه الاقداح افعم سمكها الـ — ـياقوت بين فصوصه الاوراق
والبردقال مذهب ومفضض — للدوح اجمل زينة وخلاق
واتى الكمثرى للجماعة قائلا — سر الحياة من النهود يذاق
ثمرات مرناق لدولة احمد — تجبى واورثها لـه مرناق
مرناق سهل اخذ قرطاجنة — وبـه تسمى ذلك الرستاق
(١)جازاه حسان به عن سلمه — والسلم تعرف نفعه الحذاق
فهواؤه للنازلين به شفا — والماء فيه مروق رقراق
(٢) عاش الصقلي في القرون ثلاثة — ما مسه في روضه ازهاق
في إبر ويعيش احمد مثلـه — في صحة ونوالـه دفاق
جازاه خالقه بما يرضى فقد — أرضى الخلائق والجزاء وفاق
ملك سواء في العدالة عنده — ولدى المبرة قائد ويماق
وله قناطير المزايا وهي من — كل الملوك مثاقل واواق
وحضوره بسراية الملك التي — في تونس تحيى بها الارماق
فتحفه وزراؤه انصاره — والآل والاجناد والاوجاق
فهم الكماة شهامة وسياسة — ودماؤهم لفدا الامير تراق
للشعر والتاليف من حسناتكم — والى صحائف ما يذاع نفاق
شحنت بتخليد الثناء وزانها — شعر به في مدحكم اغراق
تتلقف الايدي نفائس ما حوت — وصدورها لصدورهم ترياق
لما رفعتم شأنها وبما حوت — كي يستفيد القطر والآفاق
في مثلها والعلم والعيش الهني — ببلادنا يتحتم الانفاق

(١) حسان ابن النعمان فاتح قرطاجنة سنة ٧٨

(٢) الصقلي عاش فوق ثلاثمائة عام وبلغ اليه المهدي ابن تومرت في قرية ابتر بمرناق تحية الامام الغزالي ببغداد وذلك في اوائل القرن السادس

بالعلم والتهذيب والتدريب في	هذي الحياة يكون الاستحقاق
لكنها من غير سعد للفتى	فجميع ما ياتي به اخفاق
ابناء تونس ما لهم حول ولا	قوى ولا جاه ولا ارزاق
فكانما السبع العجاف سنيهم	والعيش صعب والشراب زعاق
ما كان اجدرهم برحمة ربهم	حتى يعود الى الربوع فواق
فيدوم احمد منجدا حتى نرى	ظل الهناء وتعمر الاسواق
والعيش في رغد وأمن سابغ	ويذاد عن ساحاتنا الاقلاق
فامر بما يرضي الاله وقطرنا	فالناس عندكم لهم اطراق
ان الرغائب في الحياة كثيرة	والى معاليها النهى عشاق
فيهون ان طال الرجا لصعابها	وتاخر الميسور ليس يطاق
لكن لنا راى الامير وعزمه	فالمعضلات لرتقها فتاق
ما دام احمد والحياة طويلة	لا يختشى ببلادنا ارهاق
واذا تالق بارق ليصيبنا	بشظاه فهو الخلب الالاق
ياوارثا ملكا يخلد بيننا	لا يعتريه تصدع وشقاق
انت المحبب للقلوب سماحة	جذبتكم لصدورها الاعماق
قربت كاتب عرشكم ومؤرخا	لبلاطكم وبمدحكم نطاق
الحقتموه تعطفا بقصوركم	يا حبذا الانعام والالحاق
وامرتم والامر منكم نافذ	بمآرب يغدو بها الاغداق
وانيط بالهادي الوزير قضاؤها	سيف الامير ودرعه ونطاق
مدحي لكم كقريض شاعر ورغة	في جدكم فانحل عنه وثاق (١)
فاذ نظمنا في الجناب قصائدا	فبجيدنا من جودكم اطواق
ياخير من ملك البلاد بعدله	وقضى بذا الاجماع والاطباق
هذا الهناء بمولد وربيعه	زمن الربيع اليكم ينساق
مرناق اشرق بالامير وحسبه	ان ارخوه باحمد اشراق

٥٥ ١٣٠٢

١٣٥٧

محمد المقداد الورتاني

(١) محمد الورغي المتوفى عام ١١٩٠ مدح محمد الرشيد ابي حسين بن علي تركي جد جد اميرنا احمد باشا باي بن علي بن حسين بن محمود بن محمد الرشيد .

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الخامس	تونس في محرم الحرام ١٣٦٠ وفي فيفري ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الأولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

المجلد الرابع — **فهرس العدد** — الجزء الخامس

المنعم الشيخ القروي ؟

انتظر ترجمته وادوار حياته بقلم العلامة امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة في العدد المقبل

« اعتذار »

ضاق العدد عن نشر بقية المقالات والقصائد فنعتذر لاصحابها مع الوعد بنشرها في العدد القابل ان شاء الله.

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الخامس	تونس في محرم الحرام ١٣٦٠ وفي فيفري ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الأولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حموده باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ) فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ (سُورَةُ المَائِدَةِ)

توفي الله عيسى

ابن مريم عليه الصلاة والسلام - ورفعه اليه - ونزوله

بقلم العلامة الجليل صاحب الفضيلة الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

سالني سائل من حذاق طلاب العلم والتحقيق بجامع الزيتونة عشية يوم التروية من هذا الشهر المنصرم عن مسائل طال فيها البحث والجدال بين ثلة من تلاميذ الجامع الاعظم في الايام الاخيرة فاجبته عنها بما وعته الذاكرة واطمأن له قلبه ، ثم عقدت العزم على ان اكتب فيها بتوسع وانشر في في المجلة الزيتونية المباركة ما يوفق الله بمعونته ومنه الى كتابته وتحريره قياما بما يجب من نشر الحق وتعميما لفائدته .

تلكم المسائل هي (١) توفي الله عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام(٢)ورفعه اليه(٣) ونزوله آخر الدنيا وهي مسائل ثارت فيها شبه تمسك بعناكبها قليل من اهل العلم بالمشرق والمغرب فخرجوا فيها عما كان عليه سلف هذه الامة الصالح من أيمة التفسير والحديث .

وأرجو بتوفيق الله ان يكون ما أخطه فيها بقلم الانصاف والتحري وتحكيم الكتاب والسنة وفهمهما فهما موزونا بميزان الروية والاعتدال - ارجو ان يكون ما اخطه فيها كاشفا للشبهة رافعا لمن وقع فيها الى مستوى الحق ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

توفي الله عيسى عليه الصلاة والسلام

جاء ذكر توفي الله المسيح عيسى ابن مريم في آيتين من القرآن الحكيم الاولى آية آل عمران :

اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلي والثانية آية المائدة : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم فسبق الى فهم بعض طلبة العلم : على غير روية ولا تبصر ان الآيتين ظاهرتان او صريحتان في موت عيسى عليه السلام كما مات الرسل من قبله ، وتذرعوا بهذا الى رد الاحاديث المستفيضة المتواترة في معناها الناطقة بنزوله آخر الدنيا بشبهة مخالفتها لما في كتاب الله تعالى - وما هي بالتي تخالفه - ولو نظروا نظرة عادل ضليع باللغة وفهم الكتاب العزيز آخذ بالسنة التي بين بها الرسول صلى الله عليه وسلم للناس ما نزل اليهم لانتهوا الى مستقر الحقيقة في فهم الآيتين .

شاع استعمال التوفي في الاماتة فيما بين العامة والخاصة حتى صار مثل توفاه الله لا يسبق الى الفهم منه الا اماته وقبض روحه ، ولكن التوفي لغة ليس هو الاماتة بل اعم منها ، وقد صرح بهذا غير واحد من ايمة التفسير منهم الامام ناصر الدين البيضاوي قال في تفسير آية المائدة : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ما نصه : والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى : الله يتوفى الانفس حين موتها اه ولكثير من ايمة اللغة مثل هذا .

قال ابن منظور في لسان العرب عند الكلام على مادة وفى ما نصه باختصار :

وقال غيره « اي غير الجوهوي الذي نقل عنه فيما قبل « توفي الميت استيفاء مدته التي وفيت له وعدد ايامه وشهوره واعوامه في الدنيا . . . . ومن ذلك قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها أي يستوفي مدد آجالهم في الدنيا اه المقصود منه .

فتبين بما نقلنا عن البيضاوي وابن منظور ان التوفي ليس هو الاماتة ولو كان اياها لرأيت معنى قوله تعالى : الله يتوفى الانفس حين موتها : الله يميت الانفس حين موتها وهو مما لا يرضى احدنا بمثله لكلامه فما بالك باعلى الكلام وابلغه . اذن فقوله تعالى : اني متوفيك وقوله : فلما توفيتني ليسا بنصين ولا ظاهرين في الاماتة ، ومن القواعد الاصولية ان الاعم لا اشعار له بأخص معين .

فمعنى الآية الاولى والله اعلم : اني مستوفي اجلك من الدنيا وهو الاجل الاول الذي كتب الله له فيه ان يبعث الى بني اسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة وليحل لهم بعض الذي حرم عليهم .

ومعنى الآية الثانية والله اعلم : فلما استوفيت اجلي من الدنيا وليس استيفاء الاجل بنص ولا ظاهر في الاماتة التي يحاول بعض طلبة العلم حمل الآيتين عليها توسلا بها الى التكذيب بنزوله الذي لم تتسع قلوبهم للاعتقاد به وهذا الوجه في تفسير التوفي ذكره غير واحد من المفسرين ويؤخذ من بعضهم ترجيحه اذ صدر به .

وقد حمل التوفي في آية آل عمران على وجوه أخر .

ومن اجمع الكلام لما حمل التوفي عليه فيها مع الايجاز كلام الحافظ ابن كثير . قال عند الكلام على الآية ما نصه :

اختلف المفسرون في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي فقال قتادة وغيره : هذا من المقدم والمؤخر تقديره اني رافعك الي ومتوفيك يعني بعد ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس اني متوفيك اي مميتك ، وقال محمد بن اسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال توفاه الله ثلاث ساعات من اول النهار حين رفعه اليه . . . قال مطر الوراق أي متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت وكذا قال ابن جرير توفيه رفعه . وقال الاكثرون المراد بالوفاة هنا النوم كما قال تعالى : وهو الذي يتوفاكم بالليل اه المراد منه .

وحاصله ان في التوفي وجوها (١) انه بمعنى الاماتة والكلام على التقديم والتاخير أي اني رافعك الى سمائي ومميتك بعد نزولك (٢) وانه بمعنى الاماتة وليس في الكلام تقديم وتاخير على ان الله توفاه ثلاث ساعات حين رفعه اليه (٣) وانه بمعنى توفيه من الدنيا بمعنى استيفاء اجله منها وليس بوفاة موت (٤) وانه بمعنى النوم .

واقول هذا هو مراد ابن عباس من الاماتة التي نقلها ابن كثير عنه على ما نقل القرطبي عن الربيع بن انس قال في تفسير هذه الآية : وروى ابن طلحة عن ابن عباس معنى متوفيك مميتك ، الربيع بن أنس : وهي وفاة نوم قال الله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم لان الوفاة اخو النوم كما قال صلى الله عليه وسلم لما سئل أفي الجنة موت قال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها اخرجه الدارقطني اه كلامه .

وانما صرف الربيع بن انس الاماتة في كلام ابن عباس الى وفاة النوم ولم يحملها على موت كموت الرسل من قبله لانه صح عنه من التصريح بنزوله كما تراه منقولا عنه في تفسير آية آل عمران : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وآية الزخرف: وانه لعلم للساعة وكل من ينقل عنه تفسير التوفي بالاماتة فانما يعني منها انها اماتة موقتة ثم احياه الله وانه ينزل آخر الدنيا او يعني من الاماتة الخروج من الدنيا . هذا هو الذي تعطيه الاحاطة الواسعة باقوال محققي المفسرين في الموضوع وقد نقل عن الامام مالك رحمه الله وهو في العتبية انه قال مات عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة فحمل ابن رشد الموت في كلامه على الخروج من عالم الارض الى عالم السماء او الموت الموقت لان مالكا رحمه الله صرح بنزوله وسياتي النقل عنه قريبا .

على ان القرطبي قال في تفسيره : والصحيح ان الله رفعه الى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس وقاله الضحاك اه وعليه فرواية تفسير التوفي بالاماتة عن ابن عباس لا تصح والصحيح عنه ان المراد توفيه من الدنيا وهو اختيار شيخ المفسرين ابن جرير الطبري .

ومما يرجحه على ما ظهر للعبد « والله أعلم » انه هو المناسب للتوفي في آية المائدة : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم . اي لما استوفيت اجلي من الدنيا . ويبعد ان يكون معناه : فلما انمتني او توفيتني ثلاث ساعات وقد اقتصر عليه ناصر الدين البيضاوي .

فتمحص من هذا ان التوفي في الآيتين ليس بنص ولا ظاهر في معنى الاماتة وان الذي اخترناه في معناه هو الذي اختاره جماعة من المفسرين في مقدمتهم ابن عباس على ما هو الصحيح عنه وكفى بهذا في تحقيق معنى التوفي .

رفعه الى السماء

جاء ذكر رفع المسيح عليه السلام في آيتين أيضا احداهما آية آل عمران : ورافعك الي والثانية آية النساء : وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وقد اتفق المفسرون سلفا وخلفا على ان الرفع رفع للجسد والروح جميعا ومنم السيدان الالوسي وصديق حسن خان من اوسع متاخري المفسرين علما واطلاعا وادقهم فهما واشدهم استقلالا وهو صريح الاخبار الواردة في رفعه عليه السلام وظاهر القرآن العزيز حتى يكاد يكون صريحا فيه .

ذلك ان الله قال : وما قتلوه يقينا بلْ رفعه الله اليه فرد زعم القائلين بصلبه بقوله : بل رفعه الله اليه وهو لا يكون ردا عليهم الا اذا كان الرفع رفعا للروح والجسد ولو كان رفعا للروح فحسب - كما يذهب اليه اصحاب هذه النزعة الجديدة لما صح ان يكون قوله بل رفعه الله اليه تكذيبا لهم لان رفع الروح يكون مع القتل . وقد كنت حاججت بهذا - ولم اره لاحد ممن كتب في تفسير الآية - بعض من ناظرته في الموضوع فحججته ولم يحر جوابا .

وبعد هذا فرفعه بجسده وروحه عليه السلام فضلا عن كونه صريح الاخبار وظاهر القرآن هو صريح ما في انجيل برنابا فقد جاء في الفصل ٢١٥ منه ما نصه :

ولما دنت الجنود مع يهوذا (١) من المحل الذي كان فيه يسوع (٢) سمع يسوع دنو جم غفير فلذلك انسحب الى البيت خائفا وكان الاحد عشر (٣) نياما فلما رأى الله الخطر على عبده امر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه ان ياخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الاطهار واخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنود فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة صحبة الملائكة التي تسبح الله الى الابد اه .

وانجيل برنابا هذا يمتاز على الاناجيل المتداولة باثبات التوحيد وانكار الصلب والبشارة الصريحة بنبينا صلى الله عليه وسلم وقد كان ترجم الى العربية وطبعه الشيخ السيد محمد رشيد رضا منذ بضع وثلاثين سنة .

---

(١) يهوذا هو مبعوث اليهود لاخذ المسيح عليه السلام للصلب (٢) يسوع هو عيسى عليه السلام
(٣) (الاحد عشر النيام) تلاميذ للمسيح .

نزوله آخر الدنيا

تظاهرت الاخبار على نزول المسيح عليه السلام آخر الدنيا وقد اخرج هذه الاحاديث البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجه واحمد وصرح غير واحد من اهل العلم بتواترها ولعلهم يعنون التواتر المعنوي وتلقاها علماء السلف بالقبول وعد الشيخ ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه الاعتقاد بنزوله فيما عده من عقائد اصحاب الحديث واهل السنة .

قال في كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المضلين ما نصه :

جملة ما عليه اصحاب الحديث واهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله حتى قال ويصدقون بخروج الدجال وان عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله اه وقد اورد كلامه على طوله ابن القيم في الباب الاول من كتابه حادي الارواح الى بلاد الافراح فليرجع اليه من اراد الاستفادة منه

وحديث نزوله وان لم يخرجه مالك في الموطا فقد كان يعتقد به وحاشا مثله وهو من صميم ايمة الحديث والسنة ان يخرج عما عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم قال في العتبية : قال مالك بينا الناس قيام يسمعون لاقامة الصلاة فتغشاهم غمامة فاذا عيسى قد نزل اه

وقد ذهب جمع من اهل العلم وايمة التفسير الى ان نزوله جاء في آيتين من كتاب الله تعلى : الاولى آية النساء : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته والثانية آية الزخرف : وانه لعلم للساعة

اما الآية الاولى فقد قال فيها الحافظ ابن كثير في تفسيره ما نصه :

قال ابن جرير اختلف اهل التاويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك الى ان جميعهم يصدقون به اذا نزل لقتل الدجال اه .

وحاصله ان المعنى وما من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موته اذ انزل والمراد من الكتاب على هذا من يكونون موجودين عند نزوله لا اهل الكتاب عامة وممن نقل عنه تفسير الآية بهذا ابن عباس من طريقي ابن جبير والعوفي ثم قال ابن كثير :

قال ابن جرير وقال آخرون يعنى بذلك : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به : بعيسى قبل موت الكتابي اه .

وحاصله ان المعنى : وما من اهل الكتاب الا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام ايمانا صحيحا وذلك اذا اشرف على الموت واطل على عالم الحق فيؤمن اليهودي بانه رسول الله ولم يصلب ويؤمن النصراني بانه عبد الله ولم يصلب ايضا . وقد رجح الاول ابن جرير وابن كثير وهو مروي عن ابي هريرة في الصحيح ولعل الثاني اظهر والله اعلم .

وأما الآية الثانية فقد جاءت في سياق حديث عن المسيح عليه السلام وقبلهـا : ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا ءالهتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قـوم خصمون . ان هو الا رجل انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ؛ وانه لعلم للساعة ، وقرئى علـم بكسر العين وسكون اللام وعلم بفتحهما .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ما نصه : الصحيح انه « اي الضمير عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة . . . ويؤيد هذا المعنى القراءة الاخرى : وانه لعلم للساعة اي امارة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد وانه لعلم للساعة اي آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روي عن ابي هريرة وابن عباس وابي العالية وابي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة اما ما عادلا وحكما مقسطا اه . ـ كلام ابن كثير

وهذا هو الوجه الظاهر في تفسير الآية ويقابله وجوه ثلاثة أخر احدها ان الضمير للقرءان لانه دل على اقتراب الساعة ثانيها ان الضمير للمسيح اي ان حدوثه من غير اب واحياءه للموتى دليل البعث وعلامة امكانه ثالثها انه لنبينا صلى الله عليه وسلم فان بعثه من امارات الساعة والاول اولى واقرب

فتمحص من هذا ان نزول عيسى عليه الصلاة والسلام تظاهرت عليه الاحاديث المتواترة في معناها ونطق القرآن العزيز في آيتين منه على اختلاف بين اهل التفسير واجمع عليه اهل السنة واصحاب الحديث فكيف يسع احدا انكاره فيما بعد .

هذا ما يسر الله ان نقوله « والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فرغ من جمع هذا وتحريره عبيد ربه محمد البشير النيفر في الثالث والعشرين من ذي الحجة عام ١٣٥٩

الحيـاء فضيلة

حدث ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

« الحياء من الايمان ، والايمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار » .

وقال بعض الحكماء : « من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه » .

وقال صالح بن عبد القدوس :

اذا قل مـاء الوجـه قل حيـاؤه ولا خير في وجـه اذا قل مـاؤه
حيـاؤك فاحفظـه عليـك وانما يدل على فعل الكـريم حيـاؤه

يظن بعض الناس ان الحياء منشأه ضعف في النفس وقد اخطأوا كثيرا والحقيقة ان الوقح اذا تكمن في النفس لا يزال يدفع صاحبه حتى يسقط اعتباره .

الحديث الشريف

فضل من علم وعلم

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُ فِي صَحِيحِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنِ العَلَاء قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عنْ ابي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قبلَتْ المَاء فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ المَاء فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذِي أرسِلْتُ بِهِ .

البيان *

إن الله تعالى جلت حكمته وعظمت قدرته ارسل رسوله صلوات الله عليه وسلامه بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور فميز به بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي والعلم والجهل والمعروف والمنكر وطريق أولياء الله السعداء واعداء الله الاشقياء .

فدعى الرسول الناس لتوحيد الله تعالى على طريق البشارة والانذار وأرشدهم الى الحق والى الطريق المستقيم وعلمهم ما شرع الله لهم بما فيه صلاحهم في الدارين حتى يكونوا عبادا لله اختيارا كما هم عباد له تعالى اضطرارا ولكن حالات الناس في القبول والاعراض مختلفة ومراتبهم في الاهتداء والمعرفة متفاوتة وقد أفصح عن ذلك القرآن وبينه الرسول في غير ما حديث منها حديث الباب .

والكلام على هذا الحديث من وجوه من خرجه من اصحاب السنن وسنده في رواية البخاري وما تضمنه الاسناد من اللطائف . وفي بيان معناه . وفي تنزيله . وفيما اشتمل عليه الحديث من المعاني السامية

* درس ختم الحديث الشريف الذي القاه مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي بعد عصر يوم الثلاثاء في ٢٧ رمضان المعظم عام ١٣٥٩ المنصرم بجامع جوده باشا المرادى

الحديث اخرجه البخاري في كتاب العلم فحسب واخرجه الامام مسلم في فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم واخرجه النسائي في العلم. وترجم له البخاري بباب فضل من علم وعلم فهو رضي الله عنه عقده على قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث فعلم وعلم ومأخذ الفضيلة من الحديث انه مسوق في معرض المدح على سبيل التمثيل على ما ذكر في العمدة. ورجاله في رواية البخاري خمسة وهم :

محمد بن العلاء ويكنى بأبي كريب وهو قد اشتهر بكنيته قالوا في ترجمته هو صدوق مكثر لرواية الحديث ظهر له بالكوفة مائة الف حديث مات سنة ٢٤٨ ثمان واربعين ومائتين .

الثاني أبو أسامة حماد بن أسامة بن زيد الهاشمي القرشي الكوفي وشهرته بكنيته أيضا قالوا في ترجمته هو ثبت صدوق حافظ حجة روي عنه انه قال كتبت باصبعي هاتين مائة الف حديث مات سنة ٢٠١ احدى ومائتين وهو ابن ثمانين سنة .

الثالث بريد بن عبد الله ابن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه هو من الاعلام وثقة ابن معين وغيره وقد روى له اصحاب السنن .

الرابع ابو برده ابن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه واسمه عامر وقيل الحرث سمع اباه وعلى ابن ابي طالب وابن عمر وابن سلام وعائشة وغيرهم وروي عنه عمر ابن عبد العزيز والشعبي وغيرهما ولي قضاء الكوفة بعد القاضي شرح قال الواقدي توفى سنة ثلاث ومائة وكان ثقة كثير رواية الحديث .

الخامس أبو موسى الاشعري الصحابي المشهور واسمه عبد الله وهو من عمال الرسول استعمله على زبيد وعدن وساحل اليمن . واستعمله عمر على الكوفة والبصرة ومات سنة خمس واربعين عن ثلاث وستين سنة .

وقد اشتملت هذه الرواية على لطائف في الاسناد ـ أولها ان فيها التحديث والعنعنه ـ الثاني ان الرواة كلهم كوفيون ـ الثالث ان بريد يرويه عن جده ابي بردة وأبو بردة يرويه عن أبيه أبي موسى الاشعري رضي الله عنه .

قال صلى الله عليه وسلم : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم . المثل له مفهوم لغوي وهو النظير ومفهوم عرفي وهو القول السائر ومعنى مجازي وهو الحال الغريبة والصفة العجيبة وهو المعنى المراد في هذا الحديث . كانه قيل الصفة العجيبة لما بعث به صلى الله عليه وسلم من الهدي والعلم كصفة الغيث المنهمل العام الذي أتى الناس في حال حاجتهم اليه . وكذلك كان حال الناس كافة قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام متعطشين الى من يحيي منهم ميت القلوب .

وما بعث به صلى الله عليه وسلم هو دين الله المتين وشرعه المشتمل على مصالح العباد في الدارين رحمة منه سبحانه بالعالمين قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين .

وكانت بعثته صلى الله عليه وسلم عامة خاتمة لسائر الاديان وناسخة لما سبقها من الشرائع وذلك مما خص به مولانا الديان رسوله وحبيبه وصفيه في هذا الشان .

وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم أفصح عنها القرآن قال تعالى : وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا . وبينها الرسول بافصح لسان من ذلك ما رواه عمر بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه حتى اذا صلى وانصرف اليهم قال لهم : اعطيت الليلة خمسا ما اعطيهن أحد قبلي اما اولاهن فارسلت الى الناس كلهم عامة وكان من قبلي يرسل الى قومه - الحديث - والمراد بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم انه مبعوث برسالة من الله الى الثقلين بما يعم من كان في زمانه ومن يأتي بعدهم الى آخر الزمان . وأما غيره من الرسل عليهم من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم فان الرسول كان يرسل الى قومه على معنى انه يرسل الى طائفة من الناس او كلهم ثم تنسخ بشريعته شريعة أخرى وبما تقرر تظهر الخصوصية ويتضح الجواب عما استشكل من الخصوصية في عموم رسالته صلى الله عليه وسلم مع ان نوحا عليه الصلاة والسلام عمت رسالته . قال الحافظ ابن حجر في الفتح : يحتمل ان يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه أو بعده فينسخ بعض شريعته .

ولكن يبقى علينا قوله عليه الصلاة والسلام وكان من قبلي يرسل الى قومه وما ورد في كثير من الآيات ان ارسال نوح عليه السلام كان الى قومه كقوله تعالى في سورة .

فالجواب عنه انه ارسل الى اهل الارض قبل ان يتفرق الناس ويعمروا الاقطار فكلهم قومه .

قال ابن حجر يحتمل انه لم يكن في الارض عند ارسال نوح الا قومه فبعثة نوح خاصة لكونها الى قومه فقط وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم لكن لو اتفق وجود غيرهم في مكان آخر لم يكن مبعوثا اليهم ويؤيده ما ورد في حديث الشفاعة : عند ما يلتجىء اهل الموقف الى نوح يقولون له (انت أول رسول الى اهل الارض) وبه يحصل الجمع بين الاحاديث ايضا .

وهذا الجواب اظهر من قولهم ان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم فان هذا العموم لم يكن من اصل البعثة وانما هو امر اتفق بعد الطوفان فانحصر الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس وعليه فتكون رسالته في الاصل خاصة وما حدث من العموم انما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين لانه يرد على هذا الجواب ان الله تعالى عاقب أهل الارض بالطوفان وهذا العقاب حصل بعد الاعراض عن قبول دعوة الرسول والمعاندة وطول الحجاج ويستحق العقاب من دعي الى الحق فاعرض ونأى قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فاستحقاقهم العذاب كان بعد بلوغ الدعوة

اليهم من الرسول واعراضهم عن القبول ونوح عليه السلام قد دعا على كل الكافرين فقال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) فلو كانت دعوته لم تشمل الجميع ما كان يدعو على من لم يدعه للايمان فلم يؤمن به .

واما ما نحا اليه ابن عطية في تفسيره من ان نوحا عليه السلام دعا قومه الى توحيد الله فبلغ بقية الناس فتمادوا على الشرك فاستحقوا العذاب فهذا وان كان يمكن ان يقال في اصل استحقاق العذاب على ما فيه لكنه لا يتم مع دعاء نوح على جميع الكافرين بالهلاك كيف يدعو عليهم وهو لم يكن مرسلا اليهم ولا دعاهم للايمان ولا أبلغهم الحق الذي جاء به من عند الله !

واما بما ذكرنا فيسقط التوقف من اصله وتكون رسالة نوح عليه الصلاة والسلام لا تساوي عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم التي عمومها لمن كان موجودا في عصر البعثة ولمن يوجد بعده من غير تبديل ولا نسخ الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وقد توهم بعض المعاندين من اهل هذا العصر استشكالا على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه دعا الناس وخاطبهم بالقرآن الذي جاء بلغة خاصة وهي لغة العرب .

وجوابنا عن ذلك ان الله تعالى قال في محكم التنزيل وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه . فالآية تدل بعمومها على كون الرسول المرسل يتكلم بلغة من يظهر فيهم لان الرسول يدعو الناس فيخاطبهم بما يفهمون ليحصل المقصود من البعثة وهو أول من يدعو أهله وعشيرته ثم تتسع الدعوة حتى تشمل كل من هو مقصود بالخطاب وقد يكون خاصا وقد يكون عاما وعلى كل التبليغ الاول انما يكون للمتصلين به الذين بعث فيهم فينطق بلسانهم ويتكلم بلغتهم ليفهموا منه مقاصده اولا ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل التبليغ لغير أهل تلك اللغة من الذين هو مرسل اليهم بالتراجم

اضف الى ذلك ان كون الرسول يظهر في قوم وينتسب الى اصلهم ويتكلم بلغتهم أمر بشري لا مناص منه وهي سنة الله في المرسلين ولن تجد لسنة الله تبديلا . والنبي صلى الله عليه وسلم أول ما دعا آل بيته وخاصته وخاطبهم بالقرآن ثم جهر بالدعوة وخاطب قريشا وتلى عليهم القرآن ثم دعا قبائل العرب عامة ثم كتب الى رؤساء الامم ودعاهم الى الاسلام على طريق ملوكهم وضمن كتبه آية (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وكانت كتبه باللغة العربية وعند ما يتصل الملك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر ترجمانه فيتلو عليه ترجمة كتاب رسول الله وبذلك بلغ صلى الله عليه وسلم رسالته للامم ودعاهم لتوحيد الله وتصديق رسالته . واخذ ما جاء به من الهدى والعلم .

ودعوة الرسول تشمل كل مكلف عاقل بالغ خال عن العوارض التي تمنع التكليف كالجنون والصبا فمثل هؤلاء غير مخاطبين بتكاليف الشريعة .

قال منلاخسرو في المرآة : التكليف موقوف على اهلية المكلف قال عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث وعد منها الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق . وهل الغافل يتوجه اليه الخطاب ؟

قال الامام ابن السبكي في جمع الجوامع الصواب امتناع تكليف الغافل والملجأ وكذا المكره . قال سعد الدين التفتزاني في حواشيه على العضد : ان الغافل الذي لا يتوجه اليه الخطاب هو الذي لا يفهم الخطاب كالصبيان او يفهمه لكنه لم يقل له انه مكلف كالذي لم تبلغ اليه دعوة نبي فظهر ان الغافل عن التصور هو الذي لا يجوز تكليفه لا الغافل عن التصديق . قال العطار في حواشيه على المحلي : واعتبر تكليف الغافل تكليفا محالا لخلل في المأمور .

فعلمنا ان المنقطع الذي لم تبلغه دعوة الاسلام غير مكلف قال الكمال ابن الهمام في المسايرة : قال الاشاعرة وحنفية بخارى لا يجب ايمان قبل البعثة فمن مات ولم تبلغه دعوة رسول ليس من اهل النار . وهل دعوة الاسلام بلغت الكافة ؟

قال الامام ابن رشد في المقدمات : الصحيح ان دعوة الاسلام قد بلغت جميع العالم . اهـ قالوا وما صححه ابن رشد لا يناقضه ما ظهر من الخلق في الجزر الخالدات ايام الامير ابي الحسن المديني وهم خلق كانوا يسكنون الجزر المذكورة لا يعرفون النبوة ولا بلغتهم دعوة نبينا عليه الصلاة والسلام ولم يكونوا على دين قط . اي ومثلهم ما ظهر بعد ذلك من الخلق بعد استكشاف الدنيا الجديدة . قالوا الجواز حمل كلام ابن رشد على جل العالم الذي تيسر الوصول اليه وعثر عليه اذ لا يعلم جنود ربك الا هو فمثل هؤلاء الناس اذا لم تبلغهم الدعوة وكان حالهم كما ذكرنا هم الذين يحكم عليهم بانهم تحت المشيئة .

فعلمت مما تقدم انه اذا كان هناك من البشر من لم تبلغه الدعوة يحكم بانه تحت المشيئة ولا يحكم بكفره . ولا يلزم في بلوغ الدعوة ان يدعوهم امير المسلمين بل بذلك وبما يصل الى علمهم من المسلمين ان الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل بشريعة عامة الى كافة البشر فالعلم الحاصل بمجرد السماع كاف ولا يتوقف امرهم على دعوة امير المسلمين . قال امام دار الهجرة مالك ابن انس رضي الله عنه في المدونه من قربت داره من الكفار اي من ديار المسلمين فلا يدعى الى الاسلام لعلمهم بالدعوة اي بل يقاتلون من غير دعوة الى الاسلام لانهم علموا انهم مخاطبون بالاسلام فكفروا به .

ونقل الكمال ابن الهمام عن صاحب المحيط : بلوغ الدعوة حقيقة او حكما بان استفاض الخبر شرقا وغربا انهم الى ماذا يدعون فاقيم ظهور الدعوة مقامها انتهى كلام المحيط واستدل على اعتبار فشو الخبر بحديث مسلم عن ابن عوف كتبت الى نافع اساله عن الدعاء قبل القتال فكتب الي انما كان ذلك اول الاسلام قد اغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم غارون (أي غافلون) وانعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم . اهـ فهذا يدل على ان فشو الخبر يعتد به في عدم وجوب دعوة مبتدأة ويحكم به بكفر من لم يسلم لكن كل ذلك اذا علمنا ان الخبر وصل اليهم قال ابن الهمام ولا شك ان في بلاد الله تعالى من لا شعور له بهذا الامر فالمدار على ظن ان هؤلاء القوم لم تبلغهم الدعوة فيدعون . اي فمن مات منهم قبل الاسلام وقبل التبليغ هو تحت المشيئة . وبذلك جزم ابن نجيم في البحر قال والدعوة تشمل الحقيقية والحكمية فالحقيقية باللسان والحكمية انتشار الدعوة شرقا وغربا قال وقد نص محمد عليه في السير الكبير

وقد بين صلى الله عليه وسلم ما بعث به فقال من الهدى والعلم قال الامام الالوسي : الهدى في الاصل مصدر هدى أو عوض عن المصدر والكل في كلام سيبويه . ولم يجيء من المصادر بهذه الزنة

الا قليل كالتقى والسرى والبكى بالقصر في لغـة ولقى . والمراد بـه اسم الفاعـل باحد الـوجوه المعروفة في امثاله . ويتعدى الى المفعول الثاني باللام والى فيقال هداه لكذا والى كذا اذا لـم يكن فيه فهداه اليه واما تعديته بنفسه كقولهم هداه كذا فمحتمل للحالين ما كان فيه وما لم يكن

وهو لفظ مؤنث عند ابن عطيه ومذكـر عند اللحياني وبنو أسد يؤنثونه كما قال الفراء فهو كالهداية . والهداية دلالة بلطف ولذا أطلق على المشي برفق تهاد قال الشاعر يصف نسوة :

قلت أذ اقبلت وزهر تهادى ... كنعاج الفلا تعسفن رملا

وأما قوله عز وجل فاهدوهم الى صراط الجحيم فوارد على الصحيح مـورد التهكم على حد قوله تعالى فبشرناهم بعذاب اليم

وقال صاحب الكشاف الهداية الدلالة الموصلة الى البغية . قال الجلال الدواني والمذكور في كلام الاشاعرة أن المختار عندهم ما ذكره في الكشاف وعند المعتزلة خلافه قال والتوفيق أن كلام الاشاعرة في المعنى الشرعي وغيره مبني على المعنى اللغوي أو العرف

قال الالوسي والحق عند أهل الحق ان الهداية مشتركة بين المعنيين المذكورين وعـدم الاهلاك قال وبه يندفع كثير من القيل والقال . انتهى ما به الحاجة من كلامه رحمه الله

والمراد بكون ما بعث به صلى الله عليه وسلم هدى ان الله تعالى جعل في دعـوة الرسول والقرءان الذي بعثه به هدى للناس ليخرجوا من الظلمات الى النور ويدلهم على طـريق السعادة الراغبين فيها قال الراغب الاصفهاني في غريب القرءان :

هداية الله الناس على اربعة أوجه ـ الهداية التي عـم بجنسها كل مكلـف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التي أعطى منها على العموم كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال سبحانه (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)

الثاني الهداية التي جعل الله للناس بدعائه اياهم على السنة الانبياء وانزال القـرءان ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا)

الثالث التوفيق الذي يختص به من يهتدى وهو المعني بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهـم هدى

الرابع الهداية في الآخرة الى الجنة وهو المعني بقوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله الآية وهذه الهدايات الاربع مرتبة فان من لم تحصل له الاولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة . وقد يحصل البعض ولا يحصل الباقي وبهذا التفصيل نعلـم ان الهداية باعطاء العقل والتمييز ومعرفة اسباب الحياة . والتوفيق والثـواب وادخـال الجنـة كل ذلك مختص به تعالى وهي الهداية التي نفاها الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن البشر قـاطبة في مثـل

قوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء . وكل هداية اثبتها الله عز وجل للنبي او للبشر فهي من الهداية التي هي تعريف طرق الفلاح ودعاء الناس الى الحق ومجانبة الضلال . فالرسول هاد بما بعث به الى الحق والى الصراط المستقيم وما بعث به هدى ونور

وقوله صلى الله عليه وسلم (والعلم) العلم هو صفة توجب تمييزا لا يحتمل متعلقه النقيض . والتعلق هو النسبة بين العالم والمعلوم قال في المواقف : العلم لا بد فيه من اضافة اي نسبة مخصوصة بين العالم والشيء المعلوم وبتلك النسبة يكون العالم عالما بذلك المعلوم ويكون المعلوم معلوما لذلك العالم وتلك الاضافة وهي النسبة هي التي يسميها علماء الكلام التعلق

والعلوم من حيث هي مختلفة منها علوم شرعية وهي ما وقع تلقي أصله من الرسول — ومنها علوم غير شرعية وهي ما استفيد من طريق العقل أو التجربة أو النقل مثل الحساب والطب واللغة . والعلوم الشرعية منها ما تجب معرفته على الكفاية ومنها ما يجب طلبه ومعرفته عينا قال صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم

قال الامام الغزالي في الاحياء : اختلف الناس في العلم الذي هو فرض عين على كل مسلم الذي جاء في الحديث فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة وكل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده

وقال أبو طالب المكي هو العلم بما تضمنه قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا آله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان

قال حجة الاسلام والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ان المراد بالعلم في قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم هو علم المعاملات التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها وهي ثلاثة : اعتقاد ـ وفعل ـ وترك . ويدخل فيها ما يرجع الى الاخلاق الى ان قال : فمن وجبت عليه التكاليف الشرعية أول ما تجب عليه معرفته الايمان بالله واذا انتقل من حال الى آخر وجب عليه معرفة حكم الله فيه وهكذا فاذا دخل في وقت صلاة وجب عليه تعلم الصلاة واذا أدركه شهر رمضان وجب عليه تعلم ما يتعلق بالصوم واذا تعامل مع الناس بنوع من أنواع المعاملات وجب عليه تعلم ما يجوز فيه وما يحرم وعلى هذا القياس .

وما زاد على القدر الواجب عينا هو واجب على طائفة وفضيلة لباقي الناس . اه

ورأس العلم معرفة الله وفائدته العمل بما علمه الله . والمراد بالعلم في الحديث ما دلت عليه الادلة الشرعية من القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي مثله الرسول بالغيث الكثير

الغيث اسم للمطر كله وجمعه الغيوث ووصفه في الحديث بالكثرة اي المطر المنهمل الذي يسقي الارض ويحصل به النفع

وقوله صلى الله عليه وسلم اصاب ارضا فكان منها نقية الارض النقبه هي الطيبة وهي رواية مسلم وقوله قبلت الماء اي استقر فيها واختلط باجزائها فانبتت الكلأ والعشب الكثير

والكلاء والعشب والحشيش اسماء للنبات لكن الحشيش مختص باليابس منه والعشب والكلا بالقصر يختصان بالرطب والكلأ بالهمز يقع على اليابس والرطب وهو المذكور في الحديث وعطف عليه العشب من عطف الخاص على العام . وقوله الكثير صفة للعشب . وهذا وصف للطائفة الاولى من الارض التي أصابها الغيث فانتفعت به وانبتت النبات فكان منه الرطب واليابس فانتفع به

وقوله وكانت منها اجادب الاجادب جمع جدب على غير قياس وقياسه أن يكون جمع أجدب قال الخطابي الاجادب صلاب الارض التي تمسك الماء ولا يسرع شربها له وقال الاصمعي الاجادب ما لا ينبت . وقوله أمسكت الماء أي استقر على وجه الارض فنفع الله بها الناس وبين وجه النفع فقال فشربوا وسقوا وزرعوا أي شرب منه الناس وسقوا دوابهم وأراضيهم فزرعوها وهذا وصف للارض التي تعدى النفع منها الى غيرها ولم تنتفع هي .

وقوله وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان القيعان جمع القاع وهو الارض السبخة أو الملساء التي لا تنبت .

وقوله لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ بمعنى أنها لا تنتفع من الماء الذي يصيبها ولا ينتفع منها غيرها وهذا وصف لطائفة اخرى من الارض لا تنتفع مما أصابها ولا ينتفع منها غيرها

وذلكم ما جعله الرسول عليه الصلاة والسلام مثالا لمن قبل ما بعث به ومن لم يرفع بذلك رأسا فقال صلى الله عليه وسلم : فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به

الفقه في أصل اللغة الفهم يقال فقه بالكسر كفرح وأما الفقه الشرعي فقال الهروي وغيره يقال فيه فقه بالضم وقال ابن دريد بكسرهما معا قال في العمدة وهو في الحديث بالضم لان المراد به المعنى الشرعي فيكون مضموما على المشهور

ومن لم يرفع رأسا هو المتكبر الذي لا يلتفت الى ما يقال له وفي هذا التمثيل بيان مثال ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم وفيه بيان مثال الناس في الانتفاع به والنفع والاعراض قال العيني في العمدة : في الحديث تشبيه ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم اليه وتشبيه السامعين له بالارض المختلفة والاول وهو تشبيه الدين بالغيث تشبيه المعقول بالمحسوس والثاني وهو تشبيه الناس بالارض المختلفة تشبيه محسوس بمحسوس قال ويحتمل أن يكون تشبيها واحدا من باب التمثيل أي تشبيه صفة العلم الواصل الى أنواع الناس من جهة اعتبار النفع وعدمه بصفة المطر المصيب أنواع الارض من تلك الجهة وقوله وذلك مثل من فقه في دين الله الخ تشبيه آخر ذكر كالنتيجة للاول ولبيان المقصود منه . اه وهذا الاحتمال الثاني هو الاجزل لان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة باعتبار النفع في قبول المحل لما يصل اليه من الخير مع

ظهور أماراته وانتشارها على وجه عام الفائدة وعدم الانتفاع وعدم القبول ولا يخفى ان هذه الهيئة منتزعة من أمور متعددة واعتبار الهيئات المتعددة المركبة في التشبيه له الوقع الحسن في النفوس

قال الشيخ عبد القاهر في قول الشاعر :

وكان اجرام النجوم لوامعا   درر نثرن على بساط ازرق

لو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان التشبيه مقبولا لكن أين هو من التشبيه الذي يريك الهيئة التي تملا النواظر عجبا وتستوقف العيون وتستنطق القلوب بذكر الله من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقه في اديم السماء وهي زرقاء زرقتها بحسب الرؤية صافيه والنجوم تبرق وتتلالا في اثناء تلك الزرقة ومن لك بهذه الصورة العجيبة اذا جعلت التشبيه مفردا

ومن هنا قال الامام المازري : الحديث من بديع الايجاز والبلاغة ومن بديع التشبيه والتقسيم فانه جعل اقسام الارض ثلاثة اثنان محمودان وهما الاولان - يعني النقيه الطيبه والاجادب - ثم أتى بكلام واحد يتضمن ثلاثة اثنان محمودان وذلك قوله عليه الصلاة والسلام فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم فهذان مثلان للمثالين الاولين على ترتيبهما في التقديم والتاخير فالاول هو الذي انتفع به في نفسه وعلم غيره مثل الارض التي قبلت الماء فانتفعت في نفسها بالري والتروي وانتفع الناس برعي ما انبتت . والثاني وهو الذي حفظ وتحمل ولم يفتح له بالتفقه فيه وبلغه غيره مثل الارض التي لم تقبل الماء ولكنها امسكته لمن شرب منه . والثالث وهو الذي لم يعمل بما بلغه ولا قبله ولم يرفع به رأسا فهو كالارض التي هي قيعان لا تنبت و لاتمسك

فانت ترى ان المازري في هذا التقسيم الذي نزل عليه الفاظ الحديث اعتبر ان الحديث اشتمل على اقسام ثلاثة في المشبه والمشبه به . وفي كلام الامام النووى ما يويد كلام المازري فقال النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم قلوب ثاقبة ولا رسوخ لهم في العلم يستنبطون به المعاني والاحكام وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل بالعلم فهم يحفظون حتى ياتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العالم فياخذه منهم فينتفع به . اهـ قال الابي : والى هذا ينظر قوله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه الى من هوأ فقه منه

ولكن كل من المازري والنووي لم يبين مأخذ القسم الثاني في المشبه من الحديث

قال في المصابيح فان قلت ليس في الحديث تعرض الى القسم الثاني وذلك انه قال في الحديث فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم وهذا القسم الاول ثم قال ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به وهذا هو القسم الثالث فاين القسم الثاني ؟

قال احيب عن ذلك باحتمال ان يكون ذكر من الاقسام اعلاها وادناها وطوي ذكر ما بينهما لفهمه من اقسام المشبه به المذكورة لولا

وقال الكرماني ويحتمل لفظ الحديث لتثليث القسمة في الناس بان يكون قوله نفعه صلة موصول محذوف فيقدر قبل لفظة نفعه كلمة من بقرينة عطفه على من فقه فيكون تقدير الكلام ذلك مثل من فقه في دين الله ومن نفعه ما بعثني الله به . كما في قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

امن يهجو رسل الله منكم ويمدحه وينصره سواء

كانه قال ومن يمدحه وينصره سواء . قال فان قلت ما وجه حذف من ؟ قلت اشعارا بانهما في حكم شيء واحد في كونه ذا انتفاع في الجملة كما انه لم يعطف اصاب في الاجادب . (في المشبه به)

قال : وعلى هذا الجواب تكون الاقسام الثلاثة مذكورة ويكون قوله من فقه في دين الله هو القسم الثاني ومن نفعه الله فعلم وعلم هو القسم الاول ومن لم يرفع بذلك راسا هو الثالث وفيه لف ونشر غير مرتب اهـ

وهذا الجواب بمنع ان يكون القسم الثاني غير مذكور .

ثم هذا الجواب مخالف لكلام المازري الذي جعل الاقسام الثلاثة على الترتيب ولكن لم يظهر وجه ماخذ القسم الثاني من كلام المازري . قال الابي تعليقا على كلامه القسم الثاني لم يذكر في الحديث ولكنه في ضمن الاول ويدل عليه باللزوم قال ولعل هذا هو الايجاز والبلاغة التي اراد المازري

وهذا الذي ذكره الابي هو موافق للجواب الاول الذي نقلته عن المصابيح غير ان الابي جعل القسم الثاني في ضمن القسم الاول ويشير اليه باللزوم وصاحب المصابيح المظهري جعل الاشارة اليه من المشبه به مع اتفاقهما على ان اقسام المشبه به ثلاثة واقتصر في المشبه على قسمين . وهو الذي يدل عليه كلام الخطابي حيث قال هذا مثل ضرب لمن قبل الهدى وعلم ثم علم غيره ومن لم يقبل هدى الله . وهو صريح كلام الطايبي حيث قال القسمة الثنائية هي المتصورة فالمذكور في الحديث الطرفان العالي في الاهتداء والعالي في الضلال وطوي غيرهما . قال في العمدة وهو الصواب

وسلك القرطبي مسلكا آخر فذكر ان الحديث اشتمل على مثلين وفي كل مثل طائفتان الاول الطائفة الاولى منه العلماء العاملون المعلمون فهم بمنزلة الارض الطيبة والكل ممدوح والطائفة الثانية منه الجامعون للعلم الذين لم يتفقهوا فيه بيدانهم ادوه لطالبه فهؤلاء بنزلة الاجادب والكل ممدوح في الجملة قال عليه الصلاة والسلام نظر الله امرأ سمع مقالتي فاداها كما سمعها . وانما جمع في المثل بين الطائفتين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما

والمثل الثاني الطائفة الاولى منه من دخل في الدين ولم يسمع العلم او سمعه ولم يعمل به ولم يعلمه لغيره ومثلها من الارض السباخ واشار اليها الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم : من لم يرفع بذلك راسا . والطائفة الثانية منه من لم يدخل في الدين اصلا بل بلغه فكفر به ومثلها من الارض الملساء الملساء واشار اليها الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل هدى الله الذي جئت به . وكل من النوعين مذموم

والسباخ والملساء في كلامه اخذهما من قوله عليه الصلاة والسلام قيعان

وهذا الوجه على ما فيه من الحسن ظاهر عليه التكلف وان اختاره الحافظ ابن حجر في الفتح

وظاهر الحديث انه طوى القسم الثاني لعلمه من التركيب وقصده صلى الله عليه وسلم من ذكر الاعلى والادنى ترغيب الناس في اعلى المقامات ، اشرف الصفات وهي حالة التفقه في الدين والاخذ من علم الشريعة باوفر نصيب وتعليم الناس ما ورثه العلماء من الرسول الكريم والاهتداء بهداه حتى يكونوا مثال الاستقامة والتقوى والتحذير والترهيب من ادنى الحالات وهي حالة الاعراض والضلال

وهذا الحديث الشريف تضمن امورا لها من الشان والاعتبار المقام الاسمى

الاول — ان ما بعث به صلى الله عليه وسلم هدى وعلم

الثاني — أن رسالته صلى الله عليه وسلم رحمة للناس

الثالث — ان شريعة الاسلام سهلة الماخذ صافية المورد عذبة المساغ

الرابع — ان اكمل صفات المسلم المعرفة والنفع والعمل

الخامس — ان اقبح ما يكن عليه الانسان الاعرض وعدم قبول الهدى

السادس — فضل من تفقه في دين الله وارشد الناس فعلم وعلم فحسنت سريرته وحمدت سيرته وعمل بما علمه الله فيما بينه وبين خالقه وفيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الناس فكان علمه باعثا له على العمل ولم يتركه جاريا مع هواه .

قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات :

العلم المعتبر شرعا اعني الذي مدح الله ورسوله اهله على الاطلاق هو العلم الباعث على العمل الذي لا يخلي صاحبه جاريا مع هواه كيفما كان بل هو المقيد لصاحبه بمقتضى تعاليمه الحامل له على قوانينه طوعا او كرها

السابع — فضله صلى الله عليه وسلم على هذه الامة المهدية فعلم الناس ما يوصل الى رضى الله وهداهم الى طريق السعادة ورغبهم في الصالحات وبشرهم بمضاعفة الحسنات وان العمل القليل في طاعة الله له الثواب الجزيل كما جاء في حديث التسبيح الذي ختم به البخاري هذا الصحيح من قول الرسول الكريم كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

الجايزة الشعرية

جاءنا من بعض القرآء ما يتضمن انه طالع في الجرايد اليومية جايزة شعرية لمن يفوز في مسابقة بين ادباء المملكة التونسية

وابدى اقتراحا لرجال اللجنة الفنية بان ينظروا في امكان جعل الكتابة مطبعية وان تكون اسماء اصحاب القصائد مخفية حسب المتعارف في مثل هذا الموضوع

فنشرنا له هاته الفكرة التي لا باس بها (المجلة)

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

متى كان ظهور الطباعة

بالاحرف العربية في تونس

بقلم العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

لمبتكر فن الطباعة فضل على العالمين لانها حفظت علوم الاقدمين وءاثارهم من التلاشي واعانت على توسيع ميادين الثقافة ونشر نور العلم بين كافة الشعوب والاقوام ولكن من هو الرجل الاول الذي انتبه لايجاد طريقة للكتابة بالطباعة ؟ لا جرم ان معرفة اسم ذلك الرجل ليست بالشيء الميسور لان الطباعة على الحجر كانت موجودة من عهد بابل واشور انما الشيء الصحيح الذي اثبته التاريخ هو ان فضل تهذيب الطباعة المعروفة بتمكين الطابع من اخراج مطبوعات متعددة ومتماثلة من نص واحد في وقت واحد ترجع مزيته لرجل اروباوي اسمه يوحنا كوتنبير من رجال القرن الخامس عشر للميلاد والتاسع للهجرة الشريفة فهذا الرجل توصل بعد ابحاث وجهود للحصول على تلك الغاية وما لبث مشروعه لعظيم فائدته ان صار عموميا بين اهل اروبا وتعلمه الناس في كل بلاد ونسجوا على منواله وتوسعوا في اساليب تحسينه واتقانه الى ان بلغوا في فن الطباعة منتهاه - واول ما طبع باروبا من الكتب اسفار التوراة باللغة اللاطينيه .

هذا هو اصل الطباعة باروبا واما الطباعة بالاحرف العربية فهي وليدة المتقدمة ظهرت لعالم الوجود في اوائل القرن السادس عشر للميلاد ونحن في اواسط القرن العشرين واول ما طبع في ذلك كتاب مزامير داود عليه السلام بمدينة جنوى عام ١٥١٦ ثم باشروا باشارة البابا طبع كتب الحكمة عند العرب من ذلك كتاب النجاة للشيخ الرئيس ابن سينا (١) طبع بالاحرف المعدنية

(١) هذه الطبعة النادرة توجد منها نسخة بخزانة جامع الزيتونة تحت عدد ٥٢١٩ بدفتر الكتب

بمدينة رومه عام ١٥٩٣ (١) ورغم تكرر طبع الكتب باللغة العربية مدى القرنين السابع عشر والثامن عشر (الحادي عشر والثاني عشر للهجرة) بباريس وروما ولندره وليون ولبزيغ ومجريط وغيرها من عواصم اروبا فان العالم الاسلامي لم يقبل يومئذاك على الطباعة (٢) ولعلهم كانوا يتحاشون من ذلك اتقاء تلاشي مسودات الاوراق وهي لا تخلو من ءايات كريمة او احاديث شريفة او غير ذلك من الاسباب التي اساسها التورع او التمسك بما كانت عليه صناعة الوراقة والنسخ من الازدهار في عصر السلف الصالح مع انتشار تآليفهم في كافة البلاد قبل ان يعم الطبع جهات المعمورة (٣) وبالتالي لم يكن في وسعهم الا الركون للاستفادة من محاسن الطباعة وكان بمقدمة الامم الاسلامية في ذلك السبيل البلاد المصرية ومصر كانت ولا زالت ان شاء الله منبع النور ، العلم المضيء فاحدثوا على عهد محمد علي باشا وبامره جريدة الوقائع المصرية وطبعوا كتبا كثيرة لا سيما في التاريخ والادب وشبه ذلك قبل الشروع في طبع كتب الدين وعلوم الشريعة . وبمصر اقتدت تونس وتونس هي بيت القصيد

كانت الايالة التونسية عند وفاة المشير احمد باي متهيئة للسير في مسالك التمدن العصري الذي شاهد سمو الباي محاسنه مباشرة اثناء رحلته لباريس في اواخر عام ١٢٦٢ واقتبس من عناصره الاسس الاولى لنظام دواليب الدولة التونسية فلما ارتقى بعده المشير الثاني محمد باي لكرسي الامارة زاد خطوة في طريق الرقي الكتابي بالايالة حيث قرر في الاول اتخاذ مطبعة حجرية لتعميم اوامره ونواهيه استحضر ءالاتها من باريس وفقا لما كان في عزم سلفه وعاقه حضور اجله عن انجازه واول ما طبع بهذه المطبعة الحجرية لائحة تراتيب داخلية ثم بدا له بعد حين التوسع في هذا المشروع فسعى لجلب احرف معدنية مع الاجهزة التابعة لها من دار الطباعة بباريس وفيما بين ذلك ادركه اجله المحتوم وصعد اثره الكرسي الحسيني اخوه المشير الثالث محمد الصادق باي فاحدث جريدة الرائد

---

(١) طبع بروما ايضا قبل كتاب النجاة بعام اي في سنة ١٥٩٢ متن الاجروميه بالمطبعة الحجرية وقفت على ذلك باحدى خزائن الكتب بباريس وهذه الطبعة مقدر ثمنها بفهرس صاحبها بثلاثمائة وخمسين فرنكا فليتامل .

(٢) ينبغي ان لا ننسى ان البدع من كل نوع كانت محضورة بين المسلمين ناهيك ان قاضي مكة المكرمة كان يحكم في المائة العاشرة بجلد شارب قهوة البن وكان المحتسب بتونس يعاقب النسوة اللاتي يلبسن الجوارب (كلاسط) في اواسط القرن الماضي .

(٣) اعتنى بعضهم بضبط مؤلفات جلال الدين السيوطي وقسمها على عدد ايام عمره فاصاب كل يوم منها كراس ونيف ولا ينبغي لمن لم يتأت له الوقوف على مؤلفات السيوطي أن ينكر صحة هذه الاحصائية فان السيوطي من اوفر العلماء تاليفا في الاسلام ليس فقط في زمنه بل قبله وبعده ايضا ومثله واكثر منه صلاح الدين الصفدي فانه كتب اكثر من خمسمائة تاليف منها كتاب الوافي بالوفيات ترجم فيه لاكثر من اربعة عشر الف فاضل ولا توجد منه نسخة كاملة باحدى خزائن الكتب المعروفة بالعالم ونسخة جامع الزيتونة اقلها نقصا حيث احتوت على واحد وعشرين جزءا من الستة والعشرين التي كتبها المؤلف رحمه الله .

التونسي (١) التي اعطى امتيازها لاحد تجار الاجانب ولكنه خص قسما منها بنشر الامور الرسمية وجعلها لنظر رئيس المجلس البلدي وناط رئاسة تحريرها بلياقة الاستاذ الشيخ محمود قابادو ثم بعد صدور بضعة اعداد منها ابطل منحة الامتياز المشار اليه وجعلها والمطبعة الرسمية بما اشتملت عليه من الاجهزة والاحرف المعدنية من حقوق الدولة التونسية وحدها وكانت المطبعة يومئذ بالحفصيه (٢) واقلام ادارتها بدار العشرة (٣) حيث مقر المجلس البلدي في ذلك الزمان ولم يمض غير زمن قصير حتى اقبل الناس على هذا المشروع الجديد وتسابقوا للاستفادة من النتائج الناشئة عن الصحافة والطباعة وسعوا لنشر بعض الكتب في الادب والتاريخ واللغة ثم طرقوا باب الحديث والتوحيد والتصوف والفقه الخ واول ما طبع من ذلك مجموعة قوانين دولية ثم جدول في المقابلة بين التواريخ للشيخ حسن لازاغلي البوني اسماه البهجة الحسينية في التواريخ الحالية(٤) ثم كتاب سلوان المطاع لابن ظفر وكتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لابن زيان ثم تسلسل الطبع والنشر للكتب من كل علم وفن ولكنه

---

(١) صدر اول عدد من الرائد التونسي يوم الاحد في ٤ محرم ١٢٧٧

(٢) دار الحفصية المنتصبة بقسم منها ادارة الغابة في هذا الزمان كانت مصنعا للمدافع في العصر الحفصي وفي عهد الدولة المرادية والدولة الحسينية الى مدة المشير احمد باي كما كانت تحتوي على معمل لضرب السكة في الزمن القديم وكما كانت ايضا محجرا صحيا اثناء ظهور الطاعون بتونس في القرن الماضي وبعد ان انتصبت بها المطبعة الرسمية نحو ربع قرن انتقلت هذه المطبعة للمحل الذي كان اصطبلا لسمو الباي ببطحاء القصبة (حيث خزنة المكاتيب العامة في هذا الزمان) ومنه انتقلت في عام ١٣١٩ لدار الداي الملاصقة لدريبة الدولاتلي وما زالت بها الى هذا اليوم

(٣) دار العشرة هي الدار المعروفة لهذا الزمان باسم « دار حسين » (هو الوزير امير الامراء حسين المملوك مستشار المعارف كان - توفي سنة ١٣٠٤) وبها مساكن ودواوين الجنرال القائد الاعلى للجيوش الفرنسوية بتونس وانتسابها قدما لعدد العشرة يشير لعدد اعضاء المجلس البلدي الذين كانوا يجتمعون بها تحت رئاسة المرحوم حسين المذكور اعلاه وكانت هذه الدار قبل ذلك من املاك البائليك وتعرف اذاك باسم دار اسماعيل كاهية من وزراء المولى علي باي الثاني المتوفى عام ١١٩٦ وكانت في الزمن المتقدم عن ذلك مسكنا لعثمان داي وفي عهد الدولة المرادية وقع تهذيبها بالنقش حديدة البديعة المزدان بها صحنها وجدراناها وكانت في مدة الدولة الحفصية دارا للضيوف فيما روته بعض الاخبار وهي وما جاورها من الابنية القديمة كانت قصورا للامراء من بني خراسان في المائة السادسة وما زال بجوارها بقية من ءاثارهم وكثير من الكتاب يخبطون خبط عشواء عند التعريف بتاريخ هذه الدار والجرائد تنقل عنهم ما كتبوا بدون بحث ولا تعقيب وهذا هو الذي دعاني لانتهاز هذه الفرصة لذكر خبرها الصحيح باختصار والله مقلب الليل والنهار

(٤) هو عبارة عن جدول للمقابلة بين التواريخ الحالية اصدره واضعه في مفتتح كل سنة قمرية من تاريخ ظهوره في سنة ١٢٧٨ الى سنة ١٢٩٠ وفي العام التالي اعتنى صاحبه بتوسيعه وتهذيب اساليبه ووافق ذلك ولاية الوزير خير الدين مسند الوزارة الكبرى فاتخذ المؤلف لتاليفه اسما جديدا مقتبسا من اسم الوزير خير الدين حيث اسماه النزهة الخيرية وهذه استرسل ظهورها بانتظام من تاريخ نشاتها حتى عام ١٣١٨ وبعده انقطع طبعها لوفاة صاحبها في العام المذكور فظهرت باثرها في عام ١٣١٩ الرزنامة التونسية لكاتب الحروف ودام صدورها حتى عام ١٣٣٥

لم يقع طبع جريدة عربية اخرى في مطبعة الرائد قبل سنة ١٣٠٥ (١) واليك باثر هذا قائمة ما تيسر لي جمعه من اسماء الكتب العربية التي طبعت بالمطبعة الرسمية التونسية من عام ١٢٧٧ الى عام ١٣٠٠ هذا ولم نسع للبحث عما طبع بعد ذلك لتعدد المطابع العربية واستغراق عددما طبع بها من الكتب في هذا القرن وانا على يقين انه فاتني الوقوف على كتب اخرى مما طبع بالمطبعة الرسمية في القرن الماضي وعسى ان يكون هذا التنبيه باعثا للكشف عن اسماء تلك البقية بفضل من توفرت لديهم الدواعي في هذا المقام لاتحاف هذه المجلة او غيرها من الجرائد السيارة بتلك الضالة المنشودة قياما بخدمة العلم والتاريخ

(فمما طبع في عام ١٢٧٧)

١ — مجموعة قوانين تونسية

(ومما طبع في عام ١٢٧٨)

٢ — البهجة الحسينية في التواريخ الحالية للشيخ حسن لازاغلي البوني - توفى عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٧٩)

٣ — كتاب ساوان المطاع في عدوان الاتباع لابي هاشم محمد بن ابي محمد بن محمد بن ظفر المكي - توفى عام ٥٩٨

٤ — كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك للامير موسى بن يوسف ابي حمو بن زيان العبد الوادي - توفى عام ٧٩١

٥ — مفاوضات المجلس الاكبر .

٦ — ختم في الحديث للشيخ صالح النيفر - توفى عام ١٢٩٠

(ومما طبع في عام ١٢٨٠)

٧ — مناقب الايمة الاربعة للحريفيشي والشعراني .

٨ — لوعة الشاكي ودمعة الباكي لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي - توفى عام ٧٦٤

٩ — الواسطه الى معرفة مالطه وكشف المخبا عن فنون اروبا لاحمد فارس الشدياق

(١) في عام ١٣٠٥ ظهر العدد الاول من جريدة اسبوعية سياسية ادبية باسم « الحاضرة » لمديرها النابغة المرحوم السيد علي بو شوشة (كان يحسن خمس لغات فهما وتفهيما وقراءة وكتابة مع اللغة العربية) شارك في تاسيسها نخبة من الشبان منهم صاحبنا جميل الذكر الذي مات شبحه ولم يمت ولن يموت اسمه السيد البشير صفر والفقيه الحقوقي الضليع الشيخ صالح عباس وكاتب هذه الحروف وغيرهم وكان انجاز ذلك المشروع بمساعدة جميل الذكر العلامة مسيو ريني ملي الوزير المقيم والى حصافة رايه وسداد تدبيره ترجع مزية تاسيس معهد ابن خلدون بتونس

توفى عام ١٣٠٥

١٠ - كتاب الموطا للامام مالك بن انس رضي الله عنه توفى عام ١٧٩

(ومما طبع في عام ١٢٨١)

١١ - ديوان سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه - توفى عام ٥٤

١٢ - حاشية علي قطر الندا للشيخ حسن بن عبد الكبير الشريف - توفى عام ١٢٣٣

(ومما طبع في عام ١٢٨٢)

١٣ - كتاب كنز فنون الضباط الصغار لاحمد الموالي - توفى عام ١٣١٩ .

١٤ - كتاب خدمة ضباط عسكر التريس مثله

(ومما طبع في عام ١٢٨٣)

١٥ - الخلاصة النقية في امراء افريقية للشيخ محمد الباجي المسعودي - توفى عام ١٢٩٧

١٦ - شرح الرسالة السمرقنديه لابي الليث السمرقندي - توفى عام ٨٦٠

(ومما طبع في عام ١٢٨٤)

١٧ - كتاب اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك للوزير خير الدين - توفى عام ١٣٠٧

١٨ - شرح متن الاجرومية للشيخ خالد بن عبد الله بن ابي بكر الازهري - توفى عام ٩٠٥

١ - شرح المتن المذكور ايضا للشيخ محمد مجاهد الطنتدائي المشهور بابي النجا (١)

(ومما طبع في عام ١٢٨٥)

٢٠ - طبعة ثانية من مناقب الايمة الاربعة (انظر عدد ٧)

(ومما طبع في عام ١٢٨٦)

٢١ - كتاب المونس في اخبار افريقية وتونس للشيخ محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن ابي دينار - كان حيا في عام ١٠٩٢

٢٢ - كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم لبرهان الدين الزرنوجي - من رجال القرن السادس (٢)

٢٣ - شرح وجيز لسكة الحديد من الحاضرة الى حلق الوادي وباردو لتيودور دة منتيس

(١) جاء في معجم المطبوعات العربية والمعربة ان المولف فرغ من تاليف هذه الحاشية سنة ١٢٢٣ وضبط لقبه بلفظ الطنتداعي ومثل ذلك في كتاب اكتشاف القنوع بما هو مطبوع

(٢) تكرر طبعه بالروسيا والمانيا والهند ومصر وتونس والاستانة نقلا عن طبعة تونس وترجم للغة اللاطينية . والمؤلف تلميذ صاحب الهداية برهان الدين الفرغاني

(ومما طبع في عام ١٢٨٧)

٢٤ – قطعة بها صفحات ٣٦٨ مما نشر بالرائد التونسي من كتاب الحلل السندسيه في الاخبار التونسيه للشيخ محمد بن محمد بن احمد بن مصطفى الوزير السراج - توفى عام ١١٤٩

(ومما طبع في عام ١٢٨٨)

٢٥ – حريدة عقد اللال في التوسل للنبي بالآل للشيخ محمود قابادو - توفى عام ١٢٨٨

٢٦ – طبعة ثانية من كتاب لوعة الشاكي ودمعة الباكي لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي - توفى عام ٧٦٤

(ومما طبع في عام ١٢٨٩)

٢٧ – شرح على متن اليساغوجي (١) للشيخ محمد بيرم الثالث - توفى عام ١٢٥٩

٢٨ – تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للشيخ محمد بن ابراهيم اللؤلؤي المعروف بالزركشي - توفى عام ٩٣٢

(ومما طبع في عام ١٢٩٠)

٢٩ – شرح العالم بستان للشيخ محمد بن الخوجه الاول - توفى عام ١٢٧٩

٣٠ – زواهر الكواكب لبواهر المواكب للشيخ محمد بن علي بن سعيد - توفى عام ١١٩٩

(طبع بعضه عام ١٢٩٠ وبعضه في عام ١٢٩٣)

٣١ – منهج السالك الى ألفية ابن مالك للشيخ علي بن محمد الاشموني - توفى عام ٩٠٠

٣٢ – متن الاجرومية للشيخ محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بالاجرومي - توفى عام ٧٢٢

٣٣ – منظومة في قواعد العربية للشيخ عبد الله الشبراوي الشافعي - توفى عام ١١٧٢

(ومما طبع في عام ١٢٩١)

٣٤ – النزهة الخيرية في التواريخ الحالية للشيخ حسن لازاغلي البوني - توفى عام ١٣١٨

« انظر عدد ٢ من هذا الفهرس والحاشية التابعة له »

(ومما طبع في عام ١٢٩٢)

٣٥ – دفتر الكتب المحفوظة بخزانة المكتبة الصادقية المشهورة بالعبدلية بجامع الزيتونة

٣٦ – عقيدة الامام السيوطي المتوفى عام ٩١١ طبعت للحفظ بعنوان تلاميذ المدرسة الصادقية

---

(١) اسمه باكمله ايساغوجي بورفيريوس من علماء اليونان الذين دونوا علم المنطق ومنهم ايضا المعلم ارسطاطاليس صاحب حكم الحلقة المفرغة : العالم بستان .

٣٧ – مجموعة الاحاديث القضاعية مثله

٣٨ – باب ما يقال عند الكرب من الجامع الصحيح مثله

(ومما طبع في عام ١٢٩٣).

٣٩ – كتاب خاص الخاص لابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل بن محمد الثعالبي توفى عام ٤٩٢

٤٠ – شرح الاجرومية لعبد الرحمن بن علي بن صالح الماكودي - توفى عام ٨٠٧

٤١ – مولد خير الانام للشيخ ابراهيم بن عبد القادر الرياحي - توفى عام ١٢٦٦

٤٢ – شرح صغرى الصغرى للشيخ محمد بن يوسف السنوسي الحسني - توفي عام ٨٩٥

٤٣ – قصيدة بانت سعاد (١) لسيدنا كعب بن زهير رضي الله عنه - توفى عام ٢٤

٤٤ – نظم المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابي محمد عبد الواحد بن عاشر - توفى عام ١٠٤٠

٤٥ – متن الجزرية لشمس الدين محمد بن عمر الجزري - توفى عام ٨٣٣

٤٦ – مختصر الدر الثمين والمورد المعين للشيخ محمد بن احمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة - توفى عام ١٠٤٨

٤٧ - طبعة ثانية (٢) من كتاب مجموع الافادة في علم الشهادة للشيخ محمد البشير التواتي - توفى عام ١٣١١

٤٨ كتاب نور الايضاح ونجاة الارواح للشيخ حسن الشرنبلالي – توفى عام ١١٣٩

(ومما طبع في عام ١٢٩٤)

٤٩ – كتاب تعليم القاري للشيخ محمد بن حسن البارودي – توفى عام ١٣٠٤

٥٠ - ديوان الشيخ محمود قابادو – توفى عام ١٢٨٨ (طبع بعضه في عام ١٢٩٤ وبعضه في العام التالي)

(ومما طبع في ١٢٩٥)

٥١ – شرح الاربعين النووية لسعد الدين التفتازاني – توفى عام ٧٩٢

٥٢ – القسطاس المستقيم في اختلال الحكم بنفي جنسية القايد نسيم للوزير حسين مستشار المعارف كان بتونس – توفى عام ١٣٠٤

---

(١) هذه القصيدة طبعت مع ترجمتها لكثير من اللغات الاروباوية وتكرر طبعها بهولاندة وفرنسا والمانيا وانكلتيرة وايطاليا ومصر والهند والشام وتونس والجزاير مع شروح وحواشي ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع على قائلها بالبردة الشريفة التي كانت فوقه وفي كتب السير ما يفيد ان معاوية بذل فيها لكعب عشرة ءالاف درهم فابى كعب بيعها واحتفظ بها الى ان مات قالوا انها بيعت في ايام ابي جعفر المنصور باربعين الف درهم وبقيت في خزائن بني العباس الى زحفة المغول على بغداد والله اعلم بما ءالت اليه بعد ذلك .

ان الرسول لسيف يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول

(٢) لم نقف على الطبعة الاولى التي طبعت فيما يظن خلال العقد التاسع من القرن الماضي حيث كان المؤلف وهو من اهل العلم - يباشر مهمة التصحيح بالمطبعة الرسمية التونسية مع تدريس فن القراءات بجامع الزيتونة .

٥٣ – رسالة اخرى له في نازلة القائد نسيم قابض الدولة التونسية كان (مات ببلد القرنه عام ١٢٩٠)

٥٤ – مفاوضات مؤتمر القسطنطينية في المسالة الشرقية لمردخاي شمله

٥٥ – اطلس في الجغرافية لمحمد بن حميده الكاتب كان بالمطبعة الرسمية

٥٦ – بلوغ الاماني في مناقب الشيخ احمد التجاني لاحمد اديب المكي – توفى عام ١٣٥٢

(ومما طبع في عام ١٢٩٦)

٥٧ – الاجنة الدانية الاقطاف بمفاخر سلسلة السادة الاشراف للشيخ محمد بن عثمان السنوسي – توفى عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٩٧)

٥٨ – لقط الدرر للقاضي الشيخ محمد السنوسي بن مهنيه الكافي – توفى عام ١٢٥٥

٥٩ – درر العروض لحفيده الشيخ محمد بن عثمان السنوسي – توفى عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٩٨)

٦٠ – البدرية للامام جعفر البرزنجي – توفى عام ١١٧٠

٦١ – الدر المنظوم في كيفية كتب الرسوم للشيخ علي ابن الشيخ صالح النيفر – توفى عام ١٣٣٢

٦٢ – المواهب الصمدية لكشف لثام السمرقندية للشيخ الطاهر بن مسعود – توفى عام ١٢٣٤

٦٣ – المطلع في الفلك للشيخ محمد بن سعيد السوسي – توفى سنة ١٠٤٠

٦٤ – الدر الثمين والمورد المعين للشيخ محمد بن احمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة توفى عام ١٠٤٨ (طبع بعضه في عام ١٢٩٨ وبعضه في العام التالي)

٦٥ – الجوهر المرتب في العمل بالربع المجيب للشيخ محمد المكي بن عزوز – توفى عام ١٣٣٤

٦٦ – قطعة من النصف الاول بها ٢٩٦ صفحة مما نشره الرائد التونسي في عام ١٢٩٨ من كتاب مسامرات الظريف بحسن التعريف للشيخ محمد بن عثمان السنوسي – توفى عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٩٩)

٦٦ – حاشية على قرة العين لشرح ورقات امام الحرمين للشيخ محمد بن حسن الهده – توفى عام ١١٩٧ وبهامشه الشرح المذكور للشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب من رجال القرن الحادي عشر

٦٧ – مصرع ارباب العذر في التوسل باهل بدر للشيخ احمد اديب المكي توفى عام ١٣٥٢

(ومما طبع في عام ١٣٠٠)

٦٨ – مجموعة القوانين التونسية الاولى في عصر الحماية

هذه جملة ما وقفت عليه في الموضوع الذي نحن بصدده ويرى الناظر ان اسماء المصنفات التي بهذا الفهرس جاءت متبوعة بتاريخ وفيات المصنفين والقصد من ذلك زيادة التوضيح والا فهو من باب لزوم ما لا يلزم وفي هذا القدر كفاية لمن قرن البداية بالنهاية

محمد بن الخوجه

تاريخ الهجرة المحمدية

والتاريخ بهـا

ورد الينا هذا المقال الحافل من العالم الاديب الشيخ سيدي محمد المقداد الورتاني في تحرير تاريخ الهجرة النبوية الشريفة والتاريخ بها وصف فيه هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وما اشتملت عليه من الحوادث العظام والتشريع السامي والمنازل التي نزل فيها مع بيان الاوقات والايام والشهر وقد اشبع القول فيه عناية منه بمسالة اساسية في التاريخ الاسلامي لها اهميتها وقيمتها فجاء متمما لما سبق نشره في العدد الممتاز الصادر في المحرم عام ١٣٥٨ من المجلد الثالث

المقدمـة

(١) التاريخ زمن معين ينسب اليه ما بعده وما قبله ـ

وتعيين الازمنة وضبط الاشياء بها امر لازم في نظام الحياة تتعلق به النفوس ويحتاجه الاجتماع البشري وتتوقف عليه الاعمال ويكون المرء على بينة فيما يهمه من شئون دينه ودنياه وحتى لا يبقى همجا او يترك سدى

فالتاريخ وتعيين الاوقات ضروري في الحياة فاوقات الانسان منها ما هو لعمله في واجبات معاشه ومنها ما هو لراحته ومنها ما هو مجبور عليه بالنوم الطبيعي

وعند ما اضطر الانسان الى ضبط اوقاته وجد المعين الاكبر له على ذلك هو الشمس في طلوعها وغروبها واثناء سيرها فيما بينهما ثم القمر ليلا وكواكب المنازل كذلك

وقد توسع العقل في تجزئة اوقات الشمس « والحاجة ام الاختراع » فاستعمل لهاته الغاية ظلال الاشباح وانتفع بادوار القمر هلالا وبدرا وبرصد الكواكب في ظهورها بعد الغروب وعند الفجر وفي غروبها فيه وتنسب اليها الامطار (الانواء)

واخترع المنقالة التي لا يخلو منها لمعرفة اجزاء الزمان جيب انسان او مكان وهاته الكواكب في الهداية والحساب من لطف الله بمخلوقاته ومن النعم الكبرى للعمران

(١) فزمن الهجرة تاريخ اسلامي ـ وهذا الزمن مقصود لذاته ـ ومقصود لضبط غيره به ويطلق التاريخ على تحديد وقت منتسب لغيره اي الى زمن معين قبله و بعده كذكر الايام والشهور والاعوام في الرسائل منتسبة الى الهجرة او الميلاد او غير ذلك والتاريخ علم مخصوص له مبادي ١٠ كسائر الفنون ـ فيقال علم التاريخ كما يقال علم النحو مثلا

وقد بين تعلى ما انعم به لما هو ضروري في العالم بقوله :

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ـ ويدخل في ذلك الشهور والايام والساعات والدقائق وسائر اجزاء الزمان ذكل ذلك منتفع به

يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج

فاذا طلعت الشمس هب كل حي الى نيل معاشه بالطرق التي يسره الله لها وربما خف الكفاح العملي في وسط النهار او يتوقف ولكن في الحقيقة لا وقوف اذ اوقات الراحة فيها اعمال اخرى حيوية متنوعة ومن ذلك التفكير وهو اساس العمل

ومتى حنت الشمس للمغيب حنت الاحياء الى إراحة أعضائها وجوارحها وبمقدار ما يصفر قرص الشمس يتزايد الكلل وتضعف قوى الحيوان من كد النهار فتاخذ باسباب الرجوع والهجوع فتسكن اعضاؤها وتغيب عن الوجود كما تغيب الشمس عن هذا العالم وينقطع ضياؤها

وبما ان الاشعة من الشمس لا تموت تماما وتبقى منها عقب المغيب ذبالة في بعض الكواكب ليلا فكذلك الجسد الحيواني عند نموه وسكونه لا تفارقه النفس التي لا تموت في منامها وفي ذلك اشعار بعود الشمس ورجوع وجدان الانسان وفعلا ترجع الشمس من الغد حمراء صافية وتعود الى الحيوان حياته وقواه فياخذ كل منهما كعادته في الكد وهكذا الى ان يفرغ الامد والله البافي بعد كل احد

والحيوان الاعجم يشارك الانسان في هذا المقام وله هداية والهام وقد تمالا البشر من قديم على تعيين اوقات يرجعون الى ضبط امورهم بها فاتخذوا هبوط آدم الى الارض زمنا ينسبون اليه ما بعده(١) ويتحدثون منه على ما قبله واتخذوا الطوفان زمن نوح كذلك ونار ابراهيم وبناء الكعبة ووفاة موسى وميلاد عيسى وعام الفيل وحرب الفجار وغير ذلك

والى الان يؤرخ عامة الناس في احيالهم بكسوف الشمس والزلزال وتناثر النجوم ووفود الجراد وعام الشر (الجوع)

ومن ذلك الحرب الكبرى عام ١٣٣٢-١٩١٤ والاحتلال الفرنساوي بتونس المعبر عنه عندهم بعام النصرى ١٢٩٨-١٨٨١

ولكن العام بالطوفان غير العلم بعام الفيل مثلا

فالتواريخ تكون احيانا معلومة للكافة واخرى لبعض دون آخرين

وقد سمى الصحابة رضوان عنهم الاعوام العشرة التي اقامها صلى الله عليه وسلم في المدينة من تاريخ هجرته الى عام وفاته باسماء مخصوصة للتمييز وضبط الاحول بها وسياتي ذلك في فصل التاريخ بالهجرة

---

(١) التاريخ من هبوط آدم واما بدء الكون وخلق الارض وعمرانها فزمانه غير معلوم ولا محدود – وقال علماء الطبيعة ان للكرة الارضية منذ كانت نلرا مائعة الى الآن ثلاثمائة مليون سنة وان عمر الحيوان والنبات مائة مليون سنة .

تاريخ هجرة محمد صلى الله عليه وسلم

من مكة الى المدينة

بعد ثلاثة وخمسين عاما من عام الفيل الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم ١٢ بربيع الاول و ٢٠ افريل سنة ٥٧١ من ميلاد عيسى عليه السلام وبعد نبوءته صلى الله عليه وسلم وبدء الوحي بثلاثة عشر عاما وبعد الجهر بالدعوة للدين والصدع بأمر الرسالة بعشرة اعوام

حصل الاذن للرسول محمد عليه الصلاة والسلام بالهجرة من مكة لما بلغ ايذاء قومه له صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا الى حد اجماعهم على قتله فخرج ومعه ابو بكر ليلا وخفية الى غار (١) بجبل ثور وذلك في اواخر صفر ياتيهما بالقوت فيه عبد الله ابن ابي بكر ليلا ويريح عامر بن فهيرة غنم ابي بكر ليلا حول الغار لياخذا من البانها ويمحو آثار عبد الله ابن ابي بكر الذي كان ياتيهما ليلا باخبار مكة ويبيت عندهما ويدلج من الغد الى مكة

وبعد ثلاث سافرا يوم الاثنين غرة ربيع الاول وركب صلى الله عليه وسلم ناقته القصواء اشتراها من ابي بكر بمائتين واردف ابوبكر على ناقته تابعه عامر ابن فهيرة ليخدمهما وامدتهما بالزاد اسماء ابنة ابي بكر ذات النطاقين (٢)

وحمل ابو بكر معه جميع ماله وهو ستة آلاف درهم - واتخذوا لهما دليلا خريتا وهو عبد الله ابن اريقط وكان يومئذ غير مومن اتاهما في الموعد بعد ثلاث وسلك بهما شاطيء البحر الاحمر وتباعد عن الطريق العظمى وكثرة السابلة

(٣) وكان عبد الله المذكور عارفا بالطرق وقد وثقا به اذ صاحب الصناعة لا يخون فيها وعند ما مروا

---

(١) جبل الثور جنوب مكة على بعد اميال خمسة على الطريق البعيدة السهلة نوعا والسير فيها راكبا يتجاوز الساعة وعلى الطريق القريبة الوعرة ثلاثة اميال والصعود الى صخرة الجبل راجلا في طريق ملتوية يبلغ الساعة والغار الان له مدخل غربي وآخر شرقي يدخل اليه زحفا حيث اتساع المدخل نحو ثلاثة اشبار في شبرين فقط

(٢) سميت ذات النطاقين لانها شقت نطاقها وربطت باحد الشقين الجراب الذي اتت فيه بالسفرة « زاد السفر » للنبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من الغار ومعه والدها ابو بكر مهاجرين الى المدينة - والسفرة طعام المسافر ثم اطلقت على وعائه ثم على ما يوكل عليه

(٣) الدليل سلك بهم الى الساحل حتى عارض الطريق اسفل من عسفان ثم سلك اسفل امج وبعد ان اجاز قديد عارض الطريق ثم سلك الخرار ثم ثنية المرة ثم القفا ثم مدلجة لقف ثم استبطن مدلجة مجاج ثم مرجح مجاج ثم تبطن مرجح ذي العضوين ثم بطن ذي كشد ثم اخذ على طريق الجداجد ثم على الاجرد ثم ذا سلم من بطن اعداء مدلجة تعهن ثم على العبابيد ثم اجاز الفاجة ثم هبط العرج وهي من منازل الجادة بين مكة والمدينة ثم سلك من العرج على ثنية العاير عن يمين ركوبة حتى هبط بطن ريم ثم قدم قبا على بني عمرو بن عوف

بقديد طلبوا من صاحبة مركز هناك (مترجاة تطعم وتسقي المسافرين) وهي ام معبد عاتكة ان تبيعهم ما يقتاتون به فاعتذرت بفقدان ذلك فاستأذنها صلى الله عليه وسلم ومسح بيده الشريفة ضرع شاة هزيلة هناك فدرت (١) ببركته وحلبها غير مرة حتى اخذ الحاضرون كفايتهم وابقى من الحليب لابي معبد المتغيب مع شياهه

وبلغ صلى الله عليه وسلم قبا يوم الاثنين ثامن ربيع الاول حوالي الزوال والشمس اذ ذاك بينها وبين نقطة الاعتدال وراس برج الميزان واول الخريف « المسمى في القديم بالربيع » ساعات ١٤ وادراج ٧ وكان مدخل العام القمري وهو المحرم في ذلك التاريخ بيوم الخميس الموافق لليوم الخامس عشر من شهر تموز (جويلية) سنة ٦٢٢ مسيحية على حساب التقويم الصحيح للامير الفلكي الشهير الوغ بك حفيد هولاكو (٢) وعلى حساب غيره بالجمعة ١٦ جويلية فنزل صلى الله عليه وسلم في بني عمرو ابن عوف بقبا ضيفا على كلثوم بن الهدم وصار يجلس للناس ويتحدث لهم في بيت سعد ابن خيثمة لانه كان عزبا ويقال لبيته بيت العزاب لان العزاب من اصحاب (٣) النبي صلى الله عليه وسلم ينزلون عنده فيه وامر كلثوم مولى له يسمى نجيحا ان ياتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرطب والزمان كما علمت خريف فاتاه بقنو من ام جرذان فيه رطب منصف وفيه زهو وبنى صلى الله عليه وسلم يوم الثلثاء ٢١ من شهر سبتمبر « ايلول » مسجد قبا (٤) الذي اسس على التقوى من اول يوم فيه

---

(١) وقد كنت قلت في القصيدة المولدية المنشورة بالمجلة الزيتونية في ربيع الاول ومايه ١٣٥٨-١٩٣٩
بركاته درت بها الحليمة ❊ ولام معبد في العجاف لبان

(٢) الوغ بك ميرزا محمد تارا علي ابن شاه رخ بن تيمورلنك ولد سنة ٧٩٦ وتقلد الملك على سمر قند وهو من اعلم علماء الفلك وكان يعتقد صحة التنجيم

فالضعف البشري تغلب فيه على العلم والعقل فكان يرى من حساب طالعه انه سيقتل من يد ابنه عبد اللطيف ولاجل ذلك كان يذيقه انواع العذاب - ولامر اراده الله نشا عن ذلك ايغاره لصدر ابنه فعمد هذا لقتل ابيه بيده سنة ٨٥٤

(٣) كان صلى الله عليه وسلم عندما تمت بيعة العقبة مع الانصار وطلبوا منه الهجرة اليهم امر اصحابه في مكة بالهجرة الى المدينة حيث فشا فيها الاسلام وله بها اثنى عشر نقيبا فخرجوا ونزلوا بالمدينة وما حواليها والكثير منهم بقبا ولم يبق احد من المسلمين بمكة عند خروجه صلى الله عليه وسلم منها الاعلي بقصد ارجاع الودائع الى اربابها ولحق به بعد ثلاث في قبا - والا بعض المستضعفين

(٤) وضع النبي صلى الله عليه وسلم اول حجر في قبلة قبا وثنى ابو بكر بحجر وثلث عمر بمثل ذلك ثم اخذ الناس في البنيان وكنت قلت في ميلاده صلى الله عليه وسلم بشهر ٢٠ افريل والشمس حلت برج الثور وفي خروجه من غار الثور بعد الاختفاء به مهاجرا الى المدينة وبنائه مسجد قبا في الاعتدال الخريفي والشمس حلت برج الميزان سابع البروج❊ ميلاه برج ثور بدء هجرته ❊ من غار ثور قبا برج الموازين❊ وذلك في القصيدة التي مطلعها : يا تونس الانس دار العلم والدين هل هبة منك عن دارين تغنيني .

وستنشر في الشهر القابل ان شاء الله بالمجلة الزيتونية .

قوم يتطهرون بالماء في الاستنجاء هداهم الله للنظافة الكاملة ووفقهم اياته الخلة الطيبة هذا على حساب يوليوس واما على حساب قريقوار فيوم ٢٣ ، اقام صلى الله عليه وسلم في قبا الى ان لحق به سيدنا علي كرم الله وجهه بعد ثلاثة ايام وقد تخلف لارجاع الودائع الى اربابها من منزل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان امينا شهيرا بينهم اذ كل من كان عنده شيء يخشى عليه بمكة يضعه عنده

ورحل صلى الله عليه وسلم من قبا يوم الجمعة قاصدا المدينة وبينها وبين قبا نحو فرسخ وصلى الجمعة بالناس في منتصف الطريق برانوناء في بطن واد في مسجد بني سالم ابن عوف بين قبا والمدينة

وهي اول جمعة اقامها صلى الله عليه وسلم واول خطبة قالها فيها مطلعها : الحمد لله - احمده واستعينه واستغفره - وختامها - ولا قوة الا بالله العظيم

وكلما تعرض له اناس في طريقه يطلبون منه النزول عليهم او تعلقوا بزمام ناقته الا واجابهم بقوله اتركوها فانها مأمورة وكانت هي تجذب نفسها منهم وقد ارخى صلى الله عليه وسلم لها زمامها فلا يثنيها به .

ودخل المدينة بينما النسوة المخدرات على السطوح ينشدن ❀ طلع البدر علينا من ثنيات الوداع - وجب الشكر علينا : ما دعا لله داع - أيها المبعوث فينا ❀ جئت بالامر المطاع -

وفي المكان الذي بركت فيه الناقة اولا وثانيا والقت بجرانها الى الارض ورزمت (صوتت بدون ان تفتح فاها) - نزل صلى الله عليه وسلم واتخذ ذلك المكان مسجدا وبينه وبين مسجد قبا نحو ثلاثة أميال ونصف ووضع رحله عند ابي ايوب خالد بن زيد بن كليب الانصاري وقال لمن طلب النزول عنده - المرء مع رحله - واستقر صلى الله عليه وسلم بالطبقة السفلى تسهيلا للاجتماع بالناس ثم نقله ابو ايوب الى الطبقة العليا حتى لا ينزل عليه تراب او يصيبه مآء .

فاتضح بما تقرر ان الهجرة كانت في ربيع الاول وفي الاعتدال الخريفي في شهر ايلول « سبتامبر » وليست في المحرم ولا في تموز « جويلية »

هذا هو تاريخ الهجرة المحمدية والوقت الذي وقعت فيه .

ابتداء التاريخ بالهجرة المحمدية

في عام سبعة عشر من وصوله صلى الله عليه وسلم للمدينة المنورة تاسس التاريخ الاسلامي واعتبر من الهجرة النبوية على عهد سيدنا عمر ابن الخطاب الخليفة الثاني .

وقبل ذلك كان الصحابة رضوان الله عنهم يطلقون اسما على كل عام من الاعوام العشرة التي اقامها صلى الله عليه وسلم من وصوله لها الى يوم وفاته وكل اسم من تلك السنوات مشتق مما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كل سنة منها .

فالسنة الاولى تسمى سنة الاذن والثانية سنة الامر بالقتال والثالثة سنة التمحيص - والرابعة سنة

الترفية - والخامسة سنة الزلزال - والسادسة سنة الاستيناس - والسابعة سنة الاستغلاب - والثامنة سنة الاستواء - والتاسعة سنة البراءة - والعاشرة سنة الوداع - فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة - و قيت الاعوام السبعة التي بعد وفاته الى عام تاسيس التاريخ غفلا ليس لها اسم ولا مبدأ

في عام ١٧ ورد خطاب لسيدنا عمر من احد عماله وهو ابو موسى الاشعري يقول فيه : انه تاتينا منك كتب ليس لها تاريخ - كما رفع الى عمر صك محله (بكسر الحاء) شعبان فقال أي شعبان ؟ أهذا الذي نحن فيه أم الذي هو آت ؟ واستشار الصحابة في ذلك فقال له الهرمزان الفارسي الذي كان ملكا على الاهواز واسر واسلم على عهد سيدنا عمر واجرى له الفين واقامه في المدينة : ان للعجم حسابا يسمونه (ماه روز) وشرح له كيفية استعمال التاريخ - وماه معناه شهر وروز معناه اليوم - يعنون بذلك حساب الايام والشهور - وكان الهرمزان عند وصوله للمدينة وتحادثه مع سيدنا عمر يترجم بينهما ابو موسى الاشعري الذي كان يفقه الفارسية الى ان حضر المترجم فاستحسن الخليفة هذا الامر واذن باستعماله واهل فارس حضارتهم عتيقة ثم دارت الاراء في مبدا التاريخ بالولادة او بالنبوءة او بالهجرة او بالوفاة - فعمل الخليفة برأي سيدنا علي كرم الله وجهه وهو التاريخ بالهجرة التي علا بها شأن الاسلام وفرقت بين الحق والباطل وبين الخوف والامن وبين اخفاء شعائر الاسلام واعلانها ولما كانت الهجرة والوصول الى قبا في ثامن ربيع الاول والى المدينة في ثاني عشر منه وهو واقع في اثناء العام العربي الذي مبدؤه المستعمل عند العرب هو المحرم جعلوا مبدأ الحساب من غرة العام العربي التي سبقت الهجرة بشهرين وكسر فزادوا على يوم الهجرة تلك المدة وقد فعل ذلك النصرى من قبل - فان ميلاد المسيح سبق باسبوع غرة شهر يناير الذي هو اول شهور العام الشمسي (١) ولما اتخذ الميلاد مبدأ للتاريخ المسيحي سنة ٣٢٥ م بعد ان كان التاريخ روميا (نسبة لرومة) (٢) اعتبروا الحساب الميلادي من غرة يناير الذي هو اول العام

---

(١) قد ذكر اهل العناية بالتاريخ والحساب ان ميلاد عيسى يظن انه لم يكن في ٢٥ ديسمبر كما يقولون حيث ورد ان الرعاة كانوا في ميلاده مقيمين في البرية ليلا وهم في فصل الشتاء لا يقيمون ليلا في البرية - وقد كان اتفاقهم على اليوم المذكور بعد الاختلاف فيه بعد الميلاد بنحو مائتي سنة

(٢) تقويم الرومانيين القديم ٧٥٤ قبل المسيح وضعه رومولوس في مدة الجمهورية الاولى برومة به عشرة اشهر فقط ولما بلغ الخلل فيه الى ان صار الاعتدال الربيعي واقعا في الانقلاب الصيفي - اصلح الامير نوما حساب الشهور على مقتضى الحساب اليوناني وزاد شهرين احدهما سماه جانوا روس - (جانفي) واعتبره اول شهور العام والثاني سماه فبروا ريوس (فيفري)

وفي عام ٤٥ قبل المسيح اصلح جول سيزار حساب الشهور بعد ان كان فيها اضطراب وخلط وسمى الشهر السابع باسمه جوليوس « جويليه » وسمي الثامن اوغستوس (اوت) جعله تذكارا للامبراطور اوغستوس

وفي سنة ٣٢٥ م - ١٠٨٩ رومية قرر الجمع الديني النيقاوي « في نيس » استعمال الاصطلاح -

الشمسي والغوا مدة الاسبوع السابق لشهر ينائر فهم يتخذون يوم الميلاد الخامس والعشرين من ديسمبر عيدا دينيا تذكارا لولادة عيسى ويحتفلون في اول ينائر راس السنة بصفته موسما اجتماعيا

وكان اليوم الاول من المحرم معظما عند ملوك العرب يقعدون فيه للهناء وقد اتخذه ملوك الاسلام موسما وان لم يكن بصفة عامة في المملكة التونسية وهذا ما يعد نقصا في الاعتبار والا فكيف يحتفل الامير بغرة العام العربي ويقبل التهاني من رجال دولته وشعرائه ويوزع فيه المسكوكات الجديدة المضروبة باسمه على قطع الذهب والفضة بتاريخ العام الجديد ولا تشاركه في ذلك كافة سكان مملكته حتى يكون موسما عرفيا عاما مراعاة لكونه غرة لعام قمري اسلامي واحتراما للهجرة التي وقعت في اثنائه وصار مبدا العام عنوانا لها وبما تقرر من كون مبدإ التاريخ هو الهجرة النبوية الواقعة في ربيع الاول سواء في يوم الاثنين الذي بلغ فيه صلى الله عليه وسلم الى قبا وهو الثامن او التاسع منه الذي بنى فيه صلى الله عليه وسلم مسجد قبا حول المدينة واقام هناك اياما ثلاثة فان العيد الرسمي للهجرة وتذكارها بالحساب الشمسي يكون في الاعتدال الخريفي ويكون يوم ٢٠ من افريل الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم عيدا لميلاده ايضا بالحساب الشمسي .

الجوليوسي في حساب الشهور واشترط لذلك جعل مبدأ التاريخ الشمسي ميلاد عيسى والغا* التاريخ الروماني فعملت به كافة البلدان المسيحية الى سنة ١٥٨٢ ولم يعمل به الدانمارك والبروتستانت

وفي هذا العام ١٥٨٢ اذن البابا قريقوار الثالث باصلاح الحساب واعتبر الخامس من تشرين الاول « اكتوبر » خامس عشر منه لان حساب جوليوس فيه كسور زائدة على الواقع نشأ منها فرق عشرة ايام ولكي لا يحصل فرق في المستقبل فان موفى كل مائة سنة لا يكون كبسا الا في موفى المائة الرابعة على خلاف حساب يوليوس الذي يجعل الكبس كل رابع سنة ومن ذلك السنة المتممة لكل مائة وبذلك ازداد الفرق بين الحسابين : بيوم عند موفى سنة ١٧٠٠ وءاخر في موفى ١٨٠٠ ومثله في ١٩٠٠ فصار الفرق ١٣ يوما يسبق بها حساب قريقوار حساب يوليوس وهكذا في المستقبل عدا موفى ٢٠٠٠ لانه رابع قرن بعد ١٦٠٠ فيكون فيه كبس على الحسابين معا ولا يتكون فيه فرق يوم - وقد وقع العمل بحساب قريقوار ابتداء من عام ١٥٨١ عند فرانسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال واما هولاندة والدانمارك والبروتستانت فلم يعملوا به الا في سنة ١٧٠٠ - والانقليز عمل به سنة ١٧٥٢ ثم عملت به جميع ممالك اروبا ما عدا الروس والاروام وبعض المسيحيين في الشرق ورغما من تدقيق حساب قريقوار فانه يبقى منه كسر قليل يتكون منه يوم بعد ثلاثة ءالاف سنة - ومن يعيش ير - ورغما على صحة حساب قريقوار ووضوحه كالشمس في رابعة النهار فان التونسيين لم يعملوا به ان الفرنساويين عدلوا عن حساب قريقوار فيما يخص مبدإ السنة وذلك في عام ١٧٩٢ وجعلوا راس السنة نقطة الاعتدال الخريفي في سبتامبر واستمروا على ذلك الى سنة ١٨٠٥ ثم رجعوا الى تقويم قريقوار في عام ١٨٠٦

وامر قيصر الروسيا في سنة ١٦٩٩ ان يكون راس السنة جانفي مثل اروبا بدل اول يوم من سبتامبر وبقي تقويم اشهرها على حساب يوليوس ثم عملت الروسيا ويوغوسلافيا حساب السنة على راي قريقوار في سنة ١٩٢٣ اي بعد الحرب الكبرى - وارخت بذلك جمهورية تركيا وعدلت عن تواريخها ابتداء من عام ١٩٢٦

ومن حسن الاتفاق ان مولده صلى الله عليه وسلم كان في افريل وهو من اشهر ربيع الازهر وهجرته كانت في سبتامبر وهو من اشهر ربيع الثمار (١) ولله من ارادته حسن الاختيار .

(٢) هذا وقد اقترح بعض الحساب من ذوي الالباب ان يتخذ الاعتدال الخريفي لهاته الاسباب مبدأ لتاريخ هجري شمسي زيادة على التاريخ القمري ودعاهم لذلك كون الحساب الشمسي لا محيص منه والامة الاسلامية تستعمله من عهد الخلافة لجباية الخراج ومراعاة لفصول الانتاج غير انها لم تجد مبدأ اسلاميا تستند عليه وتؤرخ به الحساب الشمسي وقد حاولوا اعطاء اسماء الاعوام العربية الى السنين الشمسية فنشأت عن ذلك اغلاط رغما على ما اتخذوه من الاحتياط وابتلعت ٣٣ سنة شمسية عاما عربيا اذا كان العد بالسنوات الشمسية وفاقت الاعوام العربية بعام على الاعوام الشمسية اذا كان العد بالاعوام العربية .

وقد استندت الملل الاسلامية اخيرا بحكم الضرورة الى ميدإ التاريخ المسيحي .

وهذا الاقتراح الذي ابداه في هذا الباب احد (٣) نبغاء الحساب وهو عين الصواب قد رتب له تقويما شمسيا وسمي له اشهرا وحبذا لو وقع العمل به .

وقد كان اهل الاندلس واهل المغرب يحسبون بالشمسي مع القمري لان فصول العام ومصالح البشر في معاشها وعباداتها مرتبطة بسير الكوكبين والى الان سكان المملكة التونسية يحسبون بالاشهر الشمسيه مع القمريه ويحافظون على اوقاتها ومواسمها مثل راس السنة وايام السمايم ٤٠ في الحر والبرد من ١٢ جويليه ومن ١٢ دسمبر - واستحباب مطر النيسان من ٢٧ افريل الى ٣ مايه - واتخاذ اوقات معلومة شمسية للفلاحة والغراسة وهم محافظون على تقويم يوليوس العتيق ولكن بدون مبدا ترجع اليه السنوات الشمسية واخيرا تغلبت المسيحية - هذا واولى الايام الشمسية بالاعتبار والاحتفال العشرون من افريل الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم او الثاني والعشرون منه عملا بتصحيح الحساب وكذلك اليوم الثالث والعشرون من سبتمبر الذي بنى فيه صلى الله عليه وسلم مسجد قبا في هجرته المباركة

بقي الكلام هنا على يوم عاشوراء الذي وجد النبيء صلى الله عليه وسلم اليهود يصومونه عند ما اتى المدينة في ربيع الاول - وسنطرقه في فرصة اخرى ان شاء الله لبيان آراء علماء الحديث وعلماء الفلك في ذلك

وبما تقرر تحصحص ان الهجرة كانت في ربيع الاول لا في المحرم وفي الاعتدال الخريفي بشهر سبتامبر لا في شهر جويلية وان المناسب ان يكون تذكارها في تاريخها الحقيقي بالقمري والشمسي معا وفي نفس تلك الايام والشهور والى الله عاقبة الامور

محمد المقداد الورتاني

---

(١) وكنت قلت في هذا المعنى ❊ لمحمد خير الفصول ربيعها - واليه في خير البقاع مكان ❊ ان الربيع اذا الزهور تعطرت - ومتى يحين النخل والرمان ❊

(٢) اكثر الامم في القديم اتخذت فصل الخريف مبدأ لاعوامها ومن ذلك المصريون والكلدانيون والاشوريون والفنيقيون والقرطاجنيون وكذلك الفرنساويون عند ثورتهم الكبرى وكانت حسابات الدواوين في المملكة التونسية مبدؤها شهر اكتوبر - بالخريف وهو قريب من الاعتدال الخريفي الذي يكون في سبتامبر ٢٣ وكانت بعض الامم مثل الفرس تبتدئي حساباتها باول شهر مارس في الربيع وهو قريب من الاعتدال الربيعي الذي يكون في ٢١ مارس .

ويوم حلول الشمس في برج الحمل يسمى النوروز

ويوم الاعتدال الخريفي عند حلول الشمس برج الميزان يسمى المهرجان .

(٣) أبدى هاته الفكرة ابو الضياء توفيق في رسالته المسماة تقويم الادوار ١٢٨٧ بالاستانة

اصلاح غلط

خطأ	الصواب	صحيفة	سطر
الجوهوي	الجوهري	١٢٧	١٣
قلويهم	قلوبهم	١٢٧	٢٤
النواتر	التواتر	١٣٠	٤
صحجه	صحيحه	١٣٢	٣
فشر بوا	فشربوا	١٣٢	٧
فدعى	فدعا	١٣٢	١٥
ما	مما	١٣٢	١٦
وفد	وقد	١٣٣	١١
شرح	شريح	١٣٣	١٤
الروات	الرواة	١٣٣	٢٠
بريد	بريدا	١٣٣	٢٠
الهدي	الهدى	١٣٣	٢٤
بشريعته شريعة	شريعته بشريعة	١٣٤	١٠
في سورة	في سورة نوح : انا ارسلنا نوحا الى قومه	١٣٤	١٦
سنة	لسنة	١٣٥	٢٠
نموه	نومه	١٥٢	١٢
المعالم	العلم	١٤٠	٢١١

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

عـدد ٦

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء السادس	تونس في صفر الخير ١٣٦٠ وفي مارس ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

١٢ • ٤

المجلد الرابع

فهرس العدد

الجزء السادس

عدد ٦

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء السادس	تونس في صفر الخير ١٣٦٠ وفي مارس ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً

بقلم محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير

رأس الحكمة مخافة الله . وأساس النجاح طاعة الله . فمن اراد ان يكون في هذه الحياة مستقيما . وان يكون مقامه في الآخرة مقاما عظيما . فليكن الهدف الذي يرمي اليه. والمحور الذي يدور في جميع اعماله عليه . طاعة الله جل جلاله . وتباركت آلاؤه وعم نواله. فاذا كان الله على عبده راضيا . حفت به العناية من كل جانب . وكان في حصن حصين من جميع الاكدار والمصائب. فالعاقل الموفق هو الذي يبذل قصارى جهده في فعل ما ينجيه . وتجنب ما يرديه . وشريعة الاسلام قد وضحت للسائرين طرق السلامة. وكشفت للسالكين عن مهامه الندامة . فاصبح الناس وطرق الحق امامهم بحمد الله واضحة جلية . ومسالك الضلال بلطف الله مكشوفة مقصية .

وهذه الآية التي جعلناها الليلة محور الحديث . قد انتظم في سلكها اعظم قاعدة من قواعد الاسلام . واحتوت على اشرف المبادي التي يقوم عليها امر النظام العام .

وبيان ذلك ان الانسان مطالب بتنظيم حياته في خاصة نفسه . وفيما بينه وبين الناس . وهذا الانتظام منه ما يرجع الى الحياة الدنيا الفانية . ومنه ما يرجع الى الحياة الاخرى الباقية . وكل ذلك يرجع الى الامور الاربعة التي اشتملت عليها هذه الآية وهي : طاعة الله ـ وطاعة رسوله ـ وطاعة اولي الامر ـ والامر الرابع الرجوع الى الله والى الرسول عند وقوع التنازع .

فاما طاعة الله . فبفعل جميع ما امر به الله . وتجنب ما نهى عنه . وهي كلمة مختصرة لكنها جامعة . فحاصل التقوى اجتناب وامتثال . فاذا فعل المكلف ما امره به ربه فقد حصل له التوفيق بالتحلي بفعل المامورات . واذا تجنب المكلف ما نهاه عنه ربه فقد حصل له الكمال بالتخلي عن المنهيات . وبذلك تبرأ ذمته . وتدرأ عنه مذمته .

(*) المسامرة التي القاها رئيس قلم التحرير بالمجلة في مساء يوم الاربعاء ١٦ المحرم المنصرم امام المذياع (تونس القومية) في المهرجان العظيم الذى اقامته ادارة الاذاعة بمناسبة عيد جلوس سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني على العرش الحسيني ومضي اثنى عشر عاما على ولايته ابقاه الله وذلك انه تولى الملك في يوم ـ ٣ ـ رمضان سنة ١٣٤٧ الموافق ليوم ـ ١١ فيفري سنة ١٩٢٩

واما طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد قرنها الله بطاعته ، ونوهت بشانها الآيات القرءانية في غير ما موضع ، فقال تعالى (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فأكد جل وعلا بهذه الآيات وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابان ان طاعته طاعة الله ، وافاد بذلك ان معصيته معصية الله ، وقال الله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) فتوعد على مخالفة امر الرسول ، وجعل مخالف امر الرسول والممتنع من تسليم ما جاء به ، والشاك فيه خارجا من الايمان بقوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) اي ان يسلموا بما تقضي به عليهم من غير ان يكون في صدورهم ضيق او شك او حرج ، بل تكون صدورهم منشرحة ، ونفوسهم مطمئنة ، وفي هذه الآية دلالة على ان من رد شيئا من اوامر الله تعالى او اوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن الاسلام سواء رده من جهة الشك فيه ، او من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم ، وبذلك حكم ابو بكر الصديق رضي الله عنه بارتداد من امتنعوا من اداء الزكاة وقتلهم لان الله تعالى حكم بان من لم يسلم للنبي صلى الله عليه قضاءه وحكمه فليس من اهل الايمان .

واما طاعة أولي الامر ، فهي الاساس العظيم لتنظيم امر الحياة وترتيب شؤنها ، وذلك لان الامة لا ينتظم امرها ، ولا يستقيم حالها ، ولا يستتب فيها امن ولا نظام ، الا اذا كانت ممتثلة منقادة لاولي الامر فيها ، لان الاساس الذي تقام عليه حياة الدول هو وجود مبدأ الانقياد بين الراعي ورعيته ، فهو يامر وهم يمتثلون ، وهو يحكم وهم ينفذون ، وبذلك يرتقي حال الامة ، ويعلو شانها ، ويعتز جانبها .

اما اذا حل التخاذل محل الانقياد ، وبدت على الامة فكرة الثورة وعدم الامتثال للنظام العام ، فذلك علامة الانحلال ، ومبدأ الفناء والاضمحلال .

واذا تتبعت رعاك الله حياة الامم في القديم والحديث ، وجدت ان اقوى الاسباب في سقوط الامم وتلاشيها ، هو انتشار فكرة الفوضى بين افراد الرعية وتفشيها ، وما بلغ الاسلام الى ما بلغ من الانتشار وقوة السلطان الا بانقياد الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفانيهم في الامتثال لاوامره ، وتضحيتهم بنفوسهم واموالهم ودمائهم واعراضهم في مرضاة الله ورسوله

وقد اختلف العلماء في المراد من اولي الامر ، فقيل هم الامراء وقيل هم رؤساء الجند ، وقيل هم علماء الدين ، وهذا الاخير هو الذي اختاره اكثر التابعين رضي الله عنهم ، وهو الذي اختاره امام المحدثين وعالم المدينة من شدت له الرحال ، وضحى العلماء في سبيل الاجتماع به والاخذ عنه

بكل مرتخص وغال مالك بن انس رضي الله عنه فقد حكي عن صاحبيه مطرف وابن سلمة انهما قالا سمعنا مالكا يقول هم العلماء . وقال خالد بن نزار وقفت على مالك فقلت يا ابا عبد الله ما ترى في قول الله تعالى (واولي الامر منكم) قال وكان محتبيا فحل حبوته . وكان عنده اصحاب الحديث . ففتح عينيه في وجهي وعلمت ما اراد وانما عنى اهل العلم .

ومال كثير من المفسرين الى ان المراد باولي الامر ما يعم جميع هاته الاصناف . منهم القاضيان ابن العربي والجصاص وهذا هو الذي نختاره . وعليه فالمراد باولي الامر كل من له سلطة يتوقف تنظيم حال الامة على الامتثال اليها . اما الامراء فلان اصل الامر منهم . وتنفيذ الاحكام بايديهم . وهم القائمون على شؤن رعاياهم . والعاملون على ترقية مستواهم . فطاعة امرهم واجبة . وتنفيذ احكامهم لا بد منه . واما العلماء فلان سؤالهم واجب متعين على الخلق . وجوابهم لازم . وامتثال فتواهم واجب . والامراء لا يقدمون على اي عمل الا بعد اخذ رأيهم فيه . وقد قال الامام الرازي (١) في هذا المقام كلمة بالغة حد الاجادة وجدير بالعلماء ان يضعوها من صدورهم موضع القلادة . ولا يتذكرون السيف ولا نجاده ونصها (ان اعمال الامراء والسلاطين موقوفة على فتاوي العلماء . والعلماء في الحقيقة هم امراء الامراء)

ثم ان اولي الامر الذين تكون طاعتهم واجبة ويكون النزول على قضاياهم امرا متحتما . هم امراء الحق وقضاة العدل وعلماء العمل والتقوى اما امراء الجور وقضاة السوء وعلماء القول دون العمل فالله ورسوله بريئان منهم . فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء والقضاة والعلماء الموافقين لهما في ايثار العدل . واختيار الحق . والامر بهما . والنهي عن اضدادهما .

وذلك ان الله تعالى لم يفرض على الناس في هذه الآية طاعة اولي الامر . الا بعدما فرض على اولي الامر في الاية قبلها ان يحكموا بالعدل في قوله (ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا)

اذ العدل هو اساس العمران . والاصل العظيم في كفالة حقوق الانسان . وقد نوه القرءان بشانه كثيرا فقال الله تعالى (ان الله يامر بالعدل والاحسان) وقال تعالى (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) وقال تعالى (يا داودإنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق)

اما الاحاديث الواردة في شان العدل فهي لا تكاد تحصى منها حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لا تزال هذه الامة بخير ما اذا قالت صدقت واذا حكمت عدلت واذا استرحمت رحمت) وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما اولاق لهم دواة . فيجمعون ويلقون

(١) انظر صفحة - ٢٥١ - جزء - ٣ - من سورة النساء

في النار) وعن الحسن رضي الله عنه ان الله اخذ على الحكام ثلاثا ان لا يتبعوا الهوى ، وان يخشوه ولا يخشوا الناس وان لا يشتروا بآياته ثمنا قليلا)

وكان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم يقولون (اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم) وكان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول : حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ، ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك يحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا .

وقد ظهر بهذا ما في هذه الشريعة الغراء من التحريض على العدل والانصاف والتحذير من الجور والظلم والاعتساف ، فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم .

واما قوله تعالى (فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا) فاعلموا ان الحوادث التي تعرض للناس اما ان تكون احكامها منصوصا عليها في الكتاب والسنة أو لا تكون كذلك ، فان كانت منصوصا عليها في احدهما فالواجب العمل بذلك النص من غير زيادة ولا نقصان ، وذلك هو المراد بقوله في صدر الآية (اطيعوا الله واطيعوا الرسول ـ) وان كانت غير منصوص عليها فالواجب الاجتهاد في تقرير حكم لها بقياسها على ما يشبهها مما ورد فيه النص من الكتاب او السنة ، فيكون معنى قوله (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) اي اذا تنازعتم في حكم شيء لم يرد فيه نص عن الشارع فردوه الى الاحكام المنصوصة فى الوقائع المشابهة له ، وذلك هو القياس ، ومن اجل ذلك جعل علماء الاصول هذه الآية من اظهر الادلة على اعتبار القياس وحجيته ، لان قوله فردوه الى الله والرسول لا يجوز ان يكون المراد به الامر بالرد فيما وقع التنصيص عليه اذ من شان ذلك ان لا يقع فيه النزاع ، على انه هو الذي اشير اليه في صدر الآية ولا يجوز ان يكون المراد به ان ما يعرض من الحوادث غير المنصوص على احكامها يسكت عنه اذ لا بد لكل حادثه من حكم ، ولا بد للشريعة في كل نازلة من قول ، ولا يمكن ان تكون هناك حادثة ليس لله فيها حكم على ان هذا كما لا يخفى يفضي الى تعطيل الشريعة ووصفها والعياذ بالله بالقصور عن ان تكون كافلة لجميع مصالح البشر في الدنيا واللآخرة ، فتعين ان يكون قوله (فردوه الى الله والرسول) محمولا على الامر بالقياس في الحوادث التي لم يرد نص على احكامها

ولقد وصف القاضي ابوبكر بن العربي من يقول في حادثة انه لا حكم لله فيها ـ بالكفر ـ حيث قال في تفسير هذه الآية بعد ما تعرض لما كنا نقرره من وجوب تقرير حكم لكل حادثة : ان الحادثة اذا عرضت ولم يكن لها حكم منصوص عليه لا في كلام الله ولا في كلام رسوله ايقال قال الله تعالى وقال رسوله صلى الله عليه وسلم فيما لم يقولا ، فذلك كفر ، ام يقال دع هذا فليس لله فيه حكم فذلك كفر ولكن تضرب الامثال ويطلب المثال حتى يخرج الصواب اهـ كلامه (١) .

(١) انظر صفحة ـ ١٨٩ ـ جزء ـ١ـ من تفسير الآية الثالثة والثلاثين من سورة النساء

واما قوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فهو يقتضي ان من لم يطع الله والرسول لا يكون مؤمنا . وهذا يقتضي ان يكون المذنب خارجا عن الايمان وقد حمله اهل السنة على ان المراد به التهديد وتشديد الوعيد لما اجمع عليه اصحابنا اهل السنة رضي الله عنهم من ان المذنب لا يحكم بكفره انما هو مؤمن عاص .

وقوله (ذلك خير واحسن تأويلا) اي ان ما امرتم به في هذه الآية خير لكم واحسن عاقبة لكم لان التأويل هنا معناه مآل الشيء ومرجعه وعاقبته . ويصح ان يكون من التأويل بمعنى المخرج من الامر المشكل . فيكون معنى قوله (واحسن تاويلا) اي احسن من تاويلكم لانفسكم من غير رجوع الى الله ورسوله .

هذا وبما ان تفسير الآية قد جرنا الى الكلام على العدل وبيان ما له من مقام عظيم عند الله تبارك وتعالى . فلنجعل خاتمة هذا الدرس حديثا صحيحا في تقرير منقبة عظمى للامير العادل وهي ان طاعته كطاعة الله وان الله ببركته وفضله يدفع عن امته كل خطر وسوء . ويكون لامته وقاية

فقد روينا في صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني . ومن يعص الامير فقد عصاني . وانما الامام جنة يقاتل من ورائه . ويتقى به فان امر بتقوى الله وعدل فان له بذلك اجرا . وان قال بغيره فان عليه منة (اي عليه الوزر)

وحيث اننا الآن بصدد الاحتفال بمرور اثنى عشر عاما على ارتقاء جلالة ملكنا المعظم سيدنا ومولانا احمد باشا باي لعرش المملكة التونسية ادام الله دولته . وايد عزه ونصره وأدام وصولته . فواجب علينا ان ننوه ببعض ما اتاه الله من شريف الخصال . ولوامع الاعمال . وناهيك بملك عادل موفق يدافع عن الحق . ويجري سيف العدل في عنق كل ظالم . ويدافع عن الشرع ورجاله . وينتصر لدين الله . ففي ايامه السعيدة انتشر التعليم بالبلاد التونسية . وقويت شوكة رجال الشريعة المحمدية . فهو الذي يحنو على الشريعة ورجالها بجميع قواه . وينزل رجال العلم من منازل العز في اعلى ذراه . ادام الله عزه ونصره وعلاه . وقد ظهرت بركاته ايده الله على هذا القطر السعيد . فما من الم يصيبنا الا ويكون وقعه لطيفا . ومظهره ضعيفا . ولا تزال حالة بلادنا حالة حسنة بحمد الله لا سيما اذا قيست بغيرها من البلدان . التي اصيبت بمظاهر الفساد والافتتان . بما اصابها من نقص في الاموال والانفس والثمرات . وما تعاقب عليها من شدائد البليات . فقد بقيت بلادنا تلقاء ذلك كله امنة مطمئنة لم يصبها من الضرر الا الاذى . ولا من الالم الا القذى . فواجب علينا ان تكون السنتنا ببقاء هذا الامير الجليل دائمة الدعاء . ملحة على الله تبارك وتعالى في اجابة هذا النداء

اعجاز القرآن

(٣)

بقلم العالم النحرير الشيخ سيدي علي النيفر
المدرس من الطبقة الاولى بالجامع الاعظم

(الرابع) من وجوه اعجاز القرآن غزارة علومه واحتواؤه على دقائق علمية لم تنكشف الا بعد قرون متطاولة من نزول القرآن

لامرية ان القرآن الحكيم منبع العلوم فلقد تفرعت عنه فنون كثيرة واخذت منه علوم غزيرة من كلام واصول وفقه ولغة ومعان وبيان وادب وتاريخ وفلسفة وغيرها حتى ذكر بعض اهل العلم ان العلوم الماخوذة من القرآن تبلغ المئين عدا واذا علمنا ان بعض الآيات القرآنية خص بالتاليف وان القاضي أبا بكر بن العربي املى ثمانمائة مسألة على قصة الخضر وخمسمائة مسألة على سورة نوح عليه السلام ادركنا مقدار ما في القرآن العزيز من العلوم التي تكاثر القطر ولا يأتي عليها عد ولا حصر مما هو غير مقدور لبشر ان يأتي بمثله او بما يدانيه

نعم ان بعض الحقائق من مختلف العلوم تؤخذ من القرآن بطريقة التصريح وبعضها يأخذ منه بطريقة التلويح ولنورد جملة من ذلك قال تعلى (وارسلنا الرياح لواقح) قال بعض اهل العلم فيها ايماء لما اكتشفه علماء النبات اخيرا من كون الشجر كالحيوان منه ذكور ومنه اناث وان الاناث لا تؤتي ثمرتها الا اذا لقحت بمادة من الذكور وان هذه المادة تحملها الرياح من الذكور الى الاناث حتى قال بعض علماء الافرنج ان اهل جزيرة العرب سبقوا علماء اوروبا الى ذلك بثلاثة عشر قرنا .

وقال تعلى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت) قال بعضهم فيها اشارة الى كيفية تكون السحاب وانه ينشأ من ابخرة الماء ترتفع في طبقات الجو فاذا وصلت الى درجة مخصوصة في البرودة صارت سحابا .

وقال تعلى الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن وقال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقال ايضا قل انظروا ماذا في السماوات والارض وقال ايضا أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شيء وقال ايضا وفي الارض آيات للموقنين فيها ايماء للعلوم الجغرافية والفلكية والطبيعية والنظر في الاسرار الكونية .

وقال سبحانه ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وقال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وقال وكل في فلك يسبحون فيها تلويح الى قواعد من علم الهيئة

والفلك وفي هذه الآية الاخيرة تصريح بما استقر عليه راي علماء الفلك من كون كل من الشمس والارض والقمر تدور في افلاكها كسائر الكواكب السيارة .

وقال جل من قائل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم جعلنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين) فيها اشارة الى علم التشريح ومثلها في ذلك آية (بلى قادرين على ان نسوي بنانه) قال بعض العلماء خص البنان بالذكر لدقة تركيبه وعجيب صنعه وخلق اجزائه على كيفية من المرونة يستطيع معها مزاولة ادق الصناعات واصعبها وما فرش فيه من الاعصاب الحساسة وما في بشرته من تخطيط عجيب لا يشابه تخطيط اي بنان آخر ولذا وقع الاكتفاء بطابع الابهام عن الامضاء من الاميين بل هو اصح من الامضاء لامكان تقليده الى غير ذلك من بديع صنع البنان مما كشف عنه اخيرا علم التشريح فتبارك الله احسن الخالقين .

وقال تعلى كلوا واشربوا ولا تسرفوا) فيها اشارة الى قاعدة طبية وهي الاقتصاد في الماكل والمشرب لان الاسراف فيهما مجلبة للامراض ولهذا ورد في الحديث ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن

وقال تعلى وفي (الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعضها في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقال ايضا (ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) فيها ايماء لعلوم عدة من علم الحيوان والنبات وطبقات الارض وحوادث الجو واحوال البحر وغيرها .

وقال تعلى لكيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم فيها اشارة الى علم الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة .

وقال سبحانه انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب) قال بعض اهل العلم فيها اشارة الى قاعدة هندسية .

وفي (آية اذا لذهب كل آله بما خلق) اشارة الى برهان منطقي وهو برهان التمانع .

فهذه نبذة مما تشير اليه بعض الآيات من العلوم التي كانت وقت التنزيل تحت ستر الخفاء فلا شبهة ان اشتمال القرآن عليها معجزة واضحة وبرهان ساطع على ان القرآن من عند الله العليم الخبير وهو مصداق قوله تعلى ما فرطنا في الكتاب من شيء ولقد سئل بعض السلف عن هذه الآية قال السائل فاين ذكر الخانات وكانت غير معروفة عند العرب قبل الفتوحات الاسلامية فاجاب انها مذكورة في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وشبيه بهذا ما ذكره بعض شيوخنا في قوله تعلى وله الجوار المنشئات في البحر كالاعلام اي له السفن التي هي في ضخامتها كالجبال الشاهقة انها اشارة لهذه البواخر العظيمة المنشئات في هذا العصر فهي من معجزات القرآن وليس المراد بها السفن الموجودة في عصر التنزيل لانها لم تكن من الضخامة بحيث تشبه بالاعلام .

وينخرط في هذا السلك قوله تعلى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فان في قوله من قوة من الاجمال البليغ ما يشير الى هذه المخترعات الحديثة العجيبة التي لم تكن تخطر على بال اهل ذلك العصر .

وبالجملة فان جميع هذه الاختراعات المدهشة والمصنوعات العجيبة التي ظهرت في هذه العصور والتي ربما سوف تظهر تشير لها آية ويخلق ما لا تعلمون .

فلهذه الوجوه من الاعجاز اعترف المنصفون ولو كانوا ممن لم يعتنقوا الاسلام بان القرآن من عند الله حتى قال بعض المنصفين من علماء فرنسا (لو وجدنا القرآن في فلاة ولم نعرف من جاء به لعلمنا انه من عند الله) .

وحسبنا في هذا المقام ما وصف به القرآن نبينا عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه القاضي ابو الفضل عياض رضي الله عنه في كتابه الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ونصه : وقال صلى الله عليه وسلم ان الله انزل القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نباؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما كان بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعقب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد .

فلا جرم كان معجزة خالدة له عليه الصلاة والسلام لا تبليها الايام ولا تخلق جدتها الاعوام وكان اجل معجزاته قدرا واسماها خطرا اذ هو معجزة تحتوي على معجزات كثيرة والى هذا المعنى يشير الحديث الذي رواه الامام البخاري رضي الله عنه في صحيحه عنه صلى الله عليه وسلم ولفظه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثنا سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبي الا اعطي ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فأرجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة . فسر هذا الحديث بوجوه انسبها انه مسوق لبيان كون معجزات الانبياء قبل نبينا على جميعهم الصلاة والسلام ولئن كانت من وضوح الدلالة على صدقهم بحيث يمكن ان يؤمن لاجلها البشر لكنها كانت مقصورة على من شاهدها منهم بخلاف القرآن الكريم (وهو المراد من الوحي في الحديث) فانه اشد اعجازا وابهر وابقى على ممر الزمان واظهر لامكان ادراك اعجازه من كافة الناس الى قيام الساعة ولهذا قال فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة .

ويؤيد هذا المعنى في شرح الحديث قوله تعالى او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فانه نص في ان القرآن معجزة تكفي وحدها في الدلالة على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام .

وكفى بقول الله هذا شاهدا باعجاز القرآن فلنجعله مسك الختام

علي النيفر

الحديث الشريف

الحلال بين والحرام بين

عن ابي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال:
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ ان يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ

(الحديث رواه الشيخان)

روى هذا الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم النعمان بن بشير رضي الله عنه ولم ينفرد بروايته وحده بل رواه معه سبعة من اصحاب رسول الله وقد اكد سماع هذا الحديث بنفسه من فم النبي (صلعم) مباشرة بما جاء في بعض الروايات انه اهوى الى اذنيه باصبعيه وقال سمعت رسول الله يقول وقرأ الحديث كما اكد سماعه له بنفسه بقوله سمعت رسول الله ولم يقل ذلك في غيره من مروياته بل عادته ان يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم

والنعمان بن بشير صحابي وابن صحابي وهما انصاريان ولد على رأس اربعة عشر شهرا من الهجرة على الاصح وحنكه عليه الصلاة والسلام بتمرة وهو اول مولود ولد للانصار بعد مقدم النبي (صلعم) للمدينة كما ان عبد الله بن الزبير المولود معه في عامه اول مولود ولد للمهاجرين في المدينة وقد روي له مائة واربعة عشر حديثا وكانت وفاته سنة اربع وستين بقرية من قرى حمص مات بها قتيلا رضي الله عنه وعن ابيه وعن اصحاب رسول الله اجمعين

هذا الحديث اصل عظيم من اصول الشريعة قال ابو داود. الاسلام يدور على اربعة أحاديث

وعد هذا الحديث منها . ولا يخفى عظم موقعه وكثرة فوائده فقد نبه فيه على صلاح المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغير ذلك من المعاملات وسائر الاقوال والافعال وانه ينبغي ان تكون حلالا وارشد الى انه ينبغي ترك المشتبهات فإن في تركها وقاية للدين وللعرض وحذر من الوقوع في الشبهات ثم وضح ذلك بضرب المثل ثم بين اهم الامور وهو القلب وان عليه مدار الصلاح والفساد فبصلاحه يصلح حال الانسان وبفساده واختلاله يفسد حاله وتضطرب اقواله واعماله حتى قال الامام ابن العربي يمكن ان ينتزع من هذا الحديث وحده جميع الاحكام

ومهما يكن من شيء فالحديث دل على ان الاشياء لا تعدو ثلاثة اقسام ـ القسم الاول حلال بين واضح لا يخفى حله وهو ما ورد نص بحله من كتاب الله او سنة رسوله كما في قوله تعلى (احل لكم الطيبات) وقوله (وطعام الذين اوتو الكتاب حل لكم) وقوله (واحل لكم ما وراء ذلكم) وقوله (كلوا مما في الارض حلالا طيبا) وقوله (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق)

القسم الثاني حرام بين لاتخفى حرمته وهو ما ورد نص بحرمته من كتاب اوسنة مثل قوله تعلى (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) وقوله (حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم الآية وكتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن مثل الخمر والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به وكتحريم الزنا والسرقة والقتل والكذب والنميمة وكل ما جعل الشارع فيه حدا او عقوبة او وعيدا

وكلا هذين القسمين حكمه واضح معلوم حكم به احكم الحاكمين لمصلحة وفائدة تعود علينا نحن معاشر المكلفين رحمة منه وفضلا والله ذو فضل على العلمين فما احله لنا فذلك ما فيه نفعنا وبه صلاح معاشنا ومعادنا وما حرمه علينا كالخمر التي تفسد عقولنا ولحم الخنزير الذي يضر اعضاء التناسل ويورث الجبن والنذالة على ماحرره بعض اطباء العصر فذلك منتهى الرافة والرحمة ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون

القسم الثالث امور مشتبهة ليست بواضحة الحل ولا واضحة الحرمة تخفى على كثير من الناس ويشتبه عليهم امرها فلا يعرفون انها من قسم الحلال او من قسم الحرام وهي ما تعارضت فيه الادلة من غير ترجيح او لم يرد فيه نص لا بالحل ولا بالحرمة وكلها امور توقع في الحيرة والشك ولذا جاء في الحديث لا يعلمهن كثير من الناس اي لا يعلمون حكمها ولكن العلماء الراسخين في العلم لا يجهلون حكمها بل يجزمون في امرها بما اعطاهم الله من قوة الترجيح فيما تعارضت فيه الادلة او بالقياس او الاستصحاب فيما لم يرد فيه دليل . وذلك قوله في الحديث (ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس) وحيثما كانت تلك الامور الغير الواضحة الحل او الحرمة مما يوقع الانسان في الشك والريبة ويبعده عن ساحة اليقين والاطمئنان كان من الورع وكمال الدين تركها فقد قال النبي (صلعم) دع مايريبك الى ما لايريبك . ولقد ضرب لامته المثل بنفسه في ترك المشتبهات والتورع عنها فقد قال في تمرة وجدها في بيته (لولا ان تكون صدقة لاكلتها) فلما اشتبه فيها

امتنع من اكلها لتتأسى بـه امتـه في التورع عن مواطن الشبه فان في ذلك تطهيرا للدين والعرض معا وذلك قوله في الحديث (فمن اتقى الشبهات) اي تجنبها وتحفظ منها (فقد استبرا لدينه) اي حقق البراءة لدينه فاصبح من المطمئنين الموقنـين وعرضه فلم يعرضه لقالة السوء وغواة الفتنة وهذا فضلا عن انه احتاط لنفسه من الوقوع في الحرام والهلكة والاثم ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه .

وها انـا اروي لك حادثتين تعلم بهمـا مقدار اعتباره عليه الصلاة والسلام للامـور المشتبهة واحتياطه في الحوادث والنـوازل المحتملة للتحليل والتحريم لاشتباه اسبابها - الحادثة الاولى : ما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت اختصم سعد ابن ابي وقاص وعبد بن زمعة في غلام فقال سعد يا رسول الله هذا ابن اخي عتبة بن ابي وقاص عهد الي انه ابنه انظر الى شبهه وقال عبد ابن زمعة هذا اخي يارسول الله ولد على فراش ابي من وليدته . فنظر رسول الله (صلعم) فراى شبها بينا بعتبة فقال هو لك يا عبد بن زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه ياسودة فلم تظهر له سودة قط . فقد حكم رسول الله (صلعم) بالولد للفراش وانه لزمعة على الظاهر وانه اخو سودة زوج النبي (صلعم) لانها بنت زمعة ثم امر سودة بالاحتجاب منه للشبهة الداخلة عليه والقائمة في نفسه بسبب ما رأى من شبهه بعتبة فاحتاط لنفسه لان حكمه كان مبنيا على الظاهر لا على القطع واليقين اذ لوكان الولد ابن زمعة في علم الله عز وجل لما امر سودة بالاحتجاب منه كما لم يأمرها بالاحتجاب من سائر اخوتها عبد وغيره فانظر كيف كان حكمه (صلعم) مراعى فيه الاحتياط التام فراعى فيه جانب الدليل الظاهر وجانب الشبهة القائمة ولم يهمل الشبهة في جانب ما قام له من الدليل الظاهر على ان الغلام لعبد بن زمعة . الحادثة الثانية ما جاء في حديث عدي بن حاتم انـه قال يا رسول الله اني ارسل كلبي واسمي عليه فأجد معه على الصيد كلبا آخر . قال : لا تأكل انما سميت على كلبك ولم تسم على غيره فأفتاه رسول الله (صلعم) بمراعات الشبهة خوفا من ان يكون الكلب الذي قتل الصيد غير مسمى عليه فكانه اهل لغير الله به وقد قال الله تعالى في ذلك (وانه لفسق) فكان في فتياه (صلعم) دلالة على الاحتياط في الحوادث والنوازل المحتملة للتحليل والتحريم . وهذا اصل عظيم في هذا الباب

ثم اعلم ان العلماء قسموا المشتبهات ثلاثة اقسام - القسم الاول ما يعلم الانسان انه حرام ثم يشك فيه هل زال تحريمه اولا كالذي يحرم على المرء أكله قبل الذكاة اذا شك في ذكاته فهذا باق على تحريمه ما لم يتيقن وجود المبيح والاصل فيه حديث عدي المتقدم .

القسم الثاني ان يكون الشيء حلالا فيشك في تحريمه كرجل له زوجة فيشك في طلاقها فهذا القسم على اصل اباحته ما لم يعلم تحريمه بيقين والاصل فيه حديث عبد الله بن زيـد فيمن شك في الحدث بعد ان تيقن الطهارة وانه على طهارته

القسم الثالث ان يشك في شيء فلا يدري احلال ام حـرام ولادلالة على ترجيح احدهما فالاحسن التنزه كما فعل النبي (صلعم) في التمرة التي وجدها في بيته وقد تقدم حديثها

واما ان ترجح عنده حكم ثم قام عنده وهم بخلافه فالاصل عدم اعتبار الامر الموهوم كترك استعمال ماء باق على اوصافه مخافة ان تكون قد وقعت فيه نجاسة او ترك الصلاة في موضع لا اثر فيه للنجاسة مخافة ان يكون قد اصابته نجاسة جفت او كغسل ثوب مخافة اصابة نجاسة لم يشاهدها ونحو ذلك فهذا يجب ان لا يلتفت اليه فان التوقف لاجل تجويز ذلك هوس والورع منه وسوسة شيطان اذ ليس فيه من معنى الشبهة شيء

وقوله في الحديث (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام) فيه وجهان احدهما ان من لم يتق الامور المشتبهة وتجرأ على الوقوع فيها فانه يجره تساهله في امرها الى الجرأة على الحرام فهي تفضي به لا محالة الى المحرمات كما قال بعضهم الصغيرة تجر الكبيرة والكبيرة تجر الكفر وكما روي المعاصي بريد الكفر وقديما قيل : *معظم النار من مستصغر الشرر*

الثاني ان من اكثر من مواقعة الشبهات اظلم عليه قلبه لفقدان نور العلم ونور الورع فيقع في الحرام وهو لا يشعر به وذلك قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه : ان الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه فان هو تاب صقل قلبه وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه وكلما زاد زادت حتى تغلو قلبه فذلكم الران وحاصله ان من قارب الشيء خالطه غالبا وفي حديث مرسل من يرعى بجانب الحرم يوشك ان يخالطه ومن تهاون بالمحقرات يوشك ان يقع في الكبائر .

وقد لا يخفى عليك ان من ترك ما فيه شبهة كان اكثر تركا لما ظهرت حرمته فعاش مغمورا بهالة من اليقين والطمأنينة نقي الصحيفة محمود السيرة حتى يلقى ربه بقلب سليم اما ذلك الذي يعمد الى مواطن الشبه فيستبيح العمل بها بحجة انها قد تكون حلالا فقد قذف بنفسه في ظلمة الشك والريبة وقد يحمله ذلك على الوقوع فيما لا يحل من حيث لا يدري فمن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه واذا وقع فيه فقد تعرض لغضب صاحب الحمى وهذا هو الشر بعينه .

وقوله (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه) هذا مثل ضربه الرسول (صلعم) لمحارم الله عز وجل بما هو مألوف عندهم تقريبا للمقصود من اذهان مستمعيه وتحقيقا له وتثبيتا في نفوسهم واصله ان الملوك كانت تحمي مراعي لمواشيها وتتوعد من يقربها بالعقوبة فالخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته عن ذلك الحمى لانه ان رعى بالقرب منه فالغالب الوقوع فيه لانه قد تنفرد الفذة وتشذ الشاذة فالحذر ان يجعل بينه وبين ما حماه الملك مسافة يأمن فيها وقوع ذلك وهكذا محارم الله عز وجل كالقتل والربا والسرقة وشرب الخمر والكذب والقذف والغيبة والنميمة لا ينبغي ان يحوم حولها مخافة الوقوع فيها .

ولنضرب لك مثلا مما هو مشاهد محسوس يكثر وقوعه بيننا دائما فقد يقترح عليك من يزعم صداقتك من قرناء السوء الذهاب معه الى محل لهو وخلاعة لتريح نفسك من عناء الاعمال فترى نفسك بادىء الامر غير مطمئنة الى هذا المكان لانه محل شبهة وربما تقع فيه بعض المناكر مما لا قدرة لك على انكاره ودفعه وربما كان سببا لتلويث عرضك بما انت بريء منه ويرى منك قرين السوء عدم الموافقة على مصاحبته والجلوس معه في ذلك المكان فيغريك بمعسول القول

ويقول لك ما دمت انت بريء من النقائص فما عليك بقول الناس ولا يهمك رضاهم او غضبهم ومن راقب الناس مات كمدا الى غير ذلك من الاقاويل المعسولة التي ظاهرها نصح وباطنها غش وهكذا يأخذ في اغرائك بانواع المغريات حتى يلعب بعقلك ويقودك الى حيث اراد. وصدق الله العظيم حيث يقول (شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) فاذا صحبته المرة الاولى الى ذلك المكان الخليع دعاك لمصاحبته مرة ثانية وفي هذه المرة تكون الين واسرع انقيادا من المرة الاولى وهكذا الى ان تصبح وانت من الماجنين المنهمكين منتهكا للحرمات غير مبال بعقاب رب السماوات وتروح بسبب تهاونك في هذا الجلوس المشتبه فيه فاجرا متعديا حدود الله منتهكا حرماته بعد ان كنت طاهر الذيل كف النفس قوي اليقين ويكون مثلك في ذلك مثل الراعي الذي يرعى الغنم او الابل او غيرها من السوائم وبدل ان يذهب بها بعيدا عن المكان الذي حماه الملك لنفسه وامر ان لا يرعى فيه احد وبدل ان يقود غنمه الى الارض المباحة للناس جميعا عمد الى القرب من الارض التي اختصها الملك او سيد القبيلة لنفسه ولا شك ان البهائم لا تعقل شيئا ولا تميز بين ارض وارض فقد تغلبه الى الخوض في حمى الملك فيكون بذلك قد عرض بنفسه لبطشه وعقابه بعد ان كان آمنا من ذلك كله بالبعد عن هذا المكان واذا كان لكل ملك من الملوك حمى يختصه لنفسه ويحميه من ان يجور عليه احد فان الله تعلى وهو ملك الملوك والمالك الذي كل ما سواه له مملوك قد جعل حماه محارمه اي الامور التي حرمها على عباده المؤمنين فمن تهاون بالمشتبهات حتى استباح حرمات الله فوقع في الحرام فقد استحل بنفسه عقاب الله وظلم نفسه بالمعاصي فاستحق انتقام ذي البطش الشديد وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد. كل هذا تضمنته تلك الحكمة البالغة في الحديث وهو قوله عليه السلام (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الاوان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه)

هذا ولما كان القلب من بين اعضاء الانسان بمنزلة الملك الذي لا يكون للرعية إن تفعل شيئا الا باذنه وكان الجسم بمنزلة هذه الرعيه فعنه الصدور واليه ترجع جميع الامور. ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم التي في الصدور. لا جرم قفى على اثر ذلك المرشد الاعظم صلى الله عليه وسلم بالحكمة الختامية فقال (الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب)

القلب وما ادراك ما القلب القلب هو كل شيء في الانسان هو مكان الذكرى والتدبر هو مكان التعقل والادراك والفهم هو مكان النية والاطمئنان الا بذكر الله تطمئن القلوب القلب هو ذلك السر الالهي الذي انت به انسان وعليه مدار صلاحك او فسادك فبصلاحه تسعد وبفساده تشقى وصلاحه يكون بامتثال امر الحكيم المنعم الذي حكم بالحلال والحرام فتعمل بالاول وتترك الثاني وتحتاط فتجتنب المشتبه فيه ولا يكون ذلك الا بالعلم الذي هو غذاء القلب وبلسمه الشافي وبه ينهض الى القيادة التي خلقه الله لاجلها فهو لا يضل ما دام يهتدي بمصباح العلم ويرتشف من رحيقه والعلم علم القرآن والسنة قبل اي شيء آخر إذهما مصدر الحلال والحرام واليقين والتوحيد والمثل العليا لمكارم الاخلاق. اضاء الله قلوبنا بنور المعارف وهدانا لاجتناب طرق المخاوف

محمد الهادي ابن القاضي

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

انقراض طبقة من اهل العلم والفضل

بقلم العلامة المؤرخ أمير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان نسبة القرن من الدهر كنسبة القطرة من البحر ولكن مائة عام يعمرها الانسان لها اعتبار في تاريخ الازمان وقد طوى الموت في تاسع شهور العام الماضي شيخا جليلا من اهل العلم ونعني به شيخ الشيوخ وطود الرسوخ بقية السلف مفتي السادة الاحناف فضيلة الشيخ احمد بن مراد توفاه الله عن مائة عام قضاها في خدمة العلم وبثه في الصدور ولقد قامت هذه المجلة في الابان بتابينه وتخليد ذكره رحمه الله ورضي عنه .

وبينا الناس في اسف وتوجع لمفارقة تلك البقية الصالحة من شيوخ الزمن الماضي اذ فاجأهم خبر انطفاء سراج اخر كان هو ايضا البقية الفاضلة من طبقة اهل الثقافة والنبوغ في العلوم العصرية عمر كسلفه مائة عام قضاها كلها في الجد والعمل بعزيمة لم تعرف الملل وثبات لم يتطرقه الفشل ونعني به المقدس المبرور جميل الذكر استاذنا الشيخ محمد القروي قيدوم عموم المتوظفين التونسيين المباشرين والمتقاعدين .

اصل سلفه من القيروان وكان ابوه يباشر الاشهاد بحاضرة تونس وله نسبة وعلاقة بمشيخة العلم يلبس الطيلسان والعمامة الضخمة والقفطان . ونشأ ولده المترجم له مع طائفة من ابناء البيوت التونسية في مدرسة باردو العسكرية وتعرف باسم مدرسة المهندسين في الاوساط التونسية وبها زاول علوم العربية والعلوم الرياضية والفنون العسكرية واللغة والاداب الفرنساوية . وهذه المدرسة التي عفت رسومها لنحو خمسة وسبعين عاما انشاها المشير الاول احمد باي لتعليم ضباط عساكره الفنون الحربية وبعض اللغات الاجنبية مع ما به الحاجة من العلوم العربية . واول من كلفه سمو الباي بادارة شؤون هذه المدرسة المعلم الامير الاي كالي قاريس (١) ولكنه عوضه بعد حين بضابط فرنساوي عينته لذلك

(١) من المستشرقين الاقدمين اصله من مدينة توران وارتحل صغيرا للشرق لاعتقاده أنه بلاد العجائب والغرائب فقرا العربية بحلب ثم التحق بالحملة العسكرية المصرية التي واجهت العساكر العثمانية بالشام ومن هنالك يمم الاستانة حيث دخل في خدمة اركان الحرب ثم هزته ارياح الاقدار لتونس في

الدولة الفرنساوية وهو الكمندان كمبنون الذي ارتقى فيما بعد لمسند الوزارة الحربية بباريس وهذا هو الاصل في اناطة تعليم العساكر التونسيين بعهدة ضباط فرنساويين من ذلك العهد الى الزمن الحاضر

واول من باشر تعليم العربية بالمدرسة المذكورة العلامة الشيخ محمود قابادو وقد اشتمل ديوانه على نبذة مفيدة في هذا الشان (١) ومن تلاميذها الاولين الشاب خير الدين (الوزير الشهير) والشاب رستم (وزير الحرب) والشاب حسين (مستشار المعارف) وغيرهم من المماليك الناشئين بالبلاط الحسيني ممن تولوا بعد زمام الاحكام والوظائف العالية بالدولة التونسية . ولما استعرت نار الحرب بالقريم بين الروسيا وبين الدولة العثمانية وفرنسا وغيرهما من الامم الاروباوية بعث المشير احمد باي بنجدة عسكرية تونسية في عام ١٢٧٠ للمشاركة في الحرب المذكورة لجانب العساكر التركية والفرنساوية وهذه النجدة كان في جملة ضباطها نخبة من الشبان الذين تمموا نصاب تحصيلهم في الفنون العسكرية بمدرسة باردو واتفق ان المشير احمد باي ادركه اجله في العام التالي فكان من راي خلفه بالكرسي الحسيني تسريح اكثر العساكر التونسية الضاربين بجهات العمالة لتدارك الاضرار الناتجة عن الضايقة المالية التي اوجبها ترتيب جيش عتيد في وقت السلم بدون حاجة اليه واذاك تلاشت احوال النظم العسكرية التونسية ومنها مدرسة المهندسين المتحدث عنها ودام حالها كذلك بضعة سنين فلما ءالت نوبة الملك للمشير محمد الصادق باي كان في مقدمة مساعيه واعماله الصالحة احياء المدرسة المذكورة للراغبين من الشبان في تعليم الفنون العسكرية فكان في جملة اهل هذا الرعيل الثاني فقيدنا الشيخ محمد القروي رحمه الله وبها زاول الفنون العسكرية مع علوم العربية والعلوم الرياضية فكان من النابغين بين الاقران المشار لهم بالبنان وكان من معاصريه بالمدرسة الشاب عمر بن بركات (رئيس جمعية الاوقاف) والشاب صالح عبد الوهاب (عامل المهدية) والشاب العروسي بن عياد (مدير المدرسة الصادقية) والشاب سليم فارس ابن الشيخ احمد فارس الشدياق . ولقد وقفت له على رسالة

اواخر مدة المولى حسين باي الثاني واختلط ببعض رجال البلاط الحسيني ولازمهم الى ان تهيأت له اسباب الانخراط في سلك معيني المشير احمد باي وهو الذي ناط بعهدته ادارة المدرسة المتحدث عنها وقد تعرض البحاثة مسيو منشيكور المراقب المدني كان بتونس لذكره في كتابه المسمى « وثائق تاريخيه في شان تونس » واتى على تاريخ حياته بمزيد ايضاح ومما قال في ذلك ان كالي قاريس وضع اثناء مباشرته لادارة مدرسة باردو كتابه المعروف في سيرة نابليون (بمساعدة الشيخ محمود قابادو) فكان كالي قاريس يترجم المادة وتلميذه حسين مستشار المعارف فيما بعد يكتب والشيخ قابادو يهذب الالفاظ وقال ايضا : ان كالي قاريس كان يعزو لنفسه علاقة بعلماء ءاخرين من جامع الزيتونة منهم الاخوان الخوجيان الشيخ احمد والشيخ محمود اولهما قاضي تونس طفحت كاسه بعلوم الاسلام والثاني من اساتذة جامع الزيتونة كما كانت له ايضا صلة بالنحوي الشيخ محمد اللخمي وبالشيخ محمد التطاوني من كتاب الدولة التونسية وهو الذي مده بالاعانة الواسعة اثناء تصنيفه لسيرة نابليون اهـ

(١) انظر صفحة ٣٣ وما بعدها من الجزء الثاني من الديوان

مدرجة بالرائد التونسي في عام ١٣٧٨ ذكر فيها برنامج العلوم التي كانت تزاول يومئذ بالمدرسة وهي: النحو والصرف والانشاء والتاريخ والجغرافية والحساب والمساحة ورسم الخرائط الحربية بانواعه وفن الاستحكامات وبقية الفنون العسكرية واللغتان الفرنسوية والطليانية ومما افادته الرسالة المذكورة ان عدد تلاميذ المدرسة كان يومئذ مائة تلميذ وكانت ادارتها منوطة بلياقة الكمندان تفرنه من ضباط الجيش الفرنساوي وهو رجل كان الشيخ القروي لا يذكر اسمه الا بعبارات التمجيد والثناء على اخلاصه ونصحه في ماموريته وهو اي الشيخ القروي ورفقاءه ممن حملوا تابوته يوم ادركه اجله اثناء مباشرته لادارة المدرسة وكان مشهد جنازته رهيبا حضره سمو الباي بالذات وتاسف لفراقه اسفا شديدا .

هذا وبعد ان اتم الشيخ القروي نصاب تحصيله في العلوم العربية وفي الفنون الرياضية والعسكرية انخرط في سلك المعينين الوزاريين وكان نصيبه مباشرة ماموريته لدى الوزير محمد خزندار وهو من رجال الكد والجد والثقة والامانة وهي اخلاق فاضلة صادفت قلبا خاليا فتمكنت منه لانها كانت مطابقة لمواهب صاحب الترجمة فلما آنس منه متبوعه الحذق والنباهة والبراعة في اللغتين العربية والفرنسية قدمه للمباشرة بصفة كاتب مترجم بمكسيون الرقابة المالية الاروباوية ودار الفلك دورته المعلومة فمضى عهد الدور القديم وحل عصر الدور الجديد بانتصاب الحماية الفرنسوية على تونس ومن وليداتها مصلحة الكتابة العامة بالدولة التونسية واقسامها المحدثة منها قسم الترجمة فاتفق الكاتب العام م، بمبار مع الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور على ان يكون السيد محمد القروي رئيسا للقسم المشار اليه وهكذا كان وظهرت يؤمئذ بمساعدته ونصيحته لياقة نخبة من خريجي المدرسة الصادقية الذين تمموا تعلمهم بمدارس باريس لمباشرة الترجمة بين رجال الدولتين الحامية والمحمية كان في مقدمة تلك الطائفة الصالحة المرحومان السيد محمد الجنادي والسيد البشير صفر وهذا الفذ الثاني استقل بعد حين برئاسة قسم المحاسبة بالكتابة العامة فكان اول تونسي مسلم تولى ضبط الحسابات العامة بعد ان كان ديوان الحساب بالدولة وقفا على اليهود

واتفق اثر ذلك احداث ادارة للعلوم والمعارف بتونس نيطت ماموريتها بعهدة المستعرب مسيو ماشويل معلم العربية سابقا بوهران وكان من مشمولات خطته النظر على جمعية الاوقاف التي شغرت رئاستها في تلك الاثناء فاختارت الدولة لرئاسة الجمعية المرحوم السيد عمر بن بركات مدير المدرسة الصادقية وقدمت مكانه لادارة هذه المدرسة المنعم السيد محمد القروي ولكنه لم يباشر هذه الخطة اكثر من اشهر معدودات لاسباب لا يسعها هذا المجال فرجع صاحب الترجمة لرئاسة قسم الترجمة بالكتابة العامة . ومنها انتقل بعد حين لرئاسة الخزنة العامة وهي خزانة محفوظات الدولة وكانت اوراقها مشتتة هنا وهناك لا يستفيد منها المطالع الا بالنزر اليسير بعد الجهد الوفير فشمر الشيخ القروي عن ساعد الجد وقضى سنين طويلة في جمع شتاتها وترتيبها

ترتيبا فنيا مستكملا من كل الوجوه ثم سعى وحصل بمساعدة مسيو روا كاتب الدولة العام الذي كان يقدره ويجله على بناء محلات فسيحة بسراية المملكة لنصب نحو مائة خزانة لحفظ تلك الاوراق وما الحق بها من دفاتر الدولة المرادية والوثائق التاريخية النادرة والعهود وجميع آثار العصر الحسيني السعيد بحيث اصبحت خزانة افادة تاريخية غير قابلة للنفاد ووضع لها مع ذلك فهرسا عاما كان محل اعجاب اهل النظر لانه مكن الدولة من الوقوف على الوثائق الصالحة لتصفية جملة من النوازل العويصة المتقدمة على نصب الحماية كنازلة القائد نسيم شمامة ونازلة ابن عياد وغير ذلك مما استحق به الفقيد الثناء الاعطر والجزاء الاوفر

وفي مدة مباشرته لرئاسة الخزنة العامة وضع كتابه المسمى السر المكتوم في احوال النوم طرق فيه باب البحث عن التاثيرات النفسانية وعلاقة الروح بالجسد والتنويم المغناطيسي وكان مع ذلك يتعاطى مطالعة كتب الحكمة للكشف عن نواميس الطبيعة واسرار الكائنات ولا سيما فنون الصحة ووظائف الاعضاء التي غرف من يمها غرفة ملية . واتفق بعد حين استقرار راي الوزير المقيم العام مسيو ريني ملي على احداث معهد للعلوم العصرية بعنوان طلبة جامع الزيتونة عمره الله وتفاهم في ذلك مع الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور فوقع الاختيار باشارة مسيو روا على ان يكون السيد محمد القروي رئيسا للمعهد المذكور وهو معهد ابن خلدون وتم تاسيسه بمشاركة نخبة من المتوظفين كنت ولا فخر في جملتهم واما نسبته لاسم ولي الدين ابن خلدون فانها من مبتكرات صاحبنا السيد البشير صفر الذي مات شبحه ولم يمت ولن يمت اسمه . وكان يوم افتتاح المعهد المشار اليه يوما مشهودا حضره الوزير المقيم السالف ذكره والوزير الاكبر وشيخ الاسلام ورجال الدولة واهل العلم والمتوظفون وكلهم كانوا لاهجين بفضل هذه المنقبة التي تم تأسيسها بقية الخلد المستفاد من اسم ابن خلدون (خلدونيه) وقام خطيبا في ذلك النادي الشيخ الرئيس القروي وتعرض في خطابه لوظيفة الانسان في المجتمع وعرف بان جنس الانسان فيما افاده الحكيم كلود برنار عبارة عن طبقة بين الملائكة والحيوان ولولا ضيق المجال لا تينا على عبارة ذلك الخطاب النفيس . وبفضل المجهودات التي بذلها الشيخ القروي ورغم العثرات التي لقيها في سبيله تم ترتيب برنامج التعليم بالمدرسة الخلدونية على احسن أسلوب واتم مرغوب وكنت من المتشرفين في تلك الآونه بتدريس علم التاريخ بها لتلاميذها الاولين

ولما زار فخامة رئيس الجمهورية مسيو فليار حاضرة تونس سنة ١٩١١ قلد السيد محمد القروي بيده الصنف الثالث ترقية في وسام اللجيون دونور زيادة على الوسام العلمي الذي كان محرزا عليه من الصنف الاول وبعد ثلاث سنوات وقعت احالته على التقاعد بعد أن باشر خطته سنين كثيرة علاوة على الحد القانوني للاعمار . واخر ما قام به من الاعمال الجليلة ترجمته لقانون الحدود .

على انه بعد احالته على التقاعد لم تستغن الادارة ذات الشان عن الاستفادة من معلوماته الواسعة وخبرته الشاسعة لذلك تفضل عليه المولى محمد الناصر باي قدس سره بالصنف الاكبر من نيشان الافتخار في عام ١٩٢٠

كان رحمه الله سليم الصدر بعيدا عن المجازفة والفضول وكان لطيف الشمائل فصيح اللسان حسن المحاضرة بل كان تاريخا حيا يمشي على رجلين وكان مشتغلا بنفسه عن عيوب غيره ثاقب الفكر يفهم بمجرد الاشارة قبل سماع العبارة مقصودا للافادة معروفا بالثبات والاجادة نقي العرض جميل الظاهر والباطن كريم الخلق ماشئت من معارف جمة ونفس بالاستزادة من الفضائل مهتمة يحب الانصاف لماله من حميد الاوصاف يقول ما يراه حقا ولا يبالي بصيرا بالعواقب عارفا بالسياسة متخلقا باوصاف الكياسة والرئاسة حنكته التجارب في كل المآرب ذاعفة ووقار وهمة عالية واعتبار ولم يزل محببا الى الناس الى ءاخر ما قدر له من الانفاس . توفي رحمه الله في السابع عشر من ذي الحجة الحرام سنة ١٣٠٩ واعقب اولادا تخلقوا بخلقه النفيس محسوبين في طبقة المتوظفين الاعيان جبر الله صدعهم ورزقهم الصبر والسلوان

ملحق — بعد الفراغ من تحرير هذه النبذة تذكرت وجود بطاقة لدينا من خط يد الشيخ القروي رحمه الله جوابا عن سؤال كنت القيته عليه قدما في شان مدرسة باردو ومتى كان دخوله للتعلم بها فبحثت عنها بمجموعة الوثائق التاريخية التي لدينا الى ان يسر الله لي العثور عليها ولذلك نقلها هنا بحروفها لاشتمالها على تحقيقات تاريخية يصح الاعتماد عليها لورودها من مصدر لا شبهة فيه وهذه عبارتها :

الحمد لله — اما بعد اتم السلام ومزيد التحية فان مكتب الحرب الذي احدثه (المشير) احمد باي تحت نظر الاميرالاي كليقاريس الطلياني اغلق في ايامه واعاده خلفه (المشير) محمد باي سنة ١٢٧٣ تحت نظر الاميرالاي تافيرن (الفرنساوي) وجعله بالسراية التي صارت محلا للوزارة بعد انتقال التلامذة للمحل الجديد الذي بناه الامير محمد الصادق باي وكان ذلك في صفر سنة ١٢٧٧ ودخلت انا هذا المكتب عام ٧٦ وبقيت به الى عام ١٢٨٦ ومات في اثناء المدة الناظر المذكور (تافيرن) وخلفه القايمقام كمبنون وهو الذي صارت وحشة بينه وبين الوزير مصطفى خزندار في عام ثورة علي بن غذاهم وسافر لفرنسا وسار بها وزيرا للحربية تحت رئاسة غمبيتا والمحل الجديد الذي كنا به هو الذي صار الآن قشلة للعسكر هذا ما عندنا الآن في هاته المسالة وان اردتم زيادة الايضاح فنحن بقربكم والسلام من ودودكم محمد القروي في ١٤ افريل سنة ١٩١٦ اه بلفظه

محمد بن الخوجه

اثر تاريخي
معاصر لجامع الزيتونة

بقلم الاستاذ الاثري امير اللواء السيد حسن
حسني عبد الوهاب رئيس الخزنة العامة

ما من تونسي من ابناء الحاضرة الا يعرف ان الواضع للحجر الاساسي لجامع الزيتونة هو التابعي ﴿ عبيد الله بن الحبحاب ﴾ ، وهذا غاية ما يعلمه التونسي من تاريخ معهدنا الكبير ، وهذه الرواية - وان كانت مختصرة - يتناقلها التونسيون خلفا عن سلف لما لهم من التعلق - بل من الصبابة الحقة والتعشق - في اقدم معهد علمي عربي موجود على وجه البسيطة ، زاده الله نورا على نور .

واذا نحن رجعنا الى مصادر التاريخ المعتمدة نجد الرواية التي يتناقلها ابناء الحاضرة عن مسجدهم الجامع صحيحة اثبتها قدماء المؤرخين ، فقد ذكر ابو عبيد البكري في مسالكه عمن تقدمه من الاخباريين ان « عبيد الله بن الحبحاب بنى الجامع ودار الصناعة بتونس » ونقل مثله ابن العذاري وغيرهما .

واذا ثبت من الناحية التاريخية ان ابن الحبحاب هو اول من شيد جامع الزيتونة فلا بأس ان نتعرف من شخص هذا المؤسس الذي أبقى لتونس حسنة عربية خالدة على الدهر ، حتى اذا ما اعتنى التونسيون يوما بحفظ تاريخ بلادهم، وأرادوا لن يخلدوا ذكرى مشاهير الرجال أصحاب المنة والفضل على وطنهم ، لم يغفلوا عن إكبار ابن الحبحاب في مقدمة المحسنين .

ولنعد ثانيا الى مسانيد التاريخ لنعرف الرجل من هو ونعرفه بما يستحق ، فنقول معتمدين على أقدم الامهات وهو « كتاب فتوح مصر والمغرب » لابي القاسم بن عبد الحكم قاضي مصر المتوفى سنة ٢٥٧ هـ

هو عبيد الله بن الحبحاب السلولي ، كان اوله كاتبا في دواوين الدولة الاموية ، ثم تناهت به الحال الى ان تولى مصر وافريقية والمغرب كله والاندلس . وكان - كما عرفه الاخباريون - رئيسا نبيلا ، سمح الطبع ، رضي النفس ، عذب الحديث ، بارعا في الفصاحة والخطابة - والخطابة اذ ذاك من أدوات الامارة - عالما بايام العرب ، حافظا لانسابها ووقائعها واشعارها ، مشتهرا بحسن التدبير وكرم النفس والتواضع حسبما نراه من سيرته بعد .

وقبل قدومه الى افريقية كانت له في امارته مواقف مشهورة واعمال جليلة في مصر . ومما يجدر بنا ذكره هنا ان خلفاء بني أمية امتازوا عمن سواهم بتقدير كفاءة الرجال وحسن اختيارهم للاصلح من القواد والانسب ؛ فقد عين الخليفة هشام بن عبد الملك صاحبنا عبيد الله واليا على مصر فقام بمهام امرها

احسن قيام ، وهو الذي اخضع ارض السودان وادخلها لطاعة المملكة الاسلامية ، وقد نقل ابن عبد الحكم في تاريخه المتقدم نص العهد الذي اعطاه ابن الحبحاب الى سكان النوبة ومشارطته لهم ، ومن هذا العهد تعرف مقدرة والينا الجليل وبعد غوره في السياسة .

ثم على راس المائة الثانية للهجرة اضطربت احوال افريقية وانتقض البربر سكان المغرب على العرب بدعوى الانحياز الى نحلة الخارجية ، فراى الخليفة هشام بن عبد الملك من الحكمة تعيين ابن الحبحاب واليا على افريقية وما والاها من البلاد لما يعلم من كفاءة الرجل وحسن تدبيره .

قدم عبيد الله القيروان في ربيع الآخر من سنة ١١٦ - ستة عشرة ومائة - بعد ان استخلف على ولاية مصر ابنه قاسم - وكان ابن الحبحاب مصحوبا بوجوه معدودين من رجال الحرب والسياسة في الدولة الاموية ، ولمجرد وصوله باشر الامور بحزم لا يعرف الكلل وقابل الكوارث التي احدثها الثوار في المغرب والاندلس بعزيمة نادرة وروية ؛ فغير العمال وبعث النجدات الى الجهات ، ثم ارسل جيشا غازيا في البحر بقيادة حبيب بن ابي عبدة حفيد عقبة بن نافع الى جزائر البحر المتوسط فغزا قوصرة (وهي جزيرة بنطلارية) وصقلية وسردانية بالمراكب المنشأت في دار صناعة تونس بمرسى قرطاجنة ، ورجع الاسطول الافريقي بعد اشهر غانما سالما .

فلما نقض البربر الطاعة في سائر المغرب الاقصى برئاسة اميرهم ميسرة البرغواطي الذي تسمى بالخليفة ، فهاجمهم اسماعيل ابن الامير عبيد الله بجيوش جرارة تلاحمت غير ما مرة في ناحية طنجة وأقاليمها ، وكان بالمغرب حينئذ قوم من أقحاح البربر ظهرت فيهم دعوة الخارجية ولهم عدد كثير وشوكة قوية فلاقاهم العرب في وقائع عديدة واخضدوا شوكتهم في كل مرة حتى اذا ما تكاثر البربر على الجيش العربي ووثبوا عليه من كل حدب وصوب استشهد من غزاة العرب فرسانه وشجعانه ، لا سيما في واقعة مشهورة في تاريخ الفتوح « بغزوة الاشراف » لكثرة من مات فيها من الكماة الابطال ، وبلغ خبر تلك الملحمة الى هشام الخليفة فقال : « والله لاغضبن لهم غضبة عربية ، ولابعثن لهم جيشا اوله عندهم وآخره عندي » ثم ان هشاماً كتب الى ابن الحبحاب بقدومه عليه فخرج من القيروان في جمادى الاولى من سنة ١٢٣ ، وهو آخر عهد به في افريقية .

هذه ناحية من سيرة ابن الحبحاب السياسية واعماله في توطيد الممالك للاسلام في مصر وبلاد المغرب .

وهنا مناسبة ثمينة لسياق الحديث بذكر منقبة بالغة وطرفة نادرة من اخلاق ابن الحبحاب تنبىء عن تواضع الرجل وخشيته لله تعالى ، فقد روى ابن عبد الحكم باسناده وتبعه المؤرخ المغربي ابن العذاري في « بيانه » قالا : كان لعبيد الله بن الحبحاب اولاد ، قد اعجبتهم انفسهم ، فصادف ان قدم على افريقية عقبة بن الحجاج السلولي ، وكان ابو عقبة هذا قد اعتق الحبحاب والد عبيد الله ، فلما دخل عقبة على عبيد الله قام اليه فاعظمه واقعده على سريره بقصر الامارة ، ولما خرج عقبة من عنده انكر

ذلك عليه اولاده وقالوا له : ما رأيك ان تعطيه شيئا من المال وتصرفه عنا ، لان وجوده بيننا مما يكسر شرفنا ويحط من قدرنا ؟

فقال عبيد الله لاولاده - نعم ! افعل .

فلما كان في غد امر الناس فدخلوا عليه ، وجاء عقبة في جملتهم ، فقام عبيد الله اليه واجلسه على سريره كما فعل بالامس ، ووقف قائما وقال : ان بني هؤلاء غرتهم غرة الشيطان بعزة السلطان ، وارادوا أمرا أخرج به عن الحق والمكارم ، ورأوا ما رأوا من بري بهذا الرجل ، وانا اخبركم انه مولاي ، وان اباه اعتق ابي ، وانا اكره كتمان امر الله سبحانه شهيد به علي ، وانكر نكران الجميل ! »

ثم ان ابن الحبحاب خير عقبة في ولاية ما شاءه من امارته ، فاختار الانتقال الى الاندلس فولاه عليها ، وذلك في سنة ستة عشر ومائة ، واقام عقبة واليا بها الى سنة احدى وعشرين ومائة .

فانظر - يا رعاك الله - الى هذه الهمة الشماء ، وهذه المكارم التي لا يستغرب صدورها في الحقيقة من امثال اولئك الذين سادوا العالم لا بسيوفهم وقوة جنودهم فحسب ، بل بما اتاح الله لهم من النحائز العالية والسجايا الغالية والاخلاق النادرة الوجود .

اما من ناحية حسن سلوك ابن الحبحاب مدة ولايته افريقية ، ولا سيما من جهة تدابيره النظامية ، وآثاره العمرانية ، فقد تقدم بنا انه اول مؤسس لجامع الزيتونة الميمون الطلعة على هذه البلاد ، ومما لا شك فيه ان بناءه الاولي دخل عليه من التغيير في عهد الدولة الاغلبية خصوصا في مدة الامير احمد ابن الاغلب ما صيره على الشكل الذي نعرفه منه اليوم ، تشهد بذلك الكتابة المرسومة بالكوفي العريض على دائرة قبة المحراب ، ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، مما امر بعمله الامام المستعين بالله امير المؤمنين العباسي ، طلب ثواب الله وابتغاء مرضاته ، على يد نصير مولاه سنة خمسين ومائتين ، يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، صنعه فتح » .

ومن هنا يتضح لك ايضا تواضع الامير الاغلبي الذي رسم في البناء اسم متبوعه الخليفة العباسي ولم يذكر نفسه .

وقد اضيف بعد ذلك الى جامعنا على ممر الزمان سواء كان في عصر بني خرسان او في دولة بني حفص الطويلة المدى زيادات كثيرة وتحسينات بديعة زادت بهجته نضرة وجمالا ، ادامه الله منهلا صافيا لعلوم الدين ، ومنبتا مثمرا للهداة المرشدين .

وربما عدنا في فرصة اخرى - في هذه المجلة الزاهرة - الى التوسع في ذكر اخبار جامع الزيتونة من نشأته وابتداء ظهور التعليم بين سواريه ، وما قاله مشاهير الرحالين فيه ، ومن اشتهر قديما من اساتذته ومعلميه ، وبالله التوفيق .

***

ويلتحق بتاسيس جامع الزيتونة اثر تاريخي من الاهمية بمكان ، اود جلب الكلام عنه الآن لما له من المساس الاكيد بموضوع هذا البحث .

منذ سنتين حظيت بالعثور على قطعة مدورة من الزجاج الاخضر ساقتها يد المقادير الى مجموعتي وبعد التامل منها الفيتها مكتوبة على وجه واحد بالخط الكوفي العتيق ؛ وباستقرائها تبين لي نص كتابتها وهو : « مما امر به الامير عبيدا الله بن الحبحاب ، مثقال نصف وقية ، واف . » اهـ فتيقنت


صورة الصنج

انها صنج ضرب بافريقية في مدة ولاية ابن الحبحاب يعني ما بين سنتي ١١٦-١٢٣ للهجرة ، فكان اغتباطي بها كبيرا وفرحي شديدا . وهذه صورتها

وحضرات القراء يعلمون بلا ريب ان الصنج - وجمعه صنوج - هو عبارة على قطع من الزجاج البلوري كانت تسكبها - وعلى الاصح تذيبها - الحكومات الاسلامية المتقدمة في دار ضربها (دار السكة) لقصدين كبيرين :

الاول – تجعل الحكومة منها مثاقيل الاوزان الرسمية - وهي ما نسميه اليوم بالصروف - توزعها على اصحاب التجارات وارباب الحرف لا سيما في المواد الثمينة كالاحجار الكريمة والعطور وغيرها ليزنوا للناس على المثاقيل الشرعية المقبولة ، وصنع هذه المثاقيل من خصائص الحكومة التي يباشر اعوانها صبها في المسابك الرسمية للدولة وتحت مراقبة المحتسب لما جاء في مسالة الميزان من التحذير في شريعتنا الغراء

والثاني – تجعل الحكومة العربية منها عيارا للنقدين يعني الدينار الذهب والدرهم الفضة تضربها من قطع الزجاج ايضا في دار سكتها وتسلمها بعد الى الصيارفة الموجودين بمملكتها حتى اذا جاء من يريد صرف دينار او درهم علم الصيرفي اذا كان النقد المعروض عليه للصرف طيبا ويشمل الوزن الشرعي المطلوب وبذلك تطيب المعاملات ويسلم الرعايا من الغش والتدليس ، ولا يخفى ان الشريعة السمحة لا تعتبر في النقدين (اي الذهب والفضة) الا الوزن والعيار ، ولا تلتفت الى سواهما . وهذه هي القاعدة الاسلامية التي ارتكزت عليها المعاملات بالنقود في الدول الاسلامية . ولذلك تراها اتخذت هذه الصنوج من الزجاج لان عنصره لا يقبل الزيادة او النقص على طول الزمان اللهم الا اذا انكسر

جاءت هذه الصنوج - من حيث الصنع - غاية في الابداع ، سواء كانت مثاقيل او عيارا واول من اتخذها في الاسلام هو الخليفة عبد الملك بن مروان ابو هشام الذي ضرب في ايامه صنج ابن الحبحاب المتحدث عنه ، ولا نعلم - فيما لدينا من الصنوج الافريقية - اقدم من صنجنا هذا ، ولذلك فانا نعتبره اقدم اثر لتنظيم الشئون الادارية في البلاد التونسية بعد فتح الاسلام لها . زيادة على كونه معاصرا في العمر لجامع الزيتونة العامر فهو تربه وقرينه ، وها هو يتلالا في هندامه القشيب منذ سبكته ايدي العمال في دار سكة القيروان

اراني اطلت الحديث عن امر ربما يعتبر عند غيرنا تافها اذ ان حجمه لا يتجاوز القطعة الفضية ذات العشر فرنكات من عملتنا الجارية اليوم ؛ لكن الوثائق الاثرية الراجعة الى ذلك العصر الاسلامي الزاهر هي اندر من بيض الانوق بحيث ان كل ما يمكننا الوقوف عليه منها نعده غنما ثمينا ومرشدا معينا لتحقيق ما وصل الينا من الاخبار بواسطة المصادر التاريخية .

وفي عزمي - ان شاء الله تعلى - ان اجعل هذا الصنج المبارك في اطار مناسب واقدمه على سبيل الذكرى الى معهدنا الزيتوني العزيز ليبقى به وثيقة خالدة على الدهر وشاهدا حيا لتاسيس مفخرة من مفاخر الزمان

وفي ختام هذا البحث لي رجاء اكيد من القراء الكرام وهو ان يتكرموا عند انتهاء مطالعتهم لهذا بتلاوة الفاتحة واهداء ثوابها الى روح ذلك الفاتح المحسن اعني عبيد الله بن الحبحاب .

ولي الامل انا بفعلنا هذا نكون قد اثبتنا اننا لا ننكر جميلا يسدى الينا كما علمنا اياه ابن الحبحاب فيما سبق من التاريخ

غرة المحرم ١٣٦٠ حسن حسني عبد الوهاب

الادب

معارضة قصيدة عامر ابن هشام

التي مطلعها

يا هبة باكرت من نحو دارين وافت الي على بعد تحييني

قد جادت قريحة الفاضل الزكي الاديب الكبير الشيخ سيدي محمد المقداد الورتاني بهذه القصيدة العصماء التي عارض بها قصيدة الشاعر الفحل عامر ابن هشام القرطبي التي نشرت معارضة ادباء العصر لها بالمجلة في المجلد الثالث

فأجاد وأفاد بما جمع فيها من المعاني الرائقة والتشابيه البليغة والاوصاف الساحرة

وقد ضمنها عدة اغراض من ذكر طيب تونس ووصف اهلها ومنازلها والمقامات السامية بها ومنازل احوازها ثم منازل بعض بلادان المملكة ووصف حيواناتها وطيورها وقام برحلة خيالية في الكرة الارضية الى غير ذلك مما تضمنته هذه الفريدة الرائقة من التواريخ المفيدة والاشارات اللطيفة وقد علق على ابياتها التعاليق المفيدة تبيانا لما تضمنته من المعاني والتواريخ والاشارات كل ذلك باسلوب رائق جذاب ينم عن الروح التي تجلت في ابياتها وطريقة الشيخ الذي اختص بها في شعره والى السادة القراء نصها :

يا تونس الانس دار العلم والدين هل هبة منك عن دارين تغنيني (١)
فانس اهلك لا انساه في بلد وان اتيتك للاوطان ينسيني
وطيبك العطر والازهار نافحة ومسك دارين تجر الهند والصين
شتان ما بين مجلوب على شحط وناتج نافح كل الاحايين
فاقطف من الورد والخيري ونرجسها او البنفسج او ءاس ويسمون
او القرنفل والقطمير نعنعها والعنبرية او فل ونسرين
تلك الروائح للارواح منعشة وعطرها ظل مرغوب السلاطين
فالبشر في تونس والعطف قد جمعا ** لجودة الذوق والآداب واللين (٢)
والعلم في البيت والفرعين يطلبه ابناء شرق وغرب والسوادين
وما مساجدها على رثاثتها الا تعبد افواج المصلين (٣)
والامن فيها على نفس وما كسبت وفي الايالة طغيان الدهاقين
فلا ترم غلطا سكنى بخارجها وما سر نديب مثل جنة العين (٤)
فانزل بها دار باشا منزلا وسطا ** او قبة في جوار لابن خلدون (٥)
وابعد على ساحة السبخا وفلتها وفي السواحل انت غير ماذون
وصل في الجامع المعمور اين تجد منابع العلم ما بين الاساطين (٦)

(١) دارين فرضة في البحرين بخليج فارس يجلب اليها المسك ويقال فيه الداري (٢) التعليم بجامع الزيتونة وفرعيه : الجامع اليوسفي والجامع الحفصي (٣) من ذلك جامع الزيتونة سقفه الغربي القابي وتحت السقف معلق بالاخشاب وفوق جداره ثقوب ينفذ منها الضوء والهواء (٤) سرنديب نزل به ابونا ءادم عليه السلام عند ما خرج من الجنة (٥) نهج القبة به دار خلدون سكنى السيد محمد داود الان (٦) الزيتونة اسس عند فتح تونس وقرطاجنة على يد حسان بن النعمان عام ٧٨ وتوالى عليه

ورد به كوثرا من الحديث وتفـ ـسير وفقـه ومن نحو الدمامين
نرجو له نهضة وللفروع معـا حتى نرى عصر مأمون وممنون
سوق الفواكه والاثواب ساحتـه والطيب ينفح من ملء الدكاكين
ولن ترى مثل طيب النيفري بهـا والصدق في السبط من خير النبيين (١)
شتى الحشائش في سوق البلاط شفا والكتب ساحة مدارس القشاشين
فادخل لمكتبة الحفصي ومنها الى سوق العطور وسوق للبلاتين (٢)
وان مررت على حداد ألسنة درهم يخوضوا وقل ذا ليس يعنيني
وءال محسن زر فسيح دارهـم ايمة شرفا شم العرانين (٣)
قصر المرابط يزهـو في فخامته وشيخه صفر في مثل شاهين (٤)
دار الشريعة في الديوان زاخر *** بالعلم والعدل في ضمن القوانين (٥)
لهـا رئيسان زاد الله نفعهمـا على الدوام الى الاسلام والدين (٦)
فهل يعود انتخاب للقضاة بهـا حتى يصان القضا من كل تخمين (٧)
وهل يلي مذهب النعمان مفتي مع الـ ـقضاة يرشد في فقه وتمكين (٨)
المذهبين إخـاء طبق شرعتنا وفيهما رحمـة للتونسيين
وقصبة الاغلبي تبدو بـربوتهـا كانها غـادة في حـال تزيين
وجئي سراية ملك شادها الامرا بنو مراد وءالت للدواوين (٩)
واحضر قبول الوفود والامير بها والحفل يحمل انـواع النياشين
والذكر غليونجي يتلـوه خاتمـة من سورة الفتح او طاها وياسين
والشعـر ينـشـد عـادات محببـة عند الملـوك لتنويـه وتمتين

البناء من عبيد الله ابن الحبحاب اول القرن الثاني ومن الاغالبة في القرن الثالث ومن الصنهاجيين باواخر القرن الرابع ومن بني خراسان في القرن السادس ومن الحفصيين بين ٦٠٣ الى ٩٤١ - يراجع مـا كتبناه بالدرة المصونة في الكلام على جامع الزيتونة

(١) النيفري السيد حمادي النيفر الشريف مثال الاستقامة والكرامة (٢) البلاتين ذهب ابيض وسوق بيع الذهب يسمى ـ البركـة (٣) سيدي محمود محسن امام ثان بجامع الزيتونة وابنه سيدي مصطفى امام ثالث به (٤) الفريق محمد المرابط عامل القيروان عند الاحتلال الفرنسوي

وصفر شيخ المـدينـة هو السيد مصطفى ابن البشير صفر المنعم وتوفي الان في ليلة السبت من صفر ٣ ومارس ١ والقصيدة تحت الطبع فزيد البيت الموالي :

وهاثوى بعد«حام»٤٩ في حياة الفناء واختـار خلد أب نـاء ومدفون

(٥) المحاكم الشرعية صارت لنظر الوزارة العدلية ١٩٢٢ وقد اوجدت بها القوانين

(٦) شيخ اسلام حنفي وشيخ اسلام مالكي

(٧) كان انتخاب القضاة الشرعيين في بلـدان المملكة لقاضي القضاة بتونس ثم صـار للوزارة العدلية ومراجعة جناب الوزير الاكبر

(٨) في بلدان المملكة يتمسك الخصوم بالمذهب الحنفي ويمكنون من ذلك وتجري المخابرات في طلب الارشاد من الحاضرة فلو كان مع كل قاض مفتي حنفي لكان الارشاد سريعا كما ان المفتي يفيد اتباع المذهب الذين هم في كثير من بلدان المملكة ـ (٩) تسمى الان دار الباي بناها حموده باشا المرادي في القرن ١١ ـ وسكنها حموده باشا الحسيني في اول القرن ١٣ والان بهـا اعمال الوزير الاكبر والكاتب العام ودواوينهما وياتيها الامير في المواسم وبعض الايام

والباي احمد كالحفصي وهادئه ... وزيره الاخوة ابن تافراجين (١)
وحومة البحر سكنى كل جالية ... فيها رغايب مشغوف بتمدين
حكت منازل باريز وروتقها ... وانما العدل والآداب في السين (٢)
كما حكت حارة اليهود كرطي لطا ... اذ جددت من ملايين بتسعين
ورحبة الدرب تعلو ما سواها ومن ... توفيقها الكشف عن قرى الملاسين (٣)

***

وانظر الى الشرق بحرا والشمال ربى ... والغرب هضبة سيجوم وبيرين
ترى الصوامع اشكالا منوعة ... طوالها تطلب المرقى لنبتون (٤)
قبابها قمم الاجبال ثالجة ... او العمايم للحكام في الدين
وبرج رايس في سمت الجنوب علا ... تحكي مدافعه سود الثعابين
وحول قبة من تدعى بعائشة ... قصور اهل الثراء والعناوين (٥)
جوارها مدفن الجلاز تربته ... فراش اهل الوظيف والمساكين
وباب قاسم أو باب العلوج هما ... مسالك الكاف اومن باب سعدون
والبحر يقذف بالقصاد نجعتها ... وكل غاد يروح بالملايين

***

وللسماع بهذا القطر اعذبه ... وهو العلاج لمكدود ومحزون
له رشيدية المألوف مطربة ... بفن زرياب استاذ التلاحين
فرغبة النفس في مألوف أندلس ... وحظ مصغ سواه حظ مغبون
اجاد فيه خميس فهيأته ... وعوده مثل حاضن ومحضون (٦)
إذا نغى طفله المحضون يصغو له ... كما يغنيه من حين الى حين
يفيض الحانه الراديو سواسية ... لقطر تونس او سكان برحين (٧)
فاسمع صباحا وقبل النوم قارئه ... يوما بورش وأياما بقالون
إذا تلى فيه براق بنغمته ... تقول داود يتلو في فلسطين (٨)
فالروح في طرب والجسم في أدب ... والاذن لذتها قرءان جبرين (٩)
لا تعجبوا ان سمعتم من تكلم في ... اقصى الممالك من صندوق رديون
فقبله اسمع الفاروق سارية ... من طيبة فارسا فانحاز في الحين (١٠)

---

(١) ابن تافراجين وزير الدولة الحفصية في القرن ٨
(٢) الساين نهر يخترق عاصمة باريز وبها كارطي لطلبة مدارس التعليم
(٣) التوفيق بناءات محدثة خارج القصبة وباب سيدي عبد الله
(٤) نبتون اعلا الكواكب السيارة
(٥) السيدة عايشة المنوبية الصالحة
(٦) خميس بالتصغير ـ الترنان البارع في الضرب بالآلات وطبوع النوبات
(٧) بلد بغرب النرويج
(٨) علي البراق القيرواني
(٩) القرءان من تعبير جبريل للرسول عليه الصلاة والسلام طبق ما ألقي اليه أما بقية الكتب فهي من تعبير الرسل عما يلهمون به ولذلك كان القرءان محفوظا
(١٠) في نهاوند بفارس عرض للسيد سارية حصار من العدو فناداه سيدنا عمر ابن الخطاب وهو على المنبر بالمدينة بقوله : يا سارية الجبل فسمعه وانحاز للجبل بجيشه ونجوا

ان الخوارق من صنع ندبره على الكرامات من اقوى البراهين

***

فتونس ، مجمع اللذات فاتنة فاقت بلبس ومطعوم وتحسين
وجودة الفكر والتعبير معشرها والجود والجد سكان القياطين
وطقسها من حدود الاربعين الى صفر واعد له ما فوق عشرين
للشاذلي نسبوا في الساكنين بها « لا يشهدون وهم » في السبع ميين
هذا الذي نقلوا وكل ارض بها خير وشر على مدى الاحايين
يا ليتها سلمت من البعوض ومن رطب الهواء ومن صيف كأتون
ورغم ذلك لا انفك اعشقها ولم اجد في سواها ما يسليني
فالعيش يدفعني عنها لخارجها والعلم يجذبني لها ويدنيني
والمال تطلبني اسبابه واری . قليله بشريف السعي يكفيني
وللوظائف اسباب منوعة وربما اجتازت الاحرار للدوني

❀ ❀ ❀ ❀

فاخرج لمنوبة ذات الرياض وزر دار المئاثر واشرب ما البساتين (١)
وحول تونس سطر للحنايا كما قطار نوق يمدها بتموين (٢)
واصعد الى البلفدير اين تنعم في ظلاله بين مخضر الافانين
في سفحه اسس العمران بلدته وشاد فيها منارة لتأذين
وان بحثت على طيب الهواء ففي اريانة مبتغى برء المصابين

***

اما المريسى فقصر الملك تحسبه والبحر يلدز في بنا قسنطين
برج السلاسل ادركنا مدافعه فالحسن في شكله وذي لتحصين
تبدو شرافاته من حول قبته بقية من بني حفص السلاطين
لله دار الوزير للحفيد الابي فروضها للظبا والحوض للنون (٣)
دار العلوم وللاضياف داعية والظرف في ءال عاشور الميامين
دارت بها بيننا الآداب زاكية كما شربنا الصفاء بالفناجين
وان بداالك من ابي سعيد سنى فذاك هدي المنار في الدياجين
فالبر مُرتفع والافق متسع والحسن اين نظرت دون تعيين
ودار الاخوة تعلو ما يجاورها كما علا جيشه فزر الشواهين (٤)
فاجعل مقيلك فيه والمساء بأطلال لقرطاج تقديس الرهابين
من قبل عيسى بطاء (٩) من قرون خلت جاءت تؤسسها أجفان ديدون (٥)

---

(١) المصنوعات العتيقة في باردو - والبساتين بناءات محدثة قريبا من باردو ماء اابارها عذب نافع
(٢) الحنايا من راس الطابية الى تونس بناها المستنصر الحفصي في النصف الثاني من القرن السابع وجلب عليها ماء زغوان من الحنايا العتيقة
(٣) الوزير المنعم سيدي محمد العزيز بوعتور خلفه في قصره حفيده المفضال العلامة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
(٤) قصر الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة الشريف
(٥) قبل المسيح بنحو تسعة قرون اسست ديدون الفنيقية مدينة قرطاجنة

قد احرقت ثم عادت للحياة وما تت عند ما سامها حسان بالهون(١)
فحول الماء عن مجرى الحنايا وهل حـي يعيش بـلادم الشرايـين
من عجز مستنصر تحطيم هيكلها مثل المدائن قد هدت بهارون (٢)
فاي ذنب اتى بـه البناء سوى عمارة الارض او نفع وتسكين
لهفي عليها وقد رثى لها ورثا من قبلنا محرز في شعر تابين (٣)
وبعد قرطاج جز لحلق وادوزر عايا فراديس رادس ومقرين
وحمة الانف للاعصاب نافعة واليبس في الجسم تنفيه بتليين
وعج لمرناق والقصر الملوكي به وقبة أقبرت سعد الشواشين
اين الثمار الى السكان دانية قطوفها والهوا يشفيك في الحين
وقربص ساعة طريقه ولـه ما بين بر وبحر حسن تكوين
انعـم بحمته وشرب نبعتـه من عين اقطر لا عين الفكارين
وفي سليمان ردماء الحماري ومل للبردقان بمنزل وليمون
هذي كواكب ترشيش وهالتها صارت مناخا لاعشاش المساكين



وجنس تونس من عرب ومن وعجم طباعهم بين اخلاص وتلوين (٤)
قد علموا البربر المجوس غيرتهم وكلما نكثوا ردوا الى الدين
نعم اعانـوا على فتـح باندلس ومغرب شان مغلوب وموهون
ومارسوا الفلك من جنس فنيقي مضى في قابس واجيم والكلابين (٥)
وقوم رومة قد أبقوا بنـاء هنا في دقة وبأجم كالفراعين (٦)
وتونس قلدت بالاحتلال لها افرنجة في تبرج وتدخين
قطر هنيء مريئي والرخاء به من حبه والنخيل والزياتين
ذا من طبرقة جونا للتـوازين والكاف غربا الى شط المعاوين (٧)

(١) احرقها الرومان - ثم عادت عاصمة وفتحها حسان بن النعمان ٧٨ ولما خانت قطع عنها ماء الحنايا وانتقم منها بهدم ما عسى ان يعودوا للتحصن به

(٢) جاء صان لوي الفرنساوي محاربا لتونس في القرن السابع وانزل جيشه في بقايا بناءات قرطاجنة وبعد الصلح خربها المستنصر وكان عليه ان يعمرها او يحرسها

كما ان هارون الرشيد خرب عاصمة الفرس وهي المداين بلا ذنب وله حكاية فيها مع البرامكة

(٣) للشيخ سيدي محرز ابن خلف صالح العاصمة المتوفى ٤١٣ قصيدة في رثاء قرطاجنة مطلعها

خليـلي مـرا بالمدينـة واسمعـا مدينـة قرطاجنـة ثم ودعـا

(٤) قال ابن خلدون ذهب افريقش بقبائل العرب الى افريقية وبه سميت وساق البربر اليها من ارض كنعان الخ قات فالسكان الاصليون من بني حام ابن نوح وهم الاكثر الان واتاها العرب والفنيقيون والرومان (الطليان) والفنـدال (المان) واليونان والعرب والاتراك وارتد البربر عن الاسلام اثنتي عشر مرة

(٥) أجيم بجربة والكلابين بقرقنة وسكانهما بارعون في البحارة

(٦) دقة قرب تبرسق - والاجم بين سوسة وصفاقس

(٧) التوازين عرش في بنقردان

والثمر والطير والانعام وافـرة — والدر يخرج من احيم ميدون ١
مـاء المعادن لا تحصى منابعـه — والسر في حره من غير تسخين ٢

***

ومن يلـذ له صوت الطيور يجد — في ارض تونس انواع التلاحـين
ففي البـلابل والمنيـار بغيتـه — وفي الكنالو وزانم ومقنيين
وفي خميـر جبـال الغاب شامخة — فصد بها النمر او اسد البرائين
والثلج والخصب والامطار دايبـة — من باجة في الشمال للوراتـين ٣
واوسط القطر مرعى كل سائمـة — من قيروان الى نخل الزيادين ٤
وما ورا قفصة صحرا الجريد بها — من نفطة واحـة الى تلمين ٥
تمـر شهي بهـا تختار جيـده — اربة المـال في عيد الكوانين ٦
قصطيلة كالعراق طقسها والـذكا — وقفصة جنة كمثل جيرون ٧
انعم بها بلدة في حسن موقعها — وضمها النخل للزيتون والتين
يـا ليت قفصة للسلطان عاصمة — ترب كمسك ومـاء غيـر معفون
عين الدراهم والكاف المصيف مني — امـا الشتاء فتوزر العراجين ٨

***

والقيروان مزار القطر فانزل بها — في شهر نيسان لا بشهر تشرين ٩
نـور الهدايـة والتشريع بدؤها — منها بنجل ابي سرح وسحنون ١٠
فاقت بجامعهـا وقبـر صاحبها — وبشر ساكنها العرب القحاطين ١١
دار المرابط ان تنزل مرحبـة — وان اقمت تجد بيت العوانين ١٢

---

١ — احيم وميدون في جزيرة جربة

٢ — اشهـر المياه المعدنيـة في قربص ـ والانف والجديدي ـ وبوحجبة والحامـة حول قابس والحامة حول توزر وغير ذلك

٣ — ورتان بين ابة وسبيبة

٤ — بنوزيد حول حامة قابس وهم اضداد الهمامة

٥ — تلمين بكسر التاء واللام وتشديد الميم المكسورة في عمل نفزاوه بها جامع لعقبة ابن نافع

٦ — كانون الاول هو ديسامبر ولد المسيح في ٢٥ منه وكانون الثاني هو جانفي اوله مبدأ العام المسيحي يعتني النصرى فيهما بشراء التمر الجيد « الدقلة » لكون مريم اقتاتت من التمر عند ولادة المسيح

٧ — قصطيلة هي الجريد وجيرون اسم لدمشق

٨ — الملوك من قديم يصطافون بلاد الثلج ويشتون بلاد التمر

٩ — نيسان هو افريـل ـ وتشرين الاول والثاني هما اكتوبر ونوفامبر ـ فيهما الحر والذباب بالقيروان

١٠ — عبد الله ابن ابي سرح فاتح افريقية عام ٢٧ وسحنون ناشر فقه المدونة بشمال افريقية والاندلس في اول القرن الثالث

١١ — الجامع بناه زيادة الله اول القرن الثالث وهو اكبر من جامع الزيتـونة والصاحب هو ابو زمعة البلوي الشهيد في واقعة جلولا عـام ٣٤ ومشهده قايم بعد وادي السقي ويقال لتلك الحوطة سيدي عبد الله الشهيد اما المدفن ففي القيروان ويقال لمقبرته البلوية

١٢ — المنعم السيد الصادق المرابط خاتم القيروان وولده الان عبد الرحمن له شبه به والعوانيون هم نقباء الشرف في القيروان

واقص الخريف بنزرت وشاطئها | وراس جبل ورفراف وصونين ١

***

ولا تغب اي فصل عن صفاقس اذ | ترى بها المجد للدنيا وللدين
فالحزم شيمتها والخز حليتها | كنز الثرا والثمار والرياحين
صفاقس عطرها من زهر تربتها | يزري بمسك اتى اسواق دارين
محمودها الشرفي المفتي النبيل اذا | سمعت ءادابه قلت ابن زيدون ٢
وسوسة ان تقم يوما تماما بها | تكفيك منها بناءات السلاطين ٣
وقبة الشيخ يحيى القيرواني على | باب المدينة مقصود القرابين
وبت بعاصمة المهدي وساحلها | وماء راجيش اوبستان هيبون ٤

***

وما سبيطلة الا المياه بها | تهمي دموعا عليها حال محزون
قد قدمت بنت جرجير فداء لها | وصلحها ذهب من وفر زيتون (٥)
فالبنت لابن الزبير نفلوه بها | وخمس خمس الى جد المراوين
وطود زغوان يشفينا ونحيي به | من مآئه العذب او من عطر نسرين
ضموا له مآء سيل لا يلائمنا | وليتهم خصصوه بالبساتين (٦)
واليوم هل من مزيد لازدياد الضما | اذماكفى الماءمن برقو البحيرين (٧)
ولا تقل قطرنا لا شيء يشبهه | فان في الكون ما فوق الاظانين

❀ ❀ ❀ ❀

فحقق الامر بالاسفار واعن بها | فالماكثون بارض كالمساجين
فقد مضى الزمن الذي يقال به | فلا اسير الى من ليس يدريني
وسح بشرق وغرب تستفد بهما | ولا تقف دون شيكاغو وجابون (٨)
واقرب من القعلب في النرويج صائفة | وفي البوير بعرض في الثلاثين (٩)
في البحر باخرة والجو طائرة | والبر سائرة بصفو بنزين
فبادر الشرق نحو مصر واسم الى | فسطاط عمرو وأهرام المدافين
فقد بنى جوهر هناك قاهرة | وازهرا ارخا بالصاد والسين

٦٠ ٣٠٠

١ صونين قرية في البساتين بين راس الجبل ورفراف
٢ – توفي عام ١٣٥٨ وقلت في رثائه :

مات محمود السجايا الشرفي | فعفت ءادابنا وا أسفي

٣ – جامعها ومدرسة الرباط ومنارها وسورها وقصبتها من بناء ملوك الاغالبة في القيروان
٤ – راجيش جنوب المدينة وهيبون غربيها
(٥) ابنة جرجير صاحب سبيطلة اخذها عبد الله ابن الزبير وكان الصلح على قناطير من الذهب اخذ خمس خمسها مروان بن الحكم وكثرة الذهب بافريقية ذكروا انه من ثمن زيت الزيتون الوافر بها
(٦) ماء سد الوادي الكبير
(٧) البحيرين من قرى برقو المجلوب ماؤه لتونس
(٨) شيكاغو في وسط امريكا الشمالية والجابون في اقصى الشرق
(٩) جوهر الكاتب الصقلي (او الصقلبي) جمع العلم والسياسة والشجاعة واسس القاهرة المعزية نسبة الى متبوعه المعز لدين الله العبيدي واسس الجامع الازهر بها في نحو سنة ٣٦٠

وحفلة الالف لولا الحرب خف لها — اعلام فاس وبغداد وباكين (١)
وليس في الحرمين ما يخاف وهل — كابن السعود الى عدل وتطمين
فطف بمكة واخلص نحو طائفها — واجهد لنفل كمفروض ومسنون
واحرص لتعرف في الحجاج نخبتهم — فذاك للاتحاد خير عربون
هناك احكم خير الرسل بيعته — بدابست الى خمس وسبعين
وسل تجب عند قبر كان صاحبه — نورا وءادم بين الماء والطين
ميلاده برج ثور بدء هجرته — من غار ثور قبا برج الموازين (٢)
شوقي اليه وان احظى بزورته — شوق يؤرقني دوما ويضنيني
فمن سماحته ومن شفاعته — دهري يساعفني والحوض يرويني
وما التوجه الا نحو طيبته — والقبلتين لغفران وتامين
فارحل الى القدس والشام الخصيب وعج — الى الخليج وسوق مسك دارين (٣)
ولا تهن دون بغداد ودجلتها — وتربة الجيلي شيخ المريدين
ومن هناك لطهران وفارسها — وما ورا نهر جيحون وسيحون
وليت مالك يكفي كي تسير به — للهند والصين حتى بحر بهرين (٤)

***

وارجع الى الروس والبحر الحليك به — على سخالين في قطار خربين (٥)
وان تصل لابي ايوب فادع به — دفين استانة كرسي الخواقين
واعجب ببيأة بسفور وشاطئه — وملبس الخلفاء والنبيئين
نعم عرى الجامع المدعو بصوفية — كما بكى يلدز ابطال ما بين (٦)
ذي عبرة فاعتبر ابطال انقرة — وواصل السير غربا نحو برلين (٧)
اقم بلبسيك حيث الكتب وافرة — وامرر لباريز باالالزاس والرين (٨)
باريز آمنة في الحرب سالمة — وقد غدت حرة ليون في الرون (٩)
وبعدها رومة كرسي المسيح بها — ومن عجائبها نار البراكين (١٠)
ولا تعد قبل ان تحلل باندلس — على بيونة اومن درب لوشون (١١)

---

(١) باكين عاصمة الصين الذي به عشرات الملايين من المسلمين

(٢) برج الثور لشهر افريل الذي ولد في ٢٠ منه صلى الله عليه وسلم وحل قبا في الاعتدال الخريفي الذي تحل فيه الشمس برج الميزان

(٣) خليج فارس به البحرين وسوق مسك دارين

(٤) بحر بهرين بين الجابون وامريكا

(٥) جزيرة سخالين شمال الجابون وقطار خربين يخترق سيبيريا الى الروسيا

(٦) جامع ءاية صوفية ازيلت عن جدرانه الكتابات الاسلامية حتى عاد ظهور الصور المسيحية وعطلت به الصلاة - والمابين يدل على الحكومة العثمانية وكان مركزها قصر يلدز

(٧) برلين عاصمة المانيا

(٨) الرين نهر عظيم بين المانيا وفرانسا

(٩) نهر من بحيرة جنيف

(١٠) رومة مقر رئيس الديانة المسيحية والبراكين جبال تتصاعد منها النار والدخان

(١١) لوشون في فرنسا بها مياه معدنية ومنها طريق الى اسبانيا يخترق جبال البيريني «راجع ما كتبناه عنها في صحيفة » ٦٠ من الرحلة الاحمدية

فهي التي ابتكرت ياهبة باكرت وابدعت شعر توشيح وملحون(١)
وادخل لقرطبة العصما وجامعها وحيي غرناطة ذات الاواوين
واجعل طريقك طارقا لمغربنا *** اين اعتلت دولة المهدي ومرين(٢)
ففاس ادريس بيضاء شقيقتها حمراء مراكش كرسي ابن تشفين(٣)
اقصى المغارب اثرى الله ساكنه فالعلم والمال كسب البيض والجون
اهل النجابة والاقدام في سفر وفي المواقف ابطال الفراسين
وزر هناك ابن عباد ثوى درنا عدا عليه خليفة ابن ياسين (٤)
لم يرض رعي خنازير وينجو بها واختار نفيا لدى المرابطين (٥)
ومن تكن بالعدا الاغيار نجدته على بني جنسه في حكم مافون
كنجدة الفنش للحفصي فنال به ان كان في ملكه كمثل مرهون(٦)
وجز تلمسان للوادي وبسكرة *** على بني نائل الى تماسين
واهد السلام لعقبة بتربته مؤسس القيروان عام خمسين
وادخل تبسة في الرجعى وحيدرة واشرب مياه الصرا حول الزوارين(٧)
وان سلكت على تستور اندلس فاصعد لصومعة في شكل حلزون
هم انتجوا الزعفران حول مجردة وعمموا الارض بالزيتون والتين(٨)
وعد الى تونس الخضراء مغتبطا وقل وعيت وما شاهدت يكفيني
اياك تحسب ترحالا لاجمعها *** كمن يحاول جمع ال وتنوين
فان عزم الفتى يدني الثريا وما يشاؤه الله بين الكاف والنون
وانما الحزم تنفيذ وليس كمن يعطي المواعيد في سقي الكمامين(٩)
فان قيمة ما تجنيه في سفر تغلو على كل مبذول وثمين
واكتب لما نلت من خبر ومن خبر فالعلم يبقى بتلقين وتدوين
واحكم بعدل على الاشياء دون هوى فذبح اهل الهوى من غير سكين
واعمل لتنفع قطرا قد نشأت به اذ بره واجب على المدايين
وقل حمى الله ترشيشا وارخ لها بعام صاد بعيد السين والشين

محمد المقداد الورتاني «٦٠» «٣٠٠» «١٠٠٠»

---

(١) عامر بن هشام مدح قرطبة وكره الخروج منها في قصيدة مطلعها : ياهبة باكرت من نحو دارين » وافت الي على بعد تحييني

(٢) دولة المهدي ابن تومرت وهي الموحدية وبعدها دولة بني مرين

(٣) ادريس الاصغر مؤسس فاس ١٩٢ ويوسف ابن تاشفين اسس مراكش ٤٤٥

(٤) ابن عباد صاحب اشبيلية نفاه يوسف ابن تاشفين باغماة فاطاع وابى النجدة بالفنش الاسباني عند ما اشير عليه بذلك وقال رعي الابل اي عند ابن عباد خير من رعي الخنازير اي عند الفنش فعبر بذلك عن حكمة وهمة

(٥) المرابطيون اسس دولتهم محمد ابن ياسين

(٦) استنجد الحسن الحفصي وابناه احمد ومحمد بالفنش الاسباني على محاربة بني جنسهم لتمهيد ملكهم بتونس فلاقى كل واحد منهم الاهانة جزاء الخيانة ومات معزولا من الملك

(٧) الزوارين بين ابة وصرا ورتان

(٨) الزعفران لا يوجد بالمملكه في غير تستور

(٩) قال الشاعر : (فاصبحت كالكمون ماتت عروقه * واغصانه مما يمنونه خضر)

﴿ اصلاح غلط ﴾

بمعارضة قصدة عامر ابن هشام

الصواب : مدراس – زاخرة ١٨٣ – بهاة بسفور ١٨٩ – السرا – وسرا ١٩٠

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ – تونس

عدد ٧

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء السابع	تونس في ربيع الانور ١٣٦٠ وفي افريل ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حموده باشا

الادارة :

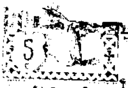
نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات



المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

عـدد ٧

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء السابع	تونس في ربيع الأنور ١٣٦٠ وفي افريل ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير:

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة.

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ

(الاية ٣ - ٤ من سورة المؤمنون)

بقلم محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة

بعد ان ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين الذين اثبت لهم الفلاح انهم في صلاتهم خاشعون اتبعه بالصفة الثانية وهي ترك اللغو والاعراض عنه ، وذلك شأن المؤمن الذي دأبه الجد ولا يقيم وزنا لسفاسف الامور واللغو من القول كل كلام باطل ساقط حقه ان يلغى ويترك ويعرض عنه كالكذب والشتم والحديث في اعراض الناس

قال تعالى في وصف الجنة : لا تسمع فيها لاغية اي لا تسمع في الجنة كلمة ذات لغو . ويطلق اللغو على كل فعل لا يعني كاللعب والهزل الممقوت وكل ما يشغل عن الطاعة وما توجب المروءة الغاءه

والاعراض الصد والمعرض عن اللغو التارك له الذي يصد نفسه عنه واختير في هذا المقام الاعراض دون الترك فقال تعالى هم عن اللغو معرضون دون تاركون لأفادة بعدهم عنه رأسا على جميع الحالات فلا يباشرون اللغو ولا يتسببون فيه ولا يميلون اليه ولا يرضون به ولا يخالطون اهله ولا يحضرون مجالسه فهم في شغل عما لا يعود عليهم بالنفع في الدين والدنيا قولا او فعلا كضياع الاوقات فيما لا فائدة فيه والاسترسال في الشهوات مما نهى الله عنه فاهل الفلاح من المؤمنين اذا مروا باللغو مروا كراما يمنعهم اسلامهم من الوقوع في مساويه

ومن الاعراض عن اللغو ان لا يكافىء المرء من تعدى عليه بل يتجاوز عنه ولا يقيم لصنيعه حسابا ويكون بذلك اجره على الله وذلكم قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وهو مقام عظيم على المسلم ان يروض نفسه عليه ويلقنه لأبنائه وعشيرته فهو اصل من اصول الاخلاق الحميدة ولعو ارتاض به المسلمون لكفاهم شرورا كثيرة وعواقب وخيمة

والآية وان خرجت مخرج البشارة والمدح فهي تشير الى النهي عن اللغو بجميع اقسامه المستفاد ذلك من العموم . وبحسب جريمة اللغو يكون الاثم والمؤاخذة كما انها تدلنا على اهتمام الشريعة بالجد والعمل الصالح والتنفير من الركود واللهو المفضيين للكسل والبطالة فينبغي للمؤمن ان يشتغل بما يرتجي نفعه من عمل صالح لمعاشه او معاده

ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفلاحه في الاعراض عن اللغو الذي في مواطن العطب يرديه .

ثم بعد ان ذكر سبحانه تينكم الصفتين العظيمتين اردفهما بالصفة الثالثة وهي قوله والذين هم للزكاة فاعلون كثيرا ما يقارن القرآن بين الصلاة والزكاة ويأتي بهما بدون فاصل ، وقد فصل بينهما في هذه السورة بيدان الصفة التي وقع الفصل بها لها مزيد علاقة بالصلاة كانها من متممات الخشوع فان الخاشع معرض عما يشغل قلبه عن عبادة الله تعالى فهذا الفصل يعد كلا فصل

والزكاة اسم مشترك بين العين وهو المال الذي يخرجه المزكي الى الفقير وبين المعنى المصدري وهو فعل المزكي الذي هو التزكية واذا كانت الزكاة تطلق على الأمرين فقوله تعالى هم للزكاة فاعلون يمكن ان يراد به فاعلون للتزكية والتزكية فعل المزكي على حد قولهم للضارب فاعل الضرب وللغاصب فاعل الغصب وللمزكي فاعل التزكية التي هي اخراج مال الزكاة

ويمكن ان يتعلق الفعل في قوله تعالى فاعلون بالعين على تقدير مضاف محذوف من نحو لفظ الاداء فيكون المعنى على هذا الوجه فاعلون اداء الزكاة لان العين المزكى بها لم يفعلها المزكي وانما فعل الاداء كما هو ظاهر . وعلى هذا المعنى انشدوا لامية بن ابي الصلت

المطعمون الطعام في السنة الاز مة والفاعلون للزكوات

فقد اتى بصيغة الجمع فيحمل على تقدير فعل الاداء ، وعبر في حق المؤمنين بانهم فاعلون دون مؤدون للدلالة على المداومة وتكرار ذلك منهم كلما تعلق بهم الوجوب .

والزكاة من اعظم القرب المالية بل هي ركن من اركان الاسلام وعليها مدار اصلاح حال الفقراء والمستضعفين . وقد كانت للعرب كغيرهم من الامم انظمة في صدقاتهم التي يدفعونها لذوي الحاجات الا ان هذه النظم اختلطت بما قبحها وهو تشريك غير الله تعلى فيما يقدم من الصدقات فجاء الاسلام بأرقى نظام في امر الصدقات ، ووضع اساسها على ركن متين ، وقسمها الى قسمين قسم اوجبه على الموسرين وجعله حقا لاصناف من الفقراء ومن المصالح العامة وذلكم النظام هو الزكاة وقسم نفل رغبت فيه الشريعة ووعد عليه سبحانه الثواب العظيم وهو ما سوى الزكاة من الصدقات .

وفريضة الزكاة بالمعنى الاخص وقعت في السنة الثانية من الهجرة اوجبها الله على كل موسر ملك نصابا مقدرا حال عليه حول . فان قلت : فرضت الزكاة بالمدينة والآية مكية . قلت التي فرضت بالمدينة ذات النصب والمقادير الخاصة واما اصل الزكاة فكان واجبا بمكة ويؤيده آية سورة الانعام (وآتو حقه يوم حصاده) وهي مكية على ما قاله الحافظ ابن كثير . ولم يبين القرآن بالتفصيل الانواع التي تجب فيها الزكاة ولا المقدار الذي يجب اخراجه وانما تعرض لاصل الفرضية كقوله تعالى واقيمو الصلاة وآتوا الزكاة وتعرض لبعض الاصناف كزكاة الزرع في قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده وتعرض للمصارف التي تصرف اليها الزكاة في قوله تعالى : انما الصدقات للفقراء الآية .

واكثر الآيات القرآنية الواردة في الزكاة تدور حول الترغيب في فعلها والتحذير من التهاون بشانها والوعد لفاعلها بالاجر العظيم والثواب الجزيل قال تعالى وهو اصدق القائلين : ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم

٣

يحزنون ، كما وعدهم بالرحمة التي ما شملت عبدا الا نجته من الوقوع في المآثم. قال سبحانه ورحمتي وسعت كل شيء ساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة

وحذرت الموسرين من التواني عن ادائها لمستحقيها ويكفينا في الدلالة على عظم الخطر الذي يهدد مانعي الزكاة قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون)

ففي هذه الآية من الوعيد لمانعي الزكاة ما لو تبصره المسلمون لعلموا ان لا خير لهم في ذلك المال الذي يبخلون به وان عذاب الله لا مرد له (ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير) فكيف يبخل المرء باداء حق هذه عاقبة مانعه أما علم ان ذلك القدر المفروض هو حق الله فرضه للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم. ام كيف يسيغ لنفسه اكل الحقوق المفروضة ويظلم عباد الله المستضعفين . اما درى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم . حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم .

هذا وان نظام الزكاة من النظم الجليلة يرجع نفعها على الغني والفقير والمجتمع العام فالغني تحفظ الزكاة نفسه من طغيان المال فلا تنزع الى الشر ولا تنحدر الى هاوية الفخار والكبر (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) وتكسبه مودة الفقير الذي طالما انتفع بمواهبه فيعود له اعظم مخلص فيملكه باحسانه وعطفه اضف الى ذلك شعور النفس بنعمة المنعم عليها فتقوم بشكره على ما انعم . وتحصينا للنعمة التي انعم الله بها عليه قال صلى الله عليه وسلم : حصنوا اموالكم بالزكاة. وقد وعد الله من شكر نعمه بزيادة التفضل عليه قال تعالى : لئن شكرتم لازيدنكم

واما الفقير فبها تسد حاجته ويكون رحمة وعونا للغني على نوائب الدهر وفي ذلك تأليف لقلوب الفقراء الذين يرون انفسهم محرومين مما انعم الله به على المحظوظين ويذهب بحفاظ قلوبهم ويسلب منهم بواعث الحقد والحسد متى علموا ان اولئك الاغنياء قد جعلوا لهم جزءا من اموالهم ينالونه بدون تعب ولا عناء. ومن نتائج ذلك ابتعادهم عن المذاهب الاشتراكية المتطرفة المبنية على تطلع الفقراء لما في ايدي الاغنياء حتى ان قادتهم يصفون الاغنياء بالتلصص بدعوى انهم حصلوا على ثروتهم بطرق غير طبيعية

وأما مزيتها على المجتمع فلا تقل عن ذلك اذ بها تقع الطمانينة والامن وتقل الايدي العابثة والنفوس الشريرة التي تحركها الفاقة والبؤس لارتكاب الجرائم فتضعف الشرور وتقل اسباب الفساد وتقوى في الامة عاطفة الاخوة التي جاء بها الاسلام. الى غير ذلك من الفوائد الخاصة والعامة ويشهد لذلك ما بلغ اليه المسلمون في عصورهم الزاهرة عند ما كانوا للزكاة فاعلين : أذكر هذا والاسف يملا نفسي كيف زهد المسلمون في كل ما هو من مقومات الامة ورغبوا عن المحاسن التي امتاز بها هذا الدين الحنيف اما علمتم ان نيل السعادة لايكون بالتمنيات بل بما يقوم به المرء من الاعمال الخالدة وها انتم اولاء قد علمتم أن اهل الفلاح هم الذين في صلاتهم خاشعون وعن اللغو معرضون وللزكاة فاعلون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون . فليعمل كل على ما يحقق له هذه الاماني ، قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

محمد الشاذلي ابن القاضي

الحديث الشريف

خاتم النبيين

صلى الله عليه وسلم

وبالسند الى الشيخ الامام الحافظ ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي رحمه الله واثابه الى ان قال في كتاب الانبياء من جامع الصحيح :

باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن سنان حدثنا سليم حدثنا سعيد بن ميناء ابن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال النبيء صلى الله عليه وسلم : مثلي ومثل الانبياء كرجل بنى دارا فاكملها واحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابي صالح ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين اه

أورد الامام البخاري رحمه الله هذا الباب عقب باب اسماء النبيء صلى الله عليه وسلم الذي ضمنه حديث لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب . وفي رواية سفيان بن عيينه عند الترمذي وغيره وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي ، وهو بمعنى خاتم النبيين .

وكان ايراد الامام البخاري رحمه الله هذا الباب بعد الباب الذي ذكرناه متصلا به لبيان معنى العاقب

وقد نظم الحديث الشريف الاسماء الخمسة في سلك واحد ففتح لها المؤلف رحمه الله بابا يخصها ، وفتح لخاتم النبيين بابا يخصه وترجمه بقوله : باب خاتم النبيين .

وهذا الاسم المبارك من اسمائه صلى الله عليه وسلم ثبت في سورة الاحزاب : ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وفي حديث الباب وسياتي الكلام عليه ان شاء الله تعالى : وانا خاتم النبيين .

درس الختم الذي القاه صاحب الفضيلة العلامة النحرير الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي وامام جامع ابي محمد في شهر رمضان من عام ١٣٦٩ امام محراب الجامع وحضرة صاحب النعم سيدنا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية ووزراءه الفخام ورجال الدولة الكرام

واما اسمه صلى الله عليه وسلم صاحب الخاتم فقد فسره الدلجي في شرحه على الشفاء بنحو من هـذا قال لان الله ختم به انبياءه بشهادة خاتم النبيين وتعقبه الشهاب الخفاجي وملا علي قاري واقتصر الاول في بيان معناه على أنه صاحب خاتم النبوة وهو الذي كان بين كتفيه كزر الحجلة وبيضة الحمامة ، وذكر البخاري خبرا له بعد ثلاثة أبواب ، وزاد ملا علي قاري بعد أن ذكر هذا الوجه أنه بملبوس اليد انسب وذكر ان ما قاله الدلجي ليس في محله اذ تاباه اضافة الصاحب اليه وهو ظاهـر

جوز غيـر واحد في تاء خاتم الكسر والفتح وقد قرىء الخاتم في آية الاحزاب بالوجهين قراءة الجمهور بكسر التـاء وابن عامر وعاصم بفتحها ومفهوم القراءتين مختلف ومآلهما واحد وهو أنه صلى الله عليه وسلم آخر النبيين زمانا

قال البيضاوي : وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح فقوله الذي ختمهم يرجع الى قراءة الكسر واللفظ عليه اسم فاعل من الختم . وقوله او ختموا به يرجع الى قراءة الفتح واللفظ عليه اسم لما يطبع به كانه صلى الله عليه وسلم ختمهم اي طبعهم بنفسه فهـو في الاصل استعارة شاع وصار حقيقة

والنبيون جمع نبي وهو فعيل من النبا اعني الخبر الذي له شان بمعنى الفاعل او المفعول لانـه مخبر عن الله بما له شان او مخبر منه بما له شان ايضا وهو بالتشديد اكثر استعمالا وقيل هو من النبوة بمعنى الشرف والرفعة

قال السيد في تعريفاته : النبيء من اوحى الله اليه بملك او الهم من قلبه او نبـه بالرؤيا الصالحة فالرسول افضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة لان الرسـول هو من اوحى اليه جبريل خاصة بتنزيل الكتاب من الله اه كلامه وهو صريح في ان الالهام في القلب والتنبيه بالـرؤيا الصالحة قسيمان للوحي الذي يكون بواسطة الملك

وقد عرفوا الوحي بانه اعلام الله تعالى لنبي من انبيائه بحكم شرعي ونحوه

وعرفه بعض المتأخرين ممن كتب في التوحيد بانه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بانه من قبل الله بواسطة او بغير واسطة اه وفيه نظر وذلك أن الوحي الذي نحن بصدد تعريفه من صفات الافعال الآلهية والعرفان الواقع في التعريف صفة من صفات الموحى اليه فكيف يؤخذ جنسا في التعريف ، وقوله مع اليقين بانه من قبل الله ليس بفصل ولا خاصة للوحي لانه من صفات الموحى اليه ايضا والحق ان هذا تعريف لاثر الوحي لا للوحي الذي اسنده الله في كتابه الى نفسه في اكثر من آية

والوحي بالمعنى الذي ذكروه وهو الالهام ينتظم الانواع الثلاثة الواقعة في كلام السيد - ١ - ما كان بواسطة الملك - ٢ - وما كان إلهاما - ٣ - وما سبيله الرؤيا الصالحة - وفي الحديث الصحيح : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قال القزاز « ونقله عنه المازري في شرح

مسلم » من لبيان الجنس لا للتبعيض نعم هي كالوحي في الصحة ، وقال القاضي عياض الوحي انواع فيصح ان تكون للتبعيض ، وقال الابي رؤياه صلى الله عليه وسلم التي تقدمت الارسال ليست وحيا كما قاله القزاز ولكنها تشبهه في الصحة . والرؤيا التي هي وحي ما كان بعد النبوة اي كرؤيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أنه يذبح ولده

ثم ذكر بعد هذا انواع الوحي نقلا عن السهيلي وجملتها سبعة

الاول الرؤيا الصادقة كرؤيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أنه يذبح ولده

الثاني النفث في الروع « وهو بالضم القلب والخلد والخاطر » وفي الحديث : ان روح القدس « وهو جبريل عليه السلام » نفث في روعي أن نفسا لن تمت حتى تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب

الثالث ما كان يأتيه صلى الله عليه وسلم مثل صلصلة الجرس

الرابع تمثل الملك له رجلا كما يأتي جبريل عليه الصلاة والسلام نبينا صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي

الخامس ان يتراءى له صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها

السادس تكليم الله من وراء حجاب في اليقظة كما في ليلة الاسراء او في المنام ايضا

السابع ما ثبت عن الشعبي من طرق صحاح انه صلى الله عليه وسلم كان وكل به اسرافيل ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن هذا خلاصة ما قاله السهيلي ونقله عنه الابي في شرح احاديث بدء الوحي وكلامه صريح في ان تكليم الله من وراء حجاب في اليقظة او النوم من الوحي ، وهذا هو الذي صرح به غير واحد من المفسرين في قوله تعالى : انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيئين من بعده حتى قال وكلم الله موسى تكليما ، قالوا تكليم الله تعالى اعلى مراتب الوحي وخص بالذكر باسلوب يخالف ما قبله تنويها بشأنه

وفي آية الشورى : وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهي صريحة في ان الوحي من اقسام التكليم

وسبيل الجمع بين الآيتين والله اعلم ان التكليم — على ما قاله المحقق ابن القيم عند الكلام على المرتبة الثانية من مراتب الهداية العشر في مدارج السالكين — عام وخاص فالعام إيصال المعنى بطرق متعددة وهذا هو الواقع في آية الشورى : وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا والوحي بواسطة الملك قسم منه ، والخاص هو ما كان بغير توسط الملك وهو الواقع في آية النساء : وكلم الله موسى تكليما الا ان ابن القيم جعله قسيما للوحي الذي اعتبر فيه توسط الملك لا قسما منه كما عليه غير واحد

والذي يظهر والله اعلم ان الوحي ان اعتبر فيه كونه بواسطة الملك فالتكليم بالمعنى الخاص قسيم له وان لم يعتبر فيه هذا فالتكليم قسم منه

هذا ما سدد الله ان نقوله في بيان معنى هذا المركب (خاتم النبيين)

ونقل الكلام بعد هذا الى تحقيق القول في ختم النبوة بالنبيء صلى الله عليه وسلم على ما يسر الله وفيه خمسة مباحث

الاول في ان ختم النبوة به عليه الصلاة والسلام مما علم من الدين بالضرورة

الثاني في الجمع بين هذه العقيدة وبين ما ثبت من نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام آخر الزمان

الثالث في الجمع بينها وبين ما اقتضاه حديث : لو عاش ابراهيم لكان نبيا

الرابع في حكمة ختم النبوة بنبينا صلى الله عليه وسلم

الخامس فيما بقي من النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم

اما ان هذا الختم معلوم من الدين بالضرورة فاصله الادلة الصريحة القطعية ومنها آية الاحزاب : ولكن رسول وخاتم النبيين وحديث : وانا خاتم النبيين واجمعت على هذا الامة

قال ابن عطية « ونقله القرطبي في تفسير آية الاحزاب واقره » وما ذكره القاضي في الهداية من تجويز الاحتمال في الفاظها ضعيف ، وما ذكره الغزالي في الاقتصاد فالحاد وتطرق خبيث الى تشويش عقيدة المسلمين في ختمه صلى الله عليه وسلم النبوة فالحذر الحذر منه

قلت وهذا طعن على حجة الاسلام بما هو بريء منه يعلم هذا بالرجوع الى كلامه في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد وهو الذي يعنيه ابن عطية رحمه الله رحمة واسعة ، وهو كلام له في الرتبة السادسة من رتب التكذيب في الباب الرابع في بيان من يجب تكفيره من الفرق من هذا الكتاب وليس فيه ما يصلح ان يكون مستندا للطعن عليه بما يخالف العقيدة ،

وخلاصة كلامه اختيار تكفير من ينكر حجية الاجماع لان هذا الانكار ذريعة الى انكار ان النبيء صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو ثابت بالاجماع

فالغزالي رحمه الله يعتقد ان النبيء صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قطعا ويرى ان مستند هذا الاجماع وهو دليل قطعي ، فكيف يقال ان هذا الحاد وتطرق خبيث الى تشويش عقيدة المسلمين وينسب اليه القول بتجويز ان يبعث الله نبيا بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لان النبوة مكتسبة وهو قول المبتدعة وقد تبرأ الغزالي من هذه المقالة في كتبه كما قاله ابن بزيزة ونقل كلامه الابي في شرح حديث الشفاعة المطول

واما الجمع بين هذه العقيدة وعقيدة نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فللعلماء فيه طريقان معروفان

احدهما ان عيسى لم ينبأ بعد نبينا صلى الله عليه وسلم بل قبله اي ظهرت نبوته للناس قبل ظهور نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الثاني انه لا يحكم بشريعة جديدة عند نزوله بل بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم . واجاب العلماء عما اثبتته الاحاديث الناطقة بنزوله من انه يضع الجزية وهو تشريع جديد بان اخذ الجزية حكم موقت بنزوله ويحتمل كما في حواشي العقائد النسفية للخيالي ان يكون من انتهاء الحكم لانتهاء علته لانه يوحد الدين

(يتبع) محمد البشير النيفر

الوعظ والارشاد

تحريم الخمر في الشريعة الاسلامية

وفي الشرائع السابقة

بقلم العلامة النحرير الشيخ ابراهيم النيفر
المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

ان رجلا من جيشان (١) سال النبيء صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال امسكر هو قال نعم قال كل مسكر حرام . ان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يَسقيه من طينة الخبال . قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار) (٢)

الخمر كل شراب مسكر لغة وشرعا كان من العنب او من البهر او من الرطب او من الذرة او من الشعير وفي البخاري ومسلم وغيرهما ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر اما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة (القمح) والشعير . قال عمر : والخمر ما خامر العقل اي غطاه كالخمار الذي يغطي وجه المراة او خالطه فلم يتركه على حاله . وروى مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام .

وكل ما اسكر كثيره فقليله حرام فقد روى احمد وابن ماجة والدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما اسكر كثيره فقليله حرام فيدخل في ذلك الجعة وهي المعروفة (بالبيرة) لانه ثبت بالنقل الصحيح ان كثيرها مسكر فيحرم قليلها . ومن ذلك الخرز الذي سال عنه الرجل النبي صلى الله عليه وسلم وذكر انهم يتخذونه من الذرة . والذرة نوع من انواع الحبوب .

---

(١) جيشان من بلاد اليمن .

(٢) رواه مسلم في صحيحه واحمد في مسنده والنسائي في سننه عن جابر رضي الله عنه

حكم الخمر في الاديان السابقة

اتفق علماء الاصول على ان الله حرم كل ما اسكر في الاديان السابقة لاجماعهم على ان الكليات الخمس محترمة في جميع الاديان والملل واجب حفظها واحترامها لا يجوز اتلافها والعدوان عليها ومنها العقل فلم يبح الله تعالى في دين من الاديان اتلاف العقل واذهابه بشرب شيء ما . وفي نبوة اشعيا من العهد القديم (التوراة) : ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر للمتاخرين في القمة تلهبهم الخمر وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم . والى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون . لذلك سبي شعبي لعدم المعرفة وتصير شرفاؤه رجال جوع وعامته يابسين من العطش لذلك وسعت الهاوية (جهنم) نفسها وفغرت (فتحت) فاها بلا حد .

وقال في موضع آخر : ولكن هؤلاء ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر .

وفي رواية بولس من العهد الجديد (الانجيل) : لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة . ونص على ان السكيرين لا يرثون ملكوت السموات .

فالتوراة والانجيل ناطقان بتحريم السكر وذم السكير والنص على ضلاله . وذلك يؤيد ما نص عليه علماؤنا كما اشرنا اليه .

وانما لم تحرم الاديان السابقة القليل من الخمر الذي لا يصل الى حد الاسكار لما كان من افتتان البشر بها وانتفاعهم بتجارتها الرائجة الواسعة فمهدت الاديان بتحريم المسكر ولم تشدد في سد الذريعة بالنهي عن القليل . وحيث ان الاسلام آخر الاديان وختامها حرم الله تعالى القليل من الخمر وكثيره لان القليل يدعو للكثير والكاس الاولى تدعو الى الكاس الثانية والثانية تدعو الى الثالثة فيحصل السكر المحرم فسد الله الذريعة ومنع حتى ما لا يتلف العقل ويذهبه .

ولقد كان العرب في الجاهلية مولعين بشرب الخمر وتعاطيها . ولهم فيها تجارة واسعة وارباح طائلة وكانت لهم مجالس يعقدونها لشربها واوقات يتناولونها فيها وكانوا يشربونها صباحا ومساء . ويسمون شراب الصباح الصبوح وشراب المساء الغبوق . واشعارهم طافحة بذكرها . وقل في الجاهلية من لم يشربها . وقد عد العلماء من لم يذقها قبل تحريم الاسلام فكانوا قليلين . وقد اوصى قصي بن كلاب بنيه فقال لهم اجتنبوا الخمر فانها تفسد الاذهان وقيل لعدي بن حاتم : مالك لا تشرب الخمر فقال لا اشرب ما يشرب عقلي . وقيل له . مالك لا تشرب النبيذ قال معاذ الله اصبح حكيم قومي وامسي سفيههم . وقيل لعثمان بن عفان رضي الله عنه : ما منعك ان تشرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك فيها قال اني رايتها تذهب العقل جملة وما رايت شيئا يذهب جملة ويعود جملة وقد ثبت ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لم يشربها ايضا في الجاهلية اما النبيء صلى الله عليه وسلم فان العناية الربانية والحكمة التي اوتيها في حال صباه تمنعانه من ان يتناول منها قليلا او كثيرا

حكم الخمر في الاسلام

بقي المسلمون في صدر الاسلام يشربون الخمر وكان لهم بها ولوع كبير وقد اعتادوها ومن اعتاد شيئا صعب عليه فراقه فكان من الحكمة الا يقع تحريمها دفعة واحدة من اول وهلة بل يتدرّج في تحريمها شيئا فشيئا ولم ينزل تحريمها بمكة وانما حرمت سنة ثلاث من الهجرة بعد واقعة احد

فقد روي ان عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما وجماعة من الصحابة اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبان للعقل متلفان للمال فانزل الله هذه الآية : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) فتركها قوم لقوله : فيهما اثم كبير وشربها ءاخرون لقوله : ومنافع للناس ثم انه حدث ان بعض الصحابة صلى فقرا : قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون وكان ذلك بتاثير الشرب فنزل قوله تعالى : لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون . فحرمت في اوقات الصلوات فكان البعض يشربها بعد العشاء حتى نزل قوله تعالى : انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) فقال عمر : انتهينا يا رب

والحكمة في هذا التدريج أن الناس كانوا مفتونين بها فلو حرمت في أول الاسلام لكان تحريمها صارفا لكثير من المؤمنين عن الاسلام وعن النظر الصحيح المؤدي للاهتداء به لانهم حينئذ ينظرون بعين السخط فيرونه بغير صورته الجميلة . فكان من لطف الله تعالى وبالغ حكمته ان لم يحرمها الا بعد سنين فذكرت اولا في ءاية البقرة بما يدل على تحريمها دلالة ظنية فيها مجال للاجتهاد ليتركها من لم تتمكن فتنتها من نفسه فلذلك قال قوم نتركها لما فيها من الاثم والمراد من الاثم ما يترتب عليها من المخاصمة والمشاغبة وقول الفحش . وقال قوم نشربها لما فيها من المنافع

واختلف المفسرون في هذه المنافع فذهب قوم إلى أنها هضم الطعام والسخاء والشجاعة قال حسان :

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

واصح الاقوال في ذلك ان المنفعة مالية فانهم كانوا يجلبونها من الشام برخص ويبيعونها في الحجاز بالغلاء بارباح كثيرة وكانوا لا يرون المماكسة فيها

وكان قيس بن عاصم المنقري قد شربها فصدرت منه امور منكرة فلما أفاق أخبر بها فحرمها على نفسه وقال في ذلك :

رأيت الخمر صالحة وفيها خصال تفسد الرجل الحليما

فلا والله اشربها صحيحا ولا أشفي بها أبدا سقيما

ولا أعطـي بهـا ثمنـا حيـاتي ولا ادعـو لها ابـدا نـديمـا
فان الخمر تفضح شاربيهـا وتجنيهـم بهـا الامـر العظيما

ثم ان الله تعالى حرمها في الآية الثانية في الاوقات القريبة من الصلوات تحريما قطعيا . فلم يبق للمصر على شربها الا الاغتباق بهـا بعد صلاة العشاء والاصطباح بعد صلاة الفجر لمن لا عمل له ولا يخشى ان يمتد سكره الى وقت الظهر

ولما نقص المسلمون من شربها وقد قوي الدين ورسخ الايمان وحدثت وقائع راوا فيها اثم الخمر وضررها أنزل الله الآيـة الثالثة وقد قـرن الله تعـالى الخمر في الآية الثالثة بالميسر الذي هو القمار وهو عظيم المفسدة وبالانصاب وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها وبالازلام وهي قداح اي قطع رقيقـة من الخشب كانوا يستقسمون بهـا في الجاهلية لاجل التفاؤل او التشاؤم لزيادة التنفير منها وكفاك انها قرنت بالاصنام . ثم وصفها بعد ذلك بانها رجس والرجس اسم لكل مستقذر حسا او معنى . ثم جعلها بعد ذلك من عمل الشيطان . ثم أمر الله بطريقة الجزم فقال فاجتنبوه اي اجتنبوا هذا الرجس والامر للوجوب رجاء الفلاح والفوز بما فرض الله من تزكية النفوس . ثم أورد من سيئاتها وشرورها ومن سيئـات الميسر وشروره الدينية والدنيـوية ما سنأتي عليه عنـد الكلام على اضرارها . ثم أتى بصيغة الاستفهام المتضمن للامر فقال فهل انتم منتهون . قـال الزمخشري وهـذا من أبلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل ؟ انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا ! ؟ .

اما الحديث الذي صدرنا به مقالنا هذا فانه يقتضي ان من شرب الخمر في الدنيـا ولم يتب منها حتى مات فان الله يسقيه في الآخرة من طينة الخبـال وهي عرق اهل النار كما فسرت في الحديث او عصارة اهل النار . واعظم بذلك من ذلك .

آفـات الخمر

ان للخمر ءافات كثيرة اعظمها اذهاب العقل ، والعقل اشرف ما اوتيـه الانسان . ولو تفكر مريد شرب الخمر في حالته التي يئول اليها بالقياس على ما يراه من السكارى لما اقدم على ذلك . وكيف يكون حال شخص سلب عقله وزال ادراكـه فيختل توازن سيره ويصبح في الاسواق صاخبا مغنيا فتذهب مروءته وتزول حرمته عند الناس ويصير عنده الحسن قبيحا والقبيح حسنا . قال ابو نواس :

اسـقـني حـتى تـراني حسنـا عنـدي القبيـح

وقـال ايضـا :

اسـقـني صـرفـا حميـا تـتـرك الشيـخ صبـيـا
وتـريـه الـغي رشـدا وتـريـه الـرشـد غيـا

وروي ان سفينة غرقت فنجا بعض ركابها والقته الامواج على الساحل فرآه ملك من شرفة قصره فامر باحضاره وكساه وقربه اليـه فاذا هو عالم متفنن فاعجب به الملك وامر باحضار الشراب وناوله الكاس بيده فقال اعفني ايها الملك من ذلك فانه يعز علي ان يفارقني عقـلي الذي وصلت به الى هذه الدرجة حتى صرت جليسك .

ولا تسأل عن الحوادث التي تحدث من السكر فاغلب جنايات القتل والجرح والنهب والسرقة أثر من آثار الخمر قال الشاعر :

سآلة للفتى ما ليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال
اقسمت بالله (١) اسقيها واشربها حتى يفرق ترب القبر اوصالي

ومن سيآتها انها تضعف العقل شيئا فشيئا حتى يؤدي ذلك الى الجنون والاختبال ولله در عثمان رضي الله عنه حيث يقول ما رأيت شيئا يذهب ويرجع كله . فكلما سكر المرء ذهب عقله فاذا صحا لم يعد جميعه ثم هكذا في كل مرة حتى يذهب جملة

وقد قال بعض الاطباء : اغلقوا لي الحانات أضمن لكم اغلاق نصف المستشفيات والتكايا والسجون

وللسكير جناية على ذريته ايضا فان ابناءه ينشأون ضعاف الابدان ضعاف العقول وربما نشأوا معتوهين مجانين

وقد اشتهر أصحاب الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ وانهم اصدقاء الشخص ما استغنى فاذا افتقر نكروه وما عوفي فاذا مرض نسوه وما عمرت دنانه فاذا نزفت لم يروه قال الشاعر :

ارى كل قوم يحفظون حريمهم وليس لاصحاب النبيذ حريم
إخاؤهم ما دامت الكاس بينهم وكلهم رث الحبال سئوم
اذا جئتهم حيوك ألفا ورحبوا وان غبت عنهم ساعة فذميم

وقد ذكر الله من سيئاتها الاجتماعية امورا منها انها توقع العداوة والبغضاء بين الناس وذلك مشاهد بالعيان فان شارب الخمر اذا سكر فقد عقله الذي يعقل الانسان اي يمنعه من الاقوال والاعمال القبيحة التي تسوء جلساءه ويستولي عليه حب الفخر الكاذب ويسرع اليه الغضب بالباطل

كما ذكر الله من سيئاتها الدينية انها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وذلك مشاهد ايضا فان السكر يصرف صاحبه عن ذكر الله وهو روح الدين وعن الصلاة وهي عماد الدين وكيف يمكن للسكران وقد زال عقله ان يذكر ربه ويتفكر في خلق السماوات والارض ويعتبر في ملكوت الله ويقول ربنا ما خلقت هذا باطلا ومن أين له ان يقيم الصلاة التي هي ذكر لله مع زيادة اعمال تؤدى بنظام يعبد بها الرب سبحانه ويؤدى بها شيء مما يجب من شكره سبحانه . ولله در الشاعر اذ يقول .

تركت النبيذ واصحابه وصرت خدينا لمن عابه
شراب يضل سبيل الرشاد ويفتح للشر ابوابه

ويروى ان الوليد بن عقبة بن ابي معيط شهد اهل مكة عليه انه صلى بهم الصبح ثلاثا وهو سكران ثم التفت اليهم فقال ان شئتم زدتكم فجلده علي بن ابي طالب وفي ذلك يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم ليزيدهم خيرا ولا يدري
ليزيدهم خيرا ولو قبلوا لجمعت بين الشفع والوتر
كبحوا عنانك اذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري

ابراهيم النيفر

(١) على حذف حرف النفي اي لا اسقيها ولا اشربها

الفتاوى والاحكام

من المجلة الى قرائها

ورد على ادارة المجلة اسئلة شرعية يطلب اصحابها الاجابة عنها على صفحات المجلة فاثبتها مع اجوبتها للعلامة النحرير صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

س ـ (١) هل يحكم بالردة على من يشتم الدين من غير قصد وهل يعذر بجهله ؟

س ـ (٢) واذا حكم عليه بالردة فهل تطلق المرأة الشاتمة طلاقا بائنا او رجعيا ؟

س ـ (٣) هل يجوز للمرأة المفاهمة مع رجل اجنبي عنها في امر من الامور مكشوفة ؟

س ـ (٤) هل يجوز للاخ ان يتزوج امرأة طلقها اخوه ؟

س ـ (٥) ما هو حكم الله في حلق اللحية ؟

س ـ (٦) هل يجب قضاء الصوم على من افطر في شهر رمضان لعذر المرض اذا زال سبب الفطر او يسقط المرض عنه وجوب القضاء ؟

الجواب عن السؤالين الاول والثاني

يتلخص الكلام في الجواب عن السؤالين في نقط اربع (١) شتم الدين ردة ام لا (٢) وهل ينظر فيه الى القصد (٣) وهل يعذر فيه بالجهل (٤) وهل الطلاق اللاحق للمرأة الشاتمة على تقدير ردتها طلاق بائن او رجعي

شتم الدين ردة

شتم الدين او سبه بما يجري على السنة السفهاء وفاقدي الوازع الديني من لعن ونحوه لم ينص عليه المتقدمون من اصحابنا فيما نعلم اذ لم يكن معروفا عندهم ولذا خرجه بعض المتأخرين على الاستخفاف بالدين ورأوا السب اولى بان يحكم على صاحبه بالردة من المستخف ، ففي فتاوي الشيخ محمد عليش المالكي المصري المتوفى سنة ١٢٩٩ انه سئل عمن جرى على لسانه سب الدين من غير قصد هل يكفر اولا بدمن القصد اولا يكفر ... فاجاب بما نصه ... نعم ارتد لان السب اشد من الاستخفاف وقد نصوا على انه ردة فالسب ردة بالاولى اه من الجزء (٢) من فتاواه ص ٢٦٩ طبع المطبعة الكبرى الميرية سنة ١٣٠١

وتحقيق القول في هذا ان الردة كما قال الشيخ ابن عرفة : كفر بعد اسلام تقرر ، ونقل في مختصره الفقهي عن ابن شاس ان ظهور الردة اما بالتصريح بالكفر او بلفظ يقتضيه او بفعل يتضمنه ، وقفي على اثره مبينا له بقوله : قلت قوله لفظ يقتضيه كانكار غير حديث الاسلام وجوب ما علم من الدين وجوبه بالضرورة وقوله بفعل يتضمنه كلبس الزنار والقاء مصحف في النجاسة والسجود للصنم وغير ذلك اه كلامه

فالمستفاد من هذا ان ظهور الردة - ١ - اما بالتصريح بالكفر بان يقول هو كافر او على غير ملة الاسلام - ٢ - او بلفظ يقتضيه كانكار وجوب ما علم وجوبه من الدين بالضرورة . ويرجع اليه ما صرح به غير واحد من الفقهاء ان من قال قولا تنقص به الدين او تناول به من يجب تعظيمه شرعا بما لا يتفق مع مقامه الرفيع فقد خلع ربقة الاسلام ويرجع اليه ايضا من تناول الدين بما وقع في سؤال السائل - ٣ - او بفعل يقتضيه كان يفعل بالمصحف الشريف ما يعد اهانة

وقريب مما قال ابن شاس ما قاله القاضي ابوبكر الباقلاني معتمدا له ونقله عنه القاضي عياض في الشفاء وابن راشد القفصي في الافائق واقراه ونحوه للقرافي قواعده وحاصله ان الكفر لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى الثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر . . . او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى اه

فتلخص مما قاله هؤلاء الاعلام ان السب بمعناه المسئول عنه يرجع الى القسم الثاني من الاقسام الثلاثة فهو ردة نعوذ بالله تعالى

النظر الى قصد الشاتم

وقع في عبارة السائل انه هل يحكم بردة من يشتم الدين من غير قصد ووقع مثل هذا في السؤال المرفوع الى الشيخ عليش رحمه الله فقال في جوابه : وفي المجموع « للشيخ الامير » ولا يعذر بجهل وزلل لسان اه

وقد افتى الشيخ ابن ابي زيد في رجل لعن رجلا ولعن . . . . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقال انما اردت الشيطان فزل لساني أفتى بانه يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وهو فيما بينه وبين الله تعالى معذور ، نقله ابن راشد في الطرف الاول من الفصل الاول من الباب الاول فيما يتعلق بالاديان من كتابه الافائق

وتكرر نقل القاضي عياض للقصة والفتوى في الشفاء ومما قال مما يتصل بالموضوع : اذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان اه

وفي مختصر الشيخ خليل في باب الردة : او غض من مرتبته « صلى الله عليه وسلم » أووفور

عقله او زهده او اضاف له ما لا يجوز عليه او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم اهـ ثم قال فيما بعد على وجه المبالغة : وان ظهر انه لم يرد ذمه لجهل او سكر او تهور اهـ فصرح بان القصد لا يعتبر قال الزرقاني في شرحه ما نصه :اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ، وما ذكره المصنف هنا من المبالغة هو المعول عليه دون قوله قبل على طريق الذم فان مفهومه غير معول عليه اهـ

فتحصل من كلام هؤلاء الاعلام ان المعتبر اللفظ دون القصد وهو الذي يظهر من كلام اكثر العلماء « فيما علمنا » اعتماده . وفي الحاوي للبرزلي ما يقتضي اعتبار القصد في فتويين لابن رشد وابن الحاج

العذر بالجهل

واما العذر بالجهل ففيه خلاف قال الخرشي في كبيره في باب الردة ما نصه : فمن لبس برنيطة اليهودي جاهلا ان تلك ردة فانه يكون مرتدا على القول بانه لا يعذر في موجبات الردة بالجهل اهـ والذي يظهر من كلام فقهائنا اعتماده عدم العذر بالجهل وقد تقدم النقل عن القاضي عياض في الشفاء انه لا يعذر به ، وفي المختصر بعد ذكر مسائل موجبة ردة صاحبها : وان ظهر انه لم يرد ذمه لجهل أو سكر او تهور اهـ قال شارحه الزرقاني : اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة اهـ وسلمه البناني والرهوني وقنون ، وليس في شرحي الشبرخيتي والتتائي ولا الخرشي في كبيره وصغيره ما يخالف هذا ، ويستثنى من عدم عذر الجهل انكار حديث العهد بالاسلام ما علم من الدين بالضرورة .

طلاق المرأة الشاتمة للدين بائن أو رجعي؟

علمت ان شتم الدين ردة وعلمت ما يتعلق باعتبار القصد ، واذا كان الشتم ردة بطلت به العصمة التي احكم العقد وثاقها بين الزوجين ، قال الشيخ ابن أبي زيد في الرسالة : واذا ارتد أحد الزوجين انفسخ النكاح بطلاق وقد قيل بغير طلاق اهـ قال الشيخ ابن ناجي في شرحه عليها : القول بان الردة طلقة يريد بائنة هو مذهب المدونة وهو المشهور ، والقول بانه فسخ قاله مالك وابن الماجشون ، وبقي عليه قول ثالث بانه يلزمه طلقة رجعية فيكون احق بها اذا رجع الى الاسلام في العدة قاله ابن الماجشون ايضا وسحنون والمغيرة وهو مذهب المدونة في كتاب أمهات الاولاد في بعض الروايات والرابع وهو إن رجع الى الاسلام فلا شيء عليه حكاه ابن يونس .... والفتوى عندنا بافريقية بقول سحنون اهـ فتلخص ان الاقوال اربعة والمشهور ومذهب المدونة ان الطلاق بائن وأن الذي به الفتوى على ما حكاه ابن ناجي أنه رجعي وهو احد قولين لابن الماجشون ومذهب المدونة في كتاب أمهات الاولاد ومذهب المغيرة وسحنون .

الجواب عن السؤال الثالث

يتلخص الكلام في الجواب عن هذا السؤال في نقطتين (١) كشف المرأة وجهها لاجنبي غير محرم (٢) وحديثها معه

أما كشف المرأة وجهها ومثله كفاها فحرام عليها مع خوف الفتنة أو قصد اللذة ويجب عليها والحالة ما ذكر ستر وجهها وكفيها . وما ذكرنا من الوجوب هو الذي لابن مرزوق في اغتنام الفرصة

قائلا : إنه مشهور المذهب . ونقل الحطاب عن القاضي عبد الوهاب الوجوب ايضا ، ومقابله أن ذلك لا يجب عليها ولكن على الرجل غض بصره . نقل هذا كله الشيخ البناني في حواشيه على الزرقاني في بحث ستر العورة .

والمراد من الاجنبي الاجنبي المسلم واما غيره فعورة المسلمة معه جميع بدنها فيجب عليها ستره كله ولو مع عدم خوف الفتنة أو قصد اللذة .

واما حديثها معه فقد نص غير واحد من فقهائنا على ان رفع المرأة صوتها عورة وانبنى على هذا اشتراط الذكورة في المؤذن . وفي المدونة : وليس على المرأة أذان . قال ابن يونس لان صوتها عورة قال ابن هارون الصواب ان يقال لان علو صوتها عورة ، ونحوه لابي مهدي عيسى الغبريني قال الشيخ ابن ناجي في شرح المدونة واعترضه « أي قول ابن يونس » شيخنا أبو مهدي بان الصواب ان يقول لان رفع صوتها عورة لرواية الصحابة عن غير أمهات المؤمنين قال وقاله ابن هارون قال ابن ناجي وقد يقال إن هذا لضرورة التعليم وكذلك يجوز بيعها وشراؤها اه

فرفع صوتها عورة بالاتفاق ، وحديثها لضرورة التعليم وللبيع والشراء ونحوهما جائز بلا رفع صوت

الجواب عن السؤال الرابع

حرم الله من النساء سبعا بالقرابة وسبعا بالرضاع والصهر وهن المذكورات في الآية من سورة النساء من قوله حرمت عليكم أمهاتكم إلى قوله والمحصنات من النساء ونهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تنكح المرأة على عمتها وعلى خالتها والنهي للتحريم وليست مطلقة الاخ بواحدة من هؤلاء فيحل للاخ ان يتزوج مطلقة اخيه .

الجواب عن السؤال الخامس

قال الحطاب في شرح قول الشيخ خليل من باب فرائض الوضوء ولا يعيد من قلم ظفره أو حلق رأسه وفي لحيته قولان ما نصه : الرابع « أي التنبيه الرابع » وحلق اللحية لا يجوز اه وفي شرح الاجهوري في المبحث المذكور ما نصه : وأما حلق اللحية أو الشارب أو العنفقة فحرام اه وحكى الشيخ ابن عمر الاتفاق على حرمة حلقها ولكن في شرح الشيخ عبد الباقي نقلا عن جده الشيخ احمد حكاية قولين بالحرمة والكراهة . وحكى القول بالكراهة الابي عن عياض في شرح صحيح مسلم عند الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم : أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى . فالقول بالكراهة موجود ولكن المعول عليه القول بالحرمة .

الجواب عن السؤال السادس

لا يسقط المرض وجوب القضاء وعلى من أفطر من أجله القضاء اذا صح وقد قال الله تعالى : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر والمعنى والله اعلم فالواجب عدة أو فعليه عدة أو نحو من هذا مما يدل على الوجوب كما يؤخذ من كلام المفسرين . فالواجب على المريض اذا زال مرضه ان يقضي عدة الايام التي لم يصمها في رمضان .

محمد البشير النيفر

سؤال — هل يجوز بيع الخنزير والاتجار فيه من المسلم ؟

الجواب

بقلم العلامة تحرير صاحب الفضيلة الشيخ
سيدي محمد الطاب بوشناق المفتي الحنفي

أجمع الفقهاء على ان بيع الخنزير باطل لا ينعقد باصله ولا بوصفه وذلك لانه نجس العين لا يحل الانتفاع به بوجه من الوجوه وقالوا في قوله تعلى (قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا اولحم خنزير فانه رجس) الضمير في قوله فانه عائد على المضاف اليه وهو لفظ خنزير وان احتمل ان يعود على المضاف الا ان الاول اولى للاحتياط وانما خص اللحم بالذكر لانه اهم ما يقصد من الانتفاع به كما قال تعلى (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) فخص البيع بالنهي لانه اعظم ما يبتغى عندهم والمراد النهي عن جميع الامور الشاغلة عن الصلاة . واذا ثبت ان الخنزير بجميع اجزائه رجس لا يحل الانتفاع بشيء منه لنجاسته تبين انه لا معنى لبيعه اذ القصد من البيع الانتفاع بالمبيع وكل عقد لا تترتب ثمرته عليه فهو فاسد ويدل ايضا على عدم صحة بيعه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم يحملوها فباعوها فاكلوا ثمنها . والحاصل ان بيع الخنزير والاتجار فيه باطل غير مشروع بين المسلمين وبين المسلم وغيره والله اعلم

حكم القاضي في وقف جعل الامير النظر فيه لقاض آخر

قال العلامة المبرور الشيخ احمد كريم شيخ الاسلام في عصره رأيت بخط شيخنا شيخ الاسلام سيدي محمد بن الخوجه ما نصه :

ارسل امير العصر الى الشيخ القاضي المالكي في شان نازلة ان يحكم في وقف قلد واقفه مذهب ابي يوسف . وقبل ان تصل التذكرة الى القاضي المالكي تروفع لدى القاضي الحنفي في ذلك الوقف وحكم بصحته فهل يتحصن هذا الوقف بهذا الحكم او لا يتحصن ؟

اجاب عن ذلك العلامة الشيخ سيدي اسماعيل التميمي بما حاصله : ان كان المقصود من التذكرة رفع الحجر السابق عن القاضي المالكي مع بقاء النازلة على حكم الطالب والمطلوب فقد تحصن وإن كان المقصود منها مع ذلك الحجر على القاضي الحنفي حسبما صرح به الامير سيدي حسين باشا حين ساله عن ذلك العلامة شيخ الاسلام سيدي محمد المحجوب في نازلة الحدري فانه لا يتحصن وذلك لان الحكم الصادر عن القاضي الحنفي قبل ان يبلغه عزله قيل ينفذ وقيل لا ينفذ وقيل بالتفصيل بين ما اذا علم المحكوم له بالعزل فلا ينفذ وبين ما اذا لم يعلم فينفذ وحينئذ فلا يتحصن ذلك الوقف الا اذا صار ذلك الحكم نازلة وحكم بصحته وبدونه لا يتحصن كيف وللقاضي المالكي أن يجري على القول بعدم النفوذ فيلغى الحكم الحنفي ولا يكون عاملا عنده . قال ومذهبنا معاشر الحنفية على ما صرح به صاحب البحر بقوله في كتاب القضاء فاذا عزله أي القاضي السلطان لا ينعزل ما لم يصل اليه الخبر كالوكيل وعن أبي يوسف لا ينعزل ما لم يات قاض آخر صيانة لاموال الناس عن تعطيل قضاياهم الى ان قال وينبغي ان الخصم لو علم بعزله ولم يعلم القاضي لا ينفذ حكمه لعلمه أنه غير حاكم باطنا ولم أره هذا كلامه رحمه الله . وللمسالة التفات الى القاعدة الاصولية وهي أنه اذا ورد الامر بعد الحضر يحمل على الاباحة اه من خط الشيخ ابن الخوجه رحمه الله قال الشيخ احمد كريم قلت : لي في قوله كيف وللقاضي المالكي الخ نظر من حيث ان ذلك لو كان القاضي مجتهدا اما المقلد فلا لاسيما المقيد بمشهور المذهب اللهم الا ان يكون ذلك القيل هو مشهور مذهبه تأمل . اه

احمد كريم

عبادة الرسول

وعصمته قبل البعثة

اقام رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في هذه الدنيا ثلاثة وستين عاما ، قضى منها اربعين حولا قبل ان يبعثه الله رسولا ، وقضى بقية السنين رسولا الى العالم ، وداعيا الى الحق ، وسراجا منيرا ، وقد كان صلى الله عليه وسلم في جميع ادوار حياته مثال الكمال ، شريف الشمائل والخصال ، متأدبا بالآداب السرمدية ؛ مفصحا بذلك حاله كما افصح عنه مقاله اذ يقول : ادبني ربي فاحسن تاديبي .

كرمت نفسه فما يخطر السو ء على قلبه ولا الفحشاء

فكان صلى الله عليه وسلم من أول نشاته وفي حال طفولته ذا عقل راجح ونفس كريمة ، وخصال نادرة المثال ، ينظر الى حال قومه وما هم عليه نظرة الناقدة البصير ولا تحدثه نفسه الطاهرة بشيء مما كان عليه قومه في الجاهلية ولا ما اعتادوا سلوكه في حياتهم لا فيما يعبدون ، ولا فيما يقيمونه لهياكلهم من الاعياد والاحتفالات ، ولا يحضر مواكبهم وافراحهم ، متجنبا اقذارهم ومعايبهم ، بحسب ما آل اليه شرعه العزيز ، وذلك كله تاهيلا له عليه الصلاة والسلام لما يريد الله تعالى به من كرامته ، حتى صار احسنهم خلقا ، وابعدهم عن الفحشاء .

حفظ الله له

ولنقص من انباء الرسول ما يصلح ان يرشدنا الى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم مع قومه في الجاهلية وقبل البعثة وكيف حفظه الله تعالى منذ شبابه مما كان عليه اهل الجاهلية . فهذا ابن اسحاق يحدثنا عن اصلاح ابي طالب لبئر زمزم وكيف كان صلى الله عليه ينقل الحجارة وهو غلام . فاخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما افاق ساله ابو طالب عما اصابه فقال اتاني آت عليه ثياب بيض فقال لي : استتر وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك عند بنيان الكعبة . فقد اخرج الشيخان البخاري وسلم عن جابر رضي الله عنه : قال لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه العباس ينقلان الحجارة ، فقال له العباس : اجعل ازارك على عاتقك من الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم فخر الى الارض ، وطمحت (اي انبسطت) عيناه الى السماء ثم قام ، فقال ازاري فشد عليه ازاره (فحفظه الله من ان تبدو سوأته مكشوفة للعيان

وكذلك حفظه الله من عبادة الاوثان والقرب منها والتمسح عليها مما كان عليه اهل الجاهلية فقد روي عن علي كرم الله وجهه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط ؟ قال : لا .

فقالوا هل شربت خمرا قط ؟ قال : لا . وكذلك اخرج ابن سعد في الطبقات وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثتني ام ايمن قالت : كان لقريش صنم يحضرون عنده يوما في السنة ، وكان ابو طالب يحضره مع قومه ، وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى صلى الله عليه وسلم . قالت : حتى رأيت ابا طالب غضب ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ اشد الغضب وجعلن يقلن له انا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ، ويقلن له : ما تريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا ، ولا تكبر لهم جمعا ، ثم لم يزالوا به حتى ذهب ، فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقال له عماته ما دهاك ؟ قال : اني اخشى ان يكون بي لمم (أي مس) فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان ، وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رايت ؟ قال : اني كلما دنوت من صنم منها ، تمثل لي رجل ابيض طويل يصيح بي : دونك يا محمد لا تمسه ، قالت أم ايمن فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم :

واخرج الامام احمد عن عروة ابن الزبير قال حدثني جار لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لخديجة (يعني قبل الرسالة) اي خديجة والله لا أعبد اللآت ابدا . والله لا اعبد العزى ابدا .

فهذه الروايات كلها تثبت لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عصمه الله من عبادة الاوثان والقرب منها والتزلف اليها بالقرابين مما كان عليه قريش في الجاهلية

عصمة الرسل من الكفر بالله

لقد علمنا ان النبوة والرسالة لا يسبقهما الكفر والاشراك بالله تعالى وقد انعقد على ذلك الاجماع فالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون من ذلك قبل البعثة ، وبالاحرى بعدها . قال القاضي ابوبكر الباقلاني : الذي صح عند اهل الاخبار والتاريخ انه لم يبعث من اشرك بالله طرفة عين ، ولا من كان فاسقا فاجرا ظلوما ، وانما بعث من كان تقيا زكيا امينا مشهور النسب حسن التربية اهـ كل ذلك تاهيلا له لمقام الرسالة . وفي كتب السيرة نقلا عن الماوردي عن الشعبي : ان الله قرن اسرافيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن . فعدوا ذلك من المبشرات . وحيث علمنا ان الرسول الله قد خالف قومه في معتقداتهم بقي علينا ان نعلم صفة عبادته قبل البعثة الواردة في الاخبار .

عبادة الرسول قبل البعثة

اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عبادته متنوعة فقد كان يطوف بالكعبة ويقف بعرفات ويتحنث في غار حراء وعلى الخصوص في شهر رمضان لكن هناك شيء من الغموض في صفة عبادته في حراء فما هو حراء ؟ واي شيء التحنث ؟ وكيف كانت عبادته صلى الله عليه وسلم فيه ؟ فاقول والله المستعان :

ان حراء بالمد والقصر جبل على ثلاثة اميال من مكة مشرف على الكعبة على يسار الذاهب الى منى وبه غار صغير طوله اربعة اذرع وعرضه ذراع وثلث ذراع من جهة واقل من ذلك من جهة اخرى .

واما التحنث فيحتمل ان يكون بمعنى التحنف وهو متابعة الحنيفية وهي دين ابراهيم الرسول عليه الصلاة والسلام . وابدال الفا ثاء شائع في الاستعمال العربي . او يكون التحنث بمعنى تجنب الاثم فهو من الافعال الدالة على السلب . وهذا المعنى وان ذكروه في تفسير التحنث لكنه يبعده السياق . وهذان الوجهان في تفسيره ادى اليهما الابهام الذي نحن عليه في ادراك صفة عبادته صلى الله عليه وسلم . وغاية ما علمنا من طرق كثيرة صحيحة كلها متفقة على انه كان يخرج صلى الله عليه وسلم الى حراء ويتحنث فيه . من ذلك ما جاء في الصحيحين البخاري ومسلم من قوله صلى الله عليه وسلم : جاورت بحراء شهرا وفي رواية ابن اسحاق هو شهر رمضان . وفي الصحيح من رواية البخاري وغيره عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت : اول ما بدئى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة وفي رواية الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع اليه اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء . الحديث . والليالي ذوات العدد بايامها عبر بذلك على طريق التغليب وذكر ان عددها مختلف مرة ثلاثة ومرة سبعة ومرة شهرا فهذه الروايات وغيرها لم يذكر فيها نوع التحنث الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم عند ما يجاور بحراء

اراء العلماء في عبادة الرسول في حراء

قال السراج البلقيني لم يجيء في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده صلى الله عليه وسلم في غار حراء

وذكر بعضهم ان تعبده صلى الله عليه وسلم كان بالتفكر والانقطاع عن الناس .

قال المهلب فيما نقله عنه ابن حجر ان الله بغض للنبيء صلى الله عليه في حال نشاته الاوثان وحبب اليه خلال الخير ثم لزم الوحدة فرارا من قرناء السوء (وهذا القول كانه يرجح الوجه الثاني في تفسير التحنث وهو تجنب الاثم على معنى تجنب قومه) فلما لزم ذلك وهب له النبوة كما يقال (الفواتح عنوان الخواتم اهـ

فكلام المهلب لم يجعل في خلوته صلى الله عليه وسلم عند جواره بحراء عبادة غير ان الفيروزابادي نقل في سفر السعادة ان عبادته صلى الله عليه وسلم في حراء كانت بالذكر وصحح هذا القول واختاره وزيف القول بانها كانت مجرد تفكر

وقيل كان صلى الله عليه وسلم يعبد الله على ما وصله من الحنيفية السمحة دين ابراهيم ممن كان يتأله من قومه فيعبد الآها واحدا وهو اختيار الشيخ محي الدين ابن العربي حيث يقول : تعبد

صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بشريعة ابراهيم حتى فاجاه الوحي وجاءته الرسالة. فهذا ان صح يصلح ان يكون مرشدا لنا عن خصوص عقيدته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة والطريقة التي كان يسلكها في عبادته عند جوارة بحراء لكن بصفة اجمالية بالنسبة لنوع العبادة وصفتها

بقي علينا وجه تخصيص ذلك المكان وهو حراء بالتحنث دون سواه ؟ ولو قيل لانقطاعه وصلوحيته للتعبد يقال عليه ان الاماكن التي من هذا النوع كثيرة فهل ذلك جاء عفوا ومن غير سبب اوله اصل. نقل اصحاب التواريخ كابن الاثير وغيره ان اول من خرج الى حراء من قريش عبد المطلب وكان خروجه في رمضان ويكثر الصدقات حتى عرف بذلك فصار يقصده ذووا الحاجة في ذلك المكان اذا دخل رمضان حتى صار لهذا الغار ذكر وعرف بانه محل التبتل.

وهذا زيد بن عمرو يخرجه عمه من مكة فيتخذ حراء مقرا له

هذا وقد روى لنا اصحاب التواريخ ايضا ان المتألهين(١) من قريش الذين يعبدون الاله الاحد كانوا يقصدون حراء لعبادتهم ايضا فظهر بهذا كله وجه تخصيصه صلى الله عليه وسلم هذا المكان لتحنثه

عبادة الرسول بالطواف والوقوف بعرفة

واما طوافه صلى الله عليه وسلم بالكعبة ووقوفه بعرفات فقد جاء من بعض الطرق ان النبيء صلى الله عليه وسلم كان اذا قضى جوارة من حراء اول ما يبدأ به الذهاب الى الكعبة فيطوف بها اشواطا. واما عبادته في عرفة فقد نقل ذلك السيوطي في كتابه الخصايص من طريق ربيعة القرشي قال: رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا في الجاهلية بعرفات فعرفت ان الله وفقه لذلك النسك فهاتان الروايتان تبينان لنا نوعا آخر من عبادته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة في شيء من الوضوح.

فالرسول صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله تعالى مما كان عليه اهل الجاهلية من عبادة الاوثان وفطرة على توحيد الله تقدس سبحانه عن الشريك والنظير. اذ كان عليه الصلاة والسلام مفطورا على ذلك منذ نعومة اظفارة فلم تؤثر في نفسه التي طهرها الله تلك المبادي التي عرف بها قريش في عقيدتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان.

محمد الشاذلي ابن القاضي

---

(١) ذلك أن قريشا كانت في الجاهلية أشركت بالله الواحد الاحد وعكفت على اصنام لها كل بطن له صنمه الذي يتزلف اليه وسلم من هذه العقيدة الوثنية نفر قليل فارقوا قومهم فتركوا الاوثان والميتة وما يذبح على النصب. وهؤلاء النفر منهم ورقة ابن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمة أميمة وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل، فهؤلاء لم يرضوا بما يفعله قومهم ومنهم من التمس الحنيفية السمحة دين ابراهم عليه السلام وكان رابعهم (في العد) زيد بن عمرو ابن اخي الخطاب لامه والد سيدنا عمر يوبخ قريش ويقول لهم: والذي نفس زيد بيدة ما أصبح أحد منكم على دين ابراهيم غيري وبالغ في انكارة على قريش حتى ضاق بهم ذرعا. هنالك أجبرة عمه الخطاب على مبارحة مكة خشية ان يفتن الناس في زعمه وسكن بحراء ووكل به عمه من يمنعه من الدخول الى مكة فبقي هنالك ردحا من الزمن يعبد الله على ما يعلم من ملة ابراهيم ثم غادر حراء وخرج يطلب الحنيفية يسال الاحبار والرهبان عن ذلك، ومازال يتنقل من بلد الى آخر حتى اذا كان ببلد لخم عدوا عليه وقتلوه.

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

تاريخ ابواب تونس

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

لقائل أن يقول عند قراءة هذا العنوان ما هي فائدة التعريف بابواب مدينة تونس وقد تناولها القلب والابدال بل وبعضها عفت رسومه منذ ازمان والبقية الباقية منها لهذا الزمان هي اسماء بدون مسميات. والجواب ان موضوع الحديث قاصر على خدمة التاريخ اي عما له علاقة باخبار الازمنة الماضية فلا اعتبار حينئذ لكون الابواب التي سنطرق خلقاتها ستكون مجيبة للنداء على حد قول الشاعر :

حسبي من الاسراع نحوك انني كنت الجواب عن السؤال المقبل

ام ستبقى صامتة على حد قول الآخر :

لقد ناديت لو اسمعت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولا حاجة بنا لاكثار الكلام من هذه الناحية الفلسفية فالشيء الذي حفظه التاريخ لا يمحوه كر الزمان وهذه ابواب تونس مسقط راسنا هي منافذ الدخول اليها في الازمان الغابرة والحاضرة فلاجل الاحتفاظ باسمائها وان غابت عنا اعيانها كلها او جلها كتبنا هذه النبذة التي جمعنا شتاتها من مختلف المصادر المعروفة وغير المعروفة لتكون مرشدا وبيانا لاهل الاجيال القابلة وهذه الطريقة هي الروح الحية التي كانت ولا تزال تتخبط بين جنبي التاريخ وجنبا التاريخ هما دفتا كتبه المتداولة بين الناس في كل زمان ومكان .

وليتصور القاري الموضوع الذي قصدنا البحث فيه لا بد له ان يتصور في البداية كون مدينة تونس كانت محاطة باسوار وفقا لنظم تحصين المدائن في العصور الغابرة بسائر جهات المعمور وليكن لنا عبرة من ذلك في سد ذي القرنين وما اقيم قبله وبعده من السدود وليست السدود الا اسوارا وانما الخلاف في التسمية لا في المسمى. ولا شبهة في كون تلك النظم بعنوان التحصين مما اخنى عليها الدهر لتغلب المخترعات الحديثة وظهور علوم جديدة لم تكن فى الحسبان منها علم الميكانيك الذي من متفرعاته الحصون المتنقلة السابحة على امواج الفضاء بين السماء والارض . وهذا كله مع غيره مما

نشاهده ونسمعه في كل صباح ومساء مما يجعلنا في غنى عن البحث في صلوحية الاسوار وعدمها انما الشيء الجدير بالذكر هنا هو انحاضرة تونس كانت مسيجة بسور من تراب اقامه حولها الامراء الاغالبة في أوائل المائة الثالثه للهجرة وهذا السور تناوله التجديد مرارا في القرون التالية ولقد حفظ التاريخ في هذا المقام منقبة جليلة لولي الله سيدي محرز بن خلف عماد البلد واهلها يسمونه « سلطان المدينة » حيث كان من العاملين على تشييد سور تونس في المائة الرابعة ويقول المؤرخ الشيخ ابن ابي دينار في المونس ان هذا السور المحرزي عفت رسومه عند ظهور الدولة الحفصية لان السلاطين الحفصيين جددوا اسوار تونس عاصمة ملكهم وجعلوها بالحجارة والبناء المرصوص وهكذا استرسل حال الاسوار التونسية حول العصور الى عهد الدولة الحسينية السعيدة ففي مدتهم خلد الله ملكهم كثرت تحابيس اهل الخير على اسوار تونس قياسا على صنيع اهل العصر الحفصي وكانت اغلب تلك التحابيس الباقية ءاثارها لهذا الزمان هي معاصر الزيوت التي كانت الحاضرة عامرة بها وكان من اكثر الملوك الحسينين عناية بالاسور والحصون الواقعة حول تونس المولى حمودة باشا طاب ثراه .

هذه الاسوار التي كانت في الزمن القديم تضم داخلها مدينة تونس باجمعها اصبحت بالتالي واقعة داخل البلد بسبب انتشار الابنية والمساكن خارجها بحيث انها فات المقصود منها وصار وجودها فيما يقال منافيا لقواعد الصحة بالمعنى العصري لذلك وقع هدم بعضها لعهد قريب لان بعضهم يراها مانعا لانتشار الضوء والهواء حول الابنية والدور والقصور المجاورة لها وليس هذا بالامر الغريب فان بعض اسوار تونس كان وقع هدمه لقرنين ماضيين فيما بين باب البنات وباب قرطجنه على عهد الباشا علي باي الاول هكذا قال في كتاب المشرع الملكي والتاريخ يعيد نفسه كما هو مقرر معلوم. على ان الاسوار التي وقع هدمها في زماننا الحاضر ابقي منها نموذجات قائمة لاخبار الاجيال القابلة باحوال القرون الماضية

واعلم ان حاضرة تونس كان لها في الاول سور واحد محيط بالمدينة وهذا السور كان موقعه بالطريق العام المار به اليوم خط سكة الترامواي عدد ١ يعني السكة المارة بباب البحر فباب قرطجنه فباب السويقه فباب البنات فالقصبه فباب المناره فالباب الجديد فباب الجزيره فباب البحر حيث البداية وهذا هو السور القديم الذي كان موجودا في المائة الرابعة على عهد سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه وكانوا ينعتونه بالسور الدخلاني وسنعود للكلام على الابواب الواقعة حوله . والسور الثاني هو الذي احدثه سلاطين بني حفص وهو المضاف الى سور باب البحر وباب الجزيرة فباب علاوة فباب الفله فباب القرجاني فباب سيدي قاسم فباب سيدي عبد الله فباب غدر فباب العلوج فباب سعدون فباب سيدي عبد السلام فباب العسل فباب الخضراء ومنه يلتحق بسرر باب قرطجنه وباب البحر حيث البداية وسنعود للكلام على الابواب الواقعة حول هذا السور الثاني مع الاشارة لغيرها من الابواب التي عفت رسومها ولم يبق لها ذكر بين الناس وهذا السور كانوا ينعتونه بالسور البراني .

ولقد أداني البحث في الموضوع الذي نحن بصدده لمراجعة مصادر كثيرة اقدمها عهـدا كتاب المسالك والممالك لابي عبيد عبد الله البكري (ولد سنة ٤٣٢ وتوفى بقرطبة سنة ٤٨٧) وكتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي (الفه سنة ٥٤٨) ومعجم البلدان لياقوت الحموي (المتوفى عام ٦٢٦) واقربها عهدا كتاب المشرع الملكي في سلطنة اولاد علي تركي لمؤلفه محمد الصغير بن يوسف الباجي (توفى في حدود سنة ١١٨٤) وتاريخ الحكيم فرانك الفلمنكي طبيب المولى حمودة باشا الفه في حدود سنة ١٨١٥ للميلاد (١٢٣٠ للهجرة) وكتاب نزهة الانظار للمؤرخ محمود مقديش الصفاقسي انهاه تاليفا بحوادث سنة ١٢٣٣ . وبقية المصادر التي رجعت اليها في هذا البحث هي ابن الشباط (المتوفى عام ٦٨١) ورحلة العبدري التي ابتداها صاحبها في سنة ٦٨٨ ورحلة التجاني (واسمه عبد الله بن محمد بن ابراهيم التجاني توفى سنة ٧٢٠) وتحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار للرحالة ابن بطوطة ابتداها في سنة ٧٢٥ وتقويم البلدان لابي الفداء اسماعيل (المتوفى سنة ٧٣٢) وكتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله الدمشقي (المتوفى سنة ٧٤٨) وكتاب العبر لابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ وكتاب صبح الاعشى لابي العباس احمد القلقشندي الفه عام ٨١٤ وتحفة الاريب لعبد الله الترجمان (١) الفها سنة ٨٢٣ وكتاب الادلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية لابن الشماع (٢) انهاه تاليفا بحوادث عام ٨٣٣ وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للفقيه الزركشي واسمه محمد بن ابراهيم اللؤلؤي المعروف بالزركشي المتوفى سنة ٩٣٢ وكتاب وصف افريقية للمؤرخ ليون الافريقي (٣) وهو كتاب جليل استغرق

---

(١) كان هذا الفاضل راهبا كبيرا بجزيرة ميرونه احدى الجزاير الشرقية التابعة لاسبانيا ثم وفد على تونس في ايام السلطان ابي العباس احمد بن محمد الحفصي واسلم على يده وزوجه بابنة الشيخ الحاج محمد الصفار واولاه قيادة البحر وهي خطة شبيهة بخطة مدير القمارق في هذا الزمان وكتابه ترجم لبعض اللغات الاروباوية وقبره معروف بسوق السراجين بتونس

(٢) اشتبه على بعضهم هذا المؤلف بابيه فنسب تاليفه للفقيه الشيخ احمد بن محمد الشماع الهنتاتي التونسي قاضي محلة السلطان ابي فارس عبد العزيز الحفصي والحقيقة ان المؤلف لكتاب الادله البينة النورانية هو محمد بن احمد بن محمد الخ توفى ابوه سنة ٨٣٣، وانهى ابنه تاريخه بحوادث سنة ٨٣٩ ولذلك لزم التنبيه

(٣) ليون الافريقي اسمه الاصلي الحسن بن محمد الوزان الغرناطي ثم الفاسي ولد بغرناطه من ابوين مسلمين وهاجر مع عائلته لفاس في حدود سنة ٩٠٠ للهجرة الشريفة وبعد ان قرأ بها واستوفى نصاب تحصيله في العلوم خـرج للرحلة فساح ببلاد السودان وبافريقية الشمالية ثم ارتحل للبـلاد الاسياوية فزار العراق والفرس وبلاد الارمن وجزيرة العرب ومصر والشام وفي عـام ٩٢٣ سقط في اسر النصارى مع المركب الذي كان يحمله على مقربة من جزيرة جربة فاخذه القراصنة الى رومة وقدموه هدية للبابا ليون العاشر فاكرمه وعرف له قدره واعظمه واجل مكانه وما زال بـه حتى صار يدعوه الى المسيحية فتمسح الحسن فيما يزعمون واتخذ له البابا اسمه ليون الافريقي وهذا الاسم هو الذي بقي معروفا لعهدنا الحاضر - فهل تمسح حقيقة هذا العالم المسلم الذي هجر بلاده فرارا بدينه او لم يتمسح ؟ وعلى تقدير تمسحه هـل بقي متمسحا الى ءاخر عمره او رجـع لدين ءابائه ؟ هذه مشكلة

ثلاث مجلدات ظهر بعالم الوجود حوالي سنة ١٥٣٠ للميلاد (٦٣٩ للهجرة) والمونس في اخبار افريقية وتونس لابي عبد الله محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار ختمه بحوادث سنة ١٠٩٢ وكتاب الحلل السندسية في الاخبار التونسية للوزير السراج واسمه محمد بن محمد ابن احمد بن مصطفى الاندلسي المعروف بالوزير السراج توفى عام ١١٤٩ وله عقب من اهل الفضل بحاضرة تونس وغير ذلك من المعاجم والمؤلفات التاريخية الحديثة عربية وفرانساوية اعرضنا عن ذكر اسمائها خوف الاطالة بدون جدوى ومن هاتيك المصنفات اقتبسنا ما به الحاجة من وصف تونس ولا سيما خبر ابوابها في القديم وفي الحديث

وها انا ذا متوكل على الله في التعريف بهاتيك الابواب المفتوحة على مصراعيها للصادر والوارد مبتدئا بابواب السور الدخلاني التي تقدم ذكرها في البداية ويلوح ان اقدم ابواب هذا السور هو باب الجزيرة الذي يعبر منه للوطن القبلي والوطن القبلي اسمه في كتب التاريخ جزيرة شريك نسبة لشريك العبسي عاملها وهو من الفاتحين الاولين يزاحمه في الاقدمية باب قرطجنة الذي يعبر منه لجهة قرطجنة ومن اطلال هذه المدينة جيء بالحجارة اللازمة لعمارة مدينة تونس وعلى هذا التقدير يمكننا جعل ظهور هذين البابين في اواخر المائة الثانية او في اوائل المائة الثالثة يعني في الزمن الذي تمصرت فيه مدينة تونس واخذت نصيبها من العمران والازدهار الفقهي حول مسجدها الاعظم جامع الزيتونة الذي تم بناءه باتفاق المؤرخين في سنة ١١٤ على يد عبيد الله بن الحبحاب والي تونس للخليفه هشام بن عبد الملك وهنا يناسب الالمام بوصف تونس على ما حكاه البكري (المائة الخامسة) في كتاب المسالك والممالك لانه اقدم المصادر التاريخية المعتمدة كما اسلفنا ذكره . قال : ومدينة تونس في سفح جبل يعرف بجبل ام عمرو (الجبل الاحمر) ويدور بمدينتها خندق حصين ولها خمسة ابواب باب الجزيرة قبلي ينسب الى جزيرة شريك ثم قال وبشرقيها ايضا باب قرطجنة دونه داخل الخندق بساتين كثيرة

لا سبيل لحلها ما دمنا لا نعرف من حياة هذا الرجل الا القليل بيد أنا نقول ان بعض مشاهير المستشرقين يقول ان الحسن رجع الى تونس بعد موت البابا ليون العاشر وعاد مسلما كما كان وهذا يحملني على الاعتقاد بان تمسحه حال وجوده بروما لم يكن الا صوريا لان كتابه الذي وضعه في ثلاث مجلدات في تاريخ بلاد الاسلام واحوال المسلمين لا يشعر بشيء ولو بطريق الاشارة يحط من قدر الاسلام نعم انه قال عند وصفه لتونس انه كان فيها من « يعمل الخبائث » اثناء زيارته لها ولكن هذا القول لا يدل على انه مروق من الدين لا سيما وانه كلام وافق حقيقة واقعية لاني تتبعت اخلاق واحوال مدينة تونس في ذلك العصر فوقفت على ما يفيد حقا وانه كان يومئذ بتونس جماعة من المخنثين نفاهم السلطان لمكان سحيق . اما كتابه « وصف افريقية » فانه ترجم للغات كثيرة زيادة على ترجمته بالفرنساوية ويقال ان ترجمته الالمانية احتوت على تعاليق مفيدة جدا وعلى مقدمة تضمنت تاريخ حياة المؤلف وذكر تآليفه منها قاموس عربي عبري لاطيني ومنها كتاب في تراجم مشاهير الاسلام ومنها كتب في النحو والبلاغه وغير ذلك

تعرف بسواني المرج (هذه البساتين كان موقعها فيما بين باب الخضراء وباب السويقة شاملة لجهة الحلفاوين ومنه الرياض الذي كان محل نزهة لاهل الدولة) وباب السقايين جوفي نسب الى السقايين لان بئرا تعرف ببئر ابي الفقار تقابله وهي بئر كبيرة عذبة الماء نميره . وباب ارطة غربي تجاوره مقبرة تعرف بمقبرة سوق الاحد ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف بغدير الفحامين وربض المرضى خارج عن المدينة وبقبلي ربض المرضى ملاحة كبيرة منها ملحهم وملح من يجاورهم الى ان قال ومدينة تونس دار علم وفقه ولي منها قضاء افريقية جماعة كثيرة . ولكنه استدرك على ذلك بما كان ينسب لاهلها من الاختلاف على الحكام في زمنه فقال مع الشاعر :

لعمرك ما الفيت تونس كاسمها ولكنني الفيتها وهي توحش

ثم اطنب في ذكر خيراتها وبركاتها واشار لكثرة الاسماك الموجودة ببحرها وقال : ان اهلها بسبب كثرة حوتها واختلاف اجناسه في لذة موصولة ونعمة غير مملولة وكل جنس يصبر فيبقى السنين صحيح الجرم طيب الطعم (كشرمولة بنزرت) منها جنس يعرف بالعبانق وجنس يعرف بالاكتوبري (لعله الحوت البوري) وجنس يعرف بالاشبارس (معروف) وجنس يعرف بالمنكوس (معروف) وجنس يعرف بالبفونس ثم قال : ومن امثالهم لولا البفونس لم يخالف اهل تونس . وتخلص للكلام بعد ذلك على مدينة قرطجنة واطلالها . ولم يذكر لنا الباب الخامس من ابواب تونس قلت : لعله باب السويقة لانه كان موجودا في زمن المؤلف وهنا يستحب الاشارة لكون المؤلف لم يغادر مسقط راسه بالاندلس ومع ذلك فان كتابه جمع فاوعى واتفق المؤرخون من بعده على انه احتوى على صحيح الاخبار لانه كتبه مما وقف عليه من الوثائق الصحيحة والتقارير التي كانت ترد على المنصور بن ابي عامر من اعوانه وعيونه المنتشرين بشمال افريقية . اضف لذلك ان المؤلف كان صاحب ثقافة واسعة ومشاركة عريضة في اللغة والادب والتاريخ والجغرافية والطب وعلم النبات وغير ذلك .

ومن تعريف البكري يظهر ان مدينة تونس كانت لها خمسة ابواب في زمنه وهي باب الجزيرة (معروف شمله الهدم مع سور تونس الداخلي) وباب قرطجنة (معروف شمله الهدم مع السور الداخلي كالباب السابق) وباب السقايين وكان يفتح بجهة الجوف قرب بير قميرة يستقي منها اهل تونس وهذا الباب غير معروف ولم يتعرض لذكره المؤرخون التونسيون ويلوح بمقتضى اتجاه موقعه الجوفي انه ربما كان هو باب الاقواس حيث كانت مخازن المشاكة وهم اصحاب الامشاك (١) الخاصة بتعبئة ماء الشراب

(١) الامشاك جمع مشك من اللغة التركية وهو عبارة عن قربة كبيرة مخاطة من جلود الابل كانوا يستعملونها في القديم لمصاحبة المحلة في تنقلاتها بالجهات المعطشة ومن المحتمل القريب ان هاتيك الامشاك في عهد حكم الاتراك قامت مقام الدنون والجرات والقرب التي كانو يستعملونها لتزويد اهل الحاضرة بمياه الآبار الواقعة خارج الاسوار ومن تلك الابار البئر النميرة التي كانت موجودة لدى باب السقايين .

وحمله لتزويد أهل المدينة وباب ارطة وهو غير معروف ايضا ولعله نسبة لاسم بشر بن ارطة من اصحاب عقبة بن نافع لان التاريخ اثبت قدوم بعض اصحاب عقبة لجهة تونس او هو بالاحرى اسم لبقعة مجاورة لسور تونس من ناحيته الغربية كما يستفاد ذلك من عبارة البكري في قوله : وسار حسان بن النعمان الى ارطة فقاتل الروم بفحص تونس . وهذا الباب كان غربي المفتح وكان لقربه من الخارج جبانة تعرف بمقبرة سوق الاحد ودون الباب اي بداخل البلد كان الخندق الجامع لقاذورات المدينة وسنعود للكلام عليه وخارجه اي خارج البلد كان ربض المرضى يعني المرضى المبتلين بامراض العدوى ويقول بعض المؤرخين من الاروباويين ان جعل هؤلاء المرضى خارج المدينة كان لسبب اصابتهم بالبرص والعياذ بالله ومقتضى كلام البكري كان قبلي هذا الربض ملاحة كبيرة يتزود منها اهل المدينة وهذه الملاحة ليست هي الا ملاحة رادس المعروفة اذ لا يوجد حول حاضرة تونس الا هذه الملاحة وملاحة رواد الواقعة لجهة الجوف بالنسبة لمدينة تونس واما المقبرة المسماة بمقبرة سوق الاحد فمحلها بمقتضى اتجاه موقعها نحو الغرب يكون خارج السور فيما بين باب العلوج وباب سيدي عبد الله اللذين سياتي الكلام عليهما وفعلا توجد هنالك لهذا الزمان المقبرة المنسوبة لسيدي احمد السقا وكون هذا الولي من رجال المائة الثامنة (توفي رضي الله عنه عام ٧٤٣ وهو يقرأ القرءان فلما انتهى لقوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى ووصل لقوله فاسجدوا لله واعبدوا فاضت روحه الزكية) لا يقوم دليلا على عدم وجود مقبرة هنالك قبله بل الامر بالعكس اذ من المحتمل القريب ان تلك المقبرة اولية وانما بدل اسمها بتوالي القرون يدلك عليه ان مقبرة الزلاج حبسها صاحبها في المائة السابعة مع كون أرضها كانت بها جبانة لدفن اموات المسلمين في المائة الخامسة او قبلها وهنا ينتهي بنا التعليق على كلام البكري وبقي مدينا لنا بيان الباب الخامس بتونس في زمنه

(يتبع)

محمد بن الخوجة

اصلاح غلط وقع في الجزء الخامس

جاء في صحيفة ١٢٦ سطر ٢ أني متوفيك بتخفيف الفاء والصواب بتضعيف الفاء . وفي الصحيحة نفسها سطر ٤ الرقيب بضم الباء والصواب بفتحها

كما جاء في صحيفة ٣١ سطر ٣ وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ، وانه لعلم للساعة . والصواب : وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة الخ

قال الله تعالى : فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . وقال تعالى : من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون .

قال النبي صلى الله عليه وسلم انما النساء شقائق الرجال . وقال ارجعوا الى اهليكم فعلموهم . وقال خياركم خيارهم لنسائهم . ولبناتهم وقال خير النساء التي اذا نظرت اليك سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالك و نفسها

دار العفاف

بقلم الموقر المحترم سيدي اسماعيل
ابن الحفصية عامل سوق الخميس

هذا عنوان اسلامي يدخل الغبطة والسرور على القلب فهل جاء القول الفصل في مسالة تربية المرأة الاسلامية وهي الغاية المنشودة التي يتمناها كل انسان لان العفاف هو عنوان الصلاح

طالعنا بجريدة الوزير الغراء بعددها ٥٣٥ بتاريخ الثاني عشر ذي القعدة من العام المنصرم مقالا بين فيه صاحبه انها تأسست مدرسة بتونس عدد ٩ بنهج القنطرة لتربية البنات المسلمات وبعد بسطة لبرنامج هاته المدرسة والتنويه بشانها ذكر انها اتت مكملة لما كانت عليه ديار المعلمات عندنا سابقا وكانه يشير بان هاته المدرسه اتت حسب عوائدنا وتقاليدنا القومية مع زيادة في برنامج التربية الاخلاقية وادخال عدة صنائع يدويه مثل النسج والتطريز والطهي وغير ذلك مما يلزم المرأة لتدبير منزلها احسن تدبير وتنسيقه تنسيقا يجلب السرور والهناء مع مراعاة الاقتصاد الذي هو مفتاح السعادة وحسبك ان معلماتها من بناتنا المثقفات ثقافة اسلامية . كما نشرت ـ تونس المصورة ـ الغراء كلمة تبشير واستحسان عن هذه المدرسة بعددها لشهري شوال وقعدة المنصرمين مع صورة فوتوغرافية لبعض تلامذتها فكانت منظرا جميلا ينبئ عن حسن الادارة وهو شرط النجاح ولقد تذكرت بهاته المناسبة ما كنت قرأته بالجريدة الفرنسية : لوجور ـ النهار ـ بعددها ٢٨ الصادر في ٢٨ جانفي سنة ١٩٣٨ فاردت تعريب القسم الذي يعنينا منه ليطلع اخواننا على مقدار اهتمام الامام بمسالة المرأة

معمل للنساء الكاملات

يوجد بالولايات المتحدة وزارة للضيافة وهذا التعبير اللطيف يعنى به مصلحة المنازل والخانات وقد اسست هاته الوزارة مدرسة بجامعة ـ كورنال ـ Cornell ـ يؤمها البنون والبنات من ذوي الثقافة والاخلاق العالية اين يتلقون دروسا لادارة شؤون تلك المنازل وما ذلك بالشيء اليسير على من يريدان يتخذ ادارة احدى المنازل شغلا في حياته هذا ما ذكره صاحب هاته الجريدة تحت العنوانين اعلاه لدى مقابلته مع الدكتور اهوارماك مدير تلك المدرسة وجرت بينهما المحادثة الاتية :

المحرر ـ هل نجحت مدرستكم ؟

الدكتور ـ بلاشك وتلامذتنا يفارقون المدرسة وهم حاملون شهادات الكفاءة لادارة نزل او مطبخ او ناد وزاد قائلا هانا راجع من اليابان وباري وجاوه والكورني والهند وايطاليا والسويد والمانيه وفرنسا ثم انكلترة وستستفيد تلامذتي مما شاهدته ولكن يالاسف ... وسكت

فساله المحرر ـ فاجابه الدكتور : ان عدد تلامذتي ثلاثمائة وخمسون بين ذكور واناث فيحصل بينهم تعارف متين في مدرستنا والبعض منه يتخذ ادارة الخانات مهنة وهم على معرفة تامة بالطهي ومسك الدفاتر والشؤون المنزلية وزاد وهو يبدي التأسف لكن النسوة لا يتخذن هاته المهنة صناعة بل غالبهن يحملن بغاية الرغبة على التزويج بمجرد اتمام معلوماتهن بهاته المدرسة ـ فياللاسف مرغوب فيهن ...

هذا ما جاء بالجريدة المذكورة ترجمناه بتصرف ولا يخفى على القاري الكريم ما حواه من سخريه وتهكم وحقائق لاذعة ايضا على ان اول ما يتبادر للذهن ان الازمة النسائيه ضاربة اطنابها بالعالم اجمع وانها تغمر كافة الطبقات الاجتماعية

فما هو سبب هذا المرض العضال ؟

ان الحكيم الامريكي يقول ان المرأة الامريكية اذا اتقنت الطبخ واحسنت التصرف وزانت دارها بذوق سليم مع ما لها من التربية والثقافة اللازمة فانها تكون امرأة كاملة مرغوبا فيها وبالطبع فان كل من لم تتحل بهاته الاوصاف الحميدة فلا كلام عليها ولا هي من المرغوب فيهن بل تقضي حياتها في غير ما خلقت له بتعاطي احد الاعمال المضنيه ببعض المعامل الضخمة فتذهب ضحية التمدن ..

وقد علق الحكيم ادوارده بوميان على كلام هذا الحكيم بمقال ممتع نشرته المجلة الفرنسية للجمعية العلمية للاغذية اللائقة بحفظ الصحة بعددها ٢٦ سنة ١٩٣٨ قال فيه باختصار : ان البنت الفرنسية يجب عليها اتباع والدتها في تنظيم منزلها والبيت الفرنسي مشهور في العالم بخصاله وتانقه وحسن تنسيقه وما على هاته البنت وهي مترببة متعلمة الا تطبيق معلوماتها الفنية بتحضير الاطعمة النافعة لتغذية البدن . والطهي الفرنسي معروف في العالم كله .

وكتب الاستاذ البحاثة احمد امين فصلا ممتعا بمجلة الثقافة الغراء عدد ٤٩ بعنوان ـ اقتراح ـ اقترح فيه على وزارة الشوون الاجتماعية تاسيس مدرسة للزوجات لطوله نحيل القاريء على مراجعته ان شاء. هاته بعض اراء لخصناها كدليل على ان المسالة النسائية ولوانها مسالة عالمية فهي مرتبطة كل الارتباط بالتاثيرات الجنسية وبالعوائد والتقاليد القومية الامر الذي يزيدها تشعبا وخطرا ونحن نعتقد انه لا يوجد من يقدر على حل هاته المشكلة الا المرأة نفسها وذلك بان تقدر بنفسها قيمتها الشخصية من الوجهتين الادبية للمحافظة على كرامة المراة والاجتماعية للمحافظة على كيان هذا الجنس اللطيف

هذا وقد سمعنا مرارا الشباب التونسي يقول ان المرأة التونسية غير متعلمة ولا تحسن التصرف في المنزل ولا اعداد الاطعمة اللذيذة فضلا عن التأنق فيها وهو لم يقل قط انها غير مترببة اذ ان المرأة التونسية مترببة قبل كل شيء وهاته اكبر فضيلة لها ولا ينقصها الا التعليم لترضي الشباب المتثقف ونعني بتعليمها تكميل مواهبها الفطريه بغاية الحذق والنشاط فانها اذا توفرت هاته الشروط اصبح المنزل فردوس الرجل ومظهر كرامته بين قومه والمنبت الطيب لذريته ومن يعمل صالحا فلنفسه

اسماعيل بن الحفصية

ذكرى المولد النبوي الشريف

على صاحبه افضل الصلاة وازكى التسليم

جادت قريحة العلامة الاديب الذي ضرب في فنون البيان بسهم مصيب اللوذعي الفذ والشاعر البليغ الشيخ سيدي علي النيفر بهذه الفريدة العصماء في ذكرى مولد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم والشيخ حفظه الله قد تعود منه قراء المجلة ان يقدم لهم من نفيس اشعاره في مثل هذه المناسبة من كل عام ما ينطق بعلو كعبه في هذا المضمار

***

أهل فحل اليمن وارتحل البؤس ورجت نفوس كان خامرها يأس
هلال بدا كالسر في صدر كاتم توارى زمانا ثم نم به همس
أطل على ليل الكوارث مرسلا اليه بانوار اضاءت لها النفس
وقد زاد اشراقا بمولد احمد كما اعتز واستعلى به قومه الحمس
تجلى كما لاح المنى لمؤمل تدانى له سعد وزايله نحس
يبشر مرآه الانام بقربهم من الامال الموحي بتحقيقه الحدس
اماني اسعاد وسلم اليهما تتوق نفوس الناس ما طلعت شمس
فلا غرو إن هشوا له اذ توسموا بمقدمه خيرا وعمهم انس
لنا كل عام عبرة بطلوعه وذكرى اليها العقل يرتاح والحس
يذكرنا اجلى الحوادث مظهرا واعظم ما قد ضم ابناءه الطرس
الا انها ذكرى لمولد من به عن الناس زال الرجس واستعلن القدس
ابي القاسم الميمون طالعه ومن أبان محيا الحق ليس به لبس،
تبسمت الاكوان بعد عبوسها له وانجلى عنهم به البؤس والتعس
اتى وظلام الشرك ملق جرانه على عالم ما انفك يغمره الرجس
يعيث فسادا أهله وتقاطعا فلا بعضهم يحنو على البعض بل يقسو
واخلاقهم فوضى كما شاءه الهوى سواسية عرب وروم او الفرس
فعمهم نورا وطهرا ورحمة وامست به الاخلاق يزكو لها غرس
تبارك من اولاه منزلة بها غدا الناس كالجثمان وهو لهم راس
وجل الذي أنشاه للكون رحمة ونعمى تفيا ظلها الجن والانس
وأبرزه في مثل ذا الشهر كوكبا يقصر عجزا عن مدى وصفه قس
تكامل فيه الخلق والخلق والحجى وخيم زكا والحلم والجود والبأس
به أدرك الناس السعادة والهدى وقد كان نهج منهما مسه طمس
أتانا بدين سرمدي وشرعة لكل صلاح او فلاح هي الاس
تجر اماني الحياتين للذي اقـ ـتفاها ومن جرح الخطوب غدت تأسو
حوت حكما تبقى مدى الدهر حية وكم شرعة اخرى معالمها درس
فيا فوز مرء قد هدى الله فاهتدى بها وله قد كان من نورها قبس
لغاية ما حضت عليه مسارع لدى حد ما خطت لاعماله حبس
ويا خسر حظ الجاحدين لفضلها ومن هم ميل عن تعاليمها شمس

ولاية عهد المملكة

لقد استأثر الله برحمته الامير المبرور سيدي محمد الطاهر باي ولي عهد المملكة التونسية صبيحة يوم الخميس الثامن من صفر المنصرم فعز نعيه على افراد الامة لما كان عليه الفقيد من البرور بالضعفاء ومواساته لهم ما ترك له الذكر الجميل في النفوس

وفي ضحى يوم الجمعة اتى بجثمانه مرفوعا على الايدي الى ساحة القصبة وكان في انتظار الجنازة صاحب العرش الحسيني سيدنا ومولانا احمد باشا باي ابقاه الله والوزراء الفخام ورجال الشرع العزيز ورجال الحكومة وبعد الصلاة على الجنازة امام تربة لاز سير بنعشه الى تربة الملوك من آل حسين برد الله مضجعهم والمجلة تتقدم الى السدة الملكية بالدعوات ان يجعل ثواب سيدنا عظيما واجره موفورا وان يطيل حياته في عز دائم وهناء سرمدي

وفي ضحوة يوم الخميس الموالي اسند سيدنا ومولانا اعزه الله ولاية العهد المرفع شانه القائم على دعائم العز بنيانه الامير سيدي محمد البشير باي اخ الفقيد المبرور في موكب فخيم حضره آل البيت الحسيني الكرام والوزراء الاعيان والحاشية الملكية وضباط الحرس الملوكي واعيان رجال الدولة . كما قلده رتبة (فريك) وحلى صدره بوسام نيشان عهد الامان بيده الكريمة فتقبل سيدي محمد البشير باي هذه الولاية المباركة من لدن صاحب المملكة بكل توقير واحترام ونطق بخطاب رفيع نوه فيه بشان صاحب العرش التونسي ادام الله عزه وعلاه وختمه بالدعوات الصالحة وعلى اثره تليت الفاتحة وانفض الموكب الملوكي الميمون

ثم خرج ولي العهد فتقدم له الوزراء واعيان الدولة في بهو القصر وقدموا له ازكى عبارات التهاني جعلها الله ولاية مباركة ميمونة يكتنفها العز والحبور

والمجلة تتقدم للسدة الملكية الشامخة الذرى باجمل عبارات التهاني بولي العهد الجديد كما تتقدم الى صاحب المقام الارفع سيدي محمد البشير باي مهنئة بهذه الولاية المباركة وداعية جعلها الله ولاية عز ويمن محاطة برعاية الجناب العالي رفيع العماد

عمـوا والهـدى كالصبح لاح لشائم — وصموا عن الداعي اليه فهم خرس
فلله حمد لـم يـزل عبق الشـذى — تدور لـه ما بيننا أبـدا كأس
على أن هدانـا لاقتفـاء سبيلهـا السـ — ـوي الذي أضحى يلين ولا يعسو
وجـازى رسول الله عنـا أياديا — علينا لـه كالقطر ما سامها بخس
لقـد عمنـا نصحا وهديـا ورحمـة — فكلا لعمري راح حلتها يكسو
عزيـز عليـه مـا يئـود ظهورنـا — حريص علينـا أن يحل بنا بؤس
فصـلى عليـه الله مـا هـو أهلـه — وسلم ما إن غادر اليـوم والامس
وآلـه والاصحاب والتابعين مـا — تجلى سنا الاصباح إذ بزغت شمس

علي النيفر

مجلة الوداد

حمل الينا بريد الغرب الاقصى العدد الممتاز لهذه المجلة الراقية التي تصدر بسلا والذي يتولى ادارتها الصحافي القدير السيد محمد اشماعو وبعد تصفحه الفيناه حافلا بالمقالات القيمة المحررة باقلام ناطقة ببراعة اصحابها تبحث في موضوع له اهميته الذي به امتاز وهو هجرة الرسول وما يتصل بها من الاغراض ونحن نهني الزميل بهذا العدد الممتاز الذي نجح فيه عظيم النجاح متمنين لها دوام الرواج ولمديرها المفضال الاعانة في سبيل نشر الثقافة الاسلامية والسعي وراء تعميمها بين الطبقات

التقدم

دخلت جريدة التقدم التي تصدر في سلا بالمغرب الاقصى في سنتها الثالثة فنحن نهني مديرها المفضال على مشروعه الصحافي النبيل ونتمنى لجريدته اطراد النجاح في ميدان الثقافة الاسلامية

وقد وصلتنا اخيرا الاعداد الممتازة الخاصة بالثقافة العربية محررة باقلام نخبة من كتاب المغرب وشبابه الناهض العامل على استرجاع مجده التالد حقق الله الاماني وسدد الخطا ونجح المساعي . وقد كان واسطة عقدها ما حررته يراعة احد الكتاب الاعيان في تاريخ المكاتب العربية في البلاد الاسلامية واذا سمحت لنا الفرصة اثبتناه لقراء المجلة الافاضل لاهمية موضوعه ونفاسته شكر الله سعي العاملين

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

عـدد ٨

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الثامن	تونس في ربيع الثاني ١٣٦٠ وفي ماي ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

المجلد الرابع

فهرس العدد

الجزء السابع

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت معضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الثامن	تونس في ربيع الثاني ١٣٦٠ وفي ماي ١٩٤١	المجلد الرابع

القيام بالواجب

النفس الكريمة هي التي تصغى لصوت الضمير الطاهر ، ويغمرها الوازع الآلهي فيتحكم في انفعالاتها ويكون لها نعم الرادع الذي يكبح جماحها ويقيها مواقع الشرور ومتى توفر لها ذلك سهل عليها ادراك الواجبات وسهل عليها العمل على تحقيقها . والواجبات تختلف باختلاف طبقات النـاس ولكن قيمة الواجب من حيث هو واجب واحدة فلا تستصغر النفس بعض الواجبـات وتتساهل في أمرها فان الهيكل المعماري يقام بالحجـارة ، الكبير منها والصغير . ولا يستغنى في اقامته عن الصغير ، واذا أزيل بعض حجارته انصدع الهيكل ، وربما تداعى للسقوط

وانما اداء الواجب يحتاج الى قوة العزيمة وتمكن الوازع الـديني من النفس تمكنا يجعل له السلطان الاكبر ، والى ضعف العزيمة وضعف الوازع يرجع السبب الاكبر في ترك القيام بالواجبات

وقد يكون عدم القيام بالواجب من اجل عدم الشعور بعظيم أمره والمصلحة التي تنجر من القيام به او المفسدة التي تترتب على اهماله فلا تقيم النفس له وزنا وتتقاعس عن ادائـه لجهلها بالفائدة او لجهلها بالمضرة ، وهذا القسم من النـاس يحتاج الى ارشاده انواع الفضائل ومحاسن الامور حتى يعمل لتحقيقها متى ادرك ان النفع موكول في تحققها وتحذيره من الرذائل حتى يسعى لتجنبهـا ويستهجنها وبذلك يكون قد ادرك النافع والضار فيقوم بواجبه نحو كل أمر بما يناسبه

القرآن الكريم

قال الله تعالى (من سورة الفتح)

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ . وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

بقلم محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير

في هذا الشهر المبارك تتجدد الذكرى بمولد النبي الاعظم . والصراط التام الاسقم . الذي طلع على ليل الشرك فازال دجاه . وأنار طريق الحق لمن سبقت له العناية من الله . فاستنارت القلوب وتطهرت الضماير . وحلت بالعالم البركات وتوالت البشاير . ولانت قلوب كانت اقسى من الصخر . وانقادت اعنة الحق بعد ان كانت مثلا في البغي والاعتساف والقهر . ونزلت تيجان من صياصها . ودكت قصور من اعاليها . واعيد بناء العالم على شكل جديد . اساسه التوحيد . والقول الرشيد . والعمل السديد . فاستقامت العقيدة وتطهرت من الادران . وهذبت الاقوال من الفحش والهذيان . وشرفت الاعمال بالامتثال للرحمان . فرجع الكفر خاسئا محسورا . وتولى الشيطان مقهورا . وكان امر الله قدرا مقدورا .

في هذا الشهر المبارك ولد النبي الاعظم . والصراط التام الاسقم . نبراس الهداية والارشاد . والقاطع لبذور الظلم والفساد . والحاث على التآخي والتراحم . ومن لولاه لم يخلق الله هذا العالم .

المسامرة التي القاها محمد المختار بن محمود رئيس قلم تحرير المجلة امام المذياع (تونس القومية) بمناسبة الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم

في هذا الشهر المبارك ولد النبي الاعظم ، والصراط التام الاسقم ، من تشرفت به الامة العربية فعظم شانها ، واعتز جانبها وقوي سلطانها ، وتاهت به على العوالم وباهت ، وتفاخرت بكونه من صميمها والى سماء المجد تناهت ، واقتعدت من بين الامم غارب الزعامة ، وتحكمت في رقاب العالم بالعدل والصفح والكرامة . فهو منها صلى الله عليه وسلم وبه ارتفع شانها وظهر ، ومن ابنائها ومنه اكتسبت مجدها الذي غشى الابصار وبهر .

قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم كلا لعمري ولكن منه شيبان

كم من اب قد على بابن ذرى شرف كما اعتلت برسول الله عدنان

فاي ذكرى تفي بحق هذا النبي العظيم . واي ثناء يعبر عما امتلات به النفوس من الاجلال لمقامه الجليل الكريم .

اذا الله اثنى بالذي هو اهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

ولقد امتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بانواع من المن واللطائف لم يمن بها على احد سواه وميزه على جميع الخلق برتب لم يبلغ فيها احد مداه

رتب تسقط الاماني حسرى دونها ، ما وراءهن وراء

وان في هاتين الايتين الاخيرتين من سورة الفتح ، اللتين هما موضوع درسنا ، لمظهرا عظيما من مظاهر هذا الامتنان الذي امتن الله به على عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم

(هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)

دين الحق هو الاسلام لانه الذي نسخت به جميع الشرائع والاديان فكان ما عداه من الاديان باطلا بعد ظهوره وهو الدين الحق الذي يجب اعتناقه والانضواء تحت لوائه قال الله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه)

والهدى ، هو طرق الهداية والارشاد التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم والتي من اعظمها القرءان الذي انزله الله عليه فكان المعجزة الباقية بقاء الدهر وكان المرشد الاعظم الذي هو منبع الكمالات ومحور الفيوضات واصل التشريع الذي اراد الله لهذا العالم ان يسير عليه والذي لا يستقيم امر الناس ولا ينتظم لهم شان الا اذا رجعوا في كل امورهم اليه وهيهات ان يستقر لهذا العالم قرار او تكشف عنه البلايا وتدرأ عنه الاخطار وهيهات ان تقمع المظالم وتنتهي المآثم وهيهات ان يقض على الشهوات النفسيه والنزعات الشيطانية الا اذا رجع الناس كلهم الى تعاليم القرءان وعملوا بها في السر والاعلان واذا كان هذا هو دين الاسلام ، فلا جرم ان يظهره الله على الدين كله — اي على سائر الاديان ما عداه

وللمفسرين في معنى قوله (ليظهره على الدين كله) وجوه ، ارجحها فيما وقفت عليه وجهان

الوجه الاول – ان معناه يقضي بالاسلام على سائر الاديان اي لا يبقى معه اي دين ويكون هذا اشارة الى زمن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في ءاخر الدنيا حيث انه يحكم عند نزوله بهذه الشريعة الاسلامية . ولا يبقى على وجه الارض كافر وعليه فيكون الاظهار في الآية من قولك ظهر فلان على فلان اي تغلب عليه .

الوجه الثاني – ان معناه اظهار الاسلام بالحجج والآيات البينات فيكون معنى قوله ليظهره على الدين كله . اي ليجعله واضحا جليا قائم الحجة من نفسه على انه الدين الحق الذي لا مجال لغيره من الاديان أن يظهر معه من باب

امع الشمس للنجوم تجل ام مع الصبح للظلام بقاء

ويكون بقاء غيره من الاديان بعد ظهوره من باب المكابرة والعناد وتعمد البعد عن طريق الرشاد . والمكابرة داء عضال تفضي بصاحبها الى انكار الحق وان كان ملموسا والانتصار الى الباطل والتشبث به وان ظهر بطلانه حتى صار محسوسا

عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسئلون منه كتاب منزل قد أتاهم وارتقاء
او لم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاء
واذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علـ ـم فماذا تقوله النصحاء

وعليه فيكون الاظهار في الآية من الظهور بمعنى الوضوح من قولك ظهرت حجة فلان على حجة خصمه اي كانت ابين من حجته وامتن . وهذا الوجه الثاني في تفسير الاظهار هو الذي اختاره لان هذه الآية وردت مورد البشارة للنبي صلى الله عليه وسلم . فان دينه الذي ارسله الله به سيكون اظهر الاديان ولا شك ان البشارة تكون ابلغ وأوقع فيما اذا تحقق المبشر به للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته . وتحقيق ذلك انما يكون على الوجه الثاني وذلك ظاهر

وقوله (وكفى بالله شهيدا) تحقيق بابلغ وجه لهذه البشارة اذ معنا وكفى بالله شهيدا على ان ما وعد به كائن لا محالة ومن اجل ذلك قال الحسن رضي الله عنه ان الله شهد على نفسه بانه سيظهر دين الاسلام ولقد حقق الله وعده فاظهر الاسلام على سائر الاديان بالحجة والبرهان كما اظهره بالانتشار العملي في سائر الاقاليم والبلدان ففي زمن قصير عم الاسلام جزيرة العرب ثم تغلغل الى فارس والروم واجتاح افريقية ووصل الى اقصى الاندلس وكاد يعم اوربا لولا أحداث حالت دون اطراد هذا السير وتعميم هذا الخير – وليس من الحكمة البكاء على ما فات . ولكل شيء من الاشياء ميقات .

٤

وما من قطر انتشر فيه الاسلام الا واستتب فيه الامن واستقر النظام وانتشرت فيه الوية العدل والانصاف وثبتت الحقوق لاربابها وبات الناس في راحة واطمئنان على انفسهم واموالهم وتوجهت الافكار للنهوض العلمي والاقتصادي حتى اصبحت ممالك الاسلام مطمح الانظار وموضع الاعتبار واستمر الاسلام مرفوع الراية عزيز الجانب موفور الكرامة وملوك الاسلام وقواده وزعماؤه هم القادة لسائر الشعوب وهم المثل الاعلى للفضائل ومكارم الاخلاق وحسن التدبير

ثم قال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما)

بعد ما امتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الآية السابقة بانه سيظهر هذا الدين الذي جاء به على سائر الاديان اردف ذلك بمنة اخرى امتن بها عليه وهي التنويه بشانه والثناء عليه صلى الله عليه وسلم والتنويه بشان اصحابه والثناء عليهم رضيُ الله عنم في كتب الانبياء السابقين

وقد تضمنت هذه الآية بيان ما ذكر في التوراة وفي الانجيل من اوصاف الفضل والكمال للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه رضي الله عنهم

ففي التوراة وصفوا بخمسة اوصاف وهي - ١ - الشدة مع الاعداء وهم الكفار - ٢ - والتراحم والتوادد فيما بينهم - ٣ - والاقبال على طاعة الله وعبادته والاخلاص اليه - ٤ - ورجاء فضل الله وانعامه - ٥ - وظهور نور العبادة والتقوى على وجوههم

فالشدة مع الاعداء هي مظهر الشجاعة والاقدام والتضحية بالنفس في سبيل نشر كلمة الاسلام

والتراحم فيما بينهم — هو مظهر اللين والمجاملة وحسن الخلق

والاقبال على طاعة الله — هو الغاية العظمى التي يجب على كل عاقل ان لا يفكر الا فيها ولا يسعى الا اليها

ورجاء فضل الله — هو مطمح كل نفس ومبتغى كل ءامل واقصى ما يؤمله العبد ويسعى اليه

واما ظهور نور العبادة على وجه الانسان فذلك من الطف انواع الاكرام وذلك هو قوله (سيماهم في وجوههم من اثر السجود) والسيما هكذا تستعمل بالمد والقصر ويقال سيمياء - وهي العلامة - والمراد بها هنا نضارة الوجه واشراقه من ءاثار طاعة الله - ومن ذلك قول بعض اهل الفضل - من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار - وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكم سيما ليست لغيركم من الامم تاتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء)

وعنه صلى الله عليه وسلم (يامر الله الملائكة ان يخرجوا من النار من شهد ان لا اله الا الله فيعرفونهم بعلامة ءاثار السجود - وحرم الله على النار ان تاكل من ابن ءادم ءاثار السجود)

ومن هذا الباب قول اهل الحديث : ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نظرة ـ لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها)

فهذا هو قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوارية)

واما ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم في الانجيل ـ فقد نظر فيه الى ناحية اخرى وهي ناحية وصف الصورة التي بدأ بها الاسلام ضعيفا غريبا ـ ثم تدرجه في القوة والانتشار شيئا فشيئا حتى وصل الى اقصى مداه فضرب الله المثل لحالة الاسلام في بدايته وحال النبي صلى الله عليه وسلم ـ بالزرع ـ حيث تزرع اولا حبة من القمح او الشعير ـ فتنبت ـ ثم تظهر فتكون ضعيفة ـ ثم تظهر الفراخ من حولها ـ فتقوى بها ـ ثم تصير غليظة متينة ـ ثم تبلغ اشدها ـ فتعجب الزراع ـ

وذلك قوله تعالى (ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع) ليغيظ بهم الكفارة فقوله اخرج شطأه ـ الشطء هو فرخ السنبلة التي تنبت حول الاصل ـ ويقال منه اشطأ الزرع اي فرخ ـ وقوله فآزره الضمير المستتر فيه يعود على الشطء ـ والضمير المنصوب الظاهر يعود على الزرع ـ فالمعنى ـ كزرع اخرج فراخه من حوله ـ فلما خرجت تقوى بها اصل الزرع ـ وقوله (فاستغلظ) اي انتقل من اللين والرقة الى الغلظ ـ وقوله (فاستوى على سوقه) السوق جمع ساق والمراد بها القصبة التي تكون السنبلة اعلاها ـ وقوله (يعجب الزراع) اي ان هذا الزرع قد بلغ من الحسن والنمو والازدهار ماصار به معجبا للزراع ـ ومطمحا لانظارهم ـ وقوله بعد ذلك (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لمجموع الكلام المتقدم ـ فان وصف المسلمين بانهم في نمو مطرد وبانهم اقوياء واعزاء ـ من شانه ان يغيظ الكفار ويذهب بالبابهم .

ومن لطايف ما ذكره العلماء في هذه الآية ـ ما نقله في الكشاف عن عكرمة رضي الله عنه ـ نه قال : اخرج شطأه بابي بكر ـ فآزره بعمر ـ فاستغلظ بعثمان ـ فاستوى على سوقه بعلي ـ

ثم ختم الله الآية بقوله (وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما)

وهذا تبشير بنجاح الاعمال ـ وبلوغ الآمال ـ وان الله تبارك وتعالى قد قبل عمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ـ واثابهم على ذلك بغفران الذنوب ـ وبالاجر العظيم ـ في مقابلة صدقهم واخلاصهم ـ وتضحيتهم بكل شيء في سبيله ـ وجدير بمن اخلص عمله لله ـ وصرف حياته في طاعة الله ـ وبذل نفسه وماله في اعلاء كلمة الله ان يغفر الله ذنبه وان يستر عيبه وان ينيله من الاجر ما لا يدخل تحت حصر

اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على نبي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوايج وتنال به الرغائب ويستسقى بوجه الكريم وعلى ءاله وصحبه عدد كل لمحة ونفس .

محمد المختار بن محمود

الحديث الشريف

خاتم النبيين

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

واما الجمع بين هذه العقيدة وما اقتضاه حديث لو عاش ابراهيم لكان نبيا فالكلام فيه ينبغي ان يقدم له مقدمة في درجة هذا الحديث ثم نقفي على اثره بما يسر الله في شرحه

قال السيوطي في الجامع الصغير : لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا رواه الباوردي عن أنس وابن عساكر عن جابر وعن ابن عباس وعن ابن أبي أوفى

قال المناوي في فيض القدير : وقضية كلام العنف أن هذا لم يتعرض أحد من الستة لتخريجه وإلا لما عدل إلى هذين وهو عجب فقد رواه ابن ماجة بزيادة . ولفظه : لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا ولو عاش لاعتقت اخواله القبط وما استرق قبطي . اه بحروفه ورواه احمد باللفظ الاول ورجاله رجال الصحيح ، هذا ما في فيض القدير

وفي المقاصد الحسنة للسخاوي أن في سند هذا الحديث أبا شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف ومن طريقه اخرجه ابن منده في المعرفة وقال انه غريب ، وعند البخاري من طريق محمد بن بشر عن اسماعيل بن أبي خالد قال قلت لعبد الله بن أوفى أرأيت ابراهيم ابن النبيء صلى الله عليه وسلم قال مات صغيرا ولو قضي بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده اخرجه احمد عن وكيع عن اسماعيل سمعت ابن ابي أوفى يقول : لو كان بعد النبيء صلى الله عليه وسلم نبي ما مات ابنه ابراهيم

وأما معنى الحديث فقد قال الحافظ ابن عبد البر : لا ادري ما هو ؟ فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد النبيء الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح انتهى

واغتر به النووي في تهذيبه فقال قول بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم كان نبيا باطل وجسارة على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم

وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه عجب منه مع وروده عن ثلاثة من الصحابة فكأنه لم يظهر له وجه تأويله فانكره وجوابه أن القضية الشرطية لا يلزم منها الوقوع ولا يظن بالصحابة الهجوم على مثل هذا بالظن اه نقله العنبري وقبله بل نقول قد علمت أنه حديث مرفوع عند ابن ماجة

والاشكال عند ابن عبد البر والنووي من جهة أنه لا يلزم ان يكون ابن النبيء نبيئا وهو اشكال في غاية الوهن لان اللفظ لا اشعار له بان ابن النبيء لا يكون الا نبيئا حتى يحتاج الى الجواب بان القضية الشرطية لا يلزم منها الوقوع على ان هذا الجواب في نفسه غير صحيح لان القضية الشرطية وان كانت لا تستلزم الوقوع فصدقها بصدق الملازمة بين جزءيها وكذبها بكذب الملازمة بينهما ، وقد انقدح في نفسي هذا البحث ثم رأيته للشيخ التاودي رحم الله في أجوبته

والاشكال القوي أن اللفظ يقتضي ان سيدنا ابراهيم لم يحل بينه وبين النبوة الا الموت ولو عاش لكان نبيا مع ان الحائل بينه وبين النبوة ان الله تعالى ختم النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو الذي ينبغي ان يعتنى بدفعه

وتمحيص القول فيه على ما يسر الله تعالى ان المروي عن ابن ابي اوفى من طريق اسماعيل لو قضي بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبيء بعده اخرجه احمد . وهذا اللفظ لا اشكال فيه فإنه صريح ان الحائل بين سيدنا ابراهيم وبين النبوة حكم الله العادل ان النبيء صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين

واما ما جاء في اكثر الروايات : لكان نبيا سواء قلنا هو حديث مرفوع اوله حكم المرفوع فالذي يظهر فيه وجهان احدهما ان في الكلام حذف العاطف والمعطوف والمعنى لو عاش ابراهيم وكان بعد نبيكم نبي لكان نبيا ودليل هذا التقدير ما في رواية احمد : لو قضي بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده . الثاني ان معنى : لكان نبيا لكان اهلا لان ينبأ بما علم فيه النبي صلى الله عليه وسلم من مواهب الله التي يهب مثلها بفضله ورحمته من يختاره للنبوة قال الله تعالى : الله اعلم حيث يجعل رسالاته . قال الحافظ ابن كثير : اي هو اعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه ، وقال الشيخ محيي الدين ابن عربي : لا يضعها الا في مواضعها من القوى الروحانية المجردة من المواد الهيولانية . وقال البيضاوي : فان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها اه وقول السيد في المواقف : لا يشترط في الارسال الاستعداد الذاتي بل الله يختص برحمته من يشاء محمول كما في حواشي القونوي وغيرها على الاستعداد الذاتي الموجب كما يقوله الفلاسفة . واما الاستعداد غير الموجب فيتحقق بتحقق فضائل روحانية . وهذه الصلاحية من الطاف الله تعالى ومظاهر رحمته التي يختص بها من يشاء من عباده

وقد استدل هرقل عظيم الروم على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ببعض صفاته كعلو نسبه وصدقه في الحديث من قبل النبوة . والحديث في الصحيحين

وذكر الامام الرازي عند الكلام على قوله تعالى : الله اعلم حيث يجعل رسالته) ان فيه تنبيها على دقيقة حقيقة بالذكر وهي ان اقل ما لا بد منه في حصول النبوة والرسالة البراءة من المكر والغدر والغل والحسد

وذلك ان المشركين قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله اي حتى يظهر على يدي النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما ظهر على ايدي الانبياء قبله من فلق البحر وابراء الاكمه والابرص ونحوها . او لن نؤمن مثل ما أوتي الرسل من المعجزات على طريقتين في تفسير الآية وان كانت الثانية اقرب الى قوة الصلة بقوله تعالى فيما بعد : الله اعلم حيث يجعل رسالاته . قال الرازي : وقولهم لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله) عين المكر والغدر والحسد اي والنبيء لا يكون ماكرا غادرا حاسدا

والحاصل ان النبوة اكرام من الله لمن يصطفيه من عباده ، بما فيه من تهيؤه واستعداده . وكل ذلك وفق مشيئته ومراده . ولله في خلقه شؤن . ولا يسال عما يفعل وهم يسالون ، فسيدنا ابراهيم فطره الله على مكارم الاخلاق التي لا يفطر عليها الا صفوة الله من خلقه الذين يجعل فيهم النبوة بسنته العادلة الحكيمة وعلم هذا فيه نبينا صلى الله عليه وسلم فقال لو عاش ابراهيم لكان نبيا اي اهلا للنبوة

واما ختم النبوة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالنظر فيه من جهتين احداهما ختمها به دون احد سواه وهذا مما لا مجال للنظر والبحث فيه ويقال في مثله لا يسال عما يفعل وقل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الثانية ختم واغلاق باب النبوة من بعده وهو الذي نتعرض بهذه الكلمات الموجزة لبيان سره

وحاصل ذلك على ما فتح الله به ان لا حاجة بعد بعثته صلى الله عليه وسلم الى نبي يبعث ، يتجلى هذا بما نقرره فيما بعد وحاصله اوجه ثلاثة

الاول بلوغ التشريع في دينه فلمبارك صلى الله عليه وسلم الى الغاية التي ليس وراءها غاية سواء في هذا ما كان راجعا الى الشؤن الخاصة كاحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج وما يرتبط بها والايمان والنذور والزكاة والاضاحي وما كان راجعا الى العلاقات الخاصة وروابطها كاحكام الزوجية والقرابة وما كان راجعا الى المعاملات الدائرة فيما بين الناس كاحكام عقود البيع بعامة انواعه والشركات والوكالات الاقارير والهبات والصدقات وكل ما يعود الى هذا الاصل اصل المعاملات الدائرة فيما بين الناس ويلحق به احكام العقوبات وما كان راجعا الى هيأة الحكومة ونظام القضاء كاحكام الامامة والامارة والقضاء والشهادة وما يتصل بها

والكلمة الجامعة في هذا ان حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والنسب والمال لديه منه وقد جاءت شريعة النبيء صلى الله عليه وسلم في ذلك كله بمراعات ما هو ضروري وما هو حاجي وما هو تكميلي وقررت من العقوبات للمحافظة على جميع هذا ما لا يتقرر النظام بحق الا به

وتشريع يراعي الضروري والحاجي والتكميلي في ذلك كله لا حاجة للبشر الى تشريع من بعده ومن امثلة مراعاته للتكميليات تحريم النظرة الى الاجنبية بشهوة وتحريم القليل من الربا والخمر مما يرجع ان كليات النسب والمال والعقل

الوجه الثاني حفظ القرآن الحكيم والسنة السنية وهما اصل التشريع الاسلامي وما عداهما من اصول التشريع يعود اليهما فقد جمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كله فلم يضع شيء منه وعين من جاء بعدهم بالحديث الشريف . وما اتفق للمسلمين فيهما لم يتفق لغيرهم من الامم ، وفي الحديث : اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض وعترتي اهل بيتي

الوجه الثالث عناية الله بهذه الامة ببعث من يجدد لها امر دينها على راس كل مائة سنة ، ففي الحديث ، ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها اي يبين لها السنة من البدعة ويقيمها على منهاجه الذي ربما انحرفت عنه

ودين يفي بالضروريات والحاجيات والتكميليات من عامة شؤن اهاه محفوظة اصوله يبعث الله من يجدده على راس كل مائة عام لا حاجة لمن يدين به الى نبي يبعث فيهم بتشريع جديد ، وقد عد العلماء عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من المجددين الذين يقيمون شريعة النبيء صلى الله عليه وسلم على وجهها



الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (صلعم) يقول من رأى منكم منكر فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان (١)

ابو سعيد الخدري راوي هذا الحديث الشريف من الانصار نسبة الى خدره قبيلة من قبائل الانصار كان من الحفاظ المكثرين والعلماء المعتبرين مروياته الف ومائة وسبعون حديثا مات سنة اربع وسبعين وله اربع وستون سنة ودفن بالبقيع اورد الامام مسلم بن الحجاج النايسابودي هذا الحديث في صحيحه عن طارق بن شهاب قال اولى من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام اليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال مروان قد ترك ما هنالك فقال ابو سعيد الخدري اما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله (صلعم) يقول من رأى منكم منكرا فليغيره الى آخر الحديث .

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم الخطر في الاسلام وقد عده الشارع من اهم شعب الايمان فهو قطب من اعظم اقطاب الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين اجمعين هو اكسير معالجة الرذائل ومقاومة من فتنتهم الدنيا بمناظرها الجذابة ومظاهرها الخلابه حتى اصبحوا اسارى بيد الشهوات سكارى بمحبة اللذات تساهلوا في تطبيق احكام الدين والعمل باوامره ونواهيه وقد اشتد مسيس الحاجة الى هذا النوع من الجهاد في الآونة الحاضرة لما انتشر فينا من القبائح والزور ولما فشا بيننا من التفريط والاهمال مع انه اساس حياة الامة وبدونه لا تتوفر لها سعادة ولا يطيب لها عيش فهو من اوكد الواجبات المفرضة على الامة واشدها نفعا وفائدة يعود بالخير الكثير على الهيئة الاجتماعية فنفعه راجع للمجموع ولذلك كان من الواجبات الكفائية اذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين لحصول مصلحته بحصوله واذا تركه الجميع اثم كل من تمكن منه بلاعذر وقد يتعين كما اذا كان بموضع لا يعلم به الا هو . وقد تظافرت على وجوبه ادلة الشرع من كتاب وسنة واجماع ولا عبرة بمخالفة الرافضة في ذلك فخلافهم فيه خرق لاجماع المسلمين كما افصح عن ذلك امام الحرمين وهو لا محالة من النصيحة التي هي الدين كما في حديث سيد المرسلين ولو اردنا في هذه العجالة جمع ما

(١) رواه مسلم واحمد في مسنده والاربعة في سننهم

جاء في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والآثار المروية لطال بنا القول ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله فمن الآيات الدالة على وجوبه قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) فان قوله تعالى (ولتكن) امر والامر ظاهره الوجوب كما هو مقرر في الاصول وفي الآية زيادة على ذلك بيان ان الفلاح منوط به لما فيه من حصر الفلاح فيهم وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط الوجوب عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر بل قال ولتكن منكم امة فانه يعطي بظاهره انه مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الباقين . واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين له . وان تقاعد عنه الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين . ومن الاخبار الدالة على وجوبه قوله عليه الصلاة والسلام : لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومنها حديث مسلم الذي صدرنا به وهو قوله : من رأى منكم منكرا فليغيره (الحديث) فقوله من رأى منكم يحتمل انه من رؤية البصر والعين ويقاس عليه ماعلمه لان المقصود دفع مفسدة المنكر ولا فرق بين ما ابصره او علمه ولم يره ويحتمل انه من رؤية القلب اي من علم منكم منكرا فهو اعم مما ابصره وهو اشبه بالنظر وان كان لفظ رأى ظاهرا في البصر . والمنكر ما انكره الشرع وكرهه ولم يرض به فيدخل فيه المحرم والمكروه وفي معناهما ترك الفرض والسنة المؤكدة . وقوله فليغيره امر ايجاب كما في آية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف) ولا يخالف ذلك قوله تعالى (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) لان المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية الكريمة انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم على حد قوله تعالى: ولا تزر وازرة وزر اخرى) واذ كان الامر كذلك فمما كلف به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه دعي عليه فانما عليه الامر والنهي لا القبول قال العلماء ولا يسقط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله فان الذكرى تنفع المؤمنين وما على الرسول الا البلاغ المبين . قالوا ولا يشترط في الآمر والناهي ان يكون كامل الحال ممتثلا لما يأمر به مجتنبا ما ينهى عنه بل عليه الامر وان كان مخلا بما يامر به وعليه النهي وان كان ملتبسا بما ينهى عنه فانه يجب عليه شيئان ان يامر نفسه وينهاها وان يامر غيره وينهاه فاذا اخل باحدها كيف يباح له الاخلال بالآخر اجل الاكمل ان يكون عاملا . ليكون تأثيره كاملا . وعليه يحمل ما ورد عظ نفسك فاذا اتعظت فعظ الناس وقول القائل

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس وهو مريض

ولا يختص الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باصحاب الولايات بل هو لعموم المسلمين فان

غير الولاة في الصدر الاول والعصر الذي يليه كانوا يامرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين اياهم على ذلك . وانما يأمر وينهى من كان عالما بما يامر به وينهى عنه فان كان من الامور التي احكامها ظاهرة مثل الصلاة والصوم والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك فكل المسلمين علماء بها فكلهم يامر وينهى وان كان من دقائق الافعال والاقوال وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام فيه مدخل وليس لهم انكاره بل ذلك للعلماء خاصة والعلماء انما ينكرون ما وقع الاجماع عليه واما المختلف فيه فلا انكار فيه لكونه جاريا على قول مجتهد فعلى القول بان كل مجتهد مصيب فلا اشكال وهو مختار جماعة من المحققين وعلى أن المصيب واحد فالمخطىء غير متعين والاثم موضوع عنه بافراغ كامل الوسع

وقوله في الحديث فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه يعني يجب عليه التغيير بيده وذلك ان توقف التغيير عليها ككسر اواني الخمر وآلات اللهو ومثل منع الظالم من ظلمه وتلك وظيفة الحكام لانهم الهيئة التنفيذية التي تقدر على هذا وقد يتوجه ذلك الى كل منا فيما اذا رأى ولده يشرب الخمر مثلا فهو قادر على اراقته بما له من سلطة عليه او رأى زوجته تتبرج بزينتها وتخرج من غير ضرورة شرعية فان في مقدرته منعها بما له من قوامة عليها وتلك هي المرتبة الاولى وهي اقوى المراتب في الحديث فان لم يستطعها بان خشي الحاق ضرر ببدنه او ماله فلينتقل الى المرتبة الثانية وهي الانكار والتغيير باللسان بان يقول قولا يرجى نفعه فيعطي كل واحد من الناس موعظته اللائقة به وعلى حد الحكمة والموعظة الحسنة وقوله ادفع بالتي هي احسن فقد يدرك باللين ما لا يدرك بالشدة وقد يدرك باللسان ما لا يدرك بالسيف وقد قالوا انه ينبغي ان يبتدا بالرفق واللين ثم بالاشد فالاشد على سبيل التدريج فان النصيحة مقدمة على الفضيحة وقال الامام الشافعي من وعظ اخاه سرا نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه

وتغيير المنكر باللسان ليس خاصا بالعلماء او الحكام بل يشمل كل مكلف يمكنه الانكار باللسان ما لم يخش ضررا اكثر والا فليس له الانكار باللسان ولينكر بقلبه وهو قوله في الحديث فان لم يستطع فبقلبه ومعنى الانكار بالقلب ان يكره ذلك ويبغضه ويقيم دليلا على هذا البغض كاهمال المرتكب للمنكر او احتقاره ان امكن وليس للانكار بالقلب الذي هو اضعف مراتب الجهاد معنى الا هذا والا كان شريكا للمرتكب اذا كان يجلس معه او يغض النظر عن فعله او يمدحه بلسانه لان ذلك نفاق ويظن بعض العامة ان معنى الانكار بالقلب مجرد قوله اذا رآه وهو يرتكب المنكر اللهم ان هذا منكر لا يرضيك ولو جلس معه او اعانه او شاركه في شيء وهذا خطأ درج عليه الناس فاضعف مراتب الايمان التي ليس بعدها من الايمان حبة خردل هي اعلان هذه الكراهة والاحساس تماما بان القلب هو الذي يملي على اللسان هذا القول او مثله ولذلك قال ابن مسعود هلك من لم

يعرف بقلبه المعروف والمنكر اي لان ذلك فرض لا يسقط عن احد بحال والرضا به من اقبح المحرمات ودليل على انه لا ايمان وليس هذا التعبير بالقلب في الحقيقة تغييرا ولكنه هو الذي في وسعه ومعنى كونه اضعف الايمان انه اقل ثمرة وأدنى نتيجة وانما كان اضعفه لانه لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة اخرى له كما قاله القرطبي

وفي معنى وقد قال (صلعم) ما من نبي بعثه الله قبلي الا كان له من امته حواريون واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ر. اه مسلم عن ابن مسعود هذا ويحرم على المؤمن ان يتجسس على الناس لينكر عليهم واقتحام الدور بالظنون فان التجسس حرام منهي عنه ولا يتوصل للطاعة بحرام بل ان عثر على منكر غيره نعم لو اخبره عدل ثقة بان منكرا يرتكب في جهة كذا وانس من نفسه القدرة على ازالته على الحد الذي بسطنا فلا باس بذلك عملا بعموم لفظ رأى قال الماوردي يس له ان يقتحم ويتجسس الا ان يخبره من يثق بقوله ان رجلا خلا برجل ليقتله او امرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذه الحال ان يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدركه قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله واعلم ان باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع اكثره من ازمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكه واذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضى الله عز وجل ان يعتني بهذا الباب فان نفعه عظيم ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فان الله يقول ولينصرن الله من ينصره قال هذا القول ناعيا على اهل زمانه في القرن السادس للهجرة فكيف بنا اهل القرن الرابع عشر

فليس لنا الا ان نتمثل بقول من قال من ذوي الاحوال :

هذا الزمان الذي كنا نحاذره ... في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

فاللهم يقظة شاملة وثباتا على دينك القويم والسلام على من اتبع سنة سيد المرسلين

محمد الهادي ابن القاضي

الفتاوى والأحكام

رسالة للشيخ اسماعيل التميمي تتمضن
جوابه عن السؤال الذي ساله عنه باي
عصره المولى المبرور حسين باي المتوفى سنة

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وعلى ءاله واصحابه اجمعين . ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . وبعد فقد سئلت من جناب الحضرة الزكية . والدوحة العلية . ذات المفاخر السنية . والمئاثر المرضية . حضرة مولانا الملك الهمام . فخر ملوك الاسلام. سليل الملوك الفخام . وواسطة عقد ذلك النظام . فارس الاسلام . ونخبة الزمان . وعلم الاعلام . وعين الاعيان . سيدنا ابي عبد الله حسين باي ايد الله سلطانه . وشاد بالعدل اركانه . ونصر جنوده واعوانه . على لسان من بلغ عنه . من خدمة حضرته . وهو الفقيه الفاضل . المحصل المدرس الكامل . ابو عبد الله محمد المناعي احد كتبة ديوانه السعيد عن مسئلة حاصلها ان رجلا حبس عقارات ورباعا في عقد واحد على من عينه برسم الحبس تحبيسا خليا عن القبول والحوز واشترط فيه الغلة لنفسه بقية حياته ولم يضمن الموثق الرسم المذكور ما يثبت به ملكية ذلك للمحبس على الوجه المعتبر شرعا ثم بعد وفاته وتناسخ ورائثه وقع تنازع في شان العقارات لدى حاكم مالكي فصدر منه حكم بفسخ حبسيتها ثم وقع تنازع ءاخر في الرباع التي لم يتعرض لها الاول لدى حاكم حنفي فاقرها وحكم بصحة حبسيتها وابقائها بيد اهل الحبس على ما كانت عليه قبل المنازعة ولم يلتفت الى ما احتج به احد الخصمين من سريان الحكم الاول اليها فاراد الآن بعض من ءالت اليه ورائثة في المحبس ان ينازع في ذلك وان يخاصم لدى حاكم مالكي فهل للمالكي اذا رفعت القضية اليه ان يحكم فيها بمذهبه ولا يمنعه من الحكم الحكم الصادر بصحة وقفيتها او ليس له ذلك ؟ وامر ايد الله تعلى امره . وقدس بمنه سره . ان اجيب عن ذلك بما تقتضيه قواعد الامام مالك رضي الله تعلى عنه

فقابلت إمره بما يجب له من الامتثال . وكتبت ما ظهر لي في الحال . ومن الله سبحانه وتعلى استمد التوفيق . والهداية الى اقوم واوضح طريق .

فاقول الذي ظهر لي في الجواب انه يجوز للمالكي والحالة ما ذكر ان يحكم بمقتضى مذهبه في تلك الرباع ولا يمنعه من ذلك الحكم الواقع بابقائها على حالتها الاصلية لان تصرف القاضي في النوازل اذا لم يحدث فيها تغييرا عن حالتها قبل المنازعة ولا اخرج فيها شيئا من يد الى

غيرها كما هو حال هاته النازلة مختلف في كونه حكما وكل ما اختلف في كونه حكما فلمن لا يراه حكما ان يحكم في محله بما يراه، اما القضية الصغرى القائلة ان مثل هذا التصرف الواقع في النازلة مختلف في كونه حكما فان الخلاف واقع فيه اولا بين ايمتنا فابن القاسم يراه حكما وسياتي تفصيل القول في اجراء مذهبه فيها ان شاء الله تعلى وعبد الملك ابن الماجشون لا يراه حكما ويرى ان الحاكم اذا ابقى الواقعة على حالها ولا اخرج شيئا من يد الى يد فان ذلك ليس بحكم وان اشهد على ذلك وكتب وانها اذا رفعت لمخالفه فله الحكم فيها، وبه قال أصبغ ومطرف وقال انه قول مالك وعزاه ابن رشد لابن حبيب وذكره الشيخ في النوادر عن كتاب ابن حبيب وسلمه ولم يحك له مقابلا فقال عن ابن الماجشون بعد ان ذكر ما يفسخ من الاحكام وما يقر ما نصه : وهذا فيما ياخذه الحاكم من هذا ويعطيه لهذا فاما ما هو ترك لما فعل الفاعل وامساك ان يحكم عليه بغيره مثل ما مر من الاختلاف في الطلاق قبل النكاح والعتق قبل الملك ونكاح المحرم والحكم بالقسامة وطلاق المخيرة فيما قيل انها واحدة بالنية فلو خيرها فاختارت نفسها ثم تزوجها قبل زوج فرفع الى حاكم يرى ذلك فاقره ولم يفرق بينهما ثم رفع لمن بعده فلهذا ان يفسخ نكاحها ويجعلها البتة وليس اقرار الاول اياه حكما منه وان اشهد على ذلك وكتب ثم ذكر في الطلاق قبل النكاح وما بعده من المسائل انها اذا قررها حاكم فلمن بعده ان يحكم فيها بما يراه . ثم قال وقال لي مطرف مثل قول ابن الماجشون من اول هذا القول وقال انه قول مالك وقاله اصبغ اهـ ولم يحك عن ابن حبيب انه تعقب شيئا من ذلك فلذلك عزاه له ابن رشد فقال في البيان : اختلف في الحكم بترك الامور وتقريره هل هو كالحكم فذكر مذهب ابن القاسم ومذهب ابن الماجشون هذا الا انه عزاه لابن حبيب ذكره في شرح الثالثة من رسم الجواب من سماع عيسى، وظاهر هذا الكلام ان الحاكم حكم بترك الامر وتقريره على حاله وهو صريح قول ابن الماجشون ولو اشهد على ذلك وكتب، وبه تعلم ان ما قاله القرافي ونقله المشذالي عن بعضهم ان المراد بالتقرير السكوت وترك الحكم وعدم التعرض غير سديد ولا مستقيم اذ الامام المعزو اليه هذا القول قد فسر مراده وان الحاكم الاول حكم لقوله وان اشهد الخ وعبارة ابن رشد تقتضي ذلك كما بيناه واعترف بذلك من نقل عنه المشذالي وكذا عبارة اللخمي الآتية وكانهما اغترا بلفظ الترك فظنوا ان معناه ترك الحكم والامر ليس كذلك بل المراد ترك الواقعة على ما كانت عليه بان لم يحدث فيها الحاكم ما يغيرها بشهادة قول ابن الماجشون فاما ما هو ترك لما فعل الفاعل اذ هو صريح في ان متعلق الترك هو المفعول، فالصواب في المسئلة ما اسلفناه وان مدار هذا الاختلاف هو انه هل من شرط الحكم ان يكون متعلقه تغيير امر عن حاله اولا ـ الاول لابن الماجشون ـ والثاني لابن القاسم، وهكذا اورد المسئلة شيخ المحققين الامام ابن عرفة اذ قال بعد ان عرف الحكم بانه جزم القاضي بحكم شرعي على وجه الامر ما نصه : وفي شرط كون متعلقه تغيير امر عن حاله اولا

قولا ابن الماجشون وابن القاسم. اللخمي ما هو ترك لما فعل وامساك عن الحكم لغير الفاعل كالحنث بالطلاق قبل النكاح والعتق قبل الملك ونكاح المحرم والحكم بالقسامة فحكم حاكم بامضاء النكاح واستمرار الرق ثم رفع لمن يرى خلاف ذلك فليحكم به ولا يمنعه من ذلك ترك الاول قاله ابن الماجشون ورأى ان الترك ليس بحكم وقال ابن القاسم في كتاب النكاح ذلك حكم وفسخ الثاني خطأ وهو احسن اه المقصود منه. وهو صريح فيما ذكرنا وقول اللخمي فحكم حاكم بامضاء الخ . بين غاية فيما اسلفناه واختياره لقول ابن القاسم لا يوهن قول ابن الماجشون اذ قد اختاره ايضا أيمة اعلام . ووافقته رواية مطرف عن الامام . فلا لوم ولا عتاب . على من اخذ به في هذا الباب .

على أن في اجراء مذهب ابن القاسم رضي الله تعلى عنه في هاته النازلة نظرا اذ هو متعذر من حيث انه يرى ان العقد الواقع على متعدد لا يتعدد بتعدده بل هو عنده امر واحد مركب من أمور ولذلك قال بفسخ الصفقة المشتملة على حلال وحرام او على عقدين متنافي الاحكام ويرى ان بطلان الحرام في المسئلة الاولى انما افضى الى بطلان كلها لانه كجزء منها واذا بطل الجزء بطل الكل .

وهذه النازلة من العقود الواقعة على متعدد وقد وقع الحكم فيها من المالكي بابطال بعضها فيبطل كلها قصده الحاكم او لم يقصده لان ابطال الجزء سبب في ابطال الكل والمسبب يتبع سببه ويحصل بوجوده شاء فاعل السبب أو أبى واذا كان الامر كذلك لم يبق لهذا الحكم الثاني محل يقع عليه فاختل لاختلال ركن من اركانه وايضا فان مقتضى هاته القاعدة ان الحكم انما يتوجه الى الجملة لا الى البعض فاذا صرفنا النظر عن الوجه الاول ونظرنا الى الحكم الثاني وجدناه حكما على البعض بحكم الكل وذلك مما لا مساغ له لان الحكم اذا نيط بالكل فلا يمكن قصره على البعض

ومن تامل الكتب الحكمية وجد لهذا الحكم وجوها اخر تشهد لما نحن بصدده فلا نطيل بها فاقتضى هذا البيان ان هذا الحكم الواقع على الرباع غير محصن لها من المالكية ولا مانع لهم من الحكم فيها على مقتضى ما قررناه

وهذا التقرار وان اثمر اتفاق المالكية في هذه النازلة غير مقتضي لنفي الخلاف فيها فان ظاهر الحكم المذكور ان مذهب الحاكم فيها مخالف لذلك وان العقد يتعدد بتعدد المعقود عليه كما اشار اليه حيث لم يسمع من الخصم الادلاء بتقدم حكم المالكي واما ان مذهبه انه لا يعتبر في الحكم تغيير المتعلق فامر واضح فثبت بهذا البيان القضية الصغرى القايلة ان مثل هذا التصرف مختلف في كونه حكما

ولما القضية الكبرى القايلة ان كل حكم مختلف فيه فلمن لا يراه حكما ان يحكم في متعلقه بما يراه فبيانها ما قاله القاضي برهان الدين ابن فرحون عند ما تحدث على الحكم بالموجب اذا لم يستوف شرائط الحكم بالصحة انه يكون مختلا عند من يشترط ذلك ونصه : والحكم المختلف فيه غير الحكم

بامر مختلف فيه فيسوغ لمن لا يرى الحكم بذلك ان ينقضه الا اذا حكم حاكم قبله بصحة الحكم الصادر بالموجب وكان الحاكم ممن يرى تسويغ الحكم بالموجب على الوجه المذكور فانه حينئذ لا ينقض ويدل عليه ايضا ما تقدم من قول ابن الماجشون ان لمن بعده ان يحكم بما يراه ولا يمنعه ترك الاول وان اشهد على ذلك وكتب فانه صريح في انه يجوز لمن لا يرى السابق حكما ان يحكم والظاهر ان الذي قبله يعتقد ان تصرفه حكم بدليل اشهاده وكتبه . وهذا المعنى وهو ان الحكم المختلف فيه لا ينفذ على المخالف مما يوافقنا عليه ايمة السادة الحنفية ففي الفوائد الفقهية للعلامة ابن غرس الحنفي في أوايل الفصل السابع منها ما نصه : قالوا القضاء المختلف فيه يحتاج في نفوذه على المخالف الى امضاء قاض ءاخر الى ان قال ومثاله قول القاضي ثبت عندي كذا اذا اراد به الحكم لا ينفذ على المخالف حتى ينفذه قاض ءاخر يرى انه حكم او يحكم بصحته بطريقه الخ .

واما كون المالكي ممن لا يرى هذا حكما فقد تقدم بيانه عند الكلام على الصغرى بما لا مزيد عليه هذا ما ظهر للفقير . ونكل العلم للطيف الخبير . وكتبه مسلما على ذلكم الجناب الزكي . والمقام العلي . ومن يقف عليه افقر خدمة العلم الشريف . اسماعيل التميمي الشريف . اصلح الله تعالى احواله . وختم بما يرضيه اقواله واعماله . والله تعلى اعلم

من المجلة الى قرائها

ورد على ادارة المجلة السؤال الآتي فاجاب عنه بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

س – ما حكم بيع العنب لمن يعلم انه يعصره خمرا

ج – البيع المذكور ممنوع والاصل في هذا سد ذرائع الفساد . وفي رسالة الشيخ عبد الرحمن الفاسي في المغارسة عاطفا على الممنوع : وكبيع العنب لمن يعصره خمرا ويفسخ الا ان يفوت فيتصدق بفضل الثمن ، وقال فيما علقه على هذه العبارة ما نصه :

يعني ان بيع ثمار الاعناب لمن يعصرها خمرا ممنوع لانها اعانة على الفساد وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان

واذا وقع هذا البيع فسخ كما في المدونة ، قال ابن رشد : واختلف على القول بانه يفسخ ان فات بمغيب المبتاع عليه فقيل يمضي بالثمن ويتصدق البائع بما زاد في ثمنه اذا باعه ممن لا يعصره خمرا . وقيل يمضي بالقيمة ويتصدق بما زاد عليها . يعني انه لو باعه باقل فيتصدق بالزائد اهـ

ووقع في المذهب فروع من هذا المعنى منها ما نبه عليه صاحب المختصر بقوله في باب الاجارة عاطفا على الممنوع : او دار لتتخذ كنيسة كبيعها لذلك وتصدق بالكراء وبفضلة الثمن اهـ .

محمد البشير النيفر

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

ابواب مدينة تونس

(٢)

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

واما الشريف الادريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق الذي هو من رجال المائة السادسة فقد قال : وهي (تونس) الآن في وقت تاليفنا لهذا الكتاب (سنة ٥٤٨ ه) معمورة موفورة الخيرات يلجأ اليها القريب والبعيد وعليها سور تراب وثيق ولها ابواب ثلاثة (لم يذكر اسماءها) وجميع جناتها ومزارع بقولها في داخل سورها اه قلت اتفق المؤرخون الاروباويون على ان كتاب الشريف الادريسي احسن ما وضع في فن الجغرافية في زمنه لانه كتبه عن عيان لا عن سماع . قال في الوافي بالوفيات انه الفه بطلب من الملك روجار (الثاني) ملك صقلية وانه ابتهج به واوسعه حظوة وعطاء .

وقال ابن الشباط : ولها (تونس) في زماننا (المائة السابعة) عشرة ابواب بعضها في البلد وبعضها في القصبة ثم قال وبها اسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وفنادق كبيرة رفيعة وبها خمسة عشر حماما وعضادات ابواب دورها كلها رخام بديع وهي دار علم وفقه ولي منها قضاء افريقية جماعة كثيرة هذا كلام ابن الشباط بالنقل عن ابن ابي دينار الذي استدرك عليه بان ابواب تونس في زمنه (القرن الحادي عشر) سبعة ابواب ولم يبق في القصبة الا باب غدر وان عدد الحمامات اربعون اه

وقال في رحلة العبدري : ومدينة تونس كلأها الله من المدن العجيبة الغريبة وهي في غاية الاتساع ونهاية الاتقان والرخام كثير بها واكثر ابواب ديارها معمول به عضائد وعتبا وجل مبانيها من حجر منحوت محكم العمل ولها ابواب عديدة (لم يذكر اسماءها) وعند كل باب منها ربض متسع على قدر البلد المستقل اه قلت هذه الارباض هي ربض باب السويقة وربض باب المنارة وربض باب الجزيرة .

واما رحلة التجاني التي ابتدأها سنة ٧٠٦ فلم نجد بها ما يفيد القاري من حيث ابواب مدينة تونس ومثلها رحلة ابن بطوطه سوى ان هذا الرحالة الشهير وصف لنا موكب السلطان الحفصي بما يشفي الغليل وكان ابتداؤه لرحلته من طنجة في سنة ٧٢٥

وقال في تقويم البلدان لابي الفدا اسماعيل المتوفى عام ٧٣٢ : تونس هي كرسي مملكة افريقية ثم لاحظ على ضبط لفظها فقال : بضم المثناة من فوق وسكون الواو وضم النون وفي ءاخرها سين مهملة اه وبهذا الضبط يكون اسمها غير مشتق من الانس الذي اشار له الشاعر في قوله

وتونس تونس من جاءها وتدركه حسرة حيث سار

ولكن ياقوت الحموي قال في معجم البلدان : ان النون في لفظ تونس تضم وتفتح وتكسر قلت هذا اغرب من الغريب لان مثل هذا التوسع لا يصح استعماله في اسماء الاعلام ولان لفظ تونس معرب من لفظ Thunès في اللسان اللاطيني وموجود في كتب الاقدمين قبل ان يفتحها المسلمون باحقاب ومن العبث الصراح الجزم بغير الحقيقة التاريخية التي جعلت اسم تونس لحسن حظ اهلها موافقا بمجرد الصدفة والاتفاق لمادة الانس الذي في معناه الاستبشار وانشراح الصدور

وممن وصف تونس وصفا مستكملا ابن فضل الله الدمشقي (توفى عام ٧٤٨) في كتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار حيث قال : هي مدينة مسورة في وطئة من الارض بسفح جبل يعرف بام عمرو ويستدير بها خندق حصين وثلاثة ارباض كبيرة من جهاتها وارضها سباخ وبها قصبة هي سكنى السلطان وجميع بناء تونس بالحجر والآجر مسقوفة بالاخشاب وتفرش ديار اكابرها بالرخام ومنذ خلا الاندلس من اهله وآووا الى جناح ملوكها مصروا اقليمها ونوعوا بها الغراس فكثرت منتزهاتها وامتد بسيط بساتينها على بحيرة من البحر الشامي (البحر المتوسط) خارجة الى شرقيها من فم ضيق (حلق الوادي) الى ان قال : وليس لاهل تونس شرب الا من الآبار احدها بير ضبيان وبالبيوت صهاريج (مواجل) تجمع مياه الامطار لغسل القماش وغير ذلك اه فترى مع هذا الوصف الجميل لم يتعرض ابن فضل لذكر ابواب تونس ولكنه افادنا باسم بير ضبيان المقتبس منه بما لا شك فيه اسم خندق ضبيان الذي كان متسربلا خلال ربض باب السويقة حتى البحيرة

هذا ولم نقف بكتاب العبر لابن خلدون على تعريف خاص بابواب تونس رغم المامه الجامع بتاريخ بلاد العرب والبربر باجمعه ومثله القلقشندي فانه وصف تونس في صبح الاعشى ولكنه لم يتعرض لذكر ابوابها ومثلهما المؤرخ ابن الشماع وهو من ابنائها واما الفقيه الزركشي فقد تعرض لذكر جملة من ابواب تونس المعروفة وغير المعروفة ومن هذه الاخيرة باب ينتجمي (لفظ بربري) احد ابواب القصبة ونص عبارته : وفي سنة ٦٥١ بنى (المستنصر بن ابي زكرياء) قبة الجلوس بتونس التي باسراك (لفظ بربري معناه بطاح) المشرفة على باب ينتجمي وبنى الممشى من القصبة الى راس

الطابية لكي تحتجب فيها حريمه واوصله الى رياض ابي فهر . وقال في حوادث عام ٨٥٧ : توفي القائد نبيل بمحبسه ودفن ليلا بالقصبة ثم اخرج ليلة الخميس رابع عشر الشهر المذكور (جمادى الاولى عام ٨٥٧) وانزل الى المدرسة الكائنة شرقي باب ينتجمي احد ابواب القصبه (يا ترى اين موقع هذه المدرسة ؟ والمظنون انها بجهة الحفصية او بجهة حوانيت عاشور حيث مدرسة الوزير البربري احمد بن تفراجين الباقية ءاثارها لهذا الزمان بنهج سيدي ابراهيم الرياحي) وقال في حوادث عام ٨٦١ : اصاب الناس بتونس غلاء في الطعام بلغ قفيز القمح اربعة دنانير ذهبا والشعير على الشطر من ذلك فشكى الناس قلة الطعام وغلاءه للسلطان (ابي عمرو عثمان الحفصي) فامر بان يخرج من المخزن (الرابطة) في كل يوم ما يصنع منه الف خبزة وتفرق على الفقراء بتونس بباب ينتجمي فابتدىء بتفريقها في ثالث ربيع الثاني ودام الى رجب حتى كثر الطعام الجديد ورخص ثمنه اه (هذه الشهور الثلاثة يوافقها من الشهور الشمسية مارس وابريل ومايه سنة ١٤٥٧ للميلاد)

وممن كتب ايضا في وصف حاضرة تونس المؤرخ ليون الافريقي وهو رجل صاحب شهرة مطبقة باروبا ولكنه غير معروف بين المسلمين فهذا الرجل وصف تونس وصفا مستكملا عن عيان تعرض فيه لما بها من الابنية والآبار والعوائد حتى الماكول ومنه البسيس واثنى على اخلاق اهلها واقبالهم على الصنائع والشغل ولاسيما النسج وقال ان السلطان المستنصر زاد في عمارتها باحداث ربض خارج باب السويقة به ثلاثمائة دار وربض خارج باب المنارة به الف دار وربض خارج باب البحر به مساكن النصارى ومتاجرهم واكثرهم من الجنويز والبنادقة والكاتلان وقال ان الدور مبنية بالحجارة الصلدة وصحونها مفرشة بحجر الكذال وبلاط البيوت مموها بالالوان قلت كان عدد ديار تونس في ذلك العصر مقدرا بالعد الصحيح لنحو سبعة ءالاف دار وهي في زماننا هذا ثلاثة اضعاف ذلك . ومعلوم ان حاضرة تونس كانت مستكملة العمارة في اواخر العصر الحفصي من حيث اشتمالها بالوسط على احياء المدينة الواقعة داخل سورها الاول الموجود مكانه في الزمن الحاضر خط سكة الترامواي كما تقدم ذكره وعلى احياء الارباض المحدثة في العصر الحفصي التي يشملها السور الخارجي الذي ما زالت منه بقية عظيمة موجودة لهذا اليوم وابواب هذين السورين المعروفة بين الناس ذكر اكثرها المؤرخ ابن ابي دينار في المونس بحيث لم تبق لنا فائدة باضافة نقول اخرى لذلك من كتب المؤرخين المتاخرين ولاجله نحصر ما بقي لنا من الحديث في التعريف بتلك الابواب قديمة كانت او حديثة موجودة او غير موجودة ونتوخى في ذلك تقديم القديم على الجديد باعتبار تواريخ ظهورها في عالم الوجود حسب ما انتجه بحثنا في ذلك ولكن لا بد لنا قبل ذلك من الاشارة لكون جميع الابواب التي سنعرف بها كانت تغلق ليلا كما كانت تغلق نهارا ايضا وقت صلاة الجمعة وفقا لعادة قديمة ظهرت في اواخر الدولة الحفصية عند احتلال عساكر الاسبانيول لتونس اتقاء شر الفتنة

ودفعا لهجمات البدو من الاعراب الذين كان بعض سلاطين بني حفص في دور هرم دولتهم يستنفرونهم للدفاع عنهم فيعيثون في الارض فسادا واسترسل الامر كذلك على عهد حكم الاتراك في كامل مدة الدولة المرادية وبقي كذلك ايضا في العصر الحسيني الى اوائل مدة المشير احمد باي فلما رتب الاجناد وتوفرت لديه العدة الكافية للاحتفاظ بالامن العام استغنى بذلك عن غلق أبواب الحاضرة وقت صلاة الجمعة وبقي غلقها واقعا في الليل بانتظام من الغروب الى قبيل طلوع الشمس عدا باب الخضراء وباب علاوة فانهما لا يغلقان الا اثر صلاة العشاء وقياسا على ذلك كانت ابواب الحارات والحومات بداخل المدينة تغلق ايضا في الليل وهذه الابواب الداخلية كانت كثيرة بقسم المدينة لكل حومة باب خاص بها يجعلها منفصلة عن بقية الحارات طيلة الليل كله صيفا وشتاء وكانت مفاتيحها بيد المحركين ولا يجوز فتحها ليلا بحال اللهم الا في حالة احتضار مريض لجلب طبيب او قريب له او في حالة امرأة اخذها المخاض ليؤتى لها بقابلة لمباشرتها ودام غلق ابواب حومات المدينة الى سنة ١٢٧٦ فلما اعلن المشير محمد الصادق باي بقانون عهد الامان ترك لاهل الحاضرة حريتهم بابقاء ابواب حاراتهم مفتوحة في الليل كما في النهار ولم يستثن من ذلك الا ابواب اسواق التجارة وما زالت كذلك الى هذا الزمان. اما غلق ابواب البلاد ليلا فقد كان القصد منه حفظ السكان من طوارق الحدثان ومن ناحية اخرى كان وسيلة لضبط الاداء الموظف على المحصولات التي تجلب لتونس من مختلف الجهات حتى لا يقع ادخال شيء من الطعام او غيره خفية في الليل ويفوت بذلك دخل كبير على البايليك بحيث ان ابواب البلاد كانت لا تفتح ليلا الا لحادث عظيم فقد اتفق لهم مرة فتح باب ابي سعدون اثناء الليل عن اذن الداي ليخرج منه جماعة من القراء وقع استدعاءهم للحضور بباردو بمناسبة ماتم بدار الامارة حدث فجاة وهذا الباب نفسه صدر الاذن في اواخر عام ١٢٩٨ بابقائه مفتوحا دواما واستمرارا لتسهيل اسباب المواصلة لعساكر جيش الاحتلال بين تونس والثكنات العسكرية الواقعة خارجها ثم بطريقة التدريج وقع فتح باب الخضراء وباب علاوة وباب القرجاني وباب العلوج في الليل كما بالنهار وكان ءاخر الابواب فتحا في الليل مع النهار باب سيدي عبد السلام وباب سيدي عبد الله الشريف والغيت مع ذلك خدمة استخلاص المعلوم على دخول المحصولات من ابواب الحاضرة لفوات المقصود منها لان اكلافها اصبحت بتكاثر متوظفيها تناهز المدخول المتحصل منها لفائدة صندوق الدولة واليك تاريخ نشاة تلك الابواب

١ — باب الجزيرة — هو من اقدم ابواب تونس ان لم يكن اقدمها والجزيرة المنسوب لها هذا الباب هي جزيرة شريك العبسي وقد تقدم التعريف بذلك ونعرف لامام البلاغة الورغي ابياتا جاء فيها ذكر هذا الباب ونصها :

سقاك الغيث يا باب الجزيرة   فكم جازتك من حوراء عطيرة

تميل اذا مشت كالسرو هبت عليها الريح من ارض مطيرة
ويرجع كل ذي عين رءاها بكف عن تناولها قصيرة
اذا ما قال ذو طمع لمن ذا تقول لمن دراهمه كثيرة

٢ – باب قرطجنة – معروف ومما لا شك فيه انه من اول ابواب تونس حدوثا ويلوح انه ظهر في المائة الثانية لانهم كانوا يدخلون منه الحجارة المجلوبة من اطلال قرطجنة لعمارة تونس وتونس كانت دار علم وفقه ومتمصرة في أواخر المائة الثانية

٣ – باب ارطه – غير معروف ويلوح انه من اقدم ابواب تونس على تقدير ان اسمه نسبة لاسم بشر بن ارطه من اصحاب عقبه بن نافع الذي تولى حكم افريقية مرتين في اواسط القرن الاول للهجرة او هو نسبة لبقعة من الارض مجاورة لتونس كما تقدم ذكره

٤ – باب السقايين – غير معروف وهو من اقدم ابواب تونس لانه كان موجودا في المائة الخامسة ولعل موقعه كان بجهة باب الاقواس كما تقدم بيانه

٥ – باب البحر – معروف وهو من اقدم ابواب تونس اتفاقا لان سوره كان هو الحافظ للمدينة من جهة البحر كما يدل عليه اسمه . قالوا ان الواقف بدرج جامع الزيتونة في المائة العاشرة كان يرى مياه البحر من مكانه

٦ – باب السويقة – معروف كان موجودا باسمه هذا في المائة الرابعة ومعنى السويقة سوق صغيرة كان يملكها سيدي محرز بن خلف وكانت محررة من الامكاس كبقية رباعاته وعقاراته ومتاجره وغيرها . وسيدي محرز رضي الله عنه كان من رجال الدين والدنيا جمع بين علوم الشريعة وعلوم الاجتماع البشري

٧ – باب الاقواس – معروف موقعه ويلوح مما ورد في حقه بالمونس انه اندثر مع السور القديم الذي بناه سيدي محرز بن خلف

٨ – باب الفلاق – غير معروف ذكره ابن ابي دينار في جملة الابواب التي كان موقعها بالسور المحرزي المندثرة

٩ – باب البنات – معروف والمتعلق بمحفوظي انه منسوب لبنات احد النوار ولعله ابن غانية المعاصر للموحدين وهؤلاء البنات كن على جانب من الجسارة والشمم وعزة النفس

١٠ – باب ينتجمي – غير معروف وكان موقعه بالقصبة بما لا شك فيه لان الزركشي قال انه احد ابوابها كما تقدم وصفه بمزيد بيان

١١ – باب غدر – معروف ذكره ابن ابي دينار وقبله الزركشي ومنه يستفاد انه كان موجودا في عام ٧٠٨ وهذا الباب خاص بالعساكر الذين بثكنة القصبة في هذا الزمان

١٢ — باب القرجاني — معروف موقعه وسمي كذلك نسبة لولي الله سيدي علي الكبير القرجاني من رجالات المائة السابعة

١٣ — باب المنارة — معروف سمي كذلك لانه كانت بجداره مشكاة لهداية ابناء السبيل وكان موجودا في عام ٦٨٤

١٤ — باب الجديد — معروف بني على عهد السلطان يحي الحفصي في حدود سنة ٦٧٦ وفي مدة الباشا علي باي الاول تناوله التدمير والتخريب برمي المدافع اثناء الفتنة التي اثارها الباشا المذكور لاغتصاب الحكم من يد عمه المقدس المولى حسين بن علي ولما رجع الدر لمعدنه امر المولى علي باي الثاني بتجديد الباب المتحدث عنه في سنة ١١٨٣ وقد ارخ هذا التجديد امام البلاغة ابو عبد الله محمد الورغي بابيات ننقلها من ديوانه ونصها :

جدد هذا الباب باب الجديد علي باشا بن الحسين السعيد
اقامه من بعد ما قد هوى في فتنة يشيب منها الوليد
فالله يحميه وانجاله من مثلها في طيب دهر حميد
ويبني لهم مثل ما قد بنى هذا هنا في الخلد قصرا مشيد
وعند ما قدمت ارخته لمدخل ارفاق ونيل يزيد

١١٨٣

١٥ — باب علاوة — معروف كان موجودا في عام ٨٨١ على ما افاده الزركشي

١٦ — باب ابي سعدون — معروف ذكره غير واحد من المؤرخين ويلوح انه بني في اواخر المائة الثامنة او في اوائل المائة التاسعة لان السلطان محمد المنتصر الحفصي بنى سقاية هذا الباب في حدود سنة ٨٣٨ حسب ما جاء ذلك في المونس وفيه يقول امام البلاغة الورغي بطالعة نونيته المعروفة

باكر سعودك ليس الوقت بالدون واجعل صبوحك عند باب سعدون

١٧ — باب الخضراء — معروف واسمه ازهى اسماء ابواب تونس سمي كذلك لانه يعبر منه لجهة الخضراء التي كانت معمورة بالزياتين ويلوح ان بناءه كان في اواخر المائة العاشرة لاني لم نعثر على ذكره في العصر الحفصي ولانه كان موجودا في عهد الدولة المرادية

١٨ — باب العلوج — معروف وكان اسمه باب الرحيبة في المائة الثامنة وما قبلها وغلب عليه نسبته للعلوج من اواسط المائة التاسعة لان السلطان ابي عمرو عثمان لما تولى الملك في سنة ٨٣٩ وفد عليه اخواله من ايطاليا فبر بهم واسكنهم بالربض المجاور للقصبة قال في الخلاصة النقية : كانت ام هذا السلطان من العلوج اسمها مريم (ماريه) فلما بويع ورد عليه اخواله فاسكنهم بالربض الملاصق للقصبة وعرف بحومة العلوج من يومئذ اه .

١٩ — باب سيدي قاسم — معروف والنسبة لسيدي قاسم الجليزي (صوابه الزليجي) المتوفى

سنة ٩٠٢ قال في المونس ان اسمه كان باب خالد قلت لعل خالد هذا هو السلطان ابو البقا خالد بن ابي زكرياء الذي تولى الملك في سنة ٧٠٩ وهذا الظن حملني عليه كون زاوية سيدي قاسم المجاورة لهذا الباب بها مقابر للحفصيين وما هو الا مجرد احتمال لا نجزم بصحته

٢٠ – باب الفله – معروف هو من بقايا العصر الحفصيّ في دور انحطاطه . قال في المونس سمي بذلك لانه كان ثلمة في السور ولما دهم أهل تونس العدو من النصارى (الاسبانيول) وفروا بانفسهم خرجوا من هنالك خيفة إن تؤخذ عنهم الابواب فخرج أكثرهم من هنالك فكان يقول بعضهم لبعض اخرجوا من الفلة وهذا الاسم باق الى اليوم اه

٢١ – باب سيدي عبد السلام – معروف ولكن لم نقف له على خبر يمكنني من تحديد تاريخ احداثه ولو على وجه التقريب اللهم الا بطريقة الحدس والتخمين وبهذا التقدير يمكن الرجوع به للعصر الحفصي من وجهين اولا انتساب الفسقية التي بقربه الى اسمه (فسقية باب سيدي عبد السلام) وهذه الفسقية في اصلها من بقايا العصر الحفصي وثانيا لان هذا الباب احد الابواب الثلاثة (والآخران هما باب سيدي قاسم المتقدمْ ذكره وباب سيدي عبد الله الذي سياتي ذكره) من مجموع ابواب تونس التي لم تمسها يد التغيير والترميم بحيث انها (اي الابواب الثلاثة المشار اليها) ما زالت في حالة بنائها العربي التي هي عليه منذ قرون وهي متماثلة الوضع والشكل والحجم مما يحمل على الجزم بانها من بقايا العصر الحفصي لاسيما وان احدها وهو باب سيدي قاسم كان موجودا في المائة التاسعة اي قبل سقوط الدولة الحفصية بنحو مائة عام

٢٢ – باب سيدي عبد الله – معروف وكان اسمه في القديم باب سيدي علي الزواوي على ما ورد في كتاب المشرع الملكي وزاوية سيدي علي الزّواوي ما زالت موجودة داخل السور قرب هذا الباب الذي كان منسوبا لصاحبها قال في المشرع الملكي عند الكلام على جنازة المولى محمد الرشيد باي المتوفى عام ١١٧٢ : ودخلت جنازته من باب سيدي علي الزواوي ودفنوه بتربة ابيه (زاوية سيدي قاسم السبابطي) واما سيدي عبد الله الملقب بالشريف فضريحه خارج هذا الباب المنسوب اليه في هذا الزمان ويلوح انه من اهل الاجيال المتاخرة لان الباب المتحدث عنه كان منسوبا لاسم غيره في أواخر القرن الثاني عشر كما تقدم ذكره قريبا

٢٣ – باب العسل – معروف واسمه مقتبس من اسم درب ابن عسال وهذا الدرب كان موجودا في العصر الحفصي لانهم كانوا يسمون الازقة والشوارع دروبا في زمنهم واما الباب المتحدث عنه فهو في محدثات هذا العصر وقع فتحه لنحو ثلاثين سنة ماضية ويروق لي ختم الكلام في هذا المقام بحديث باب العسل لانه لا احلى من الشهد

محمد بن الخوجة

القضـاة الشرعيـون

في القديم

« ٦ »

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

ابن باديس

هو ابو علي الحسن بن ابي القاسم بن باديس القسنطيني بيته من بيوتات العلم في قسنطينة وبه يتصل نسب الاسرة الباديسية الموجودة في فروعها الى اليوم بهذه المدينة ، ترجمه الشيخ بابا في نيل الابتهاج وذكر ان ولادته سنة ٧٠١ ونقل عن ابن الخطيب القسنطيني وصفه بالمحدث وانه أخذ عن ناصر الدين المشذالي وابن غربون البجائي وابن عبد الرفيع وغيرهم وانه ادرك في حداثة سنه ما لم يدركه غيره في سنه ، قال ولغلبة الانقباض عليه قل النفع به لمن ادرك حياته .

واما ولايته قضاء الجماعة بتونس فكانت بعد وفاة سلفه ابن حيدرة ثم استقال منه على ما في تاريخ الدولتين « صفحة ٩٦ » في أواخر صفر سنة ٧٨١ وولي قضاء قسنطينة وتوفي على ما في نيل الابتهاج سنة ٧٨٧

ابن القطان

هو ابو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن البلوي القطان ولعله حفيد القاضي عبد الرحمن الذي مضى القول في ترجمته قريبا ولي القضاء بعد ان تخلى عنه ابن باديس ووصفه الزركشي بالفقيه وذكر « صفحة ٩٧ » انه توفي في حدود سنة ٧٨٥ خمس وثمانين وسبعمائة .

البرشكي

هو ابو زيد عبد الرحمن البرشكي ولي القضاء مكان ابن القطان وصفه الزركشي بالفقيه وقال فيه الشيخ بابا في نيل الابتهاج : الشيخ الامام العلامة الخطيب المدرس قاضي الخلافة العلية بتونس وكان من أهل العلم والعمل به بمحل لا يجهل ، واما اخلاقه العلية ومكارمه السنية فكالغيث الواكف احد اشياخ العلامة ابن مرزوق كذا ذكره بعضهم قلت وهو من شيوخ ابي الطيب بن علوان المصري اهـ

وقال الزركشي في تاريخ الدولتين (صفحة ٩٨) ثم بعد مدة من تقديمه مرض فقدم للنيابة عنه شيخ شيوخنا الفقيه العالم ابو مهدي عيسى الغبريني ثم لما كانت سنة سبع وثمانين توفى القاضي البرشكي واستقل بالقضاء ابو مهدي عيسى المذكور اه

الغبريني

هو ابو مهدي عيسى بن احمد بن محمد بن محمد الغبريني اخذ عن الشيخ ابن عرفة ومن في طبقته وبعد في العلم والتحقيق صيته واخذ عنه أكثر المتأخرين من تلاميذ الشيخ ابن عرفة كالبسيلي وابي يحيى ابن عقبة والشيخ عمر القلشاني وابي القاسم القسنطيني وابن ناجي وكان يثني عليه كثيرا ويحليه بنعوت العظمة والجلال كما ترى في غير موضع مما كتب على المدونة .

ومما قال فيه : ما رأيت أصح منه نقلا ولا أحسن منه ذهنا ولا أنصف منه مع كمال الرئاسة اه

وقال ايضا : انه ممن يظن به حفظ المذهب بلا مطالعة اه

وقال تلميذه الامير ابو عبد الله المعروف بالحسين ابن السلطان الحفصي : شيخنا ابن عرفة وشيخنا الغبريني ممن يجتهد في المذهب ولا يحتاج لدليل على ذلك اذ العيان شاهد بذلك اه

وقد ولي رحمه الله قضاء الجماعة والامامة والخطبة والفتوى بجامع الزيتونة

أما قضاء الجماعة فقد باشره نيابة عن البرشكي لما مرض ثم استقل به بعد وفاته سنة ٧٨٧ » وقد أسلفنا هذا نقلا عن الزركشي

وأما الامامة بجامع الزيتونة فقد قام بها نيابة عن الشيخ ابن عرفة لما خرج حاجا سنة ٧٩٢ ثم وليها هي والخطابة بعد وفاته سنة ٨٠٣ وقلد معهما الفتوى بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة كما كان أستاذه أيضا .

وكان من العوائد المقررة في الجامع أن الامام اذا أراد أمر المؤذن باقامة الصلاة ضربت نقارة بين يديه في الدويرية « مقصورة الامام » فاقيمت الصلاة فلما ولي صاحب الترجمة الامامة سأل الشيخ أبا محمد عبد الواحد الغرياني أعنده علم في مستند هذه النقارة فاخبره أن اباه حدثه عن الشيخ عبد الله بن عبد البر أنه كان اكثر ما يجلس على اصطبل بازاء باب الجنائز فاذا رآه المؤذن هنالك أقام الصلاة وقد يجلس في الدويرية لعذر او رواية كتاب فيضرب خدمة الجامع تلك النقارة اعلاما للمؤذن بحضور الامام . فابطلها صاحب الترجمة رحمه الله ثم اعادها الشيخ البرزلي ثم جاء الائمة بعده فابطلها بعضهم واستعملها آخرون ثم استمر تركها الى اليوم ولله الحمد والمنة

هذا واقام صاحب الترجمة في خططه كلها الى ان توفي يوم السبت السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (٨١٣) ودفن بالزلبع كذا في الزركشي وفي نيل الابتهاج نقلا عن الشيخ أحمد القلشاني انه توفي سنة ٨١٥ وقال السخاوي سنة (٨١٦) والله اعلم .

يتبع

محمد البشير النيفر

كنز الادب

هي قصيدة عامر ابن هشام القرطبي الاندلسي التي قالها يشكو دهره عند ما رقت حاله ويذكر فيها محاسن قرطبة ويأبى مفارقتها والخروج منها لطلب العيش والالتجاء الى سلاطين مراكش الموحدين خلفاء المهدي ابن تومرت من ذرية عبد المؤمن ابن علي لما اشير عليه بالتوجه الى عدوتهم

وقد سبق للمجلة نشر عدة قصائد على رويها فتشوق القرآء الى الاطلاع عليها وذلك عند ما تعرض الشيخ المقداد الورتاني الى ذكر مطلعها وتسمية صاحبها والتنويه بشانها وانها كانت تعرف في الاندلس بكنز الادب وذلك في قصيدته التي على رويها والمدرجة بالمجلة في شهر صفر الفارط ومطلعها

يا تونس الانس دار العلم والدين ... هل هبة منك عن دارين تغنيني

والآن ننشر القصيد (كنز الادب) التي كانت سببا في نفاق سوق الادب ونصها :

***

يا هبة باكرت من نحو دارين ... وافت الي على بعد تحييني
سرت على صفحات النهر ناشرة ... جناحها بين خمري ونسرين
ردت الى جسدي روح الحياة وما ... خلت النسيم اذا ما مت يحييني
لولا تنسمها عن نشر ارضكم ... ما اصبحت من اليم الوجد تبريني
مرت على عقدات الرمل حاملة ... من سركم خبرا بالوحي يشفيني
عرفت من عرفه ما كنت أجهله ... لما تبسم في تلك الميادين
نزوت من طرب لما هفا سحرا ... وظل ينشرني طورا ويطويني
خلت الشمال شمولا اذ سكرت بها ... سكرا بما لست ارجوه يمنيني
اهدت الي اريجا من شمائلكم ... فقلت قربني من كان يقصيني
وخلت من طمع ان اللقاء على ... اثر النسيم وأضحى الشوق يحدوني
فظلت ألثم من تعظيم حقكم ... مجر اذيالها والوجد يغريني
مسارح كم بها سرحت من كمد ... قلبي وطرفي ولا سلوان يثنيني
بين المصلى الى وادي العقيق وما ... يزال مثل اسمه ان بان يبكيني
الى الرصافة فالمرج النظير فوا ... دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون

لباب عبد سقته السحب وابلها — فلم يزل بكئوس الانس يسقيني
لا باعد الله عني من منازهه — ولا يقرب لها ابواب جيرون
حاشا لها من مجلات مفارقة — من شيق دونها في القرب محزون
أين المسير ورزق الله ادركه — من دون جهد وتأميل يعنيني
يا من يزين لي الترحال عن بلدي — كم ذا تحاول نسلا عند عنين
وأين يعدل عن ارجاء قرطبة — من شاء يظفر بالدنيا وبالدين
قطر فسيح ونهر ما به كدر — حفت بشطيه الفاف البساتين
يا ليت لي عمر نوح في اقامتها — وان مالي فيه كنز قارون
كلاهما كنت افنيه على نشوا — ت الراح نهبا ووصل الحور والعين
وانما أسفي أني اهيم بها — وأن حظي منها حظ مغبون
ارى بعيني ما لا تستطيل يدي — له وقد حازه من قدره دوني
وانكد الناس عيشا من تكون له — نفس الملوك وحالات المساكين
يغض طرف التصابي حين يبهته — قضبان نعمان في كثبان يبرين
قالوا الكفاف مقيم قلت ذاك لمن — لا يستخف الى بيت الزراحين
ولا يبلبله هب الصبا سحرا — ولا يلطفه عرف الرياحين
ولا يهيم بتفاح الخدود ورمان الصدور ترجيع التلاحين
لا تجتنى راحة الا على تعب — ولا تنال العلا الا من الهون
وصاحب العقل في الدنيا اخو كدر — وانما الصفو فيها للمجانين
يا ءامري ان احث العيش عن وطني — لما رأى الرزق فيه ليس يرضيني
نصحت لكن لي قلبا ينازعني — فلو ترحلت عنه حله دوني
لالزمن وطني طورا تطاوعني — قود الاماني وطورا فيه تعصيني
مذ للابين عرفاني واضرب عن — سير لارض بها من ليس يدريني
هذا يقول غريب ساقه طمع — وذاك حين اريد البر بجفوني
اليك عني ءامالي فبعدك يهديني وقربك يطغيني ويغويني
يا لحظ كل غزال لست املكه — يدنو ومالي حال منه تدنيني
ويا مدامة ديرلا الم به — لولا كما كان ما اعطيت يكفيني
لاصبرن على ما كان من كدر — لمن عطاياه بين الكاف والنون

اهـ

رثـاء الشيخ البـاونـدي

في شهر شعبان من العام الماضي ١٣٥٩ انتقل الى عفو الله وسعة رحمته المرشد الواعظ الشيخ عبد العزيز الباوندي فكان لفقده رنة اسف عمت سائر الطبقات لما جبل عليه الفقيد من الصفات المرضية وما قام من الاصلاح في كثير من الميادين فقد احيا رحمه الله سنة تلقين القرآن بطريقة الاملاء واسس دروس الاملاءات في كثير من مساجد الحاضرة حتى اصبح كل حي في احد مساجده تقام الاملاء بين العشاءين بما يفوق العد ثم ولى وجهته نحو بلدان المملكة فاسس في كل بلد زاره املاء واقام الاحتفالات لهذا الغرض الشريف يحضرها كافة الطبقات فيعظ الحاضرين ويذكرهم بما يلين القلوب ويرغبهم في الاقبال على القرآن والاهتمام بتعاليمه والبعد عن مواطن الفساد وقد اخذ بيده رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقاموا بتعليم الناس القرآن الكريم كما اسس دروس الوعظ في الجهات التي بها من آنس منه المقدرة على ذلك في الحاضرة وبلدان المملكة فكان لعمله هذا عظيم الاثر من غير ضوضاء ولا قال ولا قيل وبذل في سبيل غرضه الشريف كل رخيص ونفيس جاعلا رائده الدعوة الى ما فيه الاصلاح وقد يسر الله له في بضع سنوات تعميم هذا المشروع العظيم في غالب جهات المملكة ولم يبق له الا جهة قابس وما حولها وقد عاجلته المنية قبل ان يتمم زيارة تلك الجهات . وقد تعرف في زياراته لبلدان المملكة بافاضل الرجال فشدوا ازره ونشروا بين الناس الفضيلة ونهوا عن المنكر بما خلد له ولهم مبرات حسان كتبت لهم على صفحات التاريخ الحديث جزاهم الله عن المسلمين احسن الجزاء

ومن علامات القبول وصدق نية الفقيد ان بقيت آثاره الاصلاحية بعد وفاته كما هي عليه في حال حياته في الحاضرة وكثير من بلدان المملكة وقد قام مقامه في تونس اخوه الشيخ علي الباوندي يعاضده رجال جلة ممن كانوا في حياة الفقيد عضده الايمان في القيام بالمشروع من تلامذته وغيرهم بارك الله في الخلف ورحم السلف . هذا وقد رثاه رحمه الله كثير من الشعراء يوم وري على جثمانه التراب وبعده بقصائد رائقة ناطقة بمزايا الشيخ ومناقبه الجميلة وقد وافتنا هذه المرثية من بنات افكار الفاضل الزكي الشيخ العروسي العبادي المدرس بنفطة ونصها :

الله اكبر كل حي فان ... قد مات حامل راية القرآن

هل في الخطوب وإن تفاقم شرها ... خطب يشيب نواصي الولدان

ام هــل تـرى رزء بحـر لهيبـه يصلى القلوب كمضرم النيران
وهل انبرت يوما بتونس نكبة والمسلمين بسائر البلـدان
كمصابهم بممات واعظ جمعهم ومؤسس الامـلاء للفرقـان

***

مـات الامـام بعلمه وبهـديه مـات الملاذ وعمـدة الحيران
مات المبرز في العدالة والتقى مـات النصير لاشرف الاديان
مات العفيف بزهـده وبحلمه مات الجريء على ذوي الطغيان
مات الكريم ببره وصلاته كاسي العراة ومشبع الغرثان
عبد العزيز ومن كمثله ذلك الـ ـفذ البوندي ما له من ثان
المغضب الشيطان منذ شبابه والمستحق مبـرة الرحمـان
من عاش طول حياته وقفا على بـر الـورى والنصح للاخـوان
لا يبتغي بفعاله مهما سمت ثمنا ولا شكـران من انسان
حقا غدت حركاته وسكونه لله لا للاصفـر الرنـان
قد كان نورا في العوالم ساطعا واليوم في لحـد وفي اكفان

***

يا من ثوى في كل قلب حبه وسرى الثناء عليه في الاكوان
هـذيا الايالة طفت في ارجائها تـدعو الى المولى بكـل لسان
اسست املاء الكتاب بها على اسس كمثل دعائم الاركان
والسنـة الغراء قمت ببعثها احييتها في افسـد الازمـان
وابنت منها للتصوف منهجا لم تخطه في السر والاعلان
وزجرت من يهوى الرذيلة فانتهى واخـذت عنه اغلـظ الايمـان
وحججت كل معاند جادلته وخصمته بمؤيـد البـرهـان
والملحدين كشفت عن سوآتهم فشفيتهم من علة الخـذلان
وذهبت في هذا الطريق مجاهدا لـم تخـش غير الله من سلطـان
لم تنثن اذ هددوك بشرهم ووقفت منهم موقـف الشجعان
تبكي المساجد والمدارس والمصا حف والمعاهد شيخهـا الرباني
تبكي ببكاء الشاكلات لفقده وتـود اسعافا من الخـلان
وا رحمة للبر بعدك والتقى وا رحمة للـدين والعرفان

***

ما عشت لن انسى زيارتكم لنـا   في نقطة مـع سادة اعيـان
نادى المنادي معلما بقدومكم   فتسارع الاشيـاخ كالشبـان
واكتض منهم جامـع برحابـه   وامتدت الاذان والعيـان
فطلعت بعد العيد مثل هلالـه   بل بـدر تم امن النقصـان
بل طود علم جل ناقلـه لنـا   بل بحر فضل دائم الفيضـان
ذكرتنا أخلاق اجداد لنـا   شادوا العلى في سالف الازمان
وجلت تنثر واعطنا ما شئت من   درر نظمت بهـا عقود جمان
وذهبت تسبح في بحار جمة   بفصيح نطق واضح التبيـان
فالشرح للآيات جاء مدققا   اما الحديث فما روى الشيخان
ابكيتهم حتى سمعت نشيجهم   لما وصفت لهم عقاب الجـاني
ثم انثنيت مبشرا من يهتـدي   فبعثت فيهم هـزة النشوان
وبذرت فينا بـذرة ميمونـة   سرعان ما منحت جناها الداني
وتركتهم بعد الرحيل بحسرة   فالدمع لم يرقأ من السيـلان
كل يعلل نفسه برجوعكم   يومـا من الايـام للاوطان
لكن اتى سيف المنون بضربـة   اخنت على ما كان في الحسبـان

***

نزل القضاء فهـل لنا من حيلة   غير الرضا بالحكم والاذعـان
ناداك ربك والجـزاء مهيـأ   فارجع لـه في ذمـة وامـان
واعلم بان الدهـر ليس بقادر   ان يمحو الذكرى من الاذهان
فالله يمطر روحكم وضريحكم   بسحائب الرحمات والرضـوان
وينيلكم خيـر العطاء بفضلـه   ويفيض عنكم وابل الغـفران
ويحلكم اعلى الجنان مخلدا   ويمدنـا بالصبـر والسلـوان
ويعوض الاسلام بعدك مصلحا   يحميه شـر طوارق العـدوان

العروسي العبادي

عـدد ٩

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

المجلد الرابع	تونس في جمادى الاولى ١٣٦٠ وفي جوان ١٩٤١	الجزء التاسع

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦٠٤٩

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

المجلد الرابع — **فهرس العدد** — الجزء التاسع

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٤٣ — تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

مشهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء التاسع | تونس في جمادى الاولى ١٣٦٠ وفي جوان ١٩٤١ | المجلد الرابع

الامـر العلي

في تحديد اقصى المهر ونهاية الشوار

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعالى اعماله وبلغه آماله الى من يقف على امرنا هذا من الخاصة والعامة.

اما بعد فانه بناء على ما صارت تتكبده العائلات الاسلامية التونسية في مختلف جهات المملكة من المصاريف الثقيلة المجحفة فيما يتعلق بالمهور والتشوير من العوائد التي لا تتوافق مع القواعد الشرعية الاسلامية

وحيث ظهر من المصلحة تلافي هاته الحالة الاجتماعية التي من شانها تعطيل الزواج الذي يتسبب عنه الاضرار بالهيئة الاجتماعية وتقليل النسل والتسبب في تدهور الاخلاق

وبناء على ما عرضه وزيرنا الاكبر اصدرنا امرنا هذا بما ياتي :

الفصل الاول — حدد مقدار المهور ومصاريف التشوير بين رعايانا المسلمين على حسب ما ياتي :

الفصل الثاني — لا يمكن بحال ان يتجاوز مقدار المهر الثلاثة الآف فرنك، وللمتعاقدين التنقيص من ذلك بحسب التراضي على مقتضى القواعد الشرعية

الفصل الثالث — لا يمكن أن تتجاوز مصاريف التشوير العشرين الف فرنك

الفصل الرابع — من تعمد مخالفة امرنا هـذا يحجز عليه ما زاد على ما عين بالفصلين الثاني والثالث اعلاه ويحال على جمعية الاوقاف لاضافته الى وقف البنات الابكار

الفصل الخامس — وزيرنا الاكبر مكلف بتنفيذ ما تضمنه امرنا هذا

وكتب في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٦٠ وفي ٢٢ ماي سنة ١٩٤١

مشكلة الزواج الكبرى

تسبق المملكة التونسية سائر الممالك الاسلامية الى حلها

بفضل جلالة ملكها المعظم ايده الله

بقلم محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير

ان من اهم المشاكل الاجتماعية التي شغلت الفكر العام في العالم باسره مشكلة الزواج . حيث ظهر من الاحصائيات الرسمية التي اعتنى بجمعها رجال الحل والعقد في سائر الممالك ان نسبة الزواج في العهد الاخير قد نقصت كثيرا عما كانت عليه في العهود السابقة .

ولا شك ان عدم اقبال الناس على الزواج من شانه ان يفتح باب الشر والفساد على مصراعيه ، وان ينشأ عنه تدهور في الاخلاق وقلة في النسل . وضعف عام في جهاز الامة يفضي بها الى التدهور ثم الى الاضمحلال

ولقد ابانت الحوادث التي مرت بالناس في هذه الايام الاخيرة عن ضرورة الاعتناء بتكثير النسل وتوفير عدد افراد الامة . اذ كثرة افراد الامة من اهم مظاهر قوتها . ومن اهم ما يدعو غيرها من الامم الى اكبارها واستجلاب مودتها .

وشريعة الاسلام التي جاءت بارقى الانظمة لاصلاح حالة البشر . قد اهتمت بمسالة الزواج اهتماما كبيرا . حتى ان الزواج في نظر المسلمين يعتبر عبادة كسائر العبادات التى يثاب عليها

فقد اباحت الزواج باربعة . وقررت الثواب على كل عمل صالح يفعله الانسان مع زوجته . وجعلت السهر مع الزوجة لمؤانستها افضل من التخلي للنوافل . ثم جعلت الزواج اكبر وقاية يقي بها الانسان نفسه من الوقوع في المفاسد . حسبما يفصح عن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من تزوج فقد ملك نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر)

وما ذلك كله الا لما اشتمل عليه الزواج من المحاسن التي تعود على البشر باصلاح الحالة الاجتماعية العامة والحالة الفردية الخاصة . والتي من اهمها مسالة تكثير النسل الذي هو من اعظم مظاهر الامة كما اشرنا اليه آنفا

ثم بعد ما قل اقبال الناس على الزواج اهتم المفكرون ورجال الاصلاح في كل امة بالبحث عن سبب ذلك ، وذهبوا في تعليله مـذاهب شتى ، اختلفت فيها انظارهم حيث بنى كل واحد تعليله على الحالة الخاصة التي تكون عليها الامة التي هو احد افرادها ، ولا يخفى ان العلل الاجتماعية تختلف باختلاف الاوساط والعادات

لقد أجمع المفكرون في بلادنا التونسية على ان اهم الاسباب في تعطيل حركة الزواج وقلة الرغبة فيه مسالة المهر والشوار وهو الذي نسميه (بالجهاز)

فقد اخذت مسالة المهر والشوار تتطور شيئا فشيئا حتى صارت مشكلة من ادق المشاكل واخطرها لان الناس — وخصوصا في السنين الاخيرة — قد توسعوا فيهما توسعا كثيرا بصورة افقرت الاغنياء واهلكت الفقراء . فاما المهور فقد تغالى الناس فيها كثيرا وصارت تشتمل على المال النقد وقطع المصوغ والتحف المختلفة وانواع العطورات . بما صير متوسط المهور يتجاوز العشرة ءالاف فرنك . وكثيرا ما يتجاوز المهر الثلاثين او الاربعين الفا

واما الشوار فامره في نظري اخطر . وذلك لان الناس قد توسعوا فيه بصورة مزرية فاحست تجاوزت حد المعقول . وصارت العادة فيه تفرض على الناس التكليف بما لا يطاق . والتكليف بما لا يطاق قد اسقطه الله عن عباده فلم يكلفهم به . فجاء الناس لسفه ارائهم وكلفوا انفسهم به . وكادت تفضي هذه الحالة الى ان يعود الناس الى الحياة الجاهلية الاولى من كره البنات وبغضهن . لان كل من يبشر ببنت ينتقل من سروره بها الى التفكير في امر زواجها الذي يعلم انه سيكون عبئا ثقيلا عليه . فينقلب سروره حزنا وغما

وذلك ان العادة قد جرت — وخصوصا في العاصمة — بان الزوجة ترفع معها لبيت زوجها كل ما يحتاج اليه من اثاث . فترفع من الصوف ما يكفي لتعمير محل زوجها . وترفع كسوة البيت وءالات الطبخ ومواعين الاكل و (بيت النوم) واحيانا (بيت الفطور) هذا كله زيادة عن لباسها الخاص بها والذي يكلف والدها عشرات الالاف . حتى ان كسوة العروس التي تلبسها ليلة الزفاف صارت تتكلف باكثر من ستين الف فرنك واحيانا يتكلف الجهاز باكثر من مائة الف فرنك واحيانا يبلغ مائتي الف فرنك

والذي زاد المسالة اشكالا هو ان الناس صاروا لا يفهمون نظام الطبقات الذي اشار اليه القرءان بقوله (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) اذ لو اقتصر التوسع على من ءاتاهم الله بسطة في الحال لكان الامر هينا شيئا ما . لكننا نجد الناس في بلادنا قد ساروا على خلاف ذلك . فالفقراء واهل الطبقة الوسطى قد خرجوا عن طورهم وابوا الا تقليد الاغنياء في كل شيء . ويرجع قسط وافر من ذلك الى النساء اللاتي حكمهن الرجال في رقابهم . وساروا على امرهن ونهيهن . فنشا عن ذلك تحير في الافكار واضطراب عام في الحياة الزوجية . واخلال بالطبيعة البشرية التي لا يمكن ان تغالب

ولا شك ان هذا التوسع في الشوار قد افضى الى تعطيل الحكمة من مشروعية المهر . لان فرض المهر على الزوج لزوجته مظهر من مظاهر كون الرجال قوامين على النساء . فاذا صارت المراة هي التي تعمر بيت زوجها . وهي التي تاتي بكل شيء يحتاجه . فقد انقلبت الآية وصار النساء قوامات على الرجال . وذلك امر مخالف لطبيعة العمران ونظام الاجتماع

وكنا ننتقد على اليهود بان عادتهم في الزواج سيئة لانهم يفرضون على الزوجة ان تعطي لزوجها المهر وهو الذي يسمونه (الدوته) وذلك الامر لا يليق لان المراة ضعيفة فقيرة فليس من اللائق ان يفرض عليها شيء تعطيه لزوجها . فاذا بنا ننقلب الى حالة اشنع من حالتهم من حيث لا نشعر وذلك بالتوسع في الشوار على الصفة التي وصفناها

ولما ظهر خطر هذا الامر في بلادنا اهتم المفكرون من الخطباء والكتاب والمرشدين بمقاومته وحرضوا الناس كثيرا على مقاومة هذه العادة والقضاء عليها . لانها افسدت نظام المجتمع . وعطلت امر الزواج . وافضت الى اخلال كثيرة لا حد لها . وكم من خطب القيت . وكم من نصائح اسديت . وكم من مقالات حررت . فذهبت كلها ادراج الرياح . لم تجد لها سميعا ولا مطيعا . ولما اعيت الحيلة وضاع الرشاد . ولم ينفع الارشاد . راى الناس ان هذه المشكلة لا يمكن حلها الا بصورة جبرية . ينعدم بها الاختيار . ويقضى بها على سوء التصرف الذي فشى امره حتى صار لا يطاق

وطالما تمنى الناس ان لو يقع اصدار قانون دولي يحدد مقدار المهر والشوار بصورة جبرية . ولكن تمنياتهم لم تحض بالقبول . وكلما لاح لهم بارق لتحقيق تمنياتهم يعتريه افول . فتذهب الآمال ادراج الرياح . وتبقى المشكلة على حالها لا يرجى لليلها اصباح

ثم لما اذن الله لهذه المشكلة بان تنحل . وان يصلح لهذه الامة بعض ما اضطرب من شؤونها واختل . الهم صاحب المبرات والخيرات ومصدر الكمالات والاعمال الصالحات . الساعي في ان يجلب الى رعيته كل خير عميم . والذي اظهر من مواقفه الكثيرة انه يحنو عليها حنو المرضعات على الفطيم الملك الذي سارت بذكره الركبان . وتلالا تاج ملكه على سائر التيجان . سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني . صاحب المملكة التونسية بارك الله لنا في عمره السعيد . وجعل التوفيق مقارنا له في كل ما يبدي او يعيد . حيث اصدر امره المطاع بتحديد مقدار المهر والشوار . بصورة لا اجحاف فيها . ولا اعتراض يرد عليها

وقد نشرنا نص الامر في صدر هذا العدد تبجيلا لهذه المبرة التي ادخرها الله لهذا الملك الصالح المصلح ابقاه الله . وبالتامل من هذا الامر العلي نجده قد اشتمل على مقدمة وخمسة فصول

ففي مقدمته اشير الى السبب الداعي لاصداره : وهو (ما صارت تتكبده العائلات الاسلامية التونسية في مختلف جهات المملكة من المصاريف الثقيلة المجحفة فيما يتعلق بالمهور والتشوير من العوائد

التي تتوافق مع القواعد الشرعية الاسلامية . وانه قد ظهر من المصلحة تلافي هذه الحالة التي من شانها تعطيل الزواج الذي يتسبب عنه الاضرار بالهيئة الاجتماعية وتقليل النسل والتسبب في تدهور الاخلاق) واما فصول الامر فقد تضمنت تحديد اقصى المهر بثلاثة ءالاف فرنك . واقصى مصاريف الشوار بعشرين الف فرنك وتضمنت تقرير عقوبة لمن يخالف ذلك وهي عقوبة سهلة التنفيذ معقولة المعنى . وذلك بان يحجز ما زاد على هذا المقدار المعين ويحال على جمعية الاوقاف لاضافته الى وقف الابكار . واخيرا فقد عهد جلالة الملك الى جناب وزيره الاكبر تنفيذ ما تضمنه هذا الامر

وبهـذا الامر العلي قد انحلت بحول الله مشكلة الزواج . وصـار امرها سهلا لا عنت فيه . وتحققت للناس امنية طالما صبت اليها نفوسهم . وتمنوا تحقيقها فلم يسمع لهم نداء

ولكنا نلاحظ ان هذا الامر لا ياتي بالغرض المقصود منه الا بشرطين :

الشرط الاول – ان يعزم الناس على العمل بمقتضاه سرا وعلانيـة بحيث لا يرتكبون الحيل لمخالفة هذا الامر . بل يحرصون على تنفيذه حرصا تاما . ولا يتظاهر الانسان بعدم مخالفة الامر . ثم يعمل في الباطن بخلافه . بان يزيد الزوج في المهر سرا او يزيد والد الزوجة في شوار ابنته على المقدار المحدد . ويرسل الزايد لدار الزوجة بصورة سرية . فعند ذلك تضيع فائدة هذا الامر وتبقى المشكلة كما كانت عليه

والشرط الثاني – ان يتخذ جناب المولى الوزير الاكبر الذي عهد اليه جلالة الملك بتنفيذ امره جميع الوسائل الصارمة للضرب على يد كل من يسعى للاخلال بهـذا الامر بصفة سريـة . مهما كانت صفته ومهما ارتفع شانه . فما اخل بسائر القوانين والتراتيب والانظمة الا المحاباة في معاملة الناس . والتفريق بينهم فيما يكونوا فيه سواسيه

وههنـا امر يجب التنبيه اليه . وهو ان طاعة الامير واجبة فيما يأمر به مما فيه خير لـلامة واصلاح لحالها وهكذا الامراء فانهم لا يامرون الا بما يعود بالصالح العام على رعاياهم . وبما ان هذا الامر صلاح كله وقد صدر به امر الامير . فما على الناس الا اتباعه

فاذا امتثل الناس لهذا الامر سرا وعلانية . وقامت السلطة على تنفيذه بغاية الضبط والصرامة . انحلت بحول الله مشكلة الزواج . وتسجلت بذلك للبلاد التونسية . مفخرة سبقت بها سائر الممالك الاسلامية . بفضل جلالة ملكها ابقاه الله . وادام عزه وعلاه . واطال في عمره حتى يرى في رعيته وبلاده خير ما يؤمله ويرجوه . وجعل له من عمله الصالح ذخرا يلقاه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

محمد المختار بن محمود

القرآن الكريم

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قول الله تعالى : وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

بقلم محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة

قد تعرضنا في تفسير فاتحة هذه السورة الى ان الله تعالى وصف اهل الفلاح المؤمنين بست صفات وبسطنا القول في ثلاث منها وهي المذكورة في قوله عز وجل (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) وهي اولاها . والذين هم عن اللغو معرضون . وهي الثانية . والذين هم للزكاة فاعلون وهي الصفة الثالثة

وها انا اليوم اذكر ما يتعلق برابع تلكم الصفات وتفسير الآية الدالة عليها فاقول مستعينا بمن له القوة والحول قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) هذه الآية معطوفة على سابقاتها . متضمنة للصفة الرابعة . والفروج جمع فرج وهو العورة يشمل سوأت الرجل والمرأة واللام دخلت عليه للتقوية والحافظون جمع حافظ وهو الساتر الصائن فالحافظون لفروجهم هم الساترون الصائنون لعوراتهم المتعففون لا يرومون محارم الله ولا يعتدون ولا يباشرون الا ازواجهم على الوجه الذي شرعه الله والا ما ملكت ايمانهم من الاماء .

٦

والازواج جمع زوج وهو يطلق على البعل كما يطلق على المرأة قال تعالى اسكن انت وزوجك الجنة خطابا لآدم عليه السلام ويقال لها زوجة ايضا

وقوله الاعلى أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم استثناء مما قبله . وعدي حافظون بعلى قال الفراء فهي بمعنى من وارتضاه ابن مالك وجماعة من المفسرين وهذا استعمال شائع كاستعمال من بمعنى على قال تعالى ونصرناه من القوم اي على القوم . واختار ابو حيان في البحر المحيط ان يكون من باب التضمين ضمن حافظون معنى ممسكون او قاصرون وكلاهما يتعدى بعلى . وذكر صاحب الكشاف ثلاثة اوجه . احدها انه في موضع الحال اي حافظون لفروجهم في جميع الاحوال الا في حال كونهم قوامين على ازواجهم . ثانيها ان على متعلق بمحذوف يدل عليه غير ملومين بعد . اي يلامون الا على ازواجهم واليه مال الزجاج . الثالث ان على صلة لقوله لحافظون على تضمينه معنى النفي من قولك احفظ على عنان فرسي فيكون حافظون جاء على صورة المثبت وهو من حيث المعنى منفي . والمعنى على هذا والذين هم لم يحفظوا لفروجهم لايبذلون الا على ازواجهم وعليه فيكون الاستثناء مفرغا .

وظاهر كلام المفسرين ان المراد بالازواج خصوص النساء والذين هم لفروجهم حافظون الرجال خاصة وبذلك صرح البغوي حيث قال : والآية في الرجال خاصة . قال ابن العربي : من غريب القرءان ان هؤلاء في الآيات العشر هي عامة في الرجال والنساء كسائر الفاظ القرءان التي هي محتملة لهم فانها عامة بينهم الا قوله والذين هم لفروجهم حافظون فانه خطاب للرجال خاصة دون النساء بدليل قوله : الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولا اباحة بين النساء وبين ملك اليمين في الفروج . فمفاده ان المراة لما لم يحل لها الاستمتاع بما كان ملك يمينها كما علم من ادلته كان ذلك قرينة دالة على تخصيص الآية بخصوص الرجال واما المراة فلم تتعرض لها الآية وعلم وجوب حفظ المرأة فرجها من ادلة اخرى كآيات الاحصان .

قلت بقي ان الآية وان دلت على وجوب حفظ الفرج الا انها مساقة لبيان المقام الاسمى الذي يناله من كانت هذه صفته فاذا قلنا بقصرها على الرجال دون النساء يكن قد فاتهن هذه المزية والفضيلة . وقد بينا عند الكلام على صدر الآيات انها جاءت في معرض البشارة للمؤمنين . والمؤمنون هو وصف عام يشمل الذكور والاناث

ولماذا لا يقال ان اسم الموصول واقع على العموم فيكون شاملا للذكور والاناث . وهو المناسب في هذا المقام وكونه لجماعة الذكور لا يتعين قرينة لاني اقول انه جاء بالتذكير على طريقة التغليب وتغليب المذكر شائع في الاستعمال العربي بل هو المتعين في مقام التعميم بلاغة . واما قوله او ما ملكت ايمانهم فهو خاص بالذكور لانه من حقهم دون الاناث وقد علم ذلك من دليل خارجي وعليه فمرجع الضمير جماعة من افراد العام على حد قولك اكرم القوم وزوجهم بنساء صالحات وفي القوم

رجال ونساء فان الكل يستحق الاكرام ثم ان الرجال منهم يستحقون التزويج بنساء صالحات فيكون المعنى وزوج الرجال منهم

وهذا الوجه هو المناسب للآيات السابقة واللاحقة ليكون اسم الموصول في جميعها عاما واقعا على المذكر والمؤنث . وصفة الفلاح تثبت لكل من تحلى بتلكم الصفات لا فرق بين الرجل والمرأة .

ثم وقفت على كلام الامام الجصاص فالفيته يؤيد ما ذهبت اليه من حمل الآية على العموم فيما يصح فيه العموم حيث قال : يجوز ان يكون المراد عاما في الرجال والنساء لان المذكر والمؤنث اذا اجتمعا غلب المذكر ومن الناس من يقول انه خاص في الرجال بدلالة قوله ألا على ازواجهم اوما ملكت ايمانهم وذلك لا محالة اريد به الرجال وليس يمتنع ان يكون اللفظ الاول عاما في الجميع والاستثناء خاص في الرجال كقوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) ثم قال وان جاهداك لا تشرك بي فالاول عموم في الجميع والعطف في بعض ما انتظمه اللفظ

قلت واذا صح التخصيص بالبعض يقتصر فيه على ما قام الدليل على عدم ارادته وهو في الآية (ما ملكت ايمانهم) والله اعلم بمراده

وجاء في التعبير بما دون من في قوله او ما ملكت ايمانهم لا تصاله بالملك فروعي جانبه الذي هو من صفات غير العقال كما هو الشان . وان كانت ما تقع على العاقل ايضا .

وقوله فانهم غير ملومين الفاء للتعليل لما افاده الاستثناء وعليه يكون المعنى لا يحفظون فروجهم على ازواجهم لانهم غير ملومين او في جواب شرط مقدر اي فان بذلوا فروجهم لازواجهم أو امائهم فانهم غير ملومين على ذلك والضمير راجع للحافظين فروجهم او لما دل عليه الاستثناء والمعنى فان بذلوها لازواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . واللوم العذل . فلا عذل ولا حرج على من باشر الازواج او على من وطأ جاريته . وهذا تصريح بما علم التزاما . اذ الاستثناء يدل عليه . وفيه التعريض بمن لم يحفظ فرجه . واذا كان القربان لا لوم عليه فعدم المؤاخذة يعلم بطريق الاولى في احكام الدنيا وفي الآخرة . وانما لا يلام ولا يؤاخذ فيهما اذا كان على وجه أذن فيه الشارع . دون الاتيان في غير المكان المشروع . وفي حال الحيض والنفاس . فانه دلت النصوص الشرعية على انه محظور . وهو على فعله مؤاخذ ملوم .

وقوله فمن ابتغي وراء ذلك فاولئك هم العادون :.

الفاء تفريعية فيتفرع عن الحكم المتقدم ان من ابتغى يكون متعديا . والبغي هو مجاوزة الحد المفروض المقدر ووراء ذلك بمعنى سوى ذلك والمشار اليه هو الحد المذكور قبل وهم الازواج والاماء . والعادون جمع عاد وهو الظالم والاتيان باسم الاشارة وتوسط الضمير وتعريف العادون يشير الى ان العدوان والظلم تناهى فيهم وكمل وتضخم والمعنى فمن بغى وتجاوز المقدار الى ما سوى

الازواج والاماء فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون في الظلم . فالآية تشير الى تحريم الاستمتاع بغير الازواج والايماء. والذي يظهر انها لا تدل على حكم المتعة لا بالحلية ولا بالحرمة فلا يسلم لمن اتخذها دليلا على اباحتها اعتبارا بعموم لفظ الازواج . ولا بتحريمها اعتبارا انهما لا يسميان زوجين لانهما لا توارث بينهما .

وانما علم حرمة المتعة من ادلة اخرى سوى الآية ففي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم حرم المتعة يوم خيبر . وفي مسلم انه حرمها يوم الفتح . وقال ابن الهمام يمكن الجمع بين الحديثين بان التحريم وقع مرتين

قلت في الجمع ان التصريح بالحرمة وقع مرتين فالثانية ليست انشاء بل اخبار تكرر فجاءت الرواية على صورة الاختلاف في زمان التحريم وفي الواقع لا اختلاف .

وحيث ان الآية وصفت من ابتغى وراء الازواج والا ماء بالظلم المستحق صاحبه المؤاخذة أحببنا ان نلم ببعض ما يتعلق بالزواج المفضي لاباحة استمتاع الزوج بزوجته واستمتاعها هي ببعلها تاركا الكلام على التسري لانه لا طائل تحته في هذا الزمان الذي انعدم فيه ملك اليمين فاقول :

قد وضعت الشريعة النكاح على اساس متين رعاية لمصالح الزوجين اللذين منهما تتكون الاسرة . ومنهما يكون النسل ويبقى العمران على الوجه الاكمل الى ما شاء ربك واليه الامر كله وهو احكم الحاكمين . (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فاعظم بها من منة امتن الله بها على العالمين فجعل بين الزوجين مودة ورحمة وبلغت هذه المودة الى اقصى حد بتقدير العزيز الحكيم وجعل كلا من الزوجين لباسا للاخر (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) فالزوج يسكن الى زوجته وهي تسكن الى بعلها كما جعل لكم الليل لباسا . بمعنى تسكنون فية

وقد رغبت الشريعة في الزواج اشد ترغيب . وملاحظة إكثار سواد الامة معتبرة . ففي الحديث تزوجوا تناسلوا. فاني مباهي بكم الامم يوم القيامة . واذا كان التباهي يقع يوم القيامة فهو يقع في الدنيا ايضا وتترتب على كثرة سواد الامة مصالح وأي مصالح

وقد جاء الامر بالزواج في القرءان ايضا ووضع حدا في عدد الزوجات وقيد اباحة التعدد بالعدل بين الزوجات . قال تعالى : فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعدلوا) فإباحة ما فوق الواحدة من النساء مراعى فيه امرين حاجة طبيعة قسم من بني الانسان التي دل الواقع على انها في كثير من الاحيان لا يكتفي بالواحدة وكثرة النسل الذي هو مقصد من مقاصد الشريعة كما اسلفنا . لكن ذلك مقيد بعدم خوف الجور . الذي هو مفسدة تربوا على تينك المصلحتين في نظر الشارع وليس تعدد الزوجات من شعار الاسلام بل هو من المباحات التي يرجع امره الى المكلف . ان شاء ترك وان شاء فعل ما لم يتعد حدود الله

وقد حذرت الشريعة الارتباط برابطة الزوجية مع بعض اصناف بينهما قرابة او رضاع او مصاهرة قال تعالى : حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن . فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم . وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم . وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم (وقال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) كما حرم تزوج المسلم بالمشركة او المشرك بالمسلمة (قال تعالى : ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الى ان قال : ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا)

وبينت السنة حرمة الجمع بين المراة وعمتها او خالتها وحرمت من الرضاع ما يحرم من النسب

فهذه ثمانية عشر صنفا لا يحل نكاحها . ولا تكون زوجة شرعية فيشملها عموم قوله تعالى (فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون)

وبينت السنة ان الزواج الشرعي هو الذي يرتب على عقد النكاح الشرعي الذي بينه الشارع

وفرض القرءان المهر على الزوج للمراة تستحقه بعقد النكاح قال تعالى : (واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة) فاعتبر الشرع المهر فريضة على الزوج يجب عليه ان يؤدي الفرض الذي عليه لزوجه التي احل الله له الاستماع بها

ولما كانت المودة لا تحصل بين الزوجين الا بحسن المعاشرة نرى ان الشريعة قد اهتمت بهذا الامر اعظم اهتمام قال تعالى خطابا للازواج (فان اطعنكم - اي الزوجات - وقال تعالى : فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة . وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما) وابلغ آية دلت على اقامة الحقوق بين الزوجين كما دلت على التسوية في حقوق الزوجية التى هي من مقاصد الشريعة هي قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) . فهي قد جمعت على ايجازها كل الحقوق وسوت فيها الزوج بالزوجة الا امرا واحدا وهو قوله تعالى : (وللرجال عليهن درجة) . وجاء تفسير هذه الدرجة بقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) فالآية قاعدة كلية ناطقة بمساوات المراة للرجل في حقوق الزوجية فالرجل اوجبت عليه الشريعة ان يعاشر زوجته بالمعروف الذي جاء به الشرع والزوجة اوجبت عليها مثل ذلك. وهذه الدرجة التي رفع الشارع اليها المراة لم يرفعها اليها دين سابق. ولاقانون لاحق

وقد جهل المسلمون اليوم احكام الاسلام فبغى بعضهم على بعض بغير حق . وكانوا ظاهرة سوء في اعين الناس فنسبوا ما هم عليه من النقيصة الى انه من آثار الدين . والدين براء من سوء ما عليه الناس لو كانوا يعقلون .

محمد الشاذلي ابن القاضي

الحديث الشريف

خاتم النبيين

(٣)

بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

واما ما بقي من النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ففي الموطا من طريق عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لن يبقى بعدي من النبوة الا المبشرات قيل وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له جزء من ستة واربعين جزء من النبوة

والمبشرات من مـادة البشر وهو ادخال الفرح والسرور على المبشر - بفتح الشين - وذلك ان الرؤيا الصالحة تدخل السرور على الرجل الصالح بما تنبئه به مما يهمه في امره

وقد اضطربت روايات الحديث ففي بعضها ستة واربعون وفي بعضها خمسة واربعون وفي بعضها سبعون وكلها في صحيح مسلم . وفي بعضها ثمانية وعشرون وقد احصاها كثير من شراح الصحيحين واختلفوا في معناها ووجوه الجمع بينها

وحاصل ما في المقام ان رواية الستة والاربعين هي التي وقعت في الموطا من طرق انس بن مالك وابي هريرة وعطاء بن يسار وهي التي جاءت في اكثر الاحاديث ووقعت في صحيح البخاري من طرق أنس وابي هريرة وابي سعيد الخدري

وقال الامام المازري ان رواية الستة والاربعين هي الاصح عند المحققين من المحدثين . ولكن قد علمت ان روايتي الخمسة والاربعين والسبعين وقعتا في صحيح مسلم كما وقعت فيه رواية الستة والاربعين فلعل هذه الروايات الثلاث هي اصح هذه الروايات على الاطلاق ثم اصح هذه الثلاث رواية الستة والاربعين كما قال المازري فينبغي ان تكون هذه الثلاث هي موضوع البحث والتامل

اما كونها شعبة من شعب النبوة فللنبوة شؤون مختلفة منها الاطلاع على بعض المغيبات والظاهر ان الصلة بين النبوة والرؤيا الصادقة من هذه الجهة

واما التجزئة الواقعة في الحديث فللعلماء في سرها طرق نقتصر في هـذا المقام على اقربها مع ما يسر الله في التعليق عليها

قال الامام المازري رحمـه الله نقلا عن بعضهم : خص النبيء صلى الله عليه وسلم بـان جعلت له طرق الى العلم منها الرؤيا ونسبة الرؤيا اليها انها جزء من ستة واربعين ولا يلزم بيان هـذه الاجزاء والعلماء لم يصلوا الى كل شيء جملة وتفصيلا بل قد يعلمون الشيء بصورة مجملة ومنه هذا

وقد نحا هذا المنحى القرطبي وعلى هـذه الطريقة القاضي ابوبكر بن العربي ايضا وصرح بان تفصيل السنة يختص بمعرفته اهل درجة النبوة

وقال الامام الغزالي : النبيء يختص بانواع من الخواص منها الصفة التي يدرك بها ما سيكون في الغيب . ولصفاته وكمالاته اقسام ويمكن تكلف القسمة الى ستة واربعين وتكون الرؤيا جزء منها ولكن تعين طريق واحد للقسمة لا يمكن الا بظن

وقال القاضي ابو الوليد الباجي نقلا عن جماعة من العلماء : معنى هـذا ان مدة نبوة النبيء صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة منها ستة اشهر نبوة بالرؤيا ونسبة ستة اشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة واربعين جزء ، قال ابن القيم في مدارج السالكين ولقد احسن لولا ما جاء في الرواية الاخرى الصحيحة انها جزء من سبعين جزء

ونقول رواية الستة والاربعين هي اصح الروايات كما علمت وناهيك برواية تقع في الموطا من ثلاث طرق وفي البخاري من ثلاث طرق ايضا فهي التي ينبغي ان تجعل اصلا ويرد غيرها اليها ويمكن حمل رواية السبعين على الكثرة ورواية الخمسة والاربعين على ان يكون ضمن هذه الاجزاء ستة اشهر غير كاملة فاعتبرت مرة والغيت اخرى

هذا وما نقلناه عن الباجي مبني على ان المراد من النبوة نبوة النبيء صلى الله عليه وسلم خاصـة وعليه انبنى كلام كثير من العلماء غيره ، وحمل النبوة على نبوته صلى الله عليه وسلم دون جنس النبوة لا دليل عليه وغـايته انه احتمال في الحديث لا يزيد على احتمال ان المراد منها الجنس وعليه فتعيـين الاجزاء تفصيلا نفوض الامر فيه الى الله تعالى « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

وقوله في الحديث : (مثلي ومثل الانبياء كرجل بنى دارا) المثل بالتحريك والتسكين والمثيل واحد ومعناه الشبه والمتماثلان المتشابهان هكذا قال اهل اللغة وهو من مثل الشيء مثولا اذا انتصب بارزا فهو ماثل ومثل الشيء « بالتحريك » صفته التي توضحه وتكشف عن حقيقته او ما يراد بيانه من نعوته واحواله ويكون حقيقة ومجازا

وهذا المثل البليغ ضربه النبيء صلى الله عليه وسلم لا كمال الله التشريع به . وذلك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام انزل الله عليهم شرائع كافية وافية حسنة جميلة وهو معنى قـوله صلى الله عليه وسلم

كرجل بنى دارا فاحسنها واكملها ، وقوله فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون) وفي رواية مسلم (كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه واجمله فجعل الناس يطيفون بـه يقولون ما راينا بنيانا احسن من هـذا) ثم اكمل الله التشريع بنبيه صلى الله عليه وسلم ولولا هذا الاكمال لما بلغ التشريع الغاية وهو معنى قوله في الحديث (الا موضع لبنة وقوله (فانا اللبنة وانا خاتم النبيين

واللبنة بفتح اللام وكسر الباء وبكسر اللام وسكون الباء هي التي يبنى بها من الطين

قال ابن العربي وقدر النبيء صلى الله عليه وسلم اعظم من لبنة في حائط واستظهر ان هذه اللبنة هي الاساس ولولاهـا لا نهدم البناء . وبحث فيه الابي بان وضع اللبنة في محلها مكمل للحسن بدليل قوله : ويعجبهم البناء لا محصل له واجاب بان ذكر البناء واللبنة على سبيل التقريب

ومما يقضي ببعد ما قاله ابن العربي ما جاء في حديث الباب : الا موضع لبنة من زاوية

وما قاله الابي من ان ذكر البناء واللبنة تقريب لبمهم سبقه اليه المازري

وقد ضرب الله مثلا لنوره بمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجـة الزجاجة كانها كوكب دري وقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار

وقوله (لولا موضع اللبنة) يحتمل ان تكون لولا فيه للتحضيض ويقرب به رواية لولا وضعت هذه اللبنة ويحتمل على بعد ان تكون لولا شرطية حذف جوابها

وهذا التمثيل لا يفهمـه حق فهمـه الا من اطلع على التشريع المحمدي ومـا تقدم من التشريع ووازن بينهما . ونعني من التشريع القديم ما ثبت عندنا من طريقه الصحيح كتاب الله او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم اقف لشراح الحديث على ما يكشف اللثام عنه . ورايت للقاضي ابي بكر بن العربي في تفسير قوله تعالى من سـورة الشورى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية . كلمة يصلح ان تكون اساسا نقيم عليه ما نقوله في شرح الحديث

وحاصلها ان الشرائع تتحد في التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج والتقرب الى الله تعالى بالعمل الصالح والحمل على الاخلاق الفاضلة كالصدق والوفاء وفي تحريم الكفر والقتل واذاية الخلق ومـا يعود الى خرم المروءة وتختلف وراء هـذا في معان طبق مـا تقتضيه المصلحة وحكمة الله على حسب تجدد الازمنة

وما ذكره القاضي يحتاج الى الشرح . وذلك ان الصلاة والزكاة والصوم والحج والتقرب الى الله بالعمل الصالح ونحو هـذا مما اتحدت الشرائع في جملته لا في تفصيله فالصلاة والزكاة والصوم والحج شرعت لمن قبلنا كما قال تعالى : واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال : كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . وقال في خطاب ابراهيم عليه الصلاة والسلام : وطهر بيتي للطائفين الآية ولكنها لا تتفق مع ما شرع لنا من كل وجه . فالوضوء وهو من شروط الصلاة من

خصائص هذه الامة كما صرح به ابن العربي نفسه والتيمم من خصائص هـذه الامة ايضا والصلاة في عددها وهياتها ليست كصلاة من قبلنا وفي حديث الا سراء قول موسى لنبينا عليهما الصلاة والسلام : ارجع الى ربك فاساله التخفيف فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم حتى قال له الله تمت نعمته هي خمس وثوابها خمسون ما يبدل القول لدي وكذلك القول في الزكاة والصوم والحج

ومن وازن بين ما شرع لنا في ذلك وما شرع لمن قبلنا علم ان ما شرع لهم حسن كامل في نفسه وما شرع لنا بفضل الله وعنايته احسن واكمل . وتشريع الوضوء والتيمم وجعل الارض كلها مسجدا وقصر الصلاة في السفر مما يتجلى فيه هـذا ويطلعك على سر من اسرار قـوله عليه الصلاة والسلام فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة وقوله (فانا اللبنة)

ومما يزداد به الموضوع جلاء ما بنيت عليه هذه الشريعة من اليسر قال الله يريد الله اليسر ولا ريد بكم العسر وقال يريد الله ليخفف عنكم . وقال ما جعل عليكم في الدين من حرج . وفي صفات النبيء صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل : ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم . وما ابتلى الله به من الامم من الشدة في التكليف حسن في نفسه ولكن للتيسير فضل عليه

ومن امثلة النوع الثاني في كلام ابن العربي ابطال ما كان من استرقاق السارق الثابت بقوله تعالى (معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متعنا عنده) ابطل هذا ما قرره الاسلام من عقوبة السارق . ومن مثلته ايضا تشريع التوبة فهي من خصائص هذه الامة كما صرح به سفيان بن عيينة وكانت توبة بني اسرائيل القتل . قال تعالى : فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم

هذا وقد ذكرنا ما قلنا من اختلاف التشريع في الصلاة وقول موسى لنبينا عليهما الصلاة والسلام غير مرة : ارجع الى ربك فاساله التخفيف ذكرنا بما يجب ان نعتبر به من كرامة هذه الامة ببركة نبيها صلى الله عليه وسلم اذ كانت محل عناية كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام ومن اجلى مظاهر فضل هذه الامة ما لها من الصلات الخاصة باكثر اولي العزم من الرسل ومنهم موسى وعيسى وابراهيم عليهم الصلاة والسلام

امـا موسى عليه الصلاة والسلام فالتخفيف الذي يتقلب المسلمون في نعمته حتى تقوم الساعـة « بالاضافة الى الصلاة » هو الذي رغب من النبيء صلى الله عليه وسلم ان يساله من ربه

واما عيسى عليه الصلاة والسلام فهو آخر مجدد لهذه الشريعة وهـو الذي يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا

واما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنبينا صلى الله عليه وسلم مظهر دعوته المباركة : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية . وفي الحديث : انا دعوة ابراهيم وهو الذي سمانا المسلمين قال تعالى : ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل على احد الوجهين في معاد الضمير . وهو وزوجه سارة يكفلان

صوت الضمير

ان سلطان الضمير على الانسان له اثر كبير في حياته الخاصة والعامة واللغة التي يتكلم بها الضمير لغة واضحة الدلالة لا لبس فيها ولا ابهام تؤثر في النفس وتحدث عنها انفعالات نفسية كثيرا مما تصد الجوارح عن الاقدام على امر ترغب في تحقيقه او تشجعها على فعل شيء كانت محجمة عنه واذا تتبع الانسان الخواطر النفسية التي تتوارد عليه من حين لآخر وهذا الصوت الذي ما انفك آمر ناهيا يشعر ان القسط الاوفر يرجع الى الترغيب في الخير والتحذير من الشر . والانسان اذا حاول ان يسكت هذا الصوت فقد حاول مستحيلا وغاية ما يصل اليه انه يمكنه ان يعصي اوامره ولا يقيم لهذا حسابا . فيتمادى على فعل ما خول لنفسه فعله او ترك ما وطد نفسه على تركه ولكن ذلك الصوت ما زال صداه يتردد على النفس فيقرعها أشد التقريع ويضيق على شهواته الخناق . فالضمير هو القوة العظمى التي تهيمن على النفس . وهو الناصح المخلص الامين الذي لا يعرف المراوغة ولا يالف الهوادة والتسامح ولا ينطق بلغة الخداع والمكر همه الكشف عن الحقيقة واضحة في اجلى معانيها يقرع الانسان ويوبخه على سوء ما صنع ويحيل في نظره الحياة الى شقاء وبؤس وعذاب ويصور له السعادة والنعيم في اجلى مظاهرهما متى قام بالامر على الوجه الاكمل وفعل ما هو مطلوب منه وهيا لهما ينعم به باله ووفر له الغبطة والسرور

وعلى عكسه الهوى فله السلطان الاقوى في اثارة الشهوات وتسخير الجوارح للانقياد الى تحقيقها مهما كان من الامر ويطلق لها العنان فيطغى تاثيرها على عوامل الخير فيحجب نورها ويقوم حائلا دون التاثر بصوت الضمير وتبقى غرائز الانسان تسبح في حرية ممقوتة ليس لها كابح يكبح جماحها ويصلح منها ما تاثر بالفساد

فالحياة صراع بين هاتين القوتين متى تغلبت في الانسان القوة الاولى تهيات له السعادة والهناء ومتى تغلبت الثانية كانت الاخرى والانسان على نفسه بصيرة وفي طوعه ان يشجع الاولى او ينقاد لسلطان الاخرى ولكن الآثار مختلفة والله الهادي الى اقوم السبل .

اطفال المؤمنين في الجنة ففي الحديث اطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم ابراهيم وسارة حتى يردهم الى ابائهم يوم القيامة رواه احمد وغيره . وعلم عليه السيوطي في الجامع الصغير بالصحة . وهو الذي اقرانا السلام من طريق نبينا صلى الله عليه وسلم وعلمنا كيف نغرس ارض الجنة . فقد روى الترمذي واحمد وغيرهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال لنبينا صلى الله عليه وسلم : اقرء امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فعلى نبينا وعليه منا السلام ورحمة الله وبركاته ولله الحمد ان وفق من شاد الى الاخذ بنصحه ولا سيما في شهر الصيام اثر انفضاض مجالس الاختام فقد جرت العادة ان مما ترطب به الالسنة هؤلاء الكلمات الاربع

واما ما جرت به العادة من ختم مجالس دروس الحديث بحديث كلمتان فلعل وجه التفاؤل بتدريس صحيح البخاري كله حتى يبلغ المدرس غايته بعناية الله وتسديده على ان سبحان الله وبحمده تنتظم التهليل والتحميد والتكبير كما قاله بعضهم فان التسبيح تنزيه لله عن الشريك والحمد راجع الى الثناء وهو مدلول الحمد لله والله اكبر . قلت ولا سيما اذا ضم اليه الوصف بالعظمة كما في الحديث : كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

المسلم من سلم المسلمون

من لسانه ويده

عن عبد الله بن عمرو عن النبيء (صلعم) قال : المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ * وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ (رواه البخاري في صحيحه)

اعلم أن الاسلام دين الخير والكمال والفضيلة والجمال فهو يرمي في جميع تكاليفه واغراضه وحكمه ومقاصده الى تكوين الانسان الكامل الجدير بلقب الاسلام والخلافة في الارض والتمكين فيها، يريد توجيه هذا الانسان توجيها قويا الى المثل الاعلى : وان شئت فقل ان الاسلام في مجموعة تعاليمه مدرسة جامعة لتخريج اكمل انسان نبيل متصف باكمل الصفات عامل للسلام العام واسعاد اخوانه في الانسانية بكل ما وهبه الله من علم وحكمة وخلق كريم

ولما كان الانسان مدنيا بطبعه محتاجا الى معاشرة بني جنسه نظم الاسلام هذه المعاشرة وبناها على اساس السلامة والمسامحة ليكمل تعاونهم ويتم تآلفهم ولا يحصل ذلك الا اذا أمن أحدهم غائلة الآخرين وعلم ان الاخوة الحقيقية هي السائدة بين الجميع لذلك حرض الشارع على المناصحة والمسالمة وجوهرتين يتيمتين وكف اليد المؤذية والعابثة

وقد جاء هذا الحديث الشريف في هذا المقام بالكلمة الجامعة والوصية الصالحة فهو أصل من أصول الاسلام ومن جوامع كلمه عليه السلام وقد اشتمل على حكمتين بالغتين بل فريدتين غاليتين

الفريدة الاولى : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

ليس الغرض من هذه الجملة تحديد معنى المسلم شرعا وانما المقصود بيان المسلم الاحق بلقب الاسلام الجدير بالدخول في زمرة اهل الايمان الخليق بالانتساب الى امة محمد عليه الصلاة والسلام بحيث لو كان ثمة ميزان يعرف به المسلم الصادق من المنافق الخائن لكان هذا هو المعيار الصحيح الذي يرجع اليه لتمييز الطيب من الخبيث . فكأنه (صلعم) يقول انظروا للمرء فان رايتموه يتحامى ايذاء الناس باي نوع من انواع الايذاء فاحكموا عليه بانه مسلم صادق في اسلامه جدير بهذا اللقب الشريف حري بتقدير المسلمين له بكل انواع التقدير وان رايتموه يمعن في اضرار الناس وايذائهم باي نوع من انواع الايذاء والضرر فاحكموا عليه بانه غير جدير بالانتساب الى وحدة الاسلام وانما هو الى تعاطي اعمال المنافقين اقرب وبالانتساب اليهم احق واجدر، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا

وتخصيص اليد واللسان بالذكر في الحديث لانهما اكثر اعضاء الجسم ايذاء وعملا وان كان محرما ايذاء الناس ببصرك وسمعك وصوتك ورجلك وجميع اعضائك فلو غمزت بعينك احدا تسخر منه وتهزأ به فقد آذيته بهذا الغمز ومثل ذلك النظر الى امراة جارك او التطلع على عوراته وسماع الغيبة وفحش القول وتدبير السوء وضجيج الصوت المزعج الذي يقلق راحة الناس والمشي في مواطن الرذيلة بغية انتهاك الاعراض والحسد الذي هو مرض من افتك الامراض القلبية بتمني زوال نعمة الغير . كل ذلك من الايذاء الذي يجعل الانسان الى سلك المنافقين اقرب

ولما كان اليد واللسان عضوين من اعضاء الجسم اكثر تصرفا من غيرهما ولهما مدخل في اغلب انواع الايذاء خصهما احكم الخلق (صلعم) بالذكر تنبيها على عظيم خطرهما ولفتا للانظار وتوجيها للعقول الى كثرة ما يحدث عنهما من شر فباليد اغلب انواع الايذاء الفعلي من القتل والضرب والغصب ونحوها وباللسان انواع الايذاء القولي من الشتم والسب والقذف والغيبة والنميمة وما اليها وانما قدم اللسان في الحديث على اليد لان ايذاء اللسان اكثر وقوعا واسهل وهو اشد نكاية وابلغ اثرا في النفس ولهذا كان النبيء (صلعم) يقول لحسان : اهجُ المشركين فانه اشق عليهم من رشق النبل . وقال الشاعر:

جراحات اللسان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

وكفى اللسان خطرا قوله عليه السلام : وهل يكب الناس في النار على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم . وقد عدوا آفات اللسان الى ما يزيد على العشرين مما يردي بصاحبه ويهوي به الى النار وبئس القرار . ومن هنا كان المسلم اخا المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسيء اليه ولا يضربه ولا يؤذيه في نفسه او ماله او عرضه بل يرعى عواطفه ويحب له الخير كما يحب لنفسه ويفرح لفرحه ويحزن لحزنه ولا يطلق يده ولسانه الا للخير والفضيلة فلا تمتد يده الا الى بر وصالح ولا ينطلق لسانه الا بذكر الله وميسور الكلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر شاكرا لانعم الله عليه صارفا كل ما خلق له فيما خلق لاجله عضوا عاملا في محيط الانسانية الزاخر لما فيه نفعه او نفع بني جنسه وصالا للخير مناعا للشر عاملا جهده لاسعاد مجتمعه وتلك هي ثمرة الاسلام الحقيقية التي يعمل في جميع تكاليفه وتعاليمه على خلقها في نفس المسلم فاقرأ ان شئت قوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) واقرأ خطاب الله لنبيه الكريم (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) وقوله (فاصفح الصفح الجميل) وقوله (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) اقرا هذه الايات وامثالها تجد ان الاسلام يسمو بالمسلم الى اقصى وابعد ما تعارفته الانسانية من خير وجمال فهو لا يوصي المسلم بمنع ايذائه عن اخيه الانسان فحسب بل يوصيه بالاغضاء عن هفواته والاحسان الى من اساء اليه والعفو عمن ظلمه ترغيبا في الفضيلة نفسها التي هي سر الاسلام واكسيره وخلاصته وثمرة اعماله

فكانه يقول للمسلم حسبك الفضيلة نفسها والفضيلة جزاء نفسها فاعمل الخير ما استطعت وكن الخير في شخصك وعملك لتؤدي رسالة المسلم في هذه الحياة. فانت ترى ان هذه الشعبة من شعب الاسلام وهي سلامة المسلمين من لسانك ويدك في قوة الامر الجامع لغرض الاسلام ومقصده الاسمى الذي يجمع في تضاعيفه جميع الشعب التي نيفت على السبعين اعلاها كلمة التوحيد وادناها اماطة الاذى عن الطريق

واذا كان الاسلام كالشجرة ذات الفروع والاغصان فثمرة هذه الشجرة هي الخلق النبيل وتوجيه قوى الانسانية الى الخير لا الى الشر ومنع ايذاء هذه الانسانية باي نوع من انواع الايذاء

اذا علمت ذلك ادركت سر تلك الحكمة التي ارسلها الحكيم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فهي على حد الارشاد الحكيم الآخر الدين النصيحة . والدين المعاملة . وليس الغرض حصر الاسلام في منع الايذاء عن المسلمين او ان الدين محصور في المعاملة كما يعطيه ظاهر اللفظ وانما الغرض التنبيه على ان هذا الامر في الدين ومن الدين بمكان عظيم، بحيث يستحق هذه المبالغة الاكيدة والتوجيه القوي إذ لا محالة كما قال عياض وغيره المسلم الكامل الاسلام الجامع لخصاله من لم يؤذ مسلما بقول او فعل مع مراعاة بقية خصال الاسلام والا فان ترك الايذاء وحده من غير قيام بالواجبات المفروضة وترك فالمنهيات المحرمة لا يفيد كما لا يخفى على لبيب . ومن هنا وعلى ضوء ما بيناه في شرح الجملة الاولى في الحديث الشريف يظهر كمال الارتباط بينها وبين الجملة الثانية منه وهي قوله صلعم (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) فهما متساندتان متعانقتان في بيان المسلم الكامل الجدير حقا بحمل لقب الاسلام

والمهاجر في الاصل هو من فارق وطنه وعشيرته غلب في لسان الشرع على من هاجر من مكة مع النبيء (صلعم) الى المدينة لما اشتد ايذاء قريش للنبيء (صلعم) واصحابه وقد كانت هذه الهجرة واجبة في اول الاسلام على من اسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم الى الاجتماع فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله افواجا سقط فرض الهجرة الى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية لقوله (صلعم) لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ولكن بقي ثوابها الى يوم القيامة في هجرة ما نهى الله تعالى عنه كما ارشد اليه صاحب الشرع في قوله : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) وكما دل عليه هذا الحديث في قوله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه اي ترك المعاصي واجتناب المنهيات

قيل سبب هذا انه لما انقطعت الهجرة وفضلها حزن على فواتها من لم يدركها فاعلمهم النبيء (صلعم) ان المهاجر على الحقيقة من هجر ما نهى الله عنه

واعلم ان هذا الثواب الباقي للهجرة الى يوم القيامة لا يقل شانا عن ثواب المهاجرين من مكة الى المدينة فتلك هجرة بدنية وهذه هجرة روحية تتمثل في هجر ما حرم الله وتركه وهذا يشبه ما ورد عنه عليه السلام حين عودته من بعض غزواته (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) فسمى جهاد النفس وكبح جماحها عن مباشرة الشهوات جهادا اكبر كذلك ارشد هنا الى ان هجرة المعاصي في عمومها هي الهجرة . فالمهاجر الحقيقي هو من ضرب بينه وبين ما حرم الله حجابا حصينا وجاءت اعماله كلها برهانا ناصعا على حقيقة اسلامه وحسن ايمانه نسال الله تعالى ان يجعل هجرتنا لله وحده .

محمد الهادي ابن القاضي

الفتاوى والاحكام

رسالة لشيخ الاسلام الشيخ احمد كريم رحمه الله

في تطبيق النظر الشرعي على ما جرى به الترتيب الدولي في بلادنا التونسية من ان الشيخين القاضيين بالحاضرة التونسية وكذلك مشايخ الفتوى بها من الحنفية والمالكية يخاطبون المشايخ القضاة في بقية بلدان المملكة بالمراسلات او بالمكاتيب في طلب تنفيذ عدة اذون او الاذن بجلب الخصوم او التخلي عن النظر في بعض النوازل وتوجيهها الى الحاضرة . وذلك هو سبب تلقيب اولئك القضاة بالنواب الشرعيين وان لهم صبغين صبغة القضاء الاصليه وصبغة النيابة عن مشايخ المجلس العلي بالحاضرة . مع تحقيق ان المفاتي بتونس لهم صفة القضاء زيادة عن صفة الافتاء . بحيث انهم يجمعون بين خطتي الفتوى بالاصالة والقضاء في بعض الصور إليك هي

بـاسمك اللهم أبتدي . وبمحمد صلى الله عليه وسلم اهتدي ، وبأبي حنيفة النعمان وأصحابه الاعيان اقتدي ، اما بعد فاني طالما كنت استشكل خطاب القاضي الحنفي بالحاضرة وعملها قضاة القرى والبلدان خارج الحاضرة بالفصل والتوجيه وكذلك افتاء المفتي الحنفي في نازلة يسأل عنها ثم يأمر القاضي القروي بالعمل بذلك الى غير ذلك مما يقع به الخطاب لاولئك القضاة والحال انهم قضاة بولاية ملكية للقضاء بمشهور مذهب مالك بن انس رضي الله عنه غير ان كل واحد منهم مقصور على بلده وعملها . وكثيرا ما كنت أبحث عما يشفي الغليل من علمائنا في المسالة فلم اظفر منهم بشيء

ثم لما انخرطت في سلك القوم وكسيت حلة الفتيا المتضمنة لجواز القضاء والفصل بين الناس بالوجه الشرعي على مقتضى المذهب الحنفي الزكي على ان يكون ذلك من المفتي باختياره لا بالزام في الولاية (١) على مقتضى ما جرت به العادة من ملوك الدولة الحسينية صريحا وتقريرا . كما ثبت ذلك صريحا من مولانا امير المؤمنين سيدنا حسين باي لما رام القاضي المالكي نقض حبس خال عن الحوز لكنه محصن بحكم حنفي من الشيخ المفتي الحنفي اذ ذاك لزعمه ان ذلك خارج مخرج الفتوى لا انه حكم رافع

(١) هذا أشارة الى ما كان عليه نظام المحاكم الشرعية سابقا من ان المفتي له ان يحكم في النوازل التي تعرض عليه يفصلها ـ ولكن ذلك يقع باختياره بمعنى ان له ان لا ينظر في النازلة ـ ثم ابطل العمل بذلك وصار المفتي لا يقضي في النوازل الا في يوم المجلس او في يوم نوبته عند مغيب القاضي

للخلاف . ودارت النازلة بين المشائخ الحنفية والمالكية بمجلس يوم الاحد باردو والمعمور بين يدي الملك فقال الامير أيده الله اهل الفتوى كلهم قضاة . وبذلك حكم القاضي المالكي بصحة الحبس ايضا

ومـا زالت احكام المفاتي الحنفية وغيرهم ومراسلاتهم بالاحكام وغيرها تعرض على الامراء ويقررونها بشريف اوامرهم للعمال بتنفيذ تلك الاحكام (٢) . غير ان ذلك غير مقيد عليهم بمشهور المذهب كما هو في اوامر القضاة صريحا (٣)

ورأيت القيام بواجب الخطة من الحقوق أحببت أن اكشف اللثام عما جرى به عمل اولئك العلماء الاعلام . فنقول :

قال في الهداية تعليق القضاء والولاية بل والامارة بالشرط يجوز ، وكذا يجوز اضافتها الى وقت في المستقبل، وكذا يجوز توقيت القضاء بزمان، وكذا يجوز تقييد القضاء بمكان، وكذا يجوز استثناء بعض الخصومات او رجل بعينه ولا يصير قاضيا في المستثنى

وفيها السلطان اذا قال لرجل جعلتك قاضيا ليس له ان يستخلف الا اذا أذن له الامام في ذلك صريحا او دلالة

وفي معين الحكام : واعلم أن الذي يعول عليه في ذلك العرف . وقد قال الامام العلامة شمس الدين محمد الجوزيه : اعلم ان عموم الولايات وخصوصها وما يستفيد المتولي بالولاية يتلقى من الالفاظ والاحوال والعرف وليس لذلك حد في الشرع . ثم قال في آخر كلامه : وهذا هو التحقيق في المسألة

اذا تقرر هذا فولاية القاضي الحنفي والمالكي وكذلك المفتيين الحنفية والمالكية بمناشير سلطانية مصرح فيها بالولاية بتونس وعملها ومقيدة بالعمل بالمشهور من المذهبين قضاء وافتاء . وأوامر قضاة البلدان مقيدة بتلك البلدة وعملها ومشهور مذهب مالك

ولكن العرف جار بانابتهم عن قضاة الحاضرة وعملها . ومفاتيها الحنفية والمالكية وان لم يكن ذلك صريحا في أوامرهم . والمعروف عرفا كالمشروط شرطا

وذلك انهم تتوجه اليهم المراسلات من الفريقين بعنوان النائب الشرعي ببلد كذا ويتلقونها بالقبول والامتثال ويعرض ذلك على الامير الذي أولاهم ويقررها بشريف أمره للعمل بمقتضى المراسلة لعامل ذلك العمل الا قاضي مدينة القيروان يلقب في المراسلة بعنوان قاضي القيروان تأدبا مع بلد الصحابة . وان كانت النيابة معروفة عرفا فيه ايضا

ويؤيد ذلك قصر أيديهم عن النوازل التي يكتب اليهم فيها فقهاء الحاضرة بان يوجهوها للمجلس الشرعي بها

---

(٢) قد ابطل العمل بهذا حيث صارت الاحكام تنفذ والمكاتيب توجه من غير ان تعرض على الامراء (٣) تغير ذلك وصار يصرح في اوامر ولايات المفتين بانهم لا يفتون الا على مشهور المذهب الحنفي او المالكي

فان قلت : هل لولاة الحاضرة انابة غيرهم من اعيان البلدان في الاحكام الشرعية ؟

قلت : لا . لان العرف وتقرير الامير يخصص النيابة بقضاة البلدان او مفاتيها . ولذلك اذا خاطبنا غير أولئك بالاماكن التي لا قاضي بها يكتب له ان اصطلحا فذاك والا وجهها الينا

ولما انتهى بنا القلم الى هذا المحل ظفرت بما اغنانا الله به عن بقرة زيد وفي ذلك كفاية، والحمد لله في البداية والنهاية . ونص ما ظفرت به :

الحمد لله . ومما كتبه مولانا ابو عبد الله محمد بيرم الثاني مجاوبا به الشيخ ابا العباس احمد البارودي حين خاطبه نائب سوسة على عدم توجيه القضايا الشرعية لتونس معترضا به على الشيخ الافندي في ٢٥ قعدة سنة ١٢١٩

وبعد فالذي جرت به العادة في توجيه الخصوم من البلدة التي بها قاض فاما بالنسبة لقاضي البلدة فانه يوجه كل من طلب التوجه لتونس طالبا كان أو مطلوبا الا في القضية الواضحة التي يظهر ان لا غرض لطالب التوجه فيها الا اللدد واتعاب خصمه وتخسيره

واما بالنسبة لقاضي تونس فانه لا يامر به في كل قضية ولا يسد بابه بالكلية بل ينظر في ذلك بعينين ويرتكب على القاعدة الشرعية اخف الضررين . فان رأى القضية قد كثر التشعب فيها او لاح له بارق حيف من نواحيها اما من القاضي أو من أحد الخصمين اذا كان ذا شوكة لا يستطاع الانصاف منه هناك رغبة او رهبة، أمر بالتوجه والا فلا

وهذا العمل واضح الصحة شرعا لانا ان بنينا على ظاهر الامر من كون هؤلاء القضاة نوابا عن قاضي تونس وان كان الامير هو الذي يوليهم حيث يخاطبهم بلفظ النائب سوى قاضي القيروان ويرى الامير ذلك في المراسلات فلا ينكره فالامر واضح وليس لهم الحكم في القضية التي أمرهم بتوجيهها اليه لصيرورتهم بذلك معزولين من الاستنابة فيها

وان درجنا على انهم قضاة مستقلون حيث لم تجعل بيد قاضي تونس ولا يتهم ولا عزلهم فلا يشك في ان ولايتهم مقيدة بما جرت به العادة فانهم مامورون بتنفيذ أمر القاضي بتونس كما يدل عليه عرض المراسلات التي أمروا فيها بتوجيه الخصوم على الامير ويكتب أمره في العمل بمقتضاها . وحينئذ يصيرون معزولين في تلك القضية من قبل الامير (١)

والامر بالتوجه عند اقتضاء الحال اياه يستوي فيه قاضي القيروان وغيره فانه ما امتاز الا بالتلقيب فهو وان خرج عن النيابة اسما داخل فيها معنى

ولم يزل الامر جاريا على هذا النمط حتى فتح باب الكلام في هذا المعنى قاضي سوسة فانه لم

(١) قد ابطل العمل بهذا النظام حيث صار مشايخ المجلس العلي بالحاضرة يكتبون الى المشايخ القضاة ببقية بلدان المملكة في جميع الاغراض من غير عرض ذلك على الامير . لا سيما بعد الامر العلي الصادر في عام ١٢٩٣ المتعلق بترتيب المحاكم الشرعية

يطرق هذا الباب طارق سواه حتى قاضي القيروان على اختصاصه باسم القاضي وشدة انفة القيروانيين

وقد كان منع عن المفتي الحنفي ببلده توجيه الحنفيين اليه فضلا عن مختلفي المذهب مع ان موضوع مفتي الحنفية هناك يشبه موضوع القضاة لان المقصود منه الفصل بين اولئك الحنفية بمقتضى مذهبهم لا مجرد افتائهم الذي لا يجدي عدم تنفيذه في الخارج نفعا (٢)

وقد اتاني بعض حنفية البلد حين ضاق بهم اشاعة بطلان مذهبهم هنالك ذرعا فكلمت الافندي في كتب مراسلة في توجيه الحنفيين لمفتيهما اذا طلباه او طلبه احدهما كما جرت عادتهم ايام الهدة الكبير على ما له من العلم والصيت ولا اظن ان كان لها وقع او حصل لهم بها نفع

ولعمري ان عزل هذا المفتي واخلاء البلد عن مفت حنفي بالكلية بعلة عدم من يليق اهون من ابقائه صورة لا تنفذ من المذهب الذي يفتي به صورة . وما احسن اجراء الامور على المعتاد والله تعالى ولي السداد . اه

وله مكتوب ثان مثل الاول بيد ان به زيادة في اماكن منها عقب قوله : اخف الضررين - فانه لا يشك في شدة ضرر التوجيه ولكن قد يكون ضرر تركه أشد . وعقب قوله لانا ان بنينا على ان هؤلاء القضاة مع تولية الامير اياهم نواب عن قاضي تونس كما هو الظاهر بل الواقع حسبما يتضح وجهه فالامر واضح لان امرهم بالتوجيه منع لهم من النيابة في الحكم عنه في تلك القضية ويدل على حديث هذه النيابة اولا خطابهم بعنوان النائب كافة لم يخرج عن هذا سوى قاضي القيروان ترفيعا له عن غيره في الخطاب لكنه ان خرج عن النيابة لفظا فما خرج عنها معنى فانه يعامل في غير اللقب معاملة غيره . وليس المراد به النيابة عن الامير والا لخوطب به قاضي تونس فمن دونها . ولا ان هذا التلقيب لا علم للامير به فانه يراه في غالب الايام ويقره ولا ينكره

وثانيا كتابة قاضي تونس لهم كافة : افصل والا وجه . ولا يكتب بذلك احد منهم له ولا لبعضهم بعضا . ليت شعري لو لم يكن في الكتب بذلك ما يدل على نيابة المكتوب اليه عن الكاتب وانه مأمور من قبله لكان لكل قاض ان يكتبه لكل قاض

وثالثا ان مما لا يشك فيه ان جميع هذه البلدان التي بها القضاة بافريقية من عمل تونس وان قاضيها يلقب بقاضي تونس وعملها فما معنى كونه بالنسبة لهذه البلدان قاضيها اذا لم يكن أمره نافذا ويده مبسوطة على واليها

وليس من لازم النيابة بسط يده عليه بالولاية والعزل حتى تنتفي بانتفائه . فقد يرى الامام ان هذا الذي ينوب له احتياطا في مثل هذا الامر العظيم ان يفوض للقضاة وان بنينا على انهم قضاة مستقلون . . الى آخر الرسالة الاولى . غير ان هناك اختلافا في التعبير والمعنى واحد . اه والله الموفق للصواب

(٢) من هنا يعلم ان نظام الدولة التونسية سابقا كان يقتضي تسمية مفتات على المذهب الحنفي في بقية بلدان المملكة التونسية زيادة عن مشاييخ المجلس الحنفي بالحاضرة . وعسى ان تقع العودة لهذا النظام الذي لا بد منه

الازدواج

بقلم العلامة الشيخ الناصر الصدام المدرس
من الطبقة الاول بجامع الزيتونة الاعظم

هو الحبة التي انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء او هو الحجر الاول الذي وضعه التكوين في بناء عالم الاجتماع فبث فيه انعاما واناسي كثيرا

ومن ثم امر ربك نوحا عليه السلام بان يسلك في سفينته من كل زوجين اثنين ابقاء على الخليقة وادخارا للبذر حتى اذا سكنت عاصفة الطوفان المجيحة افضى بعض الازواج الى بعض فتناكحوا فتناسلوا فتوالدوا فتبارك الله احسن الخالقين . وليس ما حملت السفينة هو الكل في الكل من الازواج فان منها بالعالمين العلوي والسفلي ازواجا كثيرة كالشجر والنبات والرياح الحاملة مطرا والملقحة شجرا والعقيم التي ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم الى غير ذلك من الانواع مما لا يحاط به (وما يعلم جنود ربك الا هو)

فلا فرد اذا الا من لا زوج له سبحانه وبهذا صار الازدواج دليل الحدوث لدلالته طبعا على افتقار كل من الزوجين لزوجه وذلك قوله تعلى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) اي صنفين كالذكر والانثى والسماء والارض والشمس والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والنور والظلمة قاله الجلالان

وقال البيضاوي في قوله (لعلكم تذكرون) فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام اه

ثم مما علم بالضرورة ان أرقى انواع الازواج هو الانسان بما ألبسته يد الانعام الآلهي من شارات التكريم والامداد بنور العقل والعلم الذي سبب استواءه على عرش الخلافة في الارض وبسط سلطانه في طولها والعرض بيد انه على ما هو عليه من سمو ادراك وتاهل لعرفان قد احس في نفسه بما احس من عوامل الحدوث والضعف والافتقار واضطراب الوحشة فاتم الله تعلى عليه النعمة بان خلق له من نفسه زوجة ليسكن اليها ويقر قراره وتتكاثر اعوانه وانصاره

ومن الطافه سبحانه ان جعل له الازدواج ميسورا ترخيصا منه تعلى في كل ما تلجئى اليه الضرورة مما لا غنى عنه كالهواء والماء والغذاء وكان ربك لطيفا خبيرا

مضى على الخليقة حين من الدهر وهم في ازدواجهم كالانعام الى ان تداركتهم العناية الربانية

بارسال الرسل وتشريع الشرائع فـاحقوا حقهم وابطلوا باطلهم وجعلوه نكاحا لا سفاحا في حـدود شرائطه واركانه

وقدكان التشريع على وفق الوضعية الآلهية من انقسام الناس الى طبقاتهم الطبيعية فحسبت لذلك حسابه وناطت امر النكاح بالكفاءة الحافظة لبيئة العائلتين المتصاهرتين فمضى الناس على ذلك قدما كل يعمل على شاكلته غير ماد عينيه الى ما متع الله تعلى به ازواجا آخرين حذر الافتتان والتورط فيما لا قبل له به ومن قر عينا بعيشه نفعه

الى ان ثارت ثائرة الانفس فامتدت أعين الفقراء من الناس الى زخرف الطبقـة الوسطى منهم وهاته الى ما متع الله تعلى بهأرباب الثراء والطبقـة العليا فاختلط الحابل بـالنابل واختلت النظم وفقد التوازن فتقطعت بهم الاسباب حيث اتوا البيوت من غير الابواب (وكان امر الله قدرا مقدورا)

وأول من سعى لدفع هذا الخطر في الاسلام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعلى عنه فاراد ان يحمل الناس على مقدار واحد في المهور فاعترضتهعجوز بقولها : اين انت يا عمر من قول الله تعلى (او آتيتم احداهن قنطارا) الآية . فامسك رضي الله تعلى عنه وبكى وقال الله اكبر كل احد أفقه منك يـا عمر حتى العجائز . وايضاح ما في المقـام انه يحتمل ان الخليفة الثاني رضي الله عنه لم يكن ليخفى عليه ما ذكرته به المرأة ولكنه آثر المصلحة العامة فهم بما هم من التوحيد في المهور تمسكا بقاعدة ارتكاب اخف الضررين لدفع اشدهما

ولامام المسلمين ان يفعل امثال ذلك سياسة شرعية .وبمراجعة العجوز تراجع للقاعدة نفسها ايضا تفاديا من احداث فتنة في الاسلام يثيرها من لا تفهم له في مقاصد الشريعة فيقول ان عمر قد عطل شريعة من شرائع الله تعلى . لا يقال ان بكاءه وتصريحه بما يدل على قلة الفقه يابى ما قررت لانا نقول انه رضي الله تعلى عنه قد حمله الحزم على تلافي الخرق بالرتق قبل اتساعه على ان لا يكون مباليا بهضم جانب ارباب الطول ابقاء على المصلحة العامة ولانه ايضا كان يظن اقتناع الشعب بما في عمله من صلاح ومشاطرتهم اياه فيما ارتئاه فلما رآى من العجوز مـا رآى تراجع وامسك عن ذلك اشفاقا من اثارة الفتنة الى فرصة أخرى تزيد فيها الدواعي توفرا والموانع انتفاء

والا فالادلة الشرعية وان دلت على انه لاحد لا كثره كالآية التي تلونا لكن في كثرة ما يدل على الترغيب في التقليل ما يدل بالضرورة على كمال رغبة الشارع الحكيم سبحانـه في ذلك والندب اليه كقـوله عليه الصلاة والسلام لمن اشفق من التزوج لقلة ذات اليد (التمس ولو خاتما من حـديد) و(تزوجوا فقراء يغنكم الله) و (زوجتكها بما معك من القرءان) و (ابركهن ارخصهن مهورا) و (تناكحوا تناسلوا توالدوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامـة) و (من تزوج فقـد ملك نصف دينه فليتق الله في النصف الاخر) الى غير ذلك مما تتبين فيه حرص الشارع على التزوج وتعمير الكون فالتناسل والتوالد فقد جعل صلى الله عليه وسلم المهر تارة غير مال ومرة مقدارا زهيدا كخاتم الحديد

وجعل المهر غير مال شريعة منسوخة كما في تزوج موسى بابنت شعيب عليهما السلام فاذا وقع اليوم نكاح كذلك كنكاح الشغار حكم مهر المثل وأجيب عمن تزوج بما معه من القرءان بانه خصوصية له

واعلم ان مهر المثل يحكم في كثير من الصور عندنا وفي تحكيمه دلالة على ان مقصد الشريعة اجراء كل طبقة من طبقات الناس على ما يناسبهم

غير ان هذا لا يمنع امام المسلمين من حمل الناس على التحديد لاكثره اذا راى ان المصلحة في ذلك كما فعل امام الطاعة الملك المؤيد الذاب عن حوزة الاسلام الساهر على صالح الامة سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني اطال الله بقاءه معوذا بسر السبع المثاني فانه نصره الله تعلى قد عهد الى محتسب المملكة بمراقبة المهور والتشوير وجعل أغلى المهور لاعلى الطبقات ثلاثة الاف فرنك واقصى حد لتشوير المرأة عشرين الف فرنك ابقاء على الشعب وتيسيرا لامر النكاح الذي رغبوا عنه اشفاقا من تبعاته وتفاديا من ويلاته

ومن احلى مظاهر ترغيب الشريعة في التوالد وتعمير الكون اباحة نكاح الاربع مجتمعات في عصمة واحدة بالنكاح ولولا مراعاة الشارع ان الزيادة على الاربع ترهق الزوج ذا التوسط في امره عسرا لاطلق له العنان في جمع الاكثر منهن على ما حررناه في تفسير قوله تعلى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) من ان الاقتصار عليهن مبني على ذلك

اما كون الاربع بخصوصه اي دون الثلاث او الخمس غاية لمستطاع اواسط الناس في الانفاق فسبيله سبيل المعدودات الشرعية التي قامت القرائن على انها نصوص في معانيها كالتسبيح والتحميد والتكبير دبر المكتوبات ثلاثا وثلاثين وكايام الصوم المفروض والواجب لكفارة ونحوها وايام الحج وما الى ذلك مما لا يعلم عليه الا الله تعلى

ومن تلكم المظاهر اكثرية النساء من الرجال في مختلف العصور والاجيال حتى ان نسبة الرجال منهن الخمس على ما تلوح اليه الآية المتقدمة

ومنها استطاعة الرجل تحقيق الانتاج الولادي من كثير من الامهات سواء كن زوجات اوسراري

ومنها تمييزه سبحانه لامهات الاولاد عن سائر الموطوءات بملك اليمين حيث يكون ولدها سببا في عتقها على ما قرر في الفروع

ومنها تنفيره من الطلاق وان كان مباحا

ومنها قوله عليه السلام (سوداء ولود خير من حسناء عقيم) وقوله أيضا (ان من شؤم المراة عقم رحمها)

ومنها قوله تعلى في التنفير من الطلاق والبقاء على الزوجية (وان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)

ومنها ايضا فرض الحجاب عليهن على ما حققناه في تحرير عنوانه (الحجاب من نواميس العمران وذرائع التناسل) ننشره فيما بعد ان شاء الله تعلى . فعلى حضرة الشيخ المحتسب السعي في ذلك والله ولي التوفيق والاعانة . ولاتمام الافادة نذيل هذه العجالة بارجوزة في الموضوع وهي بنصها :

احمد ربي فالق الاصباح — من قد أناط اليسر بالنكاح
مصليا على نبيء ذي حكم — نفله الله جوامع الكلم
فقال ترغيبا الى الكرامه — بكم اباهي امم القيامه
محمد ذي الخلق العظيم — والآل والصحب ذوي التكريم
وبعد فالقصد بهذا النظم — ارشاد من يسعى لنيل الفهم
ليستضيء بمنار الشرع — في حالك من ظلمات الطبع
مقاصد العقال بالنكاح — انبأ عنها الشرع بالافصاح
فتنكح المراة للجمال — كذا لدين نسب ومال
واظفر بذات الدين فهي المقصد — وما سواها معها لا يقصد
وان حوت نباهة في النسب — مع دينها فذاك اسنى الارب
ذات الغنى موقعة في النصب — ان لسعت بمنها كالعقرب
فهو أحر من احر النار — عن ذي مروؤة من الاحرار
وان تكن ذكية الفؤاد — فهي لعمري غاية المراد
يلقى بها الزوج كنوز الادب — موفورة فوق كنوز الذهب
اما اذا توجها الجمال — فما لها في حسنها مثال
تربو به عن درك السفاح — الى ذرى الاحصان والفلاح
من كرم الله وامره المطاع — تحليل مثنى وثلاث ورباع
توفية بسكن الطباع — لمن يرى نحوها ذا اتباع
ان اخذ العهد على هواه — بأنه مراقب مولاه
هذا لعمري جنة الرجال — اذ نيطت الارزاق بالآجال
الم يقل رسول ذي العرش المجيد — لمشفق اطلب ولو ختم الحديد
ممهدا لسبل العمران — ومنقذا من وهدة الهوان
مالي اراهم خالفوا سبيله — وسلكوا مناهجا ضليله
وركنوا لوافر المهور — ورجحوا العسر على الميسور
فاصبح الفقر لهم رفيقا — قد سلكوا غير الهدى طريقا
وغيره مما يرى الانسان — يخرس عن بيانه اللسان
نساله سبحانه الهدايه — والفوز من مفاوز الغوايه
بمنه فانه الجواد — يتم ما فيه لنا المراد
بجاه من به حياة الانفس — محمد الهادي السري الانفس
صلى عليه الله ما بدر طلع — وضاء برق من رشاد فاتبع

الناصر الصدام

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

الرجال الاربعون

اصحاب الامام الشاذلي

بمناسبة موافقة هذا الشهر المبارك لافتتاح حفلات الاذكار الجمعية بالمقام الشاذلي ابتداء من حلول فصل المصيف وفقا للنظام المالوف بين اهل الطريقة الشاذلية منذ المائة السابعة فما دون احببت في هذه الكرة جعل مشاركتي التاريخية في هذا العدد من المجلة الزيتونية خاصة بالتعريف بالرجال الاربعين من اكابر الصالحين اصحاب الامام الشاذلي رضي الله عنه (١) الذين لازموه عدة من السنين في مجالس ذكره وتعبده بالمغارة الشاذلية على عهد السلطان ابي زكرياء الحفصي . وهؤلاء السادة يفوت عددهم الاربعين كما ستراه انما غلب عليهم نعتهم بالاربعين كنعتهم ايضا برجال الزلاج لاحتواء هـذه المقبرة لاضرحة جماعة منهم كما سياتي بيانه ومن المتفق عليه انهم كلهم من خيار الخيـار وان قبورهم كانت كما لم تزل محاطة بسياج الحظوة والاحترام من عامة اهل تـونس وبعضهم ممن يستجاب عند قبره الدعـاء (٢) وهذه قائمة اسمائهم مقتطفة من بعض كناشات السلف نور الله مراقدهم :

---

(١) هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المشهور بالشاذلي قدم من المغرب لتونس اواسط المائة السابعة وسكن بالمغارة المنسـوبة اليه بجبل الفتح وهنالك اجتمع عليه اصحابه الاربعون المشهورون واقام على ذلك نحوا من عشر سنين ولما اشتهر علمه وفضله ورجع الى الله على يده الجم الغفير حسده قاضي زمنه الفقيه الشيخ احمد بن البرا فوشى به الى السلطان ابي زكرياء الحفصي ورماه بالسحر فعزم السلطان على ابعـاده من تـونس وفي ذلك اليوم احترقت جارية للسلطان كان يحبها حبا جما فخاف السلطان واستخلص مرضاة الشيخ رضي الله عنه الا ان الشيخ لم يعبا بذلك وارتحل من تونس قاصدا الاسكندرية ثم مصر ومنها انتقل لحميثرا بصحراء عيذاب وبها التحق بربه في سنة ٦٥٦

(٢) هكذا ذكر غير واحد من المؤرخين وبه قال بعض اهل العلم منهم الشيخ محمد بيرم الرابع قدس الله روحه ومما يؤيد هـذه الشهرة المتواتر حـديثها بين الناس خلفا عن سلف ان القيمين على اضرحة اولئك السادة رضي الله عنهم كانت ولايتهم تصدر بالامر العلي اعتبارا لمنزلتهم الصالحة في نظر عموم اهل تونس وكانوا ينتخبونهم من ءال بيت الشماري ولدينا في ذلك وثائق تاريخية كثيرة ننقل منها نموذجا تاييدا لما ذكرنا : امرنا هذا بيد الفقيه علي بن علي الشماري واننا جعلناه وقادا بمقام الشيخ سيدي علي الزلاج (صوابه محمد الزلاج) عوض والده المذكور لوفاته واوصينا عليه بالرعي والاحترام

١ — محمد الغماري هو اول من صحب الامام الشاذلي عند دخوله لتونس - توفي سنة ٦٦٣

٢ — محمد القرطبي حفظ عليه القرءان خمسمائة رجل - توفي سنة ٦٦١

٣ -- ماضي بن ساطان المسروقي خادم الامام الشاذلي - توفي سنة ٧١٨

٤ — عبد المغيث الطنجي وقف بعرفة ٣٧ مرة - توفي سنة ٦٨٠

٥ — عبد الملك الزعزاع - توفي سنة ٦٨١

٦ — احمد الغرابلي - توفي سنة ٦٨٥

٧ — عمر السبتي - توفي سنة ٦٨٧

٨ — محمد الصمعي زار المدينة المنورة اربعين مرة - توفي سنة ٦٨٦

٩ — محمد الحبيبي الدعاء مستجاب عند قبره - توفي سنة ٦٩٣

١٠ — عياد بن مخلوف الزيات - توفي سنة ٦٥٠

١١ — محمد الصابوني - توفي سنة ٦٨٧

١٢ — ابو حفص الجاسوس - توفي سنة ٦٨٧ (١)

١٣ — ابراهيم المزوغي - توفي سنة ٦٦٩

١٤ — احمد اليمني - توفي سنة ٦٩١

١٥ — ابراهيم الزاوي حفظ عليه القرءان الف رجل وثلاثمائة امراة - توفي سنة ٦٩١ (يا له من رجل عظيم رحمه الله ورضي عنه وعن الشيخ عبد العزيز الباوندي الذي اقتفى اثره في هذا السبيل)

والمبرة والاكرام والسلام من الفقير الى ربه الباشا علي باي (الثاني) بن حسين باي لطف الله به اوائل اشرف الربيعين سنة ١١٩٤ اهـ . ومما هو جدير بالذكر في هذا المعنى ان المولى حسين بن علي قدس سره كان لا يتخلف عن زيارة اضرحة الرجال الاربعين فقد قال القاضي الشيخ محمد سعاده في كتابه قرة العين بنشر فضائل الملك حسين ما نصه : ولقد مررت يوما بباب الجديد في قضاء بعض الشئون فوجدت جماعة من العوام يشنون عليه (اي على الباي حسين بن علي) بما تقر به العيون على ما اظهره من التواضع مع الفاضل العدل الحاج عبد اللطيف زيتون وذلك انه مر بدكان المذكور حين رجوعه من زيارة ما بجبل الزلاج من الرجال في موكبه وما حوى من الجحاجحة الابطال فوثب المذكور على ما به من العجز والضعف في ركبتيه ونزل من دكانه لتقبيل كريمة يديه فمسك عنان فرسه حتى التحق به اهـ . قلت وعلى قياس صنيع هذا الجد السعيد درج اخلافه من الملوك الحسينيين ناهيك ان المشير احمد باي الاول وكان شاذلي الطريقة باشر بنفسه لحد شيخها المفتي الشيخ الشاذلي بن المؤدب عند وفاته في سنة ١٢٦٣ قال في تاريخ إتحاف ابناء الزمان ان الباي المذكور : حمل جثته (اي جثة الشيخ المؤدب) بنفسه ومشى خلف نعشه راجلا باعتبار انه من ابناء الطريقة الشاذلية اهـ

(١) من المحتمل القريب ان هذا الفاضل هو المؤسس للمدرسة الجاسوسية التي لم يحفظ لنا التاريخ من اخبار نشاتها سوى انتسابها الى « الولي الصالح الشيخ سيدي الجاسوس » اذ من المعلوم ان البعض من مدارس طلبة العلم في العصر الحفصي كانت في مباديها رباطات للعبادة والتفقه في الدين كما هو الحال في المدرسة المرجانية المنسوبة للشيخ ابي محمد عبد الله المرجاني من رجال القرن السابع

١٦ – ابو سالم البرقي بجوار قبره بالزلاج قبر ولد القاضي عياض - توفي سنة ٦٦١

١٧ – محمد الفاسي - توفي سنة ٦٥٩

١٨ – محمد الزبغي - توفي سنة ٦٦١

١٩ – سالم المزاتي - توفي سنة ٦٦١

٢٠ – ابو القاسم القرطبي - توفي سنة ٦٦١

٢١ – محمد القطاع - توفي سنة ٦٦٣

٢٢ – اسماعيل اللنتاتي له الف منقبة - توفي سنة ٦٦٣

٢٣ – تاج الدين الصنهاجي - توفي سنة ٦٦٤

٢٤ – محمد الجباس - توفي سنة ٦٦٤

٢٥ – ابو عطيه المسروقي - توفي سنة ٦٦٤

٢٦ – علي القرجاني الدعاء مستجاب عند قبره - توفي سنة ٦٨١

٢٧ – ابو زيان الداودي - توفي سنة ٦٦٦

٢٨ – سعد الاسمر ويدعى سعدون (١) كان من اهل الكشف وقبره جوار قبر الشيخ علي القرجاني - توفي سنة ٦٦٦ (فهو غير سيدي سعد المرناقي شهر بوعكروشه)

٢٩ – ابو قاسم الدباغ - توفي سنة ٦٦٦

٣٠ – محمد الشريف كان امام جامع الهواء وشيخ مدرسته - توفي سنة ٦٦٦

٣١ – محمد الغرامي - توفي سنة ٦٦٦

٣٢ – عبد الله القرشيني قرأ عشرة الاف ختمة عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم - توفي سنة ٦٦٧

٣٣ – محمد الثوالي - توفي سنة ٦٦٧

٣٤ – احمد المزوغي - توفي سنة ٦٦٧

٣٥ – عبد الرحمن الشفي - توفي سنة ٦٦٨

٣٦ – علي الحطاب - توفي سنة ٦٧١ (٢)

---

(١) ظهور باب سعدون بتونس كان في زمن هذا الرجل الصالح فلعله نسبة اليه ويحملني على هذا الظن تعود اهل تونس على تحلية من يكبرونه من الزنوج بلفظ بابا لذلك سمي الباب المتحدث عنه باسم باب ابي سعدون

(٢) ينعته بعض الناس بلقب بواب مكة اعتقادا منهم انه هو الشيخ الحطاب صاحب الضريح الواقع عند باب البلد الامين وهو غلط صراح لان هذا الشيخ الحطاب هو شارح كتاب الورقات وهو من فضلاء المائة التاسعة والشيخ علي الحطاب التونسي هو صاحب الزاوية المعروفة وهو من رجال المائة السابعة

٣٧ – سالم التباسي - توفي سنة ٦٤٢

٣٨ – حسين السيجومي - توفي سنة ٦٤٤

٣٩ – عبد الوهاب - توفي سنة ٦٧٥

٤٠ – سفيان الباجي - توفي سنة ٦٧٥

٤١ – عبد الرحمن الحلفاوي قبره غربي باب السويقه - توفي سنة ٦٧٦

٤٢ – خلف المسروقي مدفون بازاء جامع الصفصافة غربي تونس - توفي سنة ٦٧٦

الى هنا انتهت قائمة الجماعة الاخيار المشهورين بمصاحبة الامام الشاذلي اثناء مقامه بتونس وهذه القائمة لم يجيء بها ذكر اسم الشيخ محمد الزلاج على ان هذا الرجل المحسن الكبير اجتمع أيضا بصاحب الطريقة الشاذليةولكنه لم يكن من اصحابه الملازمين له هكذا رايت فيكتاب مناقبه والخلاصة ان رجال الزلاج يعسر ضبط عددهم بالتدقيق لتجاوزهم حد الالوف فقد ذكر الوزير السراج في كتابه الحلل السندسية انه ضبط عدد قرارات مقبرة الزلاج في زمنه فكانوا اكثر من اثني عشرة الفاورايت في الشهاب ١٤٤ من كتاب الشهب المحرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من المخرقة العبارة التالية في التنويه باولئك الرجال ونصها : وكرامات الشيخ محرز ببلدنا وسيدي علي الفحام وسيدي علي القرجاني ورجال الزلاج ببلدنا لا تحصى وان اردت ان تقف على بعضها عيانا فعليك بقصيدتنا البائية التي نظمتها في الاربعين اصحاب الشيخ ابي الحسن الشاذلي بتونس اه . قلت هذه القصيدة لم نقف عليها وانما نعرف قصيدة اخرى لاحد افاضل الادباء المتاخرين وهو المرحوم الشيخ محمد الحشايشي اسماها سمط اللجين في التعريف بالرجال الاربعين مطلعها :

الحمد لله وصلى الله ... على نبيه ومصطفاه
محمد المبعوث بالهداية ... ومنبع الانوار والولايه
وءاله مناهج اليقين ... وصحبه ليوث هذا الدين
وبعد قد اردت نظم سادة ... ارجو بهم في الموقف السعادة
اصحاب شيخنا علي الشاذلي ... غوث الورى مسدي النوال العاجل
وضامن المريد في الثلاثه ... نزع ولحد بعدها الاغاثة
نور بهم يا ربنا القلوبا ... واقلع بهم عن عبدك الذنوبا
واجعلهم حرزا حصينا نافعا ... ويوم عرض الخلق طرا شافعا
واقض بهم مئارب العباد ... حتى نفوز منهم بالزاد
اولهم محمد الغماري ... بحر الكمال منبع الاسرار

اعقبه الناظم بذكر بقية الاصحاب المقبورين بالزلاج ثم ذكر بعدهم بقية الرجال الاربعين المرموسين خارج مقبرة الزلاج ختمهم باسم سيدي سالم التباسي حيث قال :

ومستجاب الدعوة التباسي ... الطاهر الاعراض والانفاس
وهو تمام الاربعين صاحي ... فيما نقلته عن الصحاح
وقيل هم اكثر من هذا العدد ... وهو الصحيح عندنا والمعتمد
والحمد لله على التمام ... والعون في المبدا والختام

اعاد الله علينا من بركاتهم وجمعنا واياهم في صعيد واحد

محمد بن الخوجة

« ديوان الورغي »

وعوضت منها في جنانك فسحة يغيب بها ما في الحضيض الى الشر
وسعت بها تأميل كل مؤمل وءاويت في اكنافها كل ذي ذعر
وما ضر ان كانت بجودك ءاية كما ان غيم الجو من ءاية القطر
اذا ما شفعت الميم اتبعت منحة او الباء جاء البر منك على الاثر
ولولا الحيا والعلم انك صالح لقلنا بفيك العذب فافاة السحر
وفيك وفيها رحمة حين ينزوي امامك ذو ذنب او الطالب البر
فياخذ هذا عن عتابك مهلة ويطنب ذا فيما يقودك للاجر
وان زدت فيها عند ذاك تبسما فتلك لعمر الله منقبة الفجر
كذلك فلينعتك من كان مغرما بحبك وليصدع بما فيك من سر
صدعت بهذا اذ قلت صفني ولا تمل عن الصدق ان الصدق اجمل بالحر
فجاء كما جاء الامان لخائف والا كما ساحت مهاة من الخدر
مديح اذا كنيت فيه فربما توقف في تصديقه جامد الفكر
ولكن اذا قلنا علي ترنحت قلوب الورى شوقا الى ذلك الذكر
ايا ابن حسين والملاحة كاسمها بلغت المنى لما مدحتك في شعري
لما ان لي في وزن شعرك نهمة وان كنت في الميزان اعلا من الشكر
فكن في امان الله تمنع من ردى وتستاصل الاعدا وتمرح في الخير

ولـه فيه وقد ارجف قوم في جانب الدولة

لك المثل الاعلى وللكاذب القهر يدور عليه بالذي قاله الدهر
وتسعد من قول الاعادي بضده اذا بزروا زورا تهيا لك الزهر
هم الادعيا يلقون قولا وما لهم على قبح ما تجني عواقبه صبر
فهل يومهم يوم اذا الشمس غيبت وهل ليلهم ليل اذا انخسف البدر
وما خبث ما قالوه يختص جانبا ولكنه يشقى به البطن والظهر
فمادت له الغبرا فلا النبت ثابت به الخضرا فما انبعث القطر
امن غيرة المولى عليك عقوبة تصب على الباغي ويصلى بها البر
وفيك اناة يسهل الذنب عندها وان حق للاتي به المركب الوعر
لعلك يثنيك الحنان فتنطفي حرارة ما اوراه في حقك الحور
وما الناس الا ما علمت فكلهم او الجل مهما ذقته مطعم مر
اذا لم يسوغ مضهم بحرابة تجرع من يبلى بهم وهم الازر
وانت على ما انت ارحم شافع تجيد لهم عذرا اذا انقطع العذر
فلو كنت تستفتى عن الحكم فيهم وردت لك الفتيا لقلت هو الاجر
اذا كنت مطبوعا على العفو فالذي يحاول منك الفتك راحته صفر
ولو شئت كان السخط في موضع الرضا وقام الى ما تامر البيض والسمر
وهبت بك الجرد السلاهب نحوهم هبوب دبور بعد ما طلع القمر
عليها من الفتيان كل مدرب لامرك عبد وهو ان تنمه حر
تعدد مرتاضا عن السخط والرضا سواء عليه في الهوى القر والحر
اذا هم لم يأمل رجوعا وان سطا فمصدومه شفع وصدمته وتر

هنالـك لا لبقى مواجهك الغنى — ولا يمنع الماضي على وجهه الفـر
وتشفي غليلا لـم يكن لك غائظا — ولكن نزيـل الشر اكرامه الشر
على ان في خير الـورى لك اسوة — تزول بها الشحنا وينشرح الصدر
فقـد اكـرم الله الحبيب بمثلها — على احد ثـم استقام لـه الامـر
فلـم يبق فيما يـوم النفس بعدها — ودان لـه من بعدها البر والبحر
فكم منحة تاتي وقد بانـ وجهها — واخرى عليها من عزازتهـا ستر
وكم غـادة تلغى لظاهر طمرهـا — وتلعب بالالباب ان رفـع الطمر
كسجنك لي في غرة الفطر عند ما — تاخر مني عنـ موافاتك الشعر
تلطفت في تشريف قدري بوضعه — مغالطة من حيث لـم يشعر الغمر
فظن ببادي الراي ان قـد اهنتني — واني لاخـل لديـك ولا ضمر
وما عرف المسكين انـ بهـذه — على كل من يدري القريظ لي الفخر
فلو لم اكن فيـه العتاهي ما جرى — علي من المنصور في قولـه الجبـر
وكم بين من ياتي الى البـر طالبا — وبـين الـذي ينأى فيطلبه البـر
وما حبس البازي لاجل هوانـه — ولا بلبـل الادواح ارخصه الاسر
فهـذا على الابصار يجلـو محاسنا — وهذاك في الاسماع من سجعه سحر
وماكانـ ترك الشعر مني اريبة — امن بعد اخلاصي يناط بي الغدر
امـا انى وجهت فيـك قوافيـا — مقاودها حبي واحمالها الشكـر
وما باختياري كانـ حبي وانما — لحبـك من يبصر سجاياك يضطر
عليـك محبـات القلوب تهافتت — كما حول بيـت الله يجتمع السفر
فانـت لها مغنطيس لـو تصورت — لضاق على الاشباح من بينها الممر
لانـك فيـاض وثغـرك بـاسم — ولفظك حزم انـ يمر به هجر
ولولاك مـا راج القريظ ولا دعى — بميدانه للسبق منـ ظهره مهـر
ولكن عدتني الانـ عنه عوارض — اساءت الى قلبي ورض لها الفكر
طويت عن الاسماع ثقـل حديثها — لانـ بثقـل اللب يستثقل القشر
وهذي بقايا الفكر كنت اختلستها — على غفلة من قبل ان يبلها السكر
فانـ اطلقتني من وثاقك ربمـا — بيمن على بأس الفتى سنـح الطير
وان كانت الاخرى فكم من مليحة — تساق الى بعـل وينتظر المهـر
حييت كما تختار تظفر بالمنى — وتعظم في المغنى وطال لك العمر

وكان الامير المذكور جهز ولديه حمودة والمامون في جيش كثيف فيه اعيان الدولة بقصد الطواف في ارجاء المملكة على سبيل الاستراحة والتدريب فقال ابو عبد الله الورغي في ذلك

اقـلا علي اللـوم اني لفـي شغـل — شغلت بسلمى اين منـ اهلها اهلي
اقامت بذات الجزع من جانب الحمى — وها انا ما بين الصوى والنوى رحلي
يمثـل لي منهـا بكـل ثنيـة — خيـال اذا غمضت ابصرتـه حولي
تكاد تنـاجيـني وبيـني وبينهـا — من البعـد مـا بين السماحة والبخل
ولـم انس في جور الـوداع وقوفنـا — وقدفت داعي الفصل في ساعد الوصل
فحمنا عنـ الاقـوال فيـه وانما — قنعنا بإيماض العيون عنـ القـول

عدد ١٠

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء العاشر	تونس في جمادى الثانية ١٣٦٠ وفي جويلية ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

المجلد الرابع — # فهرس العدد — الجزء التاسع

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء العاشر	تونس في جمادى الثانية ١٣٦٠ وفي جويليه ١٩٤١	المجلد الرابع

خاتمة المجلد الرابع

نحمدك اللهم حمدا يليق بجلالك ونستمنحك الغفران عما فرط والعفو من فضلك واحسانك ونشهد ان لا اله الا انت المتفرد بالبقاء وكل ما سواك يطرأ عليه الزوال والانتهاء ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا رسول الرحمة وكاشف الظلمة صلى الله عليه وعلى آله الاطهار واصحابه البررة الاخيار وسلم تسليما .

اما بعد فانا بهذا الجزء نختم المجلد الرابع من المجلة الزيتونية شاكرين الله على ما انعم به من التوفيق وما حصل من الهداية والاعانة في السير بها على احسن طريق فكانت اجزاء هذا المجلد كسابقاتها لم تتاثر بحوادث الزمن ولم تحد عما رسمناه من المبادي ولا اعتراها ضعف ولا وهن فكانت تشق طريقها بين العواصف وتصافح قراءها في مستهل كل شهر، تعمل لنشر الفضيلة والخلق الكريم وتنادي للاصلاح واحياء السنة الشريفة وازالة الفوارق والخلافات وما اليها من نزعات حرصا على جلب الخير ودرء الفساد ما استطاعت الى ذلك سبيلا . ولم نأل جهدا في سبيل الاصداع بالنصيحة او تحرير ما فيه خير ويبعد من الرذيلة او احياء ذكرى مجد تالد قد انقضى زمانه عسى ان يجدد ابناء العصر عزه ويعملوا على شاكلته وقد اعاننا على مهمتنا جهابذة اعلام ونحارير فوارس اقلام نخص منهم صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي لا زال مصدر علم وافادة والعالم المؤرخ الاديب الفذ امير الامراء وصفوة الكبراء وسليل العلماء سيدي محمد بن الخوجة مستشار الحكومة

فالمجلة تعترف لجميعهم بما مدوها به من تحارير قيمة ذات افكار سديدة ومساع حميدة ونعتذر لمن لم نتمكن لنشر ما واصلونا به من مقالات نثرية وقصائد شعرية

كما نعتذر عن تاخير الاجابة عن اسئلة طلب اصحابها الاسراع بالاجابة عنها وكل آت قريب والله المستعان بدا وختاما انه سميع مجيب .

خطاب الاستاذ الاكبر

صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط

شيخ الجامع الاعظم وفروعه

بمناسبة ختم السنة الدراسية بجامع الزيتونة يوم الاربعاء ٢١ جمادى الثانية الموافق ١٦ جويلية القى فضيلة شيخ الجامع الاعظم الخطاب الآتي في موكب رهيب تصدره صاحب الدولة المولى الوزير الاكبر واصحاب المعالي الوزراء الكرام وشيوخ المجلس الشرعي الاعلام واعيان رجال الدولة التونسية وشيوخ المعهد وتلامذته

الحمد لله الذي طوق العاملين قلائد التشريف والتكريم . ووفق المهتدين لاكتساب فضيلتي التعلم والتعليم . والصلاة والسلام على الرسول الاكرم والمرشد الاعظم سيدنا محمد الهادي الى الصراط المستقيم . وعلى ءاله وصحبه الحاملين ملته . المبلغين سنته . الناشرين دعوته بفاصل القول الحكيم . ما بعد فمن اداء حق شكر النعمة ان استهل الغرض المقصود . في هذا الجمع المشهود . بترتيل ءايات الشكر . وتوجيه ركائب الثناء نحو مليكنا الكهف الامنع . والملاذ الارفع . سيدنا احمد باشا باي دام عزه وعلاه . اعترافا بما اسداه للعلم واهله من عناية كاملة ورعاية شاملة . واهتمام بشان التعليم . نفخ فيه روحا ايقظت جفنه بعد السبات . وانطقت لسانه بعد طول الصمات . وقد عززت حضرته الشامخة الشماء لازال منبع الاحسان وناصر العرفان مبراته العلمية فحبس على الخزينة الزيتونية في هذا الشهر بعض الكتب النفيسة وبلغت العطية محلها في هذا اليوم المبارك وما اجتماعنا اليوم ايها السادة الا اثر من ءاثار هذه العناية المباركة والاهتمام المحمود حيث قرر ابقاه الله في الفصل السادس والثلاثين بعد المائتين من امره المطاع المتعلق بنظام التعليم اقامة احتفال رسمي يوم ختم الامتحان بحضرة المولى الوزير الاكبر نيابة عن جلالته .

كان من اثر هذا النظام ان قطع التعليم بالجامع المعمور وفروعه مراحل شاسعة من النهوض في سبيل تلقين اللغة العربية والعلوم الشرعية وما يتوقف عليه الرقي الفكري والنفسي من علوم واخلاق ذلك انه يسر وسائل الرقي العلمي الذي هو الضالة المنشودة لسائر المعاهد العلمية .

والرقي العلمي كما لا يخفى على ذوي الالباب صرح مشيد على دعامتي احسان التلقين من المعلمين وحسن التلقي من المتعلمين . فاما احسان التلقين من المعلمين فيستمد قواه من عنصرين عنصر الكفاءة العلمية وعنصر الاخلاص في اداء الواجب . وءاية الاخلاص المثابرة على العمل والمداومة على التدريس

وتوخي الاساليب المثمرة الجذابة لتثير في التلاميذ الشغف بالعلوم والتطلع اليها والارتياح لمطالعة كتبها والمذاكرة فيها وغشيان نواديها . واعتقاد انها الغرض الاسمى للحياة . ومطلع السعادة الحقة . ولعلم المشيخة العلمية بان الاتقان هو الوسيلة الوحيدة التي تعيد للعلم رواءه وتخصب حقوله لم تال جهدا في اعانة شيوخ التدريس على تحقيق هذه الرغبة المهمة فناطت بعهدة كثير منهم القاء درسين او دروس في موضوع واحد من فن واحد وغرضها من ذلك ان تخفف عليهم من اعباء احضار دروس متعددة في مواضيع مختلفة وتوفر لهم اوقاتا يجمون فيها نشاطهم ويتمكنون بواسطتها من كمال الاتقان وغرس شجيرات التخصص في الفنون لتصير مع مرور الزمان دوحات كثيرة الغصون . باسقة الفروع . تثمر باهر التقدم في مختلف الميادين . وبذلك نسلك الطريق السوي الذي سلكه سلفنا الصالح في العصور الغابرة . ايام كانت المعارف راسخة الاوتاد . شامخة الذرى .

وقد تسنى للمشيخة العلمية بتوخي هذه الطريقة ان تكلف ثلة من شيوخ التدريس للقيام بدروس المتخلفين من الشيوخ لاعذار شرعية على طريقة الساعات الزائدة وان تحافظ على الموازنة الدراسية التي هي مطمح نظرها وهدف اهتمامها لاستيقانها ان الدروس هي اجنحة النهوض التي تمكن المتعلمين من التحليق في اجواء التقدم

واما حسن التلقي من المتعلمين فيعتمد اولا على قوة البواعث النفسية وشدة الطموح الى المعالي وهذان قد يكونان من مواهب الفطرة . وقد يكونان من نتائج التربية . ويستند ثانيا الى استقامة الجسم . وكفاية امر السكنى والمعاش وهذان يتعلق النصيب الموفور فيهما باولياء التلامذة وبالمجتمع . ويجمل بنا ان نتوسم في المستقبل خيرا جما اذ راينا الشعور بادراك الواجبات نما دبيبه في جسم المجتمع وجادت انواؤه . وتجاوبت في نواح كثيرة اصداؤه . يدل لذلك تلبية الفضلاء الكرام البررة اصحاب الحمامات لنداء المشيخة العلمية في اباحة الاستحمام مجانا لفقراء التلامذة . ولا يخفى ان النظافة من اوثق اسباب حفظ الصحة . كما يشهد لهذا الشعور الفياض تكوين جمعية اغاثة ضعفاء التلامذة وتشييد بعض المحسنين مآوي السكنى لعموم التلامذة . وهذه المنشئات وان لم تشف العلة وترو الغلة الا انها باضافتها لموقوفات اسلافنا الكرام خففت الالم عن القريح وكسرت من سورة التباريح

ومع ما يعترض الزيتونيين في طريق تعلمهم من عقبات الخصاصة والاحتياج فقد ظهر فيهم حسن التلقي هذه السنة الدراسية كامل الظهور . وكان من نتائجه ما يبعث على الغبطة والسرور . ذلك ان عدد المشاركين في الاختبارات الف وسبعمائة وتسعة . تقدم منهم الف واربعمائة وسبعة واربعون واستحق التاجيل لاعادة الاختبار في مفتتح السنة الدراسية المستقبلة مائة وثمانية وثمانون ورسب اربعة وسبعون . وامسك عن المشاركة في الاختبارات لعوارض حائلة مائة واثنان وتسعون

وعدد المشاركين في امتحان الشهادات سبعمائة وستة وثمانون . ففي قسم الشهادة الاهلية نجح

في الكتابي مائتان وستة وتسعون . واحرز على الشهادة مائتان وستة وثلاثون منهم سبعة بملاحظة احسن وخمسة وتسعون بملاحظة حسن ومائة واربعة وثلاثون بدون ملاحظة

وفي قسم شهادة التحصيل في العلوم نجح في الكتابي مائتان وثمانية عشر . واحرز على الشهادة مائة وثلاثة وستون منهم واحد بملاحظة احسن واربعة وستون بملاحظة حسن وثمانية وتسعون بدون ملاحظة

وفي قسم شهادة التحصيل في القراءات نجح في الاداء ثلاثة واحرز على الشهادة اثنان .

وفي قسم شهادة العالمية في العلوم نجح في الكتابي في القسم الشرعي اربعة عشر واحرز على الشهادة تسعة .

ونجح في الكتابي في القسم الادبي سبعة واحرز على الشهادة واحد وفي قسم شهادة العالمية في القراءات قبل في الاداء ستة واحرز على الشهادة اربعة .

وستتلى اسماء المحرزين على الشهادات وفق ترتيب كثرة اعدادهم في هذا المجلس وستوزع جوائز من الكتب على المبرزين منهم وهذه اعداد المحرزين على الجوائز . اربعة من المحرزين على العالمية بالقسم الشرعي وخمسة من المحرزين على التحصيل في العلوم وخمسة من المحرزين على الاهلية برتبة احسن .

والمشيخة العلمية تبدي كامل ابتهاجها وعظيم ارتياحها لهذه النتائج السارة وتثني على الطلبة الذين واصلوا السير في اقتطاف ازهار العلوم وضربوا آباط الاعتناء فحمدوا السرى . وبلغوا المراد وحققوا عظيم قيمهم الذاتية . اذ قيمة كل امرىء ما يحسنه . ونالوا باستحقاق الشهادات العلمية التي هي عنوان الفخر . وشعار الرقي . كما تثني على الشيوخ الذين بعثوا في التلاميذ دواعي النشاط . واناروا لهم سبيل التقدم . وحفظوهم من الوقوع في مهاوي الانحطاط وكانوا لهم اسوة حسنة في الانقطاع للعلم والحرص على الافادة والاستفادة . وكراهة القعود عن الدراسة ولو توفرت اسباب التخلف وتنوعت دواعيه وانتهز هذه الفرصة للاشادة بشكر الشيوخ الفضلاء الذين اتسموا بمواصلة العمل وكمال المثابرة . ولم يؤثر عنهم تخلف عن التدريس في هذه السنة الدراسية أو لم يعد تخلفهم ثلاثة ايام في كاملها . وهؤلاء هم العلماء النحارير الفضلاء الشيخ السيد محمد الصالح بن مراد والشيخ السيد الصادق المحرزي كلاهما من الاساتذة . والشيخ السيد الناجي بن مراد والشيخ السيد محمد الزغواني والشيخ السيد الصادق الشطي والشيخ السيد محمد الهادي العلاني . والشيخ السيد محمد الهادي ابن القاضي . والشيخ السيد العربي الماجري . والشيخ السيد الحاج علي بن الخوجه . والشيخ السيد محمد عباس وهؤلاء من مدرسي الطبقة الاولى . والشيخ السيد محمد اللقاني والشيخ السيد الطيب التليلي وكلاهما من مدرسي الطبقة الثانية . والشيخ السيد محمود بوعزيز والشيخ السيد عمر العداسي والشيخ السيد

٤

المختار البجاوي والشيخ السيد محمد المايل والشيخ السيد محمد الصالح الدرعي والشيخ السيد علي بن عامر والشيخ السيد العابد المعاوي والشيخ السيد محمد الحبيب الاصرم والشيخ السيد محمد الطويبي والشيخ السيد محمد غويله والشيخ السيد محمد الاصرم والشيخ السيد احمد عياد والشيخ السيد محمد السويح والشيخ السيد احمد الجريدي والشيخ السيد محمد بوشربيه والشيخ السيد محمد ابن الحاج عمر والشيخ السيد احمد المهدي النيفر والشيخ السيد التهامي الزهار والشيخ السيد محمد الشريف ميدون والشيخ السيد محمد النابلي والشيخ السيد محمد بن عمر مبارك والشيخ السيد محمد العربي العنابي والشيخ السيد ابراهيم بن القاضي والشيخ السيد محمد الاخوة وهؤلاء من مدرسي الطبقة الثالثة . كما اشكر رؤساء لجان الامتحان واعضاءها على ما بذلوه من جهود مشكورة وبرهنوا على ما عرفوا به من كمال الخبرة ومنتهى الضبط . واستعمال الحكمة في وزن الممتحنين بالموازين القسط فان منح الشهادة لمن لا يستحقها ثلمة تحط من قيم الشهادات العلمية وتكسب المعهد العلمي سوء السمعة ومنع الشهادة عن المستحق فتنة ربما تخمد جذوة اقباله وتمنعه من السير الى مطالع كماله اما الاعتدال فهو الكفيل ببلوغ الآمال والوصول الى قمة الفلاح .

والله المسؤل ان يضيء بالجامع الزيتوني ارجاء العرفان ويجعل رقيه مطردا على تعاقب الزمان بهمة مليكنا المصلح العظيم الشان ومؤازرة المولى الوزير الاكبر الذي له مواقف محمودة الاثر فيما يعود بجلب النفع ودرء الضرر تذكر فتشكر تقبل الله من الجميع الاعمال الصالحة وجعل هذا العصر للرقي العلمي والخلقي طليعة وفاتحة .

العاقل والاحمق

وصف بعض الادباء العاقل والاحمق فقال :

العاقل – اذا والى بذل في المودة نصره . واذا عادى رفع عن الظلم قدره . فيعد مواليه بعقله ، ويعتصم معاديه بعدله ، ان احسن الى احد ترك المطالبة بالشكر ، وان اساء اليه مسيء سبب له اسباب العذر او منحه الصفح والعفو .

والاحمق – ضال مضل ، ان اونس تكبر ، وان اوحش تكدر . وان استنطق تخلف . وان ترك تكلف . مجالسته مهنة ، ومعاتبته محنة ، ومجاورته تعر ، وموالاته تضر ، ومقاربته ومقارنته شقاء .

وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل .

والاحمق يسيء الى غيره ويظن أنه قد احسن اليه فيطالبه بالشكر ، ويحسن اليه فيظن انه قد اساء اليه فيطالبه بالوتر – اي بالثار

فمساوي الاحمق لا تنقضي ، وعيوبه لا تنتهي . ولا يقف النظر منها الى غاية الا لوحت ما وراءها مما هو ادنى منها وأردى وأمر وأدهى ، فما أكثر العبر لمن نظر . ولمن اعتبر أنفعها !

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة قد أفلح

تفسير قوله تعالى

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ
هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ *
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *

بقلم محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة

ان الانسان لشغوف بحب الخير ، متطلب للسعادة ، متطلع للكمال ، وللوصول لتلكم الغايات طرق ومسالك ، اذا هو نهجها بلغ الى غايته ، وأدرك مناه ، وان هو حاد عن الطريق السوي فعبثا يحاول الوصول الى ذلك . وما هذه الطرق التي تضمن لسالكها النجاح الا تعاليم الملة السمحة ، فان المرء مهما سار على ضوئها ، واهتدى بشعاعها الوضاح كان من الفائزين ، وربح الصفقتين ، وسعد في مبدئه ومعاده .

ومن أمعن النظر في حياة الافراد والجماعات ، والشعوب والامم ، تجلت له حقيقة لا يداخله فيها شك ولا ريب وهي أن الاسعد حظا من بين اولئك من كان رائده الدين ، ولم يحكم في أمره هواه ، ولست أعني بالحظوظ ما كان منها متمحضا للمادة ، فان ذلك قد شارك فيه الحيوان الانسان ، فلا نقصده بالنظر أصالة ، على أن أمر المادة نفسه له خطره فيما يرجع للاخلاق والعادات التي يسايرها الدين وقد يتبعها ويسير على ضوئها من لا يدين بذلك الدين ، فيتأثر بما اقتبسه منه ويحصل على نتائج ولو لم يكن من أهل الملة .

والاسلام قد اهتم بحياة الانسان الخاصة والعامة وما من طريق للخير الا أنار السبيل لسالكه الانسان وضمن لسالكه النجاح ووعده عليه الجزاء الاوفر والسعادة المنشودة ، وما من طريق للشر الا حذره

منه تحذيرا. ورغبه عنه ونفره من سوء مصير من يقتحمه كل ذلك حرصا منه على سعادة البشر . والرسول جاء الى الناس بشيرا ونذيرا . فنرى القرءان يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنه تعالى يمكنهم من الخلافة في الارض وأن لهم أجرا كبيرا. (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) .

هذا القرءان الذي فصلت فيه طرق السعادة تفصيلا . قد بينت فيه للناس اصول الآداب والاخلاق ومناهج المعاشرة بالمعروف . كما بينت فيه اصول العقيدة للناس . وعبادة رب الناس . فتراه يصف المؤمنين باوصاف من تحلى بها حمل راية السعادة باليمين . وعد من عباد الرحمن الفائزين . وأورثه الله الفردوس ولنعم أجر العاملين . فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين : قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعوان ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس، هم فيها خالدون .

فهذه الصفات قد بشر الله المؤمن المتحلي بها بالفلاح . ووعده انه تعالى يورثه الفردوس من الجنة

وقد تعرضت فيما سبق لما يتعلق بالصفات الاربع الاول . وتفسير الآيات الناطقة بها وها أنا ذا اذكر ما يتعلق بتفسير ما اتصل بها من الآيات وما اشتملت عليه من باقي الصفات . قال الله تعالى : والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون .

الامانات جمع أمانة وهي في الاصل مصدر أمن ثم استعمل المصدر وهو مانة في الاعيان مجازاً فقالوا في الوديعة ونحوها أمانة أي فصار لفظ الامانة يطلق ويرادمنه الشيء الذي يؤتمن عليه بقصد حفظه اذا دلت قرينة على ذلك وكذلك القول في العهد. والعهد هو الموثق وما عقده الانسان على نفسه. والمراد بهما في الآية العين المؤمنة والمعهود بها لا المعنى المصدري وهو الحدث والقرينة على ذلك قوله (راعوان) فان الذي يراعى هو العين المؤتمن عليه والذي يجب الوفاء به هو المعاهد عليه . ويوضح هذا المراد قوله تعالى : ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها . وقوله عز وجل : وتخونوا أماناتكم . والذي يؤدى أو يخان هو العين لا المعنى

وراعون جمع راع وهو القائم على الشيء لحفظه واصلاحه . كراعي الغنم القائم بحفظها المتتبع لمصالحها وراعي الرعية القائم بمصالحهم المهتم بشؤونهم وحفظهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) فالرعاية هي القيام بالحفظ والاصلاح حسيا كان او معنويا والمعنى في الآية والذين هم قائمون بحفظ واصلاح أماناتهم ويحافظون على ما عاهدوا عليه الى ان يؤدوه كاملا من غير تبديل

والآية الكريمة وان بشرت المؤمنين الذين يحافظون على اماناتهم وعهودهم فهي تشير ضمنا الى فضيلة حفظ الامانة والعهد وقد جاء الامر صريحا بوجوب اداء الامانات الى اهلها قال الله تعالى في سورة النساء : إن الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا . وقال تعالى في سورة البقرة : فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه . كما انه جاء في القرءان النهي عن الخيانة صريحا في آية : يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم . وشدد النكير على الخائنين في غير ما آية قال تعالى : ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما . وقال تعالى في سورة الانفال : واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . وقال جل جلاله في ذم اهل الكتاب بذكر صفاتهم القبيحة وما تقولوه على الله وهم كاذبون : ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (آل عمران)

فانت ترى من هذا كيف اعتنى القرءان بامر الامانة وكيف بين حكمها بما لا يترك مجالا للتأويل ونهى عن الخيانة لما تضمنته من المفاسد الخطيرة فان عاقبتها وبال على الفرد وعلى الامة

وقد اتفق الشرع والعقل على عظيم مفسدتها وعظم جرم مرتكبها وخطارة ما ينجر عنها من المفاسد الخاصة والعامةولا اكون مبالغا اذا قلت ان الذي رمي بالمسلمين في احضان المرابين هو تفشي هذا المرض العضال بين الطبقات الامر الذي أدى الى سلب الثقة من النفوس وحيث فقدت الثقة من الناس نحو بعضهم بعضا كان الخطر الشديد فلا يجد ذو الحاجة مجيرا يعطف عليه ولا نصيرا يفرج عنه كربته اذ كيف يدفع الانسان ماله الذي هو حريص عليه وهو يعلم انه لا يعود اليه . اللهم الا من سمت به همته ورغب من الله في مثوبته فيفرج عن هذا الملهوف كربته ولو اداه الامر الى ضياع ماله عليه وقليل ماهم

اجل ان المحافظة على الامانة ورعاية العهود لاعظم دليل يستدل به على سمو اخلاق الشعوب وهو أكبر مساعد على بسط الحضارة والعمران

وقد كانت صفة الامانة من اخص صفات الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلّم فوصفه قريش بالامين قبل ان يصفه المسلمون .

ولنا في حادثة الهجرة ما يوضح لنا اتم وضوح كيف اعتنى الاسلام بامر الامانة حتى في اشد المواقف واحرج الاوقات ومع من يضمر العداء وباح بالعدوان . فقد خلف رسول الله وراءه عليا بمكة بعدما هاجر منها ليرد الى الناس ودائعهم التي أمنوه عليها . وبذلك ادب صلى الله عليه وسلم الصحابة واليها دعا المسلمين ليكونوا مثال الكمال . فلا جرم اذا راينا في اخبارهم كيف عمروا الارض بعد فسادها . وساسوا الشعوب وانقذوهم مما كانوا عليه

والعجب كل العجب ممن يروم النهوض وساعداه منقلان بهذا الوقر العظيم . وممن يفكر في اسباب التعاون وخلق الخيانة كامن في نفسه متأصل فيه

اما علم الانسان انه ينال جزاءه في حياته الاولى ثم سيحاسب في أخراه على ماقدمت يداه وفي الحديث خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : البغي — والغدر — وعقوق الوالدين — وقطيعة الرحم — ومعروف لا يشكر .

ولا ابلغ في الدلالة على سوء حال الخائن من عده صلى الله عليه وسلم في صفات المنافق حيث قال : آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان . فالخيانة شعبة من شعب النفاق ولا يحسب الانسان ان الخيانة لا يمسه شطا من لهيبها الا اذا كانت من باب الغدر في الاموال التي يجعلها صاحبها وديعة عند المؤتمن . وأن ذلك هو المنهي عنه فقط . بل ان كل غدر خيانة وهذا يشمل المال والعرض والنفس .

فيجب على المؤمن ان لا يخون الله فيعصيه وان لا يخون رسوله فلا يتبع هديه وان لا يخون الناس كافة لا في اموالهم ولا في اعراضهم . حتى اذا قام برعاية الحقوق . ووفى بما اخذ عليه من العهود فلا جرم ان يكون ممن وسمهم الله بالفلاح . واولئك هم المؤمنون الصادقون الذين حفظوا فروجهم عما نهاهم الله عنه وحفظوا عهودهم ولم يخونوا أهلهم ولم يخونوا الناس اجمعين ولم يخونوا الله ورسوله وذلك هو الفلاح والفوز العظيم .

الصفة السادسة المحافظة على الصلوات المكتوبة قال : تعالى والذين هم على صلواتهم يحافظون . عدالله تعالى هذه الصفة وهي المحافظة على الصلاة مع عده الخشوع في أول الصفات لانهما وان كانا يتعلقان بشيء واحد وهو الصلاة الا ان الاولى وهي الخشوع لبيان صفة تلابس المصلي حل صلاته . وهذه امر زائد على ذات الصلاة فهي تتعلق بالصلاة من حيث ذاتها فكان هذه تتعلق بالجسم والاخرى تتعلق بالروح

وكل ذلك يدلنا في وضوح على مقدار عناية الشارع بأمر العبادة وقد قال تعالى : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون .

ولمزيد عنايته بروح الصلاة قدم صفة الخشوع أولا حتى يعلم المكلف مقام الخشوع العظيم ثم ختم بالمحافظة عليها وجعل بقية الصفات وسطا لمزيد الاشعار بان أمر العبادة هو الاهم اولا وآخرا

والمحافظة على الصلاة تتناول المحافظة على اقامتها وعلى ادائها في أوقاتها . وعلى أركانها وشروطها وكل خلل في الاركان أو الشروط أو تفريط في الوقت أو عدم القيام بها بالمرة تنتفي معه المحافظة اعاذنا الله من ذلك وقد جاء الوعيد للمفرطين في صلواتهم فضلا عن التاركين . كما جاءت البشارة للمحافظين القائمين بها على اكمل وجه في هذه الآيات بالفلاح والفوز . ثم الوعد بالمقام العظيم والثواب الجسيم فقال تعالى : اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

الاشارة الى المؤمنين الذين اتصفوا بتلكم الصفات الست . وآثر اسم الاشارة على الضمير لما فيه من الاشعار بامتياز المؤمنين عن غيرهم بتلك الصفات مع الدلالة على انهم احقاء بالحكم المذكور لاجل ما تحلوا به من الاوصاف السابقة . وما في الاشارة من معنى البعد المؤذن بعلو مراتبهم وبعد درجاتهم في الشرف الفضل على حد قوله تعالى : أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

وقوله (هم الوارثون) اي الذين يستحقون ان يسموا بالوارثين لان ما سينالونه من النعيم هو الارث الدائم أما غيره فعرض زائل وهو استعارة عن الاستحقاق وعبر به دون يستحقون للدلالة على المبالغة لانه أقوى أسباب الملك

واختار القرطبي ان الارث في معناه الحقيقي بما رواه وصححه . وقوله (الذين يرثون الفردوس) صفة كاشفة لنوع الارث الموعود به . وقد ذكر الارث مطلقا اولا ثم قيد بالفردوس تفخيما وتأكيدا . والفردوس أعلا الجنة الذي خصه الله لطائفة من عباده منهم الذين تحققت فيهم هذه الصفات التي جمعتها هذه الآيات الكريمة جعلنا الله من اهله ووفقنا للعمل الموصل لارثه

الحديث الشريف

شعب الايمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ (رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ)

البيان بقلم محمد الهادي ابن القاضي امين المجلة

هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الايمان عن ابي هريرة ولفظة الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان فقد جزم بالستين من غير ترديد بينها وبين السبعين وأخرجه مسلم ايضا ورواية مسلم كما رأيت على الترديد بين الستين والسبعين والشك من الراوي غير ابي هريرة فالراوي شك هل قال النبيء (صلعم) بضع وستون او قال بضع وسبعون شعبة

وقد اختلف العلماء هل الافضل الاخذ بروايته الستين او الافضل الاخذ برواية السبعين فقال بعضهم الارجح الاخذ برواية الستين لانها متفق عليها وقد رواها البخاري ايضا على سبيل الجزم فهذا القدر هو المقطوع به عن النبيء (صلعم) ورجح جماعة منهم القاضي عياض والنووي الاخذ برواية السبعين لانها زيادة من ثقة فتقبل وليس في رواية الاقل ما يمنعها وإننا بذلك نجمع بين الروايتين لان الستين مندرجة في السبعين فبالاخذ برواية السبعين نكون قد أخذنا بالروايتين جميعا على سبيل الاحتياط

وايا ما كان فالذي عليه المحققون من العلماء ان المراد بهذا العدد التكثير لا التحديد فليس مراد صاحب الشرع حصر انواع الطاعات واغصان شجرة الايمان في البضع والستين او السبعين كما يفيده ظاهر اللفظ . وانما المراد بيان ان شعب الايمان وخصاله كثيرة بحيث قد تبلغ الى هذا العدد الذي يعبر به عن الكثرة

وقد اخذ بعض العلماء بظاهر اللفظ واجتهد في تحصيل ابواب الايمان وجمع شعبه وتتبع الخصال التي عدها النبي صلعم من الايمان في مختلف الاحاديث وما جاء في الكتاب العزيز مما جعله الله تعالى ايمانا أو من صفات المؤمنين اصولا وفروعا فاذا جملة ما جاء في الكتاب والسنة من ذلك بعد حذف المكرر يبلغ سبعا وسبعين شعبة وإذن يكون المراد بالبضع في الحديث بعض ماصدقاته وهو السبع وان الايمان سبع وسبعون شعبة وهو تحقيق حسن ترتاح اليه النفس ومن هؤلاء الحافظ بن حبان والحافظ ابو بكر البيهقي فقد صنف فيها كتابا اسماه شعب الايمان

والذي شفى العليل وأروى الغليل في هذا المقام العلامة العيني في العمدة قال في تفصيلها رضي الله عنه ماينلخص فيما يأتي : اعلم ان الايمان الكامل التام هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح فهذه ثلاثة اقسام الاول يرجع الى الاعتقادات واعمال القلب وهي تتشعب الى ثلاثين شعبة الاولى الايمان بالله تعالى وهو اصلها وأساسها ولهذا جاء في حديث مسلم أفضلها قول لا إلاه إلا الله والمراد القول المقارن للتصديق لا محالة ويدخل في الايمان بالله الايمان بذاته وصفاته وأنه ليس كمثله شيء الثانية اعتقاد حدوث ما سوى الله تعالى . الثالثة الايمان بملائكته . الرابعة الايمان بكتبه . الخامسة الايمان برسله . السادسة الايمان بالقدر خيره وشره . السابعة الايمان باليوم الآخر ويدخل فيه سؤال القبر وعذابه والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط . الثامنة الوثوق بالجنة وانها دار الخلود للمؤمنين . التاسعة اليقين بوعيد النار وعذابها وانها لا تفنى . العاشرة محبة الله تعالى . الحادية عشر الحب في الله والبغض في الله ويدخل فيه حب الصحابة وحب آل النبيء صلعم . الثانية عشر محبة الرسول (صلعم) ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته . الثالثة عشر الاخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق . الرابعة عشر التوبة والندم . الخامسة عشر الخوف . السادسة عشر الرجاء . السابعة عشر ترك اليأس والقنوط . الثامنة عشر الشكر . التاسعة عشر الوفاء . العشرون الصبر . الحادية والعشرون التواضع . الثانية والعشرون الرضاء بالقضاء . الثالثة والعشرون الرحمة والشفقة . الرابعة والعشرون التوكل . الخامسة والعشرون ترك العجب والزهو ويدخل فيه ترك مدح نفسه وتزكيتها . السادسة والعشرون ترك الحقد والضغن . الثامنة والعشرون ترك الغضب . التاسعة والعشرون ترك الغش ويدخل فيه الظن السوء والمكر . الثلاثون ترك حب الدنيا ويدخل فيه حب المال وحب الجاه فاذا وجدت شيئا من اعمال القلب من الفضائل والرذائل خارجا عما ذكر بحسب الظاهر فانه في الحقيقة داخل في فصل من الفصول السابقة يظهر ذلك عند التأمل

والقسم الثاني يرجع الى اعمال اللسان وهي تتشعب الى سبع شعب الاولى التلفظ بكلمة التوحيد الثانية تلاوة القرءان الثالثة تعلم العلم الخامسة الدعاء السادسة الذكر ويدخل فيه الاستغفار السابعة اجتناب اللغو

والقسم الثالث يرجع الى اعمال البدن وهي تتشعب الى اربعين الاولى التطهر ويدخل فيه طهارة

البدن والثوب والمكان ويدخل في طهارة البدن الوضوء من الحدث والاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس الثانية اقامة الصلاة ويدخل فيه الفرض والنفل . الثالثة الصدقة ويدخل فيها اداء الزكاة المفروضة وصدقة الفطر واطعام الطعام وإكرام الضيف . الرابعة الصوم فرضا ونفلا . الخامسة الحج ويدخل فيه العمرة . السادسة الاعتكاف ومنه التماس ليلة القدر . السابعة الفرار بالدين ومنه الهجرة من دار الشرك الثامنة الوفاء بالنذر . التاسعة التحري في الايمان . العاشرة اداء الكفارة . الحادية عشر ستر العورة في الصلاة وخارجها . الثانية عشر ذبح الضحايا . الثالثة عشر القيام بامر الجنائز الرابعة عشر اداء الدين الخامسة عشر الصدق في المعاملات ومنه الاحتراز عن الربا السادسة عشر اداء الشهادة بالحق وترك كتمانها السابعة عشر التعفف بالنكاح الثامنة عشر القيام بحقوق العيال ويدخل فيه الرفق بالخدم التاسعة عشر بر الوالدين ومنه اجتناب العقوق العشرون تربية الاولاد تربية صالحة الواحدة والعشرون صلة الرحم الثانية والعشرون طاعة الموالي الثالثة والعشرون القيام بالامارة مع العدل الرابعة والعشرون متابعة الجماعة الخامسة والعشرون طاعة اولي الامر السادسة والعشرون الاصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة السابعة والعشرون المعاونة على البر . الثامنة والعشرون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التاسعة والعشرون اقامة الحدود . الثلاثون الجهاد في سبيل الله ويدخل فيه المرابطة الواحدة والثلاثون اداء الامانة ويدخل فيه اداء الخمس الثانية والثلاثون القرض مع الوفاء . الثالثة والثلاثون اكرام الجار الرابعة والثلاثون حسن المعاملة ويدخل فيه جمع المال من حله الخامسة والثلاثون انفاق المال في حقه ويدخل فيه ترك التبذير والاسراف . السادسة والثلاثون رد السلام السابعة والثلاثون تشميت العاطس الثامنة والثلاثون كف الضرر عن الناس التاسعة والثلاثون اجتناب اللهو الاربعون اماطة الاذى عن الطريق فهذه سبعة وسبعون شعبة اعلاها قول لا إلاه الا الله وادناها اماطة الاذى عن طريق الناس والحياء شعبة منها

فكانه (صلعم) شبه الايمان بشجرة نبتت في ارض طيبة وتفرع منها فروع وأغصان فكلمة التوحيد هي افضل الشعب واصلها متى حلت في القلب اوحت الى الاعضاء بالطاعات فابتدأت بالاركان كالصلاة والزكاة والصوم والحج ثم أخذت في تحصيل النوافل والسنن والمندوبات بالمقدار الذي تطيقه وهكذا بادئة بالاهم قبل المهم حتى تؤتي أكلها وتحقق معنى المؤمن الكامل الذي وصل الى مقام الاحسان فهي كالشجرة ذات الشعب المتفاوتة بعضها أفضل من بعض فأفضلها لا إلاه الا الله محمد رسول الله وأدناها إماطة الاذى عن الطريق أي إزالة ما عساه يؤذى الناس في طريقهم من نحو شوك وحجر فهذا أقل غصن في شجرة الايمان اليانعة وبين الشعبتين العليا والدنيا مراتب متفاوتة كتفاوت الفروع والاغصان في الشجرة ومن هنا اختلف الناس كاختلاف الشجر ومن هنا ايضا تفاوتت مراتب الايمان كمالا ونقصانا تقدر كمال الشعب ونقصانها فمن كمل فقد جمع الشعب كلها بل هذا هو الاكمل ثم يليه الكاملون بحسب ما عندهم من طاعة وما جمعوا من اوصاف المؤمنين ثم ذكر احكم الخلق (صلعم) شعبة وسطى من شعب الايمان فقال (والحياء شعبة من الايمان)

وهنا تتلجى حكمة تخصيص الحياء بالذكر فانه شعبة وسطى وهو مع ذلك بمنزلة الميزان للطاعات والايمان لانه خير كله ولا يأتي الا بخير كما قال (صلعم) الحياء لا يأتي الا بخير. وقد اختلفت عبارات الحكماء وعلماء النفس في تحديد معنى الحياء الممدوح فمما قيل في تعريفه انه انكماش يعرض للانسان عند ظهور ما يعاب عليه او يذم وهذا الانكماش يمنعه طبعا من فعل هذا الشيء الذي يعرضه للعيب والذم . وعن الزمخشري الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تغير ما يعاب به ويذم وبالجملة فان الحياء خلق في النفس يبعثها على ترك القبيح وفعل والحسن وهو ممدوح لا محالة واما الانكماش عن اظهار الحق خوفا من بطش المبطلين الملتبسين به فليس حياء بل هو جبن ونذالة وهو مذموم باعتبار ما يترتب عليه من ضياع الحق وهو من اخص صفات الانسانية حتى قيل من حرم الحياء فقد حرم اخص الخصائص الانسانية وكان أشبه شيء بالحيوان الاعجم .

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

لذلك ترى الشر في افظع مظاهره لا يرتسم الا على الوجوه التي قل فيها ماء الحياء فخلت من كل معنى انساني وراحت تمعن في الشر ولا تبالي بالعاقبة . قال الشاعر :

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه اذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك وانما يدل على فعل الكريم حياؤه

ومن حفظه الله تعالى بالحياء فقد صانه من كل سوء فعقد لسانه عن اللغو وجوارحه عن الشهوات لانه اذا حدثته نفسه بقبيح رأى ان الله مطلع عليه فاستحيا من الله وانكمش عن كل شر وهذا أعلى مراتب الحياء وهو الحياء من الله تعالى روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلعم) استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا يا نبيء الله انا لنستحيي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الراس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى وتذكر الموت والبلى . ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا . فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء

ومن الحكم الخالدة التي تتابعت عليها كلمات الانبياء واتفقت عليها الشرائع : اذا لم تستح فاصنع ما شئت . عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلعم : ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت . ومن كلام الحكماء من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه ومن كلام البلغاء حياة المرء بحيائه كما ان حياة الغرس بمائه ومن كلام الادباء من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر ، ولقد كان رسول الله صلعم اشد حياء من البكر في خدرها

وبالجملة متى كمل حياء المرء كمل إيمانه وكملت فيه اسباب الخير وكان في ميدان الرجولة والفضل سباقا . اكمل الله لنا شعب الايمان ورزقنا الحياء

محمد الهادي ابن القاضي

رجب

بقلم العالم الواعظ الشيخ احمد المهدي النيفر
الخطيب بجامع باب البحر والمدرس بجامع الزيتونة

لشهر رجب في اعتقاد عامة الناس ودهمائهم مكانة ممتازة من بين الاشهر ومزيد فضل عليها واحترام متناه ، فهو في نظرهم شهر فضلت ايامه وكرمت لياليه ، وموسم من المواسم التي حث الشرع على الاقبال على الطاعة فيها . والاكثار من نوافل الصوم والصلاة ، وتعميرها بالذكر والتسبيح وصالح الاعمال والكف عن العصيان والآثام .

ومن مظاهر احترامهم له ان المعاقرين لبنت الدنان والمنكبين على شربها طيلة العام ، يتورعون عن تناولها فيه ويستمر بهم هذا التورع الى انقضاء شهر الصوم . ولا يواصل احتساءها في هذه الاشهر الثلاثة التي تسمى في العرف « بالعواشر » الا مهلهل العقيدة ومن لا يبالي بتعنيف الناس وتقريعهم .

ومظهر ءاخر من مظاهر اجلالهم لشهر رجب شعور من لايزالون يحتفظون بعقيدتهم، ومن فيهم بقية من دين وايمان بالواجب الذي فرض عليهم مولاهم القيام به خمس مرات في اليوم والليلة ، فينبهون من نوم الغفلة ، ويقبلون على اداء ذلك المفترض بصدق نية واخلاص طوية ، فتعمر بيوت الله بالركع السجود ، ويلاحظ البصيران للمساجد الجامعة في رجب والشهرين بعده تغص بتوارد المصلين وتزايد عددهم .

كما ان من دلائل اعتقاد الناس لافضلية رجب تطوعهم فيه بالصوم والصلاة ، واقبالهم بكليتهم على النوافل والذكر فهناك من يقضي غالب ايامه بالصيام ولياليه بالقيام ، وهناك من يلتزم صوم يومي الاثنين والخميس منه وهم السواد الاعظم .

وثم من الناس من يهتم جد الاهتمام بصلاة تصلى في اول جمعة منه على وصف مخصوص محفوظ ، وتسمى هذه الصلاة بصلاة الرغائب . واعتناؤهم فيه بتلاوة اسم من اسمائه تعالى وهو اللطيف اعتناء عظيم ، فعند دخوله يسرع الناس من رجال ونساء الى سبحاتهم يذكرون بها ذلك الاسم الشريف حتى يأتون على العدد المقرر .

هذه هي مظاهر التجلة لشهر رجب ، وهذه هي النوافل والطاعات التي تعمر بها ايامه ولياليه في عصرنا الحاضر وليس ثم شيء آخر يعمل فيه ويهتم به الناس ، وليس هناك احتفالات يخرج لها المشاهدون ، ولا اطعمة تصنع ويتنافس فيها الآكلون .

نعم به موسمان هما فى عقيدة الناس من المواسم الشرعية الموسم الاول أول جمعة منه المسماة بجمعة الرغائب وكأن هذا الموسم خاص بالنساء فانهن يخرجن صباح الجمعة الاولى منه للمقابر بقصد زيارة موتاهن والترحم والتصدق عليهم ويعتقدن ان الزيارة مطلوبة في تلك الجمعة ومرغب فيها ، فهذا الموسم مخصوص بزيارة القبور . عند ربات الخدور ، واما الرجال فليس لهم عناية النساء بجمعة الرغائب . الموسم الثاني هو موسم الاحتفال بذكرى الاسراء والمعراج وذلك في ليلة السابع العشرين منه ، وليس بهذا الموسم غير سرد قصة المعراج في بعض الامكنة الخاصة وانارة الجامع الاعظم .

ولعل مبالغة الناس في احترام شهر رجب واعتقادهم افضليته ، وحرصهم على التزود فيه بزاد التقوى منشأها ما يسمعونه من خطباء الجوامع من الاشادة بفضائله وذكر الاحاديث التي يروونها عن الرسول في فضله وفضل صيامه وقيامه ، وما يقرؤونه في كتب الرقائق والمجالس من الترغيب في عمل الطاعة فيه ، واختصاصه بمزيد الفضل على باقي الشهور ، ويمكن أن يكون اجتهاد الناس في العبادة فيه وتعففهم عن ارتكاب المعاصي علته رياضة النفس وتوطينها على الطاعة حتى اذا اظلهم شهر رمضان الذي هو شهر صبر وعبادة وجدوا انفسهم مرتاضة على ذلك

وتعظيم اهل البلاد التونسية لرجب واحتفاؤهم به قديم فقد ذكر ابن ابي دينار في كتابه المؤنس ان اهل الحضرة التونسية بعهده وهو القرن الحادي عشر للهجرة كانوا يعظمون ليلة النصف من رجب وليلة السابع والعشرين منه تعظيما لا يخفى امره

كما كانت البلاد المصرية في القرن الثامن الهجري تعظمه وتقيم الاحتفال لموسمين فيه وهما : اول ليلة منه . وليلة السابع والعشرين حسبما حكاه ابو عبد الله محمد العبدري المعروف بابن الحاج المتوفى سنة ٧٣٧ عنهم في كتابه المدخل

ويظهر أن أهل مصر اليوم ليس لهم من المواسم في رجب الا موسم واحد وهو ليلة المعراج بدليل ان الشيخ علي محفوظ صاحب كتاب الابداع في مضار الابتداع لم يذكر في بدع المواسم الا هو

وكانت البلاد المصرية على عهد الفواطم تحتفل بليلة اول رجب ويقوم الخطباء فيها بواجب الوعظ وتنبيه الناس لفضيلة الشهر وتحتفل ايضا بليلة نصفه ، وليلة اول شعبان وليلة نصفه وتسمى بليالي الوقود الاربع . وهي من احسن وابهج الليالي التي في عرفهم يهرع الناس لمشاهدتها من كل أوب ؛ وقد وصف الإحتفال الذي يجري بها القلقشندي في صبح الاعشى والمقريزي في كتاب المواعظ والاعتبار ومن العادة التي سنت ايام وزارة الافضل بن امير الجيوش ان تغلق في اخر جمادى الآخرة من كل سنة جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختم ويحذر من بيع الخمر ثم عممت هذه العادة على عهد الوزير المامون في سائر اعمال الدولة

وليست عقيدة تعظيم شهر رجب واحترامه وليدة العصور الاسلامية بل هي عقيدة قديمة عرفت في العصر الجاهلي فان العرب ايام جاهليتها كانت تحترم هذا الشهر وتعظمه تعظيما بالغا كما يدل لذلك تسميته برجب فانه مشتق من الترجيب وهو التعظيم واشد العرب تعظيما له مضر فلذلك اضيف اليهم فقيل رجب مضر حسبما روي في الحديث الشريف الآتي ، وهو معدود عندهم من جملة الاشهر الحرم الاربعة التي كانت بمكان من التجلة والاعظام ، وزمنا للهدنة من التقاتل والسلام .

ولحرمة شهر رجب لديهم كانوا يذبحون فيه ذبيحة يتقربون بها زلفى لآلهتهم واصنامهم ويسمونها بالعتيرة فعلية بمعنى مفعولة من العتر وهو الذبح ويسمونها بالرجبية ايضا

ولما صدع فجر الاسلام وبعث بنور هدايته الى العرب والامم كافة أقر العرب على احترام الاشهر الحرم وتعداد رجب منها قال تعالى في سورة التوبة : ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم

واخرج الشيخان : الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا : منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر . ـ الحديث

وهل أقرهم على تحريم القتال فيه ؟

بعض من اهل العلم يرى ان ذلك باق لم ينسخ ، ويرجح البعض نسخ التحريم

واما العتيرة فجاءت فيها احاديث متقابلة لان بعضها يقضي بابطالها وبعضها يرشد الى مشروعيتها . في الحديث المتفق عليه : لا فرع ولا عتيرة . وروى احمد والنسائي عن ابي رزين العقيلي انه قال : يا رسول الله انا كنا نذبح في رجب ذبائح فنأكل منها ونطعم من جاءنا فقال له لا بأس بذلك . وقد جمع علماء الشريعة بينها بان احاديث البطلان ناسخة لاحاديث الاجازة . وثم من العلماء من يرى ان العتيرة جائزة اذا لم تكن في خصوص رجب ولم يقصد بها ما يقصده اهل الجاهلية

ويهمنا بعد هذا كله ان نعرض على محك الشريعة عقيدة الناس في رجب لنعرف هل له فضل امتاز به عن غيره من الاشهر ؟ وهل رغبت الشريعة في صيامه وقيامه ؟ وما هي درجة الاحاديث التي يروونها في فضيلته من الصحة والقوة ؟

يقول محققوا العلماء واهل البصر بالحديث ان رجبا لم يات في السنة حديث صحيح صريح صالح للاحتجاج به في فضله ولا في صيامه ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه وفي مقدمة هؤلاء المحققين الحافظ ابو اسماعيل الهروي والحافظ ابن حجر

وان امثل ما ورد فيه ما رواه النسائي من حديث اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله لم ارك تصوم من الشهور ما تصوم في شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان .

فلم يبق له من فضل الا كونه واحدا من الاشهر الحرم وكل الاحاديث التي نسمعها ونقرأها في فضله والترغيب في صومه وقيامه اما موضوعة واما ضعيفة ، ومن بين الاحاديث الموضوعة احاديث صلاة الرغائب ، ويقول ابو بكر الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ ـ في كتاب البدع والحوادث : انها بدعة حديثة العهد حدثت في زمانه ، على ان الفقهاء انفسهم يعترفون بانه لم يصح في رجب شيء ، فهذا الشيخ زروق شارح الرسالة يقول : لم يرد في رجب شيء يعتد به .

ومن الاحاديث التي اولع خطباء الجوامع بذكرها حديث حكم عليه النقدة بالوضع مثل ابن الجوزي وابن حجر وهو ما رواه الديلمي وغيره عن انس مرفوعا : رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر امتي .

احمد المهدي النيفر

الوعظ والارشاد

في سبيل الاصلاح

الخطب الجمعية وواجب الأئمة

بقلم الواعظ المرشد الشيخ الجيلاني
حمزة الخطيب بجامع الحنفية بالمهدية

يمتاز الدين الاسلامي على غيره من بقية الاديان بانه يجري مع المدنية والمنطق السليم في كل عصر فهو دين الفطرة والهداية لجميع البشر اهتدى به وانشرح صدره اليه كل من بحث في اصوله ووقف على اسراره وقد وقع هذا لكثير من عظماء اوروبا وفلاسفتهم فاعتنقوه عند ما علموا وتبين لهم انه دين العقل والعلم والاخاء والمساواة والحرية المعتدلة التي تصلح لسياسة النوع الانساني

وها هي الجرائد والمجلات تنشر كل يوم اسماء وصور المعتنقين الجدد للاسلام وهم الذين دخلوا فيه بعد ما ظهر لهم انه هو الدين الحق وبعد ما يئسوا من قبول معتقدات لا ترضى بها عقولهم في هذا العصر عصر التقدم الفكري والنبوغ الفطري فما بالعهد من قدم اسلمت اميرة بالهند وتم اسلامها في فبراير سنة ١٩٣٧ اثناء سياحتها في طيارة بفرنسا واسلم قبل هذه الاميرة الكثيرون من عظماء الغربيين امثال عبد الله كوليم البريطاني وناصر الدين الفرنسي وغيرهم مما لا مجال لذكرهم الآن وسنتعرض لهم بحول الله في مقالة اخرى ونبين سبب اسلامهم فالدين الاسلامي دين كامل والحمد لله من كل الوجوه وهو افضل الاديان كما جاء في القرآن . افحص كل فرض وتامل في الغرض منه وفكر فيما ينجم عن تاديته تجد ان هذه الفروض ليست موضوعه لاثقال كاهل الناس كما يتفوه به زعماء التجدد بل لكل فرض فائدة ولكل قانون حكمة ـ ومن اهم هذه الفروض صلاة الجمعة وقد اوجب الشرع صلاتها جماعة كما اوجب خطبتها وفي كل من هذين الواجبين حكمة ولكل منهما غرض فوجوب صلاتها جماعة يرمي الى اغراض اجتماعية عظيمة منها وجود مظهر من مظاهر الاتحاد والقومية والتعارف وفي ذلك من الفوائد الاجتماعية ما يقصر المقام عن تدوينه

وفي فرض الخطبة حكمة كبيرة فهي ترمي الى الاصلاح الديني والدنيوي اذ المفروض في الخطبة ان تكون في النواحي العليلة من حياة المصلين ومعالجتها بالنصائح القيمة والارشادات المثمرة

فيذكر الخطيب الناس بوجوب اتباع دينهم ويحظهم عليه وعلى العمل باوامره ويشرح ما غمض من احكامه حتى اذا انتهى من ايقاظ مشاعرهم الدينية ينتقل بهم الى حياتهم الاجتماعية فينبههم الى خطر ما فشى بينهم من العداوة والبغضاء والشهوات التي اهلكت اموالهم وشرب الخمور والتفرنج والسفور كل ذلك بالآيات التي تنذر بالعذاب الشديد والعقاب الاليم بعد بيان المضار الدينية والدنيوية كالامراض الزهرية وانتقالها الى النسل وتسببها في تعطيل الاعضاء كما تفعل ذلك المخدرات كالحشيش والافيون والكوكايين وغير ذلك من الامراض الفتاكة شارحا لهم ان هذه الامراض هي اشد من الازمات وانكى من المجاعات الضاربة الاطناب وبذلك تاتي الخطبة زاهية الازهار دانية الثمار فتصلح حال الامة وتتنبه من غفلتها وتصبح متينة في اخلاقها

على الاخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز ركن

فالخطب الجمعية او ان شئت فقل الوعظ الديني هو آخر سلاح ندفع به اخطار الجرائم وانجع دواء نكافح به وباء الشرور والآثام التي غمرت هذا العصر بطوفان جارف لا نجاة لنا منه الا بان يعد الواعظون المصلحون سفينة النجاة لينقذوا البشرية من الرذائل التي بعثتها مدنية العصر ولكننا بكل الاسف ونحن في عصر نحاول فيه الرجوع بالدين الى حظيرته الاولى في الوجود وفي النفوس لا نرى شيئا من هذا الا قليلا فغالب الخطب الجمعية التي تلقى في المساجد يعتمد فيها اصحابها على الدواوين الغابرة المعدة لزمن غير هذا الزمن لا تغني عن امراض الجمهور شيئا وهي تدور على حسب اشهر العام فما يسمعه الناس في هذا العام يسمعونه في العام القابل زيادة على ما فيها من الاحاديث الموضوعة والاضاليل والخرافات الكاذبة التي تحلو للعوام وتوافق مشرب بعضهم من ذلك الجزاء الكثير على العمل القليل فتجد في تلك الخطب من صلى على النبيء صلى الله عليه وسلم مرة خلق الله من تلك الصلاة سبعين الف ملك لكل ملك سبعون الف لسان يستغفرون للمصلي ومنها من شاب شيبة فى الاسلام دخل الجنة وغير ذلك من احاديث الوضاعين ومبالغات المنحرفين الذين ليس في حساب ميزانهم تقدير مسؤلية النقل وتحقيق ما يتلقونه من آثار واخبار فكل ما وجدوه نشروه ولو لم يفهموه ولاشك ان هذه الخرافات لا يرضى بها من له مسكة عقل فضلا على من نصب نفسه للناس اماما ويدعي انه وارث الانبياء وحارس الشريعة فعوض ان ينشر السنة الصحيحة وينتقي الخطب المفيدة النافعة ويطرق المواضيع التي فيها ترغيب الامة في العلوم والمعارف ونشرها وفي كيفية تاسيس الجمعيات الخيرية لفتح المدارس وانشاء ملاجىء للايتام وتنفير الناس من الجهل وترهيبهم من عاقبة الانهماك في المعاصي تراه يكتفي بخطب بالية ربما تدخل على النفوس وهنا يزيد ضعفها وخمودا يطيل ياسها كانه لم تطرق أذنه المصائب التي توالت علينا في هذا الزمان الذي قل خيره وكثر شره وبعد فيه الدين عن القلوب وقلت المروءة وغاض ماء الحياء وصارت الحال كما قال الشاعر :

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

جامع الزيتونة

في سمر ضباط الجيش

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

في هذه الاثناء رتبت القيادة العليا للجيوش الفرنساوية بتونس سلسلة مسامرات في ابحاث اجتماعية تتعلق بالتاريخ والادب والادارة والعدلية وغير ذلك من النظم التونسية لفائدة نخبة من اركان الحرب ومن ضباط حامية تونس وناطت مهمة القيام بهاتيك المسامرات بمعرفة بعض اعيان الذوات وبعض المتوظفين السامين بدولة الحماية ومما قرره سعادة القائد الاعلى في هذا الشان القيام بمسامرة خاصة بجامع الزيتونة واحواله من الوجهتين التعبدية والعلمية وظهر لجنابه اناطة ذلك بهذا العبد المتشرف بالالتحاق بسلفه في الانتساب لساحة جامع الزيتونة عمره الله واليك معربا تلخيص ما افضيت به من الحديث في هذا الموضوع :

مـررت على المروءة وهي تبكي — فقلت عـلام تنتحب الفتـاة
فقـالت كيف لا ابكي واهلي — جميعـا دون خلق الله مـاتـوا

فليتق الله الخطباء وليعدوا العدة لتعويض ما فات بايقاظ الارواح النائمة والاجساد الهامدة فالدين امانة في اعناقهم والاسلام وديعة سلمها لهم رجال نصروه فنصرهم الله وثبت اقدامهم وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فهم سفراء الشريعة وامناء الله في ارضه فيجب عليهم ان يعتنوا بالخطبة اعتناء يناسب العصر واهله فيعالجوا بوعظهم النفوس المريضة المنغمسة في حمأة الطغيان ويغرسوا فيها الخير والصلاح والعزة والكرامة وبذلك تحصل من الخطب الفائدة المقصودة وهي تهذيب النفوس وترقية العقول وخلاصها من ضر آفاتها واوهامها فبقدر ما يكون عند الخطباء من الاخلاص في حركاتهم وسكناتهم بقدر ما تتادى مهمتهم على اكمل الوجوه واحسن الصفات

الجيلاني حمزة الخطيب بجامع الحنفية بالمهدية

يا سعادة الجنرال

ويا ايها السادة

دعاني زعيمكم المظفر سعادة امير الفيالق الجنرال اودي القائد الاعلى للجيوش الفرنساوية ووزير الحرب بالدولة التونسية فحضرت بينكم الساعة لاتحدث اليكم باحوال جامع الزيتونة الذي هو أعز وأفخر مؤسسة اسلامية تونسية عمت سمعتها المشرق والمغرب واني لمبتدىء في الاول بالكلام على سبب انتساب هذا المعهد الجليل للشجرة المباركة منذ بدء الخليقة فقد حقق المؤرخون ان موقع الجامع كانت به زيتونة حوالي صومعة كان يتعبد بها راهب نصراني عند نزول المسلمين الاولين بتونس وتلك الصومعة كان موقعها حيث صومعة الجامع لهذا الزمان . ومعلومكم ان العرب فتحوا تونس سنة ٧٩ للهجرة اي عام ٦٩٨ للميلاد وكان زعيم تلك الحركة المباركة الشيخ الامين حسان بن النعمان الغساني الذي وفد على افريقيا لنشر الدعوة الاسلامية بين اهاليها الاصليين وقد اقتضت شريعة الاسلام ايجاد مسجد للصلاة حيث يكون جم غفير من المسلمين لذلك احدث العرب الفاتحون اول مسجد للصلاة بتونس وسموه جامع الزيتونة ومما حفظه التاريخ ان الراهب النصراني الذي ذكرته لكم ءانفا هو الذي دل جماعة المسلمين على موقع محراب الجامع المنير الى ءاخر ما جاء في حكاية مشهورة واذ ذاك وقع الاختيار على صومعة الراهب — ولا شك ان ذلك كان برضاه — لتكون ماذنة ينادي المنادي من اعلاها « حي على الصلاة حي على الفلاح » وبديهي ان المسجد وصومعته كانا في بداية امرهما على فطرة البساطة والسذاجة لان التاريخ لم يتكلم على المسجد المتحدث عنه بصفة مسجد جامع الا ابتداء من عام ١١٤ الموافق لعام ٧٣٢ للميلاد ففي هذا العام قام الامير عبيد الله بن الحبحاب والي افريقيه من قبل الخليفة بتوسعة الجامع واحكام وضعه على اساس فخم ومن يومئذ ما زال شانه في تعاظم الى هذا الزمان فالاغالبة امراء القيروان وامراء الشيعة في المهدية وبنو حفص سلاطين تونس كانوا على اتفاق في احترام جامع الزيتونة اللهم الا سطرا واحدا من نقوش سنية محته يد اعداء السنة من الكتابة المطرزة بها واجهة صحن الجامع اثناء الخلافات المذهبية التي ظهرت حوالي المائة الخامسة بين اهل السنة والشيعة (شيعة سيدنا علي بن ابي طالب القائمون بدعوة الامام المعصوم) .

اما هندسة بناء جامع الزيتونة فانها موافقة تماما لبقية جوامع عواصم افريقية الشمالية وسواري المرمر الملون المقامة عليها اقواس بيت الصلاة جيء بها من انقاض قرطجنه وابوابه احكم صنعها من عود الصندل حوالي القرن الخامس عشر للميلاد وصومعته المشاهد جمال بهجتها على حد سواء من داخل الجامع وخارجه شيدت اركانها بموقع الصومعة القديمة في سنة ١٣١٢ (١٨٩٥) في ارتفاع ٤٣ ميترو وكان الواقف على بنائها المهندس البلدي المرحوم سليمان النيقرو وبلغت نفقاتها من صندوق جمعية الاوقاف لمائة وعشرة الاف فرنك والصومعة الدارسة المعتلية على صومعة الراهب زيد في ارتفاعها ثمانية

اذرع على عهد الدولة المرادية وءاخر ترميم حصل بالجامع كان اجراؤه في علم ١٩٣٩ وكان قاصرا على اصلاح قبة المحراب حيث يتقدم الامام للصلاة بالمسلمين ويبسط اكف الضراعة بالعز والتمكين لنصير الدين حضرة ولي النعم سيدنا ومولانا دام عزه وعلاه وهذه القبة التي وقع اصلاحها كانت اقيمت سنة ٢٥٠ في عهد الخليفة المستعين بالله ومزية تجديدها كتبتها يد الاقدار في صحيفة حسنات صاحب التاج الوهاج ادام الله ملكه واجرى في بحر السعادة فلكه وهنا لا يسعني الا الاصداع بالحمد والشكر من اجل العناية الدولية التي ما برحت شاملة لجامع الزيتونة ولا شك انها سياسة محمودة تترجم لنا عن وفاء فرنسا الكريمة بما تعهدت به لنا من حمايتنا واحترام عقائدنا وعوائدنا القومية وءاخر ما اذكره لكم في حق ابنية جامع الزيتونة هو وجود ماجل فسيح بصحن الجامع يذكرنا عهد الضما الذي كان باسطا جناحه على تونس في القرون الغابرة كما توجد به مزولة لضبط اوقات الصلاة حسب فصول السنة على ان مامورية هذه المزولة هي اليوم في عهدة الموقت القايم بسنة الاذان بصومعة جامع القصبة المشرفة على جميع احياء العاصمة التونسية، وبقي علي الاشارة لحفر صغيرة بصحن الجامع هي من ءاثار سنابك خيل العساكر الاسبانية اثناء احتلالهم لتونس على عهد الامبراطور شارلكان .

هذا وقد اشرت ءانفا لفقدان مياه الري بتونس في الازمنة الماضية والحقيقة ان ماء عين زغوان كان جاريا بجامع الزيتونة اثناء القرن الثالث عشر للميلاد (المائة السابعة للهجرة) فان السلطان المستنصر بالله توفق خلال مدته لجلب ماء زغوان على الحنايا القديمة التي احدثها الامبراطور هوريان الروماني اثناء القرن الاول للميلاد قصد المستنصر بذلك العمل الجليل تزويد جامع الزيتونة بالماء الطهور وتزويد رياض ابي فهر حيث مساكنه السلطانية ومحل نزهة ءال بيته من ذلك حوض فسيح تجري به زوارق حضياته في الطول والعرض قالوا ان هذه الجابية لما محتها يد الزمان من لوحة الوجود غرسوا مكانها ستمائة عود من الزيتون فانظر ما ذا كان اتساعها في زمن المستنصر الحفصي !

ان ما قررته لكم ايها السادة يشخص صورة حقة ولكن موجزة من ابنية جامع الزيتونة نتخلص منها لحديث الجامع بصفته بيت ديانة لعبادة الله خالق كل حي ومدبر كل شيء فالاسلام يجيز للمسلم اداء صلواته المفروضة ببيته ولكن النصوص الشرعية جاءت مفعمة بالترغيب في اداء الصلاة جماعة بالمسجد لما في ذلك من فائدة التعارف بين المسلمين فالمسجد المجرد انما جعل لاجتماع اهل الحي الواحد لعبادة الله جماعة كما جعل المسجد الجامع لصلاة اهل المدينة جميعا وهي طريقة اوسع من السابقة لتعارف المسلمين والتفاهم حول بعضهم بعضا وهنالك اجتماع ءاخر اعم من اجتماع المسجد الجامع الذي يقوم فيه المسلمون باداء صلاة يوم الجمعة الذي هو يوم عيدهم الاسبوعي كيوم الاحد بالنسبة للنصارى ويوم السبت بالنسبة لبني اسرائيل وعندنا ان عيسى وموسى عليهما السلام بنسبة اخوين لنبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والاجتماع الاعم الذي نقصد الكلام عليه هو الحج الاكبر بمكة حيث يجيء المسلمون من اطراف المعمورة

للطواف بالبيت الحرام والوقوف على جبل عرفات يوم تاسع شهر حجة وهنا ينبغي ان نشرح لكم ان كلا من هذه الاجتماعات الثلاثة يفوت منه المقصود الذي وضع لاجله ذلك الاجتماع وهو عبادة الله تعلى وحسب اذا تدخلته غاية اخرى فالسياسة والتجارة وجميع المصالح الدنياوية لا نصيب لها من الجامع والعبادة عندنا تجري حسب قواعد احد مذاهب السنة الاربعة وبتونس خصيصا لا يوجد منها الا مذهبان مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان وبه يتمسك ءال البيت الحسيني الرفيع العماد واعقاب الاتراك الفاتحين الذين حكموا تونس في القرن الحادي عشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) ومذهب امام دار الهجرة مالك بن انس الذي يغمر تسعة اعشار مسلمي الايالة التونسية وامام المذهبين بالنسبة لهذه الديار هو المقام الملوكي المؤيد بالله

واراني قد استوفيت تلخيص الحديث على جامع الزيتونة من حيث هو بيت عبادة ، فلننتقل من ذلك للكلام عليه بصفته كلية جامعة لتعليم علوم الدين والعربية وسرعان ما نقول لكم ان شهرة هذه الجامعة الاسلامية تتجاوز بمراحل حدود بلادنا المحبوبة لان جامع الزيتونة هو اقدم المعاهد العربية الثلاثة الموجودة بشمال افريقيه والمعهدان الاخران هما جامع القرويين بفاس وهو من مآثر المحسنة فاطمة ام البنين اصيلة مدينة القيروان والجامع الازهر الشريف الذي لا يقل عدد طلبته عن اربع عشرة الف تلميذ والذي هو باتفاق في مقدمة النهضة الفكرية بعموم بلاد الناطقين بالضاد اما جامع الزيتونة فيبلغ عدد تلامذته لثلاثة ءالاف طالب وجامع القرويين لا تضم عرصاته الا نحو الف طالب وتلامذة الكلية الزيتونية خاضعون لنظام شديد الوطاة لا يعرفون غير المطالعة والقراءة من الصباح الى المساء واكثرهم من ابناء الافاق التونسية اما رفقاؤهم ابناء الحاضرة فسكناهم بديارهم واما التلاميذ الافاقيون فمساكنهم بالمدارس وهذه المدارس التي هي من مآثر اهل البر تقبل الله سعيهم اقدمها المدرسة الشماعية التي ظهرت في اوائل القرن السابع للهجرة وظهر معها في عصر واحد المدرسة التوفيقية اسستها امراة نصرانية بعد اعتناقها الاسلام وتزوجها بالسلطان ابي زكرياء يحي بن عبدالواحد بن ابي حفص وعلى راس كل مدرسة شيخ بعهدته السهر على سير احوال المدرسة حسب التراتيب الرسمية وتوزيع بيوت المدارس على مستحقيها موكول بامانة مجلس تابع لمشيخة التعليم بالجامع ومن المتفق عليه ان العيش بهذه المدارس عيش زهد وقناعة لانه لا يتناوله شيء من التوسعات الدنياوية فقراءة الجرائد والكلام في السياسة والاشتغال باللهو واللعب لا رواج لها بالمدارس مطلقا وعلى التلميذ معالجة غذائه بنفسه في الاغلب واذا تمكن من اجتراع كاس او اثنين من التاي فذلك منتهى نواله .

اما دراسة العلوم بجامع الزيتونة فقد ابتدات ضئيلة حوالي القرن الثالث للهجرة الشريفة ولكنها ما لبثت حتى اثمرت وسايرت كليات قرطبه وبغداد والقيروان وناهيك باقطاب العلم الذين انبتتهم رياض جامع الزيتونة منهم المؤرخ ابن خلدون صاحب الشهرة العالمية والامام محمد بن عرفه وكفى

بفقهه حجة وليس هما بالقطبين الوحيدين بتونس بل تجدون ذكر غيرهما ممن هم ليسوا باقل شهرة منهما في العلم والادب والحكمة بكتب نبغاء المستشرقين والمستعربين كالعلامة ده ساسي صاحب شرح المقامات الحريرية الموجودة منه نسخة بخزانة جامع الزيتونة ومعلومكم ان هـذا المستعرب الطائر الصيت ترجع اليه مزية تاسيس دراسة العربية بفرانسا

هذا وقد ذاق جامع الزيتونة مرارة الهوان اثناء احتلال الاسبان لتونس وحلق الوادي فقد نقل المؤرخون ومنهم ابن ابي دينار ان عساكر الاسبان مزقوا كتب الجامع كل ممزق وداسوها بسنابك خيولهم خلال شوارع تونس بحيث لم يبق منها شيء يذكر في المائة العاشرة وما بعدها ورايت بكناش للشيخ الجد طاب ثراه وكان من الشيوخ المشرفين على احوال الجامع في اواسط القرن الماضي ان مكتبة جامع الزيتونة لم يكن بها في زمنه الا نحو عشرين مجلدا بقية من خزائن سلاطين بني ابي حفص التي كانت تشتمل على اكثر من ثلاثين الف مجلد مخطوط باليد ولكن تونس وضعتها الاقدار في موقع وسط بين المشرق والمغرب فكانت حاضرتها حول العصور ملتقى اهل التفكير والانتاج كما هو حالها اليوم وفي هذه الكرة كان احياء دراسة العلم بعنايـة ملك غيور مصلح من ذرية المولى حسين بن علي طاب ثراه ونعني به المشير احمد باي الاول فهذا الملك صاحب الشهرة المطبقة كان من المعجبين بالعبقرية الفرنسوية وقبل ان يسعى في سنـة ١٢٦٢ (١٨٤٦ الميلاد لزيارة حبيبه وحليفه الملك لويس فيليب بباريس ردا للزيارة التي تلقاها باردو من الامراء ابنائه في السنة قبلها جعل في مقدمة مشروع الاصلاح الذي انجزه بمملكته ترتيب الجنود واحياء خزانة الكتب بجامع الزيتونة وتاسيس دراسة العلم بتونس بحيث ان مكتبة الجامع باقسامها تشتمل في الوقت الحاضر على نحو عشرين الف مجلد منها خمسة ءالاف بعنوان الطلبة وفقا لارادة المقدس المبرور المولى محمد الحبيب باي مؤسس فرع الجامع اليوسفي الذي عززه حضرة ولي النعم سيدنا ومولانـا احمد باشا باي بفرع ءاخر بالجامع الحفصي اما بقيـة الكتب الموقوفة على خزانة جامع الزيتونـة فاغلبها مخطوط باليد ويوجد ضمنها كتب نـادرة لا تقدر بمال كتفسير ابن سلام المكتوب على رق الغزال في المائة الثالثة للهجرة الشريفة

والتعليم بجامع الزيتونـة اساسه القرءان والسنة امـا القرءان فهو كلام الله القديم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نزل به جبريل الامين على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبه يؤمن المسلمون قاطبة واما السنة فهي مجموع الاحاديث النبوية الواردة في الصحاح وهي شاملة لسيرة رسول الله ولتاريخ حياته ومعلوم ايها السادة الاعزاء ان القرءان الكريم هو دستورنا الديني والاجتماعي ولاجل ذلك كان امراء المسلمين بيدهم مصالح اممهم الدينية والدنياوية معا فصاحب السمو الملوكي باي تونس المعظم هو صاحب الولاية العامة الذي بيده حق الاشراف بـالنص الشرعي على مصالح رعاياه المطيعين من الوجهتين الدينية والسياسية وهذه القاعدة مستمدة في اصلها من نظام الخلافة والخليفة هو

امام المسلمين فهو بابا المؤمنين بالله وبرسوله ولكنه غير البابا عند النصاري لان سلطة زعيم النصرانية روحية فقط وسلطة الخليفة عند المسلمين روحية وزمنية نعم ان الخليفة لا وجود له في هذا الزمان ولكن للمسلم ان يكون مسلما بتمام المعاني رغم فقدان الخليفة لان الاسلام لا يقتضي وجود واسطة بين الخالق جل جلاله وبين مخلوقاته ولست انا الان بصدد القيام بدعاية او بالتبشير لفائدة الاسلام بل انا في مقام التعريف بمعنى الاسلام السمح وحسب . ولنرجع بكم لحديث التعليم بالجامعة الزيتونية فنقول ان المقصد منه هو تعليم ابناء المسلمين ما لهم وما عليهم وهذا التعليم ينقسم لفرعين كبيرين تعليم علوم الشريعة وتعليم العلوم الوضعية اما علوم الشريعة فهي تفسير القرءان والقراءات والحديث والتوحيد والفقه والفرائض والكلام والتصوف وغير ذلك واما العلوم الوضعية فهي النحو واللغة والمعاني والبيان والادب والشعر وآداب البحث والمنطق والتاريخ والجغرافية والحساب والمساحة والهياة وغير ذلك وكل واحد من هذين التعليمين يجري في ثلاث درجات : ابتدائية ووسطى وعالية . فالدروس الابتدائية تزاول بفرعي الجامع وتمكن مزاولها من الحصول على شهادة ابتدائية تسمى « الاهلية » . وتعليم الدرجة الثانية يمكن مزاوله من شهادة تسمى « التحصيل » . والتعليم العالي ينتهي بالحصول على شهادة « العالمية » وكل هذه الشهادات تمنح لاصحابها بالامتحان العمومي كتابي وشفاهي والجلسة الختامية للامتحانات السنوية تزدان بحضور جناب المولى الوزير الاكبر واهل الحل والعقد ورجال الشرع المطهر والعلماء والاعيان

والتلاميذ المحرزون على شهادة العالمية لهم الحق في طرق ابواب الوظائف العامة فالذين زاولوا علوم الشريعة لهم ان يتقدموا لخطط العدالة والامامة والقضاء والفتوى الخ . والنابغون في العلوم الوضعية لهم حق الانخراط في سلك الوظائف بالادارات وبالمجالس العدلية وبالاعمال والوكالة الخ اما ولاية التدريس بجامع الزيتونة فهي رهينة الشغور باحدى رتب التدريس التي يبلغ مجموعها المائة واربعة عشر مناطة بمعرفة مائة واربعة عشر من العلماء الاعلام يباشرون ماموريتهم تحت رقابة فضيلة شيخ الجامع وشيخ الجامع يعضده في مهمته شيخان من خيرة المدرسين الاولين يعينهما لذلك المولى الوزير الاكبر الذي من وظائفه الاشراف العام على التعليم الاسلامي بالايالة التونسية ورتب التدريس بالجامع تندرج في اربع طبقات طبقة استثنائية وهي رتبة الاستاذية لها شبه برتبة « الاقريقاسيون » بالجامعات الاروباوية وعدد اهل هذه الطبقة الممتازة ثمانية نصفهم من الاحناف ونصفهم من المالكية وطبقة اولى تضم ثلاثة وعشرين مدرسا ثم ثانيه يقوم بها واحد وعشرون مدرسا فثالثة منوطة بستين مدرسا وهؤلاء الستون هم المباشرون للتعليم الابتدائي بالجامع وفروعه ويضاف الى هؤلاء معلم الخط ومعلم الميقات ومعلم الصحة .

هذا وتبلغ اعداد الدروس لخمسين درسا في التعليم العالي ولمائة وثمانين درسا في تعليم

الدرجة الثانية ولاربعمائة درس في تعليم الدرجة الابتدائية وحيث كان عدد المدرسين مضبوطا بالصفة التي ذكرناها فكل شعور يحدث باحدى طبقات التدريس يجبر فراغه بالمناظرة بين مدرسي الطبقة التالية اما مدرسو الطبقة الثالثة فانهم يؤخذون بالامتحان من بين المحرزين على شهادة العالمية . ومدرسو الطبقتين الاستثنائية والاولى هم الذين ينتخب من بينهم شيوخ الفتوى والقضاء بديوان الشرع المطهر واهل الشرع هم المؤتمنون على كتاب الله وسنة رسوله بصفتهم ايمة للدين وحكاما بما انزل الله تعلى وهذه الصفة الشريفة تجعلهم في صف اهل الحل والعقد الذين يحضرون بيعة الامير وتنصيبه في العرش الحسيني . وانتخابهم للخطة الشرعية الحنيفه من حقوق المولى الامير بالذات اذ هو الذي يقدمهم للفتوى والقضاء نيابة عن سموه وشيوخ كل مذهب يتقدمهم رئيس منهم يلقب بشيخ الاسلام وهذا اعظم الالقاب الدينية عند المسلمين وقد امتاز في هذين القرنين اثنان من بيوت العلم بتونس بتكرر ولايتهم مسند المشيخة الاسلامية وهما البيت البيرمي والبيت الخوجي وبديهي ان اهل المجلس الشرعي هم الممثلون لارفع هياة اسلامية في المجتمع التونسي وعددهم اثنا عشر فقيها ستة من الحنفية وستة من المالكية وللاولين حق الاسبقية في المواكب الرسمية باعتبار انهم متمذهبون بمذهب صاحب التاج الوهاج وفيما عداه فالمساواة جامعة لشيوخ المذهبين في المرتب والرتبة والاعتبار وحضراتهم يباشرون وظائفهم العالية نيابة عن سمو المولى الامير الذي هو قاضي القضاة وامام رعيته قاطبه واذا اختلف الشيوخ في الراي فالقول الفصل من حقوق سموه الملوكي وعليهم السمع والطاعة .

ختاما اقول لكم انه يوجد بالعمالة التونسية خمسة فروع افاقية لجامع الزيتونة اهمها فرع مدينة صفاقس وبه توجد مكتبة عامرة من حسنات حضرة ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي دام له العز والبقاء وبقية تلك الفروع هي فرع جامع عقبة بن نافع بالقيروان وفرع مدن سوسة وقفصة وتوزر وزيادة على ذلك يوجد فرع زيتوني ءاخر لتعليم اللسان الفرنساوي ومبادي العلوم الرياضية لطلبة جامع الزيتونة وهو معهد ابن خلدون الذي احدثته دولة الحماية في سنة ١٨٩٦ بمساعي جميل الذكر الوزير مسيو ريني ملي المقيم العام الاسبق .

وهنا انتهى بنا الحديث في الموضوع الذي دعيت لبسطه لديكم ايها المستمعون الكرام ولي منكم المعذرة عما ارتكبته من التطويل الذي تكل منه اللهم ولكم مني تحية طيبة معززة بشواهد الاعزاز والاحترام .

محمد بن الخوجه

عود للرجال الاربعين

اصحاب الامام الشاذلي

نشرت بالمجلة الزيتونية في عددها السابق قائمة اسماء السادة الصالحين اصحاب الامام الشاذلي رضي الله عنهم بمناسبة حلول الجمعات الصيفية بالمقام وقد راق ذلك الفصل في انظار اهل الطريقة الشاذلية كما راق في نظر حضرات الشيوخ المولعين بالتاريخ واقترح علي بعض ايمتهم بسط الحديث بخصوص الولي المدرج اسمه تحت عدد ١٦ بتلك السلسلة المباركة حيث ورد فيها ذكر ابن القاضي عياض رضي الله عنه وها انا ذا مجيب على ذلك الاقتراح بنص ما رايت بكناش الشيخ الوالد الذي لخصت منه قائمة اسماء اولئك الاولياء المنقولة في اصلها من خط الشيخ محمد بيرم الثاني هذه عبارته :

ومنهم ١٦ الشيخ سيدي ابو سالم البرقي مدفون غربي جبل الزلاج وتربته بازاء ولد القاضي عياض بينهما مجرى السيل قبره مجرب لقضاء الحوايج توفي سنة ٦٦١ ﻫ بحروفه

ولكن مقالة الرجال الاربعين المتحدث عنهم اثارت في الاوساط المستنيرة حركة اخذ ورد عناية من اهل الفضل بمعرفة اصحاب الشيخ رضي الله عنه فاطلعني قطب مشهور من الايمة الاعلام على كتاب بخزانته العلمية تضمن مجموعة مستكملة في مناقب الصالحين اشتملت في طياتها على الرجال الاربعين الذين نشرت اسماءهم بالعدد الفارط من المجلة بزيادة اربعة من الاصحاب الشاذليين لم نقف على ذكرهم بكناش الشيخ الوالد رحمه الله ونص عبارة ما ورد في المجموعة المشار اليها :

ومن اصحابه (الامام الشاذلي) رضي الله عنه الشيخ سيدي ابي عبد الله محمد الحبيبي توفي بتونس حماها الله تعلى وهو مدفون قبلة الزلاج في جبانة مباركة اجتمع فيها اربعة اشياخ من اهل الفضل والبركة كلهم من اصحاب شيخنا ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم منهم هذا الشيخ المبارك (محمد الحبيبي) ومنهم الشيخ الولي الصالح العارف بالله تعالى سيدي ابو عبد الله محمد بن ساطان المرزوقي ومنهم الشيخ الولي الصالح الزاهد سيدي هلال المسروقي رحمه الله ونفع به اه فهؤلاء الثلاثة ينبغي ان يضاف لهم اسم ولي ءاخر وقفت على ذكره في مجموعة المناقب ايضا ولم يتقدم نشره بالمقالة السالفة في جملة اصحاب الامام رضي الله عنه وهو الشيخ سيدي عبد الرحمن الصقلي المتوفى عام ٦٦٥

ويلزمني التنبيه من ناحية اخرى لشيء من التصحيف والتحريف اشتملت عليه قائمة الاسماء المدرجة بالعدد الماضي وهذا التحريف وجدته مكررا ايضا في مجموعة المناقب (وما آفة الاخبار الا رواتها) من

وثيقة تاريخية

من العصر الحفصي

بقلم العالم الفاضل الشيخ الشاذلي
النيفر المدرس بجامع الزيتونة

الفت نظري ما نشرته المجلة الزيتونية الفيحاء من بحث قيم نفيس في تاريخ القضاة الشرعيين في القديم بقلم العلامة الاستاذ الامام القدوة الرحلة فضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي والذي الفت نظري منه هو ترجمة ابي علي الحسن بن ابي القاسم بن باديس القسنطيني . فانه قد ذكرني بوثيقة تاريخية مكتوبة بخط لدته وابن عمه وابن خالته حسن بن خلف الله ابن حسن بن ابي القاسم ابن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني . وتلكم الوثيقة ظفرت بها على كتاب كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى لعبد المؤمن الدمياطي .

والذي بعثني الى المبادرة بالكتابة في الموضوع علاوة على ما المعت اليه ان نظير هذه الوثيقة مما يمت الى العصر الحفصي لا يكاد يذكر امام ما تفيضه علينا العصور الاخرى من آثار هامة نستضيء بنورها في البحوث التاريخية. حتى اني الى كتابة هذه الاسطر لم أظفر الا ببعض مخلفات أقدمها في ظني هذا الاثر الذي نتحف به قراء المجلة الكرام. وهناك أثر ثان وهو نسخة من البيان والتحصيل للعلامة ابن رشد برسم خزانة ابي عبد الله محمد بن احمد بن قليل الهم وغيرهما مما سنأتي عليه ببسط في فصل خاص ان شاء الله .

ذلك الاسم المدرج بالمجلة تحت عدد ١٠ بالمقالة السابقة حيث قيل عياد بن مخلوف وصوابه علي بن مخلوف كذلك حصل تحريف اخر بالعدد ١٦ صوابه ابو النجاة سالم الدقي (نسبة لدقة قرية معروفة بعمل تبرسق) عوض سالم البرقي وبالعدد ١٨ محمد الرفيعي عوض محمد الربغي وبالعدد ١٩ ابو سالم علي المزاتي عوض سالم المزاتي وبالعدد ٣٢ عبد الله القرطبي القريشي عوض عبد الله القرشيني وبالعدد ٣٧ محمد التراب عوض محمد النوالي

هذا واني لمبتهج وفخور بشواهد الاطراء والتحبيذ التي اكرمني بها حضرات الشيوخ الذين راق في نظرهم فصل الرجال الاربعين وما ذلك الا من فيض بركاتهم اعادها الله على الجميع .

ومهمى كان الحال فان بحثنا في هذه النازلة لا يكون تاما الا بالوقوف على القصيدة البائيه المشار اليها بالصفحة ٣٨٦ من عدد المجلة الاخير لان صاحبها من اهل العلم وهو الشيخ برناز صاحب كتاب الشهب المخرقه (لا المحرقه كما هو المشهور) ويلوح ان صاحب القصيدة ضمنها افادات جمة في الموضوع الذي نحن بصدده كما تشهد بذلك العبارة التي نقلتها من كتابه ويا حبذا لو نتمكن من العثور عليها وما ذلك على همة الادباء بعزيز .

م . خ

واملي وطيد في ان القراء سيؤازرونني في بحثي هذا ويمدونني بالارشاد الى المظان التي في زواياها ما نحن بصدد البحث فيه . على اني سأوالي التنقيب حتى أعثر على ما يمكن ان تصل اليه يدي ويسعه طوقي . ولربما طوحت في التنقيب الى غير الخزائن الافريقية ان ساعد المقدور .

هذه اشارة الى ما يتعلق بالمخطوطات في عصر بني حفص . اما المخطوط الذي بين ايدينا فنكاد نقطع انه نسخ في حياة الوادي اشي أي في النصف الاول من القرن الثامن . والذي حدا بنا الى هذا انه لم يترحم عليه وهو قد مات في آخر العقد الخامس من القرن الثامن .

ويمتاز هذا الاثر بكونه افريقيا بحتا ويزيده قيمة في أعين الباحثين انه يتضمن ذكرى الوادي آشي الذي امتاز برواية الموطا . وانا في هذه الالمامة نستعرض الى ترجمة صاحب الخط وشيخيه الذين أجازاه بالكتاب .

فصاحب الخط هو حسن بن خلف الله الى آخر نسبه كما تراه بخطه في خاتمة المقال . وتسميته بحسن هو الموجود بالوفيات لابن قنفذ وذيل الديباج في نسخه المطبوعة . لكن النسخة التي عندي منه الديباج وهي بخط مؤلفها بها حسين « مع الشكل » والظاهر ان مؤلفها كتبها حسن ثم أصلحها بحسين ولا مرية انه خطأ ، فان الخط الذي ننشره به حسن لا حسين . وايضا ان ابن قنفذ وهو تلميذه ذكره باسم حسن .

ومترجمنا هو ابن عم حسن بن ابي القاسم الذي ترجم له شيخنا حفظه الله في قضاة افريقية ، وقد اشتركا في الاسم والكنية فكما سميا بحسن فكلاهما يكنى بابي علي وهما من العائلة الباديسية . وقد نبغ منها افراد ألفوا وصنفوا ولم يزل العلم في اعقابهم .

وقد أخذ مترجمنا عن كثير من أهل المغرب والمشرق . والذين أخذ عنهم من اهل المغرب الوادي اشي وابن غريون (١) . وابن مرزوق وابن عبد الرزاق أي محمد بن علي(٢) وابو البركات ابن الحاج البلقيني وابو عبد الله بن سعيد الرعيني وابو علي بن البحر وابن عبد السلام . هذا ما ذكره صاحب نيل الابتهاج وقد بقي عليه من شيوخه احمد ابن احمد الغبريني . ومن اهل المشرق أثير الدين ابو حيان . وله رحلة الى الحجاز وقد ذكر ابو زكرياء السراج انه لقي في رحلته اعلاما وأخذ عنهم وأجازوه .

وقد امتاز مترجمنا بكونه من رجال الحديث ولعله أظهر معارفه لان ابن الخطيب يقول وروينا عنه الحديث وغيره . وايضا ان الذين روى عنهم جلهم من رجال الحديث كابن زرقون الذي قال فيه

---

(١) هو محمد بن محمد بن غريون البجائي توفي سنة ٧٣١ « الوفيات ص ٥٤ وذيل الديباج ص ٢٣٢ »

(٢) هو القاضي الراوية ابو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق المتوفى سنة ٧٥٨ « الوفيات ص ٥٧ »

ابن الخطيب له سند صريح وقلم فصيح وابن غليوق الذي قال فيه المشبع بالرواية السالك مسلك الدراية . ومما يزيدنا ايقانا عنايته بكتاب كشف المغطى لانه من كتب الشرف الدمياطي الذي اشتهر في القرن الثامن من بين رجال الحديث شهرة فائقة حتى وصفه ابو حيان بحافظ المشرق والمغرب وحلاه ابن شاكر في فوات الوفيات بعلم المحدثين . وكل من يريد الانتظام في سلك المحدثين يجمل به ان يتصل بالدمياطي . وقد انفرد صاحبنا من بين الذين ترجموا للدمياطي بذكر أكثر كتبه حتى الحافظ ابن حجر .

وهذه العناية من ابن باديس تدلنا على ولع اهل المغرب بالحديث ورجاله خلافا لما يذكره الحافظ الذهبي في كتابه طبقات الحفاظ فانه قد وسم اهل المغرب بقلة البضاعة الحديثية . وليس لاهل المغرب من اهل الحديث ابن باديس فحسب فهناك ابن غربون وابن عبد الرزاق الغبريني والوادي آشي وابن هارون وابن الغماز ومن لف لفهم .

ولعل شغف مترجمنا بالعلوم الحديثية دون صرف المهجة الى العلوم الفقهية هو الذي حال بينه وبين توليته القضاء بالحاضرة الافريقية كابن عمه . ولكنه نال قضاء قسنطينة ومات وهو قاض بها .

مولده سنة سبع وسبعمائة ووفاته سنة اربعة وثمانين وسبعمائة . واما شيخه الوادي اشي فهو محمد بن جابر بن قاسم بن محمد بن احمد القيسي – الوادي اشي التونسي المالكي ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة في جمادى الآخرة بتونس ، سمع من ابن الغماز وابن عبد الرفيع والبطرني وغيرهم مما يطول بنا جلبهم . رحل الى المشرق مرتين الاولى في حدود العشرين والثانية سنة اربع وثلاثين . وكان عارفا بالنحو واللغة والحديث والقراءة استكثر من الرواية وأكثر من ذلك حتى صار راوية الوقت . واشهر مروياته كتاب الموطا حتى كادت لا تعرف روايتها من غير طريقه . فهذا الشيخ احمد النخلي المتوفى سنة ١١١٤ في كتابه بغية الطالبين لبيان المشائخ المحققين المعتمدين قد ذكر فيه سنده لمالك المتصل بالوادي آشي وكذا في كتاب قطف الثمر في رفع اسانيد المصنفات في الفنون والاثر صالح الفلاني المتوفى سنة ١٢١٨ . وكذا في الامداد بمعرفة علو الاسناد لعبد الله بن سالم البصري المكي

ويروي الوادي آشي الموطا عن ابي محمد(١) عبد الله بن هارون عن ابي القاسم احمد بن يزيد القرطبي عن محمد بن عبد الرحمان بن عبد الحق الخزرجي عن محمد بن فرج مولى ابن الطلاع عن ابي الوليد بن عبد الله بن مغيث الصفار عن ابي عيسى يحي بن يحي عن عم ابيه عبيد الله بن يحي عن ابيه يحي بن يحي عن مالك بن انس رضي الله عنهم اجمعين .

وشيوخهم الذين يروي عنهم الموطا ابن الغماز وابن هارون وكلاهما تونسي .

---

(١) في نور الحدائق في اجازة الشيخ الصادق لشيخنا الرحالة العلامة النظار الشيخ عبد الحي الكتاني ابو عبد الله واظن ذلك سبق قلم لانها كنية ابن هارون المفتي (ونور الحدائق اجازة من الشيخ المذكور للعلامة الاستاذ الامام المحدث شيخنا ومفيدنا المرحوم محمد الصادق النيفر نور الله ضريحه وهي تقع في جزء لطيف

اما ابن الغماز فهو قاضي القضاة بتونس احمد بن محمد المعروف بابن الغماز توفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة ترجم له في عنوان الدراية ص ٧٠ والديباج ص ٧٧. واما ابن هارون فهو غير ابن هارون المفتي ان الاخير ابو عبد الله محمد بن هارون شارح المختصرين وقد توفي سنة خمسين وسبعمائة .

واما صاحبنا فهو ابـو محمد عبد الله ابن هارون بن محمد بن عبد العزيز الطائي القرطبي نزيل تونس . كان اماما فاضلا كاتبا مسندا وعمر واخذ الناس عنه كثيرا وتوفي سنة اثنين وسبعمائة ودفن بالزلاج بتونس (الديباج ص ١٤٣) وزاد في الدرر الكامنة ان به تشيعا وانحرافا عن معاوية واختلط في آخر عمره (الدرر ص ٣٠٣ - ج ٢)

وذكر صاحب الديباج ان الوادي آشي له اسانيد كتب المالكية يرويها الى مؤلفيها . وقد ظفرت ببعض اسانيده في فهرست الشيخ محمد القادري في سند رسالة الشيخ ابن ابي زيد. وتوفي الوادي آشي سنة تسع واربعين وسبع مائة في الطاعون العام (١) ترجم لـه ابن فرحون في الديبـاج ص ٣١١ وابن حجر في الدرر الكامنة جزء ٣ ص ٤١٣ .

واما الشيخ احمد الغبريني (٢) فهو احمد بن احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني وهو ابن صاحب عنوان الدراية (٣) قال صاحب نيل الابتهاج في مترجمنا انه ابن صاحب العنوان وهو ابو القاسم (٤) التونسي فقيهها ومفتيها اخذ عن ابن عبد السلام وطبقته تولى الفتيا بتونس قال فيه ابن علوان : العلامة المشاور الثبت الراوية المدرس المفتي الخطيب ذو الخطط الشرعية توفي بعد السبعين والسبعمائة . وفي شجرة النور الزكية سنة اثنين وسبعين وسبعمائة .

ولعلي قد افضت بعض الافاضة وما ذاك الا لان الموضوع حري بالعناية والتدقيق ويتصل بالتاريخ التونسي وخصوصا بالناحية الحديثية منه التي قد طمس الدهر صواها حتى اننا لا نعرف عنها الا النزر اليسير . ومن جـراء ذلك ظن الناس ان العصر الحفصي عصر جمود على العلوم الفقهية لا يتجاوزها اهله الى غيرها . مع ان هناك رجالا قدولوا وجوههم شطر علم الحديث وغيره مما سنرفع القناع عنه في بحوث اخرى ان شاء الله . ونص المثال كما تراه بالصفحة التالية :

الحمد لله تعالى دائما هذا الشيخ الامام شيخ دار الحديث بالقاهرة شرف الدين ابو محمد عبد المؤمن مؤلف هذا المجموع في الصلاة الوسطى الذي ذكر فيه سبعة عشر قولا في تعيينهـا المذكور نسبه اعلى . مولده في اخريات ذي الحجة عام ثلاثة عشر وستمائة وقيل في محرم اربعة عشر وله من التآليف جملة منها معجم شيوخه الذين لقيهم واخذ عنهم بالحجاز والشام والجزيرة والعراق وديار مصر وغيرها في سفرين يزيد عددهم على الف شيخ وثلاثمائة شيخ ومنهـا كتب الاربعين الموافقات العـوالي وكتب الاربعين السباعيات الابدال وكتب المائة التساعية الابدال وكتب المصافحات وكتب فضل قبائل الخزرج وكتب الذكر والتسبيـح اعقاب الصلوات وتوفي فجر يوم الاحد الخامس عشر لذي قعدة عام خمسة وسبعمائة ودفن من الغد بظاهر باب النصر وصلى عليه قاضي القضاة (بدر الدين) ابو عبد الله محمد

---

(١) وهو الطاعون الجارف الذي مات فيه اعلام منهم ابن عبد السلام وابن هارون . وبسبب فتنة هذا الوباء في الفرار ممن مرض به الف بعضهم المسنون في احكام الطاعون

(٢) الغبريني نسبة الى بني غبري بطن من القبائل البربرية

(٣) التحقيق ان صاحب العنوان توفي سنة اربع وسبعمائة . ومما لا ريب فيه انها لم تكن سنة ٧١٤ خلافا لما في شجرة النور الزكية . لان صاحب الديباج ذكر انه توفي سنة اربع وكذا ابن قنفـذ في الوفيات وهو من فقهـاء افريقية لا من فقهاء فرع فاس لان لان بجاية كما يقول العمري في مسالك الابصار انها ثانية تونس والعاصمة الثانية لافريقية

(٤) الذي في خط ابن باديس ابو البركات ولعله هو الصواب فان اهل مكة ادرى بشعـابها .

ابن جماعة وتتصل روايتي عنه من طريق شيخنا المحدث الحافظ الراوية ابي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي ومن طريق الفقيه الاجل الحافظ المحدث ابي البركات احمد بن القاضي الامام الخطيب المرحوم ابي العباس احمد الغبريني قال ذلك عبيد الله الفقير (العبد) المستضعف حسن بن خلف الله ابن حسن بن ابي القاسم بن ميمون بن باديس بن محمد بن حسن القيسي لطف الله تعلى به وحسن عاقبته وتاب عليه ونفعه بالعلم واهله وصلى الله على (محمد النبيء) الكريم وعلى آله وصحبه افضل الصلاة والتسليم والحمد لله رب العالمين .

فهرس عام للمجلد الرابع من المجلة الزيتونية

مرتبة مواضعه على حروف الهجاء